

PJ 7817 .E3 v. 2

AUTHOR

TITLE

The Eclipse of the 'Abbasid...

DATE DUE

BORROWER'S NAME

PJ 7817 .E3 v. 2

The Eclipse of the 'Abbasid...

القسم الاخير من

كتاب تجار الامم

لإبي علي أحمد بن محمد

المعروف بسكونه

مع نخب من تواريخ شتى تتعلق بالأمور المذكورة فيه

وقد عتبتني بالنسخ والتصحيح هـ ف آمدروز

الجزء الثاني

(يحتوي على حوادث اربعين سنة) (من ٣٢٩ الى ٣٦٩ هجرية)

وهذه الوضع الجليل والطبع الجميل بمعرفة الفقير الى ربه فرج الله زكي الكردي

بمطبعته بشركة التمدن الصناعية بمصر المحمية سنة ١٣٣٣ هـ و ١٩١٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(خلافة المتقي لله أبي اسحق ابراهيم بن المقتدر بالله)

لما مات الراضى بالله بقى الامر فى الخلافة موقوفاً انتظاراً لقدم أبي عبد الله الكوفى من واسط وأحيط على دار السلطان وانتظر أمر بحكم فيمن يُنصب للخلافة فورد كتابه على أبي عبد الله الكوفى يأمر فيه أن يجتمع مع الوزير الذى كان يزر للراضى بالله وهو أبو القاسم سليمان بن الحسن وكل من تقلد الوزارة مع أصحاب الدواوين والقضاة والعدول والفقهاء والعلماء^(٢١) والعباسيين ووجوه البلد وشاورهم فيمن يُنصب للخلافة ممن يرتضى مذاهبه وتحمده طرائقه فمن وُجدت فيه هذه الاحوال عُقدت له الخلافة . فلما اجتمعوا ذكر بعضهم ابراهيم بن المقتدر ففرق الناس عن هذا ذلك اليوم من غير تقرير لامر فلما كان اليوم الثانى دُفع كتاب بحكم الى كاتب فقام وقراه على الناس وذكر ابراهيم : فقال محمد بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمى : هذا الرجل من ولد المقتدر فقل لنا هذا الرجل المذكور فى الكتاب يجب أن يكون من ولد المقتدر أو من غيرهم ؟ فقال أبو عبد الله الكوفى : من كانت فيه هذه الاوصاف نُصب فى الخلافة كأئنا من كان . فقال له : يحتاج ان

يكون الخطاب في هذا سرًا . فقام أبو عبد الله فدخل الى بيت وأقبل يدخل اليه الناس اثنان اثنان ويقول لهما : قد وُصف لنا ابراهيم بن المقتدر فاي شيء تقولون ؟ فاذا سمعا ذلك لم يشكّا في انه شيء قد تقرّر وورد فيه أمر بحكم فيقولون : هو موضع لما أهّل له . وكلاما في هذا المعنى فلما استوفى كلام الجماعة تقدّم بحمله ليعقد له الامر في دار بحكم ثم يحمل الى دار السلطان . وانحدر أبو عبد الله الكوفي وعُرِضت الالقاب على المتقي لله فاختار منها هذا اللقب وأخذت البيعة على الناس ^(٣٠) وأنفذ الخلمة واللواء الى بحكم مع أبي العباس أحمد بن عبد الله الاصبهاني الى واسط فانحدر بها وخلع عليه وأخذ البيعة عليه للمعتقى لله ^(٣١)

وأطلق بحكم لاصحابه صلة البيعة نصف رزقه أو دون ذلك ولم يُطلق للكتاب ولا للبقاء وأشباههم شيئًا . ووجه بحكم قبل استخلاف المتقي فحمل من دار السلطان فرسا كان استحسّنه وآلات كان اشتهاها . وخلع المتقي لله على سلامة الطولوني وقلّده حجبته وأقر سليمان بن الحسن على وزارته وانما كان له من الوزارة الاسم فقط والتدبير الى أبي عبد الله الكوفي وفيها ورد الخبر بدخول أبي علي ابن محتاج في جيش خراسان الى الري وقتله ما كان الديلمي وهزيمته لوشمكير الي طبرستان

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان ما كان مستقرًا بكرمان من قبل صاحب خراسان حتى بلغه قتل

(١) رفي تاريخ الاسلام رواية عن أبي بكر الصولي ان الحسين بن الفضل بن النّامون بعث الى الكوفي بمشرة آلاف دينار له وبارعين ألف دينار ليفرقها في الجند ان ولاء الخلافة فلم ينفع . وله أيضا ان المتقي لم يسر على جاريته التي له وكان كثير الصوم والتعب لم يشرب نبيذا قط وكان يقول : لا أريد نديبا غير المصحف

مرداويج فاجتمع عليه استئمان رجاله الى عماد الدولة على بن بويه ومجاورة
 آياه وطعمه في معاودة أعماله الاولى من جرجان وطبرستان فصار الى خراسان
 واستغنى من ولاية كرمان وسأل ولاية جرجان فولياها وسار اليها وفيها بلقسم
 ابن بالحسن من قبل وشمكير . فقدم ما كان كتابا الي وشمكير يُداريه فيه
 ويستنزله عن أعماله التي كانت ^(٣١) في يده ويستعيده الى حال المودة
 والموادعة . وكان الاجماع قد وقع من الجيل والديلم انه لم ير فيهم أشجع ولا
 أنجده ولا أفرس من ما كان وأقر له بذلك كل شجاع مذكور وكل متقدم
 مشهور فصادفت رسالته من وشمكير ضعف قلبه بقتل أخيه مرداويج وقرب
 عهده بالمصيدة واشفاقه من صاحب خراسان ومن جهة عماد الدولة على بن بويه
 فاستجاب له الى النزول عن جرجان وكتب الى صاحبه بلقسم بن بالحسن
 بتسليمها اليه . فلما مضت له مدة استنزله ما كان أيضا عن سارية فنزل له أيضا
 عنها فتأكدت الحال بينهما واستحكمت المودة واستوحش صاحب
 خراسان من تضافرها وآل الامر الى ان خلع ما كان طاعته وأسقط خطبته .
 فسار حينئذ أبو على ابن محتاج الى جرجان لمواقفته في عسكر كشيء أمده به
 صاحب خراسان وكتب ما كان الى وشمكير بالصورة واستنجده فأنجده
 بعسكر قوى ثم اتبعه أيضا بعسكر ثان مع شيرج بن ليلى . وحاصر ابن محتاج
 ما كان واشتد به الحصار الى أن أكل أصحابه لحوم الجمال والبغال

فانهز هذه القرصة ركن الدولة الحسن بن بويه واغتم شغل وشمكير
 بما كان فطمع في الري وكتب أبا على ابن محتاج صاحب جيش خراسان ^(٣٢)
 وأشار عليه بمناجزة القوم ووعدته بالمعاونة وكذلك فعل عماد الدولة كاتبه
 وأشار عليه بالمناجزة ووعدته بأن يسير أخاه الى الري في عسكر قوى

وعرف وشمكير الخبر وكتب الى ما كان بالصورة وأشار عليه بتسليم جرجان الى الخراسانية وكتب الى شيرج والى سائر عسكره بالانصراف ففعل ما كان ذلك وعاد الجيش باجمعه الى الريّ وحصل ما كان بسارية وتمكن ابن محتاج من جرجان . واتصلت المكاتبة بينه وبين عماد الدولة وركن الدولة واستحكمت المودة بينهم واتفقوا على حرب وشمكير حين اختلط عسكرهما وصارا عسكرا واحدا واشتملت عدة العساكر على سبعة آلاف من الديلم والجيل سوى الاتراك والعرب وأظهر من السلاح والجُنن والآلات والدواب أمرا عظيما . فترافدا في التدبير لان وشمكير كان منفردا باطلاق النفقات والاموال واقامة الانزال والمعلوفات وتفقد القواد والرجال لان الري وأعمالها كانت في يده فاما ما كان فانه تفرّد بمباشرة الحرب وترتب منها في القلب

فسار ابن محتاج على طريق الدامغان حتى قرُب منها وأقام الديلم والجيل مصافها وبات الفريقان على أهبة ليلا كرة الحرب والمناجزة^(٣٣) وكان وشمكير ضرب عدّة خراكهات للمصافّ ونصب المطارد والاعلام وأحضر الطعام للناس وأجلس ما كان في الصدر يأكل ويُطعم ويجلس من يرى ووشمكير قائم متردّد على رسمهم في ذلك ؟ فكان ما كان يقول : يا با طاهر لِمَ لانا كل معنا ثم تتوفّر على النظر بعد ذلك ؟ فيقول : يا با منصور نحن بازاء أمرٍ قد قرُب انفصاله فان كان لنا فسوف نأكل معا ونظم وان كان لغيرنا فسوف يأكل ويُطعم . (وكانا يتعاملان مُعاملة النظراء ويتخاطبان بالكُنَى ويتساويان في جميع أحوالهما) فما استتموا طعامهم حتى ورد عليهم الخبر بان ابن مُحتاج رحل عن موضعهم عادلا عن سِمَتهم الى اسحاقاباذ ليجتمع معه العدد الذي

أنفذه ركن الدولة لانه كان سار على طريق قُم وقاشان فارتحلا جميعا في الوقت الى هذه القرية وأعاد المصاف بها ووافى ابن مُحْتَاج وقد عبي جيشه كراديس ﴿ ذكر حيلة في الحرب تفرق بها الجيش المجتمعون ودخل ﴾

﴿ بينهم الغدر فزال تمبئتهم وهزمهم ﴾

تقدم ابن مُحْتَاج الى أصحابه أن يَطْرُقوا القلب ويلجؤا عليه وكان فيه ما كان وجُمرة العساكر وان يتطاردوا لهم ويستجروهم . ثم وصى الكراديس التي بازاء الميمنة^(٣٤) والميسرة ان يناوشهم مناوشة خفيفة بمقدار ما يشغلهم عن ان يصيروا مددًا لمن في القلب ولا يطلبوا المناجزة بل يقفوا بازائهم على هذا السبيل ففعلوا ذلك وألحوا على القلب ثم تطاردوا لهم كالمهزمين فطمع ما كان وأصحابه الذين كانوا في القلب فيهم فاتبعوهم وفارقوا مصافهم وبعُدوا عن ميمنتهم وميسرتهم وصار بينهم فضاء كثير . فحينئذ أمر ابن مُحْتَاج الكراديس التي بازاء الميمنة والميسرة أن يتركوا من بازائهم ويدخلوا في القضاء الذي اتسع لهم وراء القلب وأمر الذين كانوا بازاء الحرب ان يحملوا ويحققوا عليه مواجهين له فانكسر الديلم وحصلوا بين الكراديس ولم يكن لهم مهرب فقتلوهم كما شاؤوا . وكان ما كان قد تدرجل وأبلى بلاء حسنا وظهرت منه آثار لم ير مثلاًها فوافاه سهم عائر وقع في جبينه فنفذ الخوذة والتراس حتى طلع من قفاه وسقط ميتا وأُتلت وشمكير وقوم من أصحاب الخيل الى سارية وأسر الباقون وقتلوا باجمعهم

وملك ابن مُحْتَاج الرى وأخذ رأس ما كان بخوذته والسهم فيه وحمل على هيئته وحالته الى خراسان مع الاسارى ورؤس القتلى وكانوا عدداً جماً يقال انهم نحو ستة آلاف .^(٣٥) ثم حمل بعد ذلك رأس ما كان الى بغداد بعد

مقتل بجكم لان بجكم ينتسب الى ما كان يزعم انه تربيته وقد كان أظهر حزنا وغماً شديدا لما سمع بقتله وجلس للعزاء . فلما قتل بجكم ورد أبو الفضل العباس ابن شقيق المرسوم كان بالترسل بين ولادة خراسان وبين السلطان ومعه رأس ما كان وفيه السهم وعليه الخوذة وذلك في سنة ٣٢٩

﴿ ذكر غلطة وقعت من ابن محتاج في استنামته الى جيش ﴾

﴿ غريب حتى قتل خلق من أصحابه وانتهب ﴾

﴿ سواده ونجا بنفسه ﴾

كان الحسن بن الفيرزان ابن عمّ ما كان وصنيعة وكان قريبا منه في الشجاعة الا انه كان شرسا متهورا زعير الاخلاق فلما قتل ما كان التمس منه وشمكير ان يدخل في طاعته وينحاز اليه فلم يفعل ثم لم يقتصر على التناقل عنه حتى أطلق لسانه فيه وقال : هو الذي أسلم ما كان الى القتل وخذله ونجا نفسه . فافسد ما بينه وبين وشمكير بهذا الضرب من الكلام والوقعة فيه فقصده وشمكير وهو يومئذ بسارية فانصرف عن سارية وصار الى ابن محتاج داخلا في طاعته ومستنهضا له على وشمكير فقبله ابن محتاج وأحسن اليه وساعده على قصد وشمكير . فلقبه بظاهر سارية واتصلت الحرب بينهما أياما الى أن ورد الخبر ^(٣٦) على ابن محتاج بوفاة نصر بن أحمد صاحب خراسان فصالح وشمكير وأخذ ابنا له يقال له سالار رهينة ووافق على أمور تقررت بينهما وانصرف الى جرجان وجذب الحسن بن الفيرزان معه وهو غير طيب النفس بما فعله وأراد منه أن يتم الحرب ثم يستخلف الحسن ويمتدّ بمدد ذلك الى خراسان فلما لم يفعل ابن محتاج ذلك انجذب الحسن بن الفيرزان معه على هذا الحقد ودبر أن يطالب غيرة في طريقه ويفتك به فلما صار الى الحد بين أعمال

جر جان وخراسان وثب الحسن على ابن محتاج وأوقع بفسكره ليقته فافلت منه وقتل حاجبه وانتهب سواده واسترجع رهينة وشمكير أغنى ابنه سالار وعاد الى جر جان فاستولى عليها وعلى أعمال الدامغان وسمنان والقلمة التي كان يعتصم بها . وكذا وشمكير صار الى الري فلما فعل الحسن بابن محتاج ما فعل عاد الى مواصلة وشمكير وبدأه بالمجاملة ورد عليه ابنه الذي كان رهينة عند ابن محتاج وأراد بذلك ان يستظهر على الخراسانية به ان عاودوا حرابه فقسّم وشمكير ابنه وحاجزه في الجواب ولم يصرح له بما ينقض شرائط ابن محتاج عليه

ثم ان ركن الدولة قصد الري وحارب وشمكير^(٢٧) فانهمزم وشمكير واستأمن أكثر رجاله الى ركن الدولة وصار الى طبرستان . فاعتنم الحسن ابن الفيرزان ضعف وشمكير فسار اليه واستأمن الى الحسن بقية أصحابه وانهمزم وشمكير الى خراسان على طريق جبل شهر يار . فلما حصل وشمكير بخراسان رأى الحسن بن الفيرزان ان يواصل أبا على ركن الدولة وينحاز اليه فراسله ورغب في مواصلته فاجابه الي ذلك وتمت المصاهرة بينهما بوالدة الامير على ابن ركن الدولة أغنى نحر الدولة وهي بنت الحسن بن الفيرزان وفي هذه السنة فرغ من مسجد براتا وجمع فيه

وفيها اشتد الغلاء ببغداد وبلغ الكرك من الدقيق مائة وثلاثين ديناراً وكل الناس الجشيش وكثر الموت حتى كان يدفن في قبر واحد جماعة من غير غسل ولا صلوة وظهر من قوم ديانة وصدقة وتكفين ومن آخرين فجور وغضب وهم الاكثر^(١)

(١) زاد صاحب التكملة : وكان على بن عيسى والنفرى بكفيان الناس على أبواب دورهم

وفيهما انبثق نهر الرُّفَيْل ونهر بوق^(١) فلم يقع عناية بتلافيهما حتى خربت
بادوريا بهذين البثقين بضعة عشر سنة
وفيهما قتل بجكم

﴿ ذكر سبب قتله ﴾

كان ورد جيش البريدي الى المذار وأنفذ بجكم نوشتكين^(٢) وتوزون في جيش
للقائه فكانت بينهما وقعة^(٣) عظيمة كانت أولا على أصحاب بجكم فكتبوا
الى بجكم يسألانه ان يلحق بهما فخرج بجكم من داره بواسط يوم الاربعاء لاربع
عشرة خلت من رجب للمسير الى المذار ليلحق عسكره وأصحابه . فورد كتاب
توزون ونوشتكين بظفرهما وهزيمة جيش البريدي وانه قد استغنى عن انزعاجه
فأنفذ بجكم بالكتاب الى بغداد وكتب به كتاب هناك قرىء على المنابر

وهم بجكم بالرجوع من حيث وصل اليه الكتاب بالخبر وكانت
خزائنه قد سارت فاشار عليه أبوزكرياء السوسى بان لا يرجع وقال له : تمضي
وتتصيد . فعمل على ذلك^(٤) فلما بلغ نهر جور عرف ان هناك قوما من

وسقطت القبة الخضراء التي هي قبة المنصور المعروفة بقبة الشعراء . ونكب الكوفي
هرون اليهودي جهنذا بن شيرزاد ونقي عليه من مصادره ستون ألف دينار فاخذت
داره وكانت قديما لابراهيم بن أحمد المادرائي را كبة دجلة والصراة وفيها بستان
أبي الفضل الشيرازي ودار المرتضي وحمل هذا اليهودي الى بجكم بواسط فضرب بين يديه
بالدابيس حتى مات

(١) وفي الاصل : نهر بو . وفي التكملة : نهر بوا . (٢) وفي تاريخ الاسلام هو :
كوردنكين (٣) وقال صاحب كتاب العيون في ترجمة سنة ٣٢٨ : فيها خرج بجكم الى الصيد
بمرج البندنجين فاوغل في طلب الصيد وأقطع عن أصحابه فلم يشعر الا وقد أحاط به من
الاعراب جماعة فيهم رجل يقال له حجاج معروف بالصعالمكة (وهو قطع الطريق وقتل

الاكراد مياسير فشره الى أموالهم وقصدهم متهاوناهم في عدد يسير من غلمانهم وعليه قباء طاق بلاجبة فهرب الاكراد من بين يديه وتفرقوا . ورمى واحدا منهم فاخطأ ورمى آخر فاخطأ واستدار من خلفه غلام من الاكراد وهو لا يعرفه فطعنه بالرمح في خاصرته فقتله وذلك بين الطيب والمذار يوم الاربعاء لتسع بقين من رجب . واضطرب عسكره جدا ومضى ديلمه خاصة

النفس) وكان تحت ببكم فرس كان عليه سرج مسوره من ذهب وحليته بلور فلما نظر الى الخيل قد أحاطت به ترجل وخلي لهم فرسه وحمى نفسه فلم يكن لهم فيه حيلة وقتلوا بالفرس ولم يزل يئس الى ان قصد قصرا خرابا من قصور الاكاسرة فصعد الى أسلاه وأرق بسيفه فلحقه عسكره وسألوه عن خبره فذكر ان فرسه تقطر به وغاب عنه ولم يدركه . ثم بقي يتعجب من حسن القصر ومن صورة فيه من صور الاكاسرة فسأل عن أهله وأمر ان يجمع له مجارى الموضع فسألهم فقالوا : ما قى من نسل هذا الذى بنى القصر وهو الهرمزان الاقوم بناحية نهر مرة من حدد البصرة . فوجه اليهم بمحضرم فاحضر اليه منهم بضمة عشر رجلا فسألهم فلم يجد فيهم الا مولى لهم وقد بعدت معرفتهم بخبر القصر ووجد رجلا آخر خيرا فقال لهم : لم انتقل سلفكم من هذا الموضع الحسن الطيب ؟ فقال الرجل : بلغنا ان سبب انتقالهم طاعون ظهر فرحل الخاق عن مواضعهم وكل قصر تراه خرابا أو بهرا مطمورا فهذا سبب انتقال أهله عنه . فسأل وقال : أرى صورة ملك وأسد بازائه قد انتم يد الملك الواحدة الى مرفقه وبسط يده الاخرى كانه يومى الى موضع من المواضع وكانه رافع وجهه نحو السماء يستغيث بالله . فقال له الرجل أما أقباله نحو الاسد فانه الموضع الذى يزول ملكه منه ويملك عدوه وهو نحو الحجاز لما كانوا يتوقعونه من ظهور النبي صلعم وزوال ملكهم وهو الاسد الذى قد التقم بيده واما لما سألوه الى موضع آخر فيجوز ان يكون يومى الى موضع فيه ذخيرة له : فيقال ان بحكم قاس الموضع الذى يومى اليه المصور وأمر بحفره واستقصي الحفر فوجد مالا عظيما كسرويا وآنية وجواهر في الموضع فصدق من المال عشرة على آل أبى طاب وغيرهم وقال : سبب سياقة الله عز وجل الى بما كان من الاعراب واشترافى على القصر وما وقع في نفسى الاستقصاء والمسئلة عن الصورة . وعمر مواضع كثيرة في تلك الناحية وأنشأها وأجرى اليها الانهار وغرس بها غروسا

الى البريدي وكانوا ألف وخمسمائة رجل فقبلهم وأضعف أرواقهم في دفعة واحدة وكان بنو البريدي ^(٢٩) عملوا على الحرب وقد ضاقت عليهم البصرة لمراسلة بجكم أهلها بما سکن نفوسهم فكانوا مجتمعين بمطارا فلما بلغ بنو البريدي قتل بجكم فرج عنهم ونفس خناقهم . وعاد أتراك بجكم الى واسط وسار تكينك بهم الى بغداد ونزلوا في النجى وأظهروا طاعة المتقي لله وصار أحمد بن ميمون كاتب المتقي لله قدما هو المدبر للامور وصار أبو عبد الله الكوفي من قبله . فكانت مدة تقلد أبي عبد الله الكوفي كتابة بجكم وتديره المملكة خمسة أشهر وثمانية عشر يوما ومدة اماره بجكم سنتين وثمانية أشهر وتسعة أيام .

ووجه المتقي بجماعة من حجابيه فوكلهم بدار بجكم ولم يتعرض لشيء مما فيها حذرا من أن يرد خبر لبجكم يبطل الخبر الاول فلما صح عنده قتله أحضر يكاك صاحب تكينك فاثبت المواضع التي فيها المال مدفونا فسئل عن سبب معرفته بها فذكر انه كان يخرج من الخزانة ويستدل على انه لدفين ثم يتبع الاثر سرا فلما عرف البيت الذي فيه الدفين والموضع المظنون فيه المال طلب له ثقة وضم الى نجاح خادم المتقي فاستخرج شيء كثير في قدور كبار منها عين ومنها ورق فلما فرغ مما وجد بذل للحفارين أن يأخذوا التراب باجرتهم فامتنعوا ^(٣٠) فأطاعت لهم ألفي درهم ثم تقدم بغسل التراب فغسل وأخرج منه ستة وثلاثون ألف درهم . وكان بجكم قد دفن في الصحارى ولم يقتصر على ما دُفنه في البيوت فكان الناس يتحدثون انه اذا دفن في الصحراء شيئا ومعه من يعاونه قتله لئلا يدل على ما يدفنه في وقت آخر فبلغ بجكم ما يقوله الناس فعجب منه

حكى سنان بن ثابت قال : قال لي بجكم : فكرت فيما دفنته في داري من المال وقلت : قد يجوز ان يحال بيني وبين الدار بمحادث تحدث فلا أصل اليها فيتلف مالي وروحي اذ كان مثلي لا يجوز ان يعيش بغير مال دفنت في الصحراء وعلمت انه لا يحال بيني وبين الصحراء . فبلغني ان الناس يشنعون على باني اُقتل من يكون معي ولا والله ما قتلت أحداً على هذه السبيل وأنا أحدثك كيف كنتُ أعملُ . كنت اذا أردت الخروج للدفن أحضرت بغالا عليها صناديقُ فرَّغْتُ الى داري فاجعل في بعضها المال وأقفل عليها وأدخل من أريد أن يكون معي من الرجال الى باقي الصناديق التي على ظهور البغال وأطبق عليهم وأقفل وأسير بالبغال . ثم آخذ أنا مقود القطار وأسير الى حيث أريد وأرُدُّ من يخدم البغال وأنفرد وحدي في وسط الصحراء ثم أفتح عن الرجال^(١) فيخرجون ولا يدرون أين هم من أرض الله وأخرج المال فيدفن بحضرتي وأجعل لئنفسى علامات ثم أرد الرجال الى الصناديق وأطبقها عليهم وأقفلها وأقود البغال الى حيث أريد وأخرج الرجال فلا يدرون الى أين مضوا ولا من أين رجعوا واستغنى عن القتل^(١)

واستوزر المتقي لله أبا الحسين أحمد بن محمد بن ميمون وخلف عليه واستخلف أبا عبد الله الكوفي . وطاب تكيئك فاستتر .

وقديم الترجمان من واسط فاقره المتقي لله على الشرطة ببغداد

وفيها أصعد البريديون من البصرة بعد قتل بجكم

﴿ ذكر الخبر عن اصعاده وما آلت اليه أمورهم ﴾

لما قُتل بجكم اختلف أهل عسكره فاما الديلم فعقدوا الرئاسة لبسوار

ابن مالك بن مسافر الكنكري فهجم عليه الاتراك وقتلوه . فأنحدر الديلم بأسرهم الى البصرة مستأمنين الى أبي عبد الله البريدي وكانوا ألفا وخمسمائة رجل مختارين منتجبين ليس فيهم حشوفقوى البريدي بهم وعظمت شوكته واستظهر بهم على السلطان وانضاف عسكرهم اليهم فبلغوا سبعة آلاف رجل فاصعد البريديون من البصرة الى واسط فراسلهم المتقي لله وأمرهم الأ^(١٢) يصعدوا وان يقيموا بواسط فارسوا : أنا محتاجون الى مال الرجال فانفذ الينا مايرضيهم به ونحن نقيم . فوجه المتقي لله أبا جعفر بن شيرزاد بعد ان رد عليه ضيعته مع عبد الله بن يونس صاحب بيت المال وأنحدر في جملة تكينك سرا من المتقي لله .

وقال الاتراك البيجكية والجنكاتي الذي كان استأمن من جهة البريدي للمتقي لله : نحن نقاتل بني البريدي ان جاؤا فاطلق لنا مالا وانصب لنا رئيسا . فانفق فيهم وفي رجال الحضرة القدماء أربعمائة ألف دينار من المال الذي وجد لبجكم وجعل الرئيس عليهم سلامة الطولوني الحاجب وبرزوا مع المتقي لله الى نهر دياي . وعاد عبدالله بن يونس بجواب الرسالة من البريديين ياتمسون المال حمل اليهم معه من مال بجكم أيضا مائة وخمسين ألف دينار فاخذها وقال : أنا أحتاج الى خمسمائة ألف دينار للديلم فان حُملت اليّ والا فان الديلم لايمهلوني وعلى كل حال أنا سائر فان تلقاني المال انصرفت والا دخلت الحضرة . فقال المتقي لله لما أذيت رسالته : أنا قد أنفقت في الاتراك أربعمائة وخمسين ألف دينار وفي غيرهم جملة فمن أين أعطيه ماطلب ؟ دعه يرد الحضرة ويعمل ماشاء فاني أرجو ان أكفي أمره . وسار أبو عبد الله البريدي^(١٣) من واسط نحو الحضرة فلما قرب منها اضطرب الاتراك البيجكية وقلعوا

خيمهم واستأن بهم الى البريدى وسار بعضهم الى الجسكاى الى الموصل ودخل سلامة بغداد واستتر أبو عبد الله الكوفى وسلامة الحاجب ومحمد بن ينال الترجمان وتقاد الشرطة مكان الترجمان أحمد بن خاقان وتأسف الوزير أبو الحسين على أربعمائة ألف دينار ذهبت ضياعا . ورهب الناس البريدى رهبة عظيمة لعسنة وتهوؤره وطعمه فهم أرباب النعم بالانتقال .

فتحدث بعض المختصين بابي الحسن على بن عيسى قال : كنت بين يديه أنا وأولاده وأخوه وخواصه في تلك الايام ونحن نتحدث بامر البريدى ووفاته الحضرة وتجارى جرأته وإقدامه وقلة اكترائه وأنه ينمل الناس بنعال الدواب وأشارت الجماعة عليه بالأى يقيم ببغداد وان يخرج هو وعياله الى الموصل الى أبى محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان وفزعناه وهو لنا عليه وهو لا يصغى الي رأينا فلما اكترنا عليه ترجح رأيه . ثم أطلق لى مائتي دينار على ان أبكر واكترى له بها زواريق ليصعد هو فيها وعياله الى الموصل فباكرنى رسوله مع السحر يأمرنى بالمصير اليه^(١) وجئت وسألنى فمرقته انى ما مكنت من امتثال أمره بمباكرة رسوله واستدعائه اياي فقال : وبمك لتفكرت البارحة فيما أشرت به فوجدته خارجا عن الصواب مفسدا للدين أيهرب مخلوق الى مخلوق ؟ اصرف تلك الى وجوه الصدقة فاني مقيم . فرددتها الى خزائنه وأقام فلما قرب البريدى انحدر اليه وتلقاه فاكرمه أبو عبد الله غاية الاكرام . ووفاه حقه وأعظمه ومنه من أن يخرج من طياره وانتقل هو اليه وشكر برّه وخاطبه بنهاية الاكرام والتعظيم^(١)

ودخل أبو عبد الله البريدى بغداد ومعه أخوه أبو الحسين وابنه أبو القاسم

وأبو جعفر ابن شيرزاد يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر رمضان فنزلوا البستان الشفيعي و تلقاه الوزير أبو الحسين ابن ميمون والسكرتار والعمال والقضاة والوجوه وكان معه من الشذات والطيارات والحديدات والزبابزب ما لا يحصى كثرة . فوجه المتقي اليه يُعرّفه أنسه بقربه وحمل له الطعام والشراب والالطاف عدة ليال وكان يخدم في ذلك كله خدمة الخلافة . وظهر محمد بن نبال الترجمان وكان الناس يخاطبون أبا عبد الله البريدي بالوزارة ويخاطبون أبا الحسين ابن ميمون أيضا بالوزارة ويصير ^(٤٥) أبو الحسين اليه بسيف ومنطقة وقباء ويخاطب كل واحد منهما صاحبه بالوزارة . ثم لبس أبو الحسين الدراعة وأزال عن نفسه اسم الوزارة بمواطاة الخليفة وذلك لست خلون من شهر رمضان فكانت مدته فيها ثلاثة وثلاثين يوما وتقرّد أبو عبد الله البريدي باسم الوزارة .

فلما كان يوم الاربعاء لعشر خلون من شهر رمضان حضر أبو الحسين ابن ميمون ومعه ابنه أبو الفضل مجلس الوزير أبي عبد الله وكان الوزير قد واطأ القواد ان أحضر أبو الحسين مجلسه ان يجتمعوا ويكلموه ويتوثبوا عليه ويهددوه بالقتل ويقولوا انه « يضرب علينا الخليفة ويُفسد علينا رأيه » ففعل الديلم ذلك في هذا اليوم فما زال الوزير يسكنهم ويعرّفهم كذب ما بلقهم عنه ثم قال لابي الحسين وابنه : قوما ادخلا الرواق . يوهما انه يريد ان يخلصهما من القتل فدخلا الرواق ووكل بهما وانصرف القواد وخصلا في قبضة . ثم قال لهما بعد أيام : يا أبا الحسين قد قلدتُك الإشراف على واسط وأجريتُ لك ألف دينار في كل شهر فامض الى عملك مع ابنك . فحملا الى واسط ومنها الى البصرة ولما قبض عليه استكتب المتقي لله على خاص أمره أبا العباس أحمد

ابن عبد الله الاصهباني واعتل أبو الحسين بعد مدة^(٤٦) بالبصرة ومات بها .
ولم يلق الوزير أبو عبد الله طول مقامه ببغداد المتقي لله ولا دخل دار
السلطان وذهب اليه الامير أبو منصور ابن المتقي لله وهو في النجى ليسلم
عليه فلبس أبو عبد الله البريدى قباء أسود وعمامة سوداء وتلقاه في أحسن
زي وأوفر عدة ونثر عليه دنائير ودراهم . وراسل الوزير أبو عبد الله البريدى
المتقي لله على يد القاضي أحمد بن عبد الله بن اسحق الخرقى^(٤٧) وأبى العباس
الاصهباني يطالبه بحمل مال حمل اليه مائة وخمسين الف دينار فاخذها
وراسله بأنه لا بد من خمسمائة الف دينار فالتوى المتقي لله فقال للقاضي : انصحه
وقل له « أما سمعت خبير المعتز بالله والمهتدي بالله والمتوكل على الله ؟ والله
لئن خلّيتك والاولياء لتطلبن نفسك فلا تجدها وأنت أبصر إنما الديلم وافوا
لاجل المال الذي أخذته لا الى بغداد وعندهم انهم أحق به منك ولا يعرفون
البيعة ولا ممن لك في رقابهم » وكان الجواب عن هذه الرسالة الانعام وحمل
اليه خمسمائة ألف دينار فاستوفاهما عن آخرها في سلخ رمضان ووهب
للقاضي الخرقى منها خمسة آلاف دينار . ولما حصلت الاموال عند البريديين
انصرف أطماع الجند كلهم اليه وكان البريدى^(٤٧) يبعث الجند على طلب

(١) وفي تاريخ الاسلام هو أبو الحسن قتل الفضا بواسط ثم بمصر والمغرب ثم ولى
قضاء بغداد سنة ٣٠ وكان هو وابوه وعمومته من التجار يشهدون علي الفضاة وكان المتقي
لله يرضى له خدمته فلما أفضت الخلافة له أحب أن ينوه باسمه ويبيّنه الى حال لم يبلغها
أحد من أهله فقلده الفضا ولم يكن له خدمة للعلم ولا مجالسة لاهله فتعجب الناس لسكن
ظهرت منه رجولة وكفاة وغفة ونزاهة . وانقطع خبره في هذا العام (يعنى سنة ٣٣٤)
لانه ترحل الى الشام ومات هناك . وفي التكملة ان في هذه السنة قتل القاضي الفضا بمصر
والحرمين وخلع عليه

الاموال من الخليفة ويحملهم على الشغب فلما استصفي مال السلطان رجعت المكيدة عليه وتشغب الجند عليه.. وكان الديلم قد اجتمعوا يوم الاحد لليلتين بقيتا من شهر رمضان فرأسوا على أنفسهم كورنكيچ بن الفاراضى الديلمى فرأس الاتراك على أنفسهم تكينك غلام بحكم وانجاز الديلم باجمعهم الى دار السلطان وأحرقوا دار أبي الحسين البريدى التي كان ينزلها .

ونفر الجيش عن أبي عبد الله البريدى وصار تكينك الى الديلم وتضافروا وكان سبب ذلك ان تكينك لم يكن كبيرا في نفوس الاتراك فارسل اليه كورنكيچ وخدعه وقال له : ان تفرّد كل واحد منا عن صاحبه ضعف وأرى أن نجتمع وتصير أيدينا واحدة . فانخدع له وصار اليه فاجتمعوا فلما تمكن منه عاجله بالقبض عليه الا انه استعان به في العاجل لما اجتمعوا ووافقه على قصد البريدى ونهب ما حصل عنده فاتفقوا على ذلك وقصدوا باجمعهم النجى وعاونهم العامة . فقطع الوزير أبو عبد الله الجسر ووقعت الحرب في الماء ووثبت العامة في الجانب الغربى بأسباب أبي عبد الله البريدى وقتل نعمة القرملطى فهرب الوزير أبو عبد الله البريدى وأخوه وابنه وانحدروا الى واسط في ^(٤٨) الماء ونهبت داره في النجى ودُور قوادة ونهب بعض المال الذي كان حملة اليه انتقي في ذلك اليوم لان هربه كان يوم الاثنين سلخ رمضان وآخر ما حمل اليه من بقية المال في ذلك اليوم . واستتر أبو جعفر ابن شيرزاد ونهبت داره وظهر سلامة الطولونى وبدر الخرشنى . فكانت مدة وقوع اسم الوزارة عليه أربعة وعشرين يوما . ولما هرب البريدى حصلت الامارة لكورنكيچ يوم الاربعاء لليلتين خلتا من شوال

﴿ ذكر امارة كورنكيچ ﴾

فلما كان يوم الخميس لثلاث خلون منه لقي كورنكيچ المتقي لله فقلده امارة الامراء وعقد له لواء وخلع عليه . وكان يكتب له رجل من أهل أصفهان يُعرف بابي الفرج ابن عبد الرحمن واستدعى المتقي لله أبا الحسن علي بن عيسى وأخاه عبد الرحمن فدبر الامر عبد الرحمن من غير تسمية بوزارة . وقبض الامير أبوشجاع كورنكيچ على تسكينك يوم السبت لحس خلون من شوال وعرقه ليلا . وفي يوم الجمعة اجتمعت العامة في الجامع من دار السلطان وضجوا وتظلموا من الديلم ونزولهم في دُورهم بغير أجره وتعديهم عليهم في معاملاتهم فلم يقع انكار لذلك فمنعت العامة الامام من الصلاة وكسرت المنبر . وشغب الجند فمنعهم الديلم من ذلك ^(١) فقتل بين الفريقين جماعة واستوزر أبو اسحق محمد بن أحمد الاسكافي المعروف بالقراريطي للمتقي لله فكانت مدة نظر علي بن عيسى وأخيه عبد الرحمن تسعة أيام

﴿ ذكر السبب في وزارة القراريطي ﴾

حكى أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي قال : كنتُ بحضرة كورنكيچ مع كاتبه أبي الفرج وفي مجلسه علي بن عيسى وعبد الرحمن أخوه والقراريطي فطالب كورنكيچ أبا الحسن علي بن عيسى بالمال وعرقه حاجته اليه لإعطاء الرجال فبلّغ هو وأخوه وذكر ان المال قد استنظف من النواحي وانه لا وجه له (قال) فقال القراريطي ونحن في المجلس ؟ فيما بيني وبينه : ان رُدَّ الامر اليّ أقت ^(١) به واستخرجت ما يدفع الى الرجال ويفضل بعده جملة وافرة . فاجتمعتُ مع أبي الفرج كاتب كورنكيچ

وعرفته ما خاطبني به فالتمس ان يصير اليه في خلوة ليسمع كلامه فاحضرته في غدا فاعاد عليه ما قاله لي وأراه وجوها لجملة من المال . فذهب الى صاحبه كورنكيچ فعرفه ان على بن عيسى وأخاه قد بلّعا وان القراريطى قد حضر وذكر انه يقوم بالامر ويزيح عائل الرجال حتى لا يقع إخلال بشئ يحتاج اليه فاستروح كورنكيچ الى ذلك وأمره باحضاره ليلا فاحضره وخلا به وبكاتبه وجعله على ثقة من القيام^(٥٥) بكل ما يحتاج اليه ولم يبرح حتى انعقد له الامر ووقف المتقي لله عليه

وأخرج اصبهان الديلمى الى واسط من قبل الامير أبى شجاع كورنكيچ لمحاربة البريدي وكان أبو يوسف قد أصدع من البصرة الى واسط فلما سمعوا بانحدار اصبهان الديلمى انحدر البريديون الى البصرة . وظهر ابن سنجلا وسلفه على بن يعقوب من استنارهما وصارا الى دار الوزير أبى اسحق القراريطى ليلسا عليه فقبض عليهما من داره قبل ان يصلا اليه وحملهما الى دار السلطان وكتب فيهما رقعة الى المتقي لله وأمر بحبسهما ونالهما مكروه غليظ بالضرب والتعليق وصودرا على مائة وخمسين الف دينار

وفي هذه السنة سار محمد بن رائق من الشام الى مدينة السلام لما بلغه قتل بحكم

﴿ ذكر الخبر عن مسير ابن رائق من الشام ﴾

﴿ ودخوله بغداد وما آل اليه أمره ﴾

كان الاتراك البجكية مثل توزون وخجج ونوشتكين وصيفون وكبارهم لما انصرفوا من بغداد بعد قتل بحكم وإصعاد البريدي صاروا الى الموصل فناد عنهم أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان وراسلوه في إطلاق نفقاتهم فاطلن لهم ربع رزقة فتقدموا الى ابن رائق بالشام . فصنع عنده قتل بحكم

بمضي الأتراك اليه وكتب اليه المتقي يخبره بقتل بحكم ومخاطبه^(٥١) بمخاطب جميل ويستدعيه الى الحضرة فصار من دمشق فلما قرب من الموصل كتب كورنكيچ الى اصبهان الديلمي بان يصعد من واسط فاصعد ويدخل بغداد وخرج لؤلؤ الى واسط متقلدا لها ولم يتم أمره ورجع من الطريق . ولما وصل ابن رائق الى الموصل حاد عنه أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان وجرت بينهما مراسلة تقرر فيها ان يحمل أبو محمد الى ابن رائق مائة الف دينار فاخذها وانحدر الى بغداد وعاد أبو محمد بن حمدان الى الموصل

ولما كان يوم الاحد لحس بقين من ذى القعدة قبض كورنكيچ على القراريطي فكانت مدة وزارته ثلاثة وأربعين يوما وقلد الوزارة أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخي ولقى المتقي لله في هذا اليوم وخلع عليه وورد الخبر بدخول بني البريدي واسط لما انصرف عنها اصبهان الديلمي وخطبوا بواسط والبصرة لابن رائق وكتبوا اسمه على أعلامهم

وفيها دخل ابن رائق بغداد وانهزم كورنكيچ واستتر

﴿ ذكر الخبر عن هزيمة كورنكيچ واستتاره باتفاق وحرب ﴾

لما قرب ابن رائق من بغداد خرج كورنكيچ منها وانتهى الى عكبرا وقلد لؤلؤ الشرطة ببغداد وخلع عليه وانتهى ابن رائق الى كورنكيچ وابتدأت الحرب واتصلت ألياما متتابعة كانت^(٥٢) على ابن رائق . فلما كان يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة دخل ابن مقاتل ببغداد ومعه قطعة من جيش ابن رائق وفي ليلة الخميس لتسع بقين منه دخل ابن رائق بجميع جيشه من الجانب الغربي ونزل في النجوى وعبر في غداة غد هذا اليوم الى دار السلطان ولقى المتقي لله وسلم عليه واستركبه فركب معه

في دجلة الى زقة السماسية وانحدرا من وقتها الى دار السلطان فصعد المتقي لله اليها وعبر ابن رائق الى النجفي . ولما كان بعد الظهر من هذا اليوم وفي كورنكيچ في جيشه من عكبرا على الظهر بغداد هو وأصحابه وهم في نهاية النهار باين رائق ومن معه وكانوا ينهرون ويقولون « أين نزلت هذه القافلة الواردة من الشام » ولما وصل كورنكيچ الى دار السلطان دُفع عنها وكان فيها لؤلؤ وبدر الخرشني فانصرف كورنكيچ ونزل في الجزيرة التي بين يدى اصطبل مربط الجمال وخزانة الفرش ويعرف اليوم بدار القيل .

فتحدث أبو بكر ابن رائق بعد ذلك انه كانت عمل على الانصراف والرجوع الى الشام لما دخل كورنكيچ بغداد وانه حمل ثقله وابتدأ بالمشير قال : ثم قلت في نفسي « أنصرف وأسلم هذا الامر » فلم تطب نفسي وقلت لِفَاتِكَ حاجي : استوقف الناس . فاستوقفهم فلم يقفوا حتى بادر الى بغل من بغال النقل فعرقه ^(٥٣) فوقف حينئذ الناس . وعبرت نحو من مائة رجل من أصحابي مع محمد بن جعفر النقيب على الظهر الى الجانب الشرق وعبرت أنا في سُميرية ومعي سبائي الخادم التركي ونحو من عشرين سُميرية فيها غلمان واتفق مجيئي مجيء أصحابي على الظهر في وقت واحد فلما رشقنا الديلم بالشباب سمعوا من ورائهم الزعقات من أصحابي ومن العامة فاضطربوا ونُخب قلوبهم وقدروا ان الجيش قد وافاهم من خلفهم وانهم قد ملكوا ظهورهم فانهزموا وأخذهم الرحمة من العامة وطُرحت السُمير عليهم ^(٥٤) وهرب كورنكيچ واستتر وقيل ما عرف أصحابه أي طريق أخذوا وبُت أمرنا ﴿ ذكر الخبر عن قتل الديلم وامارة ابن رائق ﴾

لما استتر كورنكيج وتقطع جيشه وبطل أمره ظهر أبو عبد الله أحمد بن
على الكوفي لابن رائق وعاد الى خدمته . وأمر ابن رائق ببقية الديلم المستأمنة
ب طرح أسلحتهم وأنفذ خاتمه الى جماعة منهم كانوا تحصنوا في حصن بالقرب
من جسر النهر وان فرجموا ودخلوا الدار المعرونة بدار الفيل فكانوا نحو
أربعمائة رجل لم يجسروا ان يتفرقوا . فلما كان يوم الاثنين لحس بقين من ذى
الحجة وجه ابن رائق برجائه السودان الى دار الفيل ووضعوا السيف فيمن
اجتمع هناك من الديلم فقطعوه فلم يسلم منهم^(١) الا رجل يقال له خذا كرد
وقع بين القتلى وحمل في جملة المقتولين في الجوالقات الى دجلة ورمي به مع
غمرة فعاش مدة طويلة بعد ذلك . وكان ابن رائق استأمر من قواد الديلم
بضعة عشر قائداً فوجه بهم الى دار فاتك حاجبه وأمره بضرب أعناقهم
فضربت أعناقهم صبرا في داره . وكان من المهزمين من الديلم قوم مضوا في
الهيئة الى طريق خراسان فلما تجاوزوا جسر النهر وان باتوا في بعض الخانات
فسقط عليهم الخان بالليل فمات أكثرهم

ولما كان يوم الثلاثاء لاربع بقين من ذى الحجة خلع المتقي لله على ابن
رائق وطوقه وسوره بطوق وسوار مرصعين بالجوهر وعقد له لواء وقلده
أمره الامراء وألزم أبو جعفر الكرخي بيته وكانت وزارته هذه ثلاثة
وخمسين يوما . ودبر الامور أبو عبد الله أحمد بن على الكوفي كاتب الامير
أبي بكر ابن رائق من غير تسمية بوزارة وأطلق أبو اسحق التماريطي الى
منزله ووجد كورنكيج فأخذ وحمل الى دار السلطان
(ودخلت سنة ثلاثين وثلاثمائة)

واستوحش ابن رائق من بني البريدي لانهم ما حملوا شيئا من مال

واسط والبصرة فلما كان يوم الثلاثاء لعشر خلون من المحرم انحدر ابن رائق
وهرب البريديون الى البصرة . وسفر بينهم^(٥٥) الكوفي الى أن ضمن
البريدي البقايا بواسط بمائة وسبعين ألف دينار ثم بستائة الف دينار في كل
سنة مستأنفة وأصعد ابن رائق الى بغداد .

وفيها دخل العباس بن شقيق ومعه رأس ما كان بن كالي الديلمي مع
هدايا صاحب خراسان الى المتقي لله من غلمان أتراك وطيب وشهابي وشهر
رأس ما كان في شذآة وكان على الرأس خوذة وفيه سهم قد نفذ في الخوذة
والرأس ؟ ومر من الجانب الآخر من الخوذة

وفيها شغب الاثراك على ابن رائق وخرجوا الى المصلّى ومعهم توزون
ونوشتكين وأخذوا في طريق التجنى عليه ورحلوا سحر يوم الاحد لخمس
خلون من شهر ربيع الآخر الى البريدي بواسط فلما وصلوا اليه قوى ٢٣
جانبه واحتاج ابن رائق الى مداراته

﴿ ذكر وزارة أبي عبد الله البريدي ﴾

فكاتب أبا عبد الله البريدي بالوزارة للنصف من شهر ربيع الآخر
وأُنقذ اليه الخلع مع الطيب ابن سوسن واستخلف له أبا جعفر ابن شيرزاد
بالخضرة وأوصله الى المتقي لله الآن المدبر للامور كلها أبو عبد الله الكوفي .
ووردت الاخبار بعزم البريدي على الاصعاد الى بغداد فزال ابن رائق عنه
اسم الوزارة وعزله بابي اسحق القراريطي ولزم أبو جعفر^(٥٦) ابن شيرزاد
منزله واستتر . وركب المتقي على الظهر ومعه ابنه أبو منصور وابن رائق
والوزير أبو اسحق القراريطي والجيش وساروا على الظهر وبين أيديهم
المصاحف المنشورة والقراء واستنفر العامة لقتال البريديين ثم انحدروا الى داره

في دجلة من باب الشماسية . واجتمع خلق^(١) من العيارين بالسكاكين المجردة في جميع محال الشرق من بغداد وفي يوم الجمعة لعن بنو البريدي على المنابر في المساجد الجامعة ببغداد

(ذكر أبي الحسين البريدي في اصماده الى بغداد)

خرج أبو الحسين من واسط مصعداً في الجيش الى بغداد ومعه غلمان أخيه أبي عبد الله والأتراك والديلم فلما قرب من بغداد استأمن كل من كان معه من الترامطة الى ابن رائق . واستعد ابن رائق للقتال وعمل على ان تحصن في دار السلطان فسدأ أكثر أبواب دار السلطان والثلم في سورها ونصب الرماح والمنجنيقات على السور وعلى شاطئ دجلة في فناء الدار وطرح حول الدار الحسك والحديد واستنهض العامة وفرض بعضهم فصار ذلك سبباً لتوزع العصابات بينهم واتصال الحروب . وافتتحت الجانِب الغربي وأحرق نهر طابق ما يلي دار البطيخ واتصلت السكبات بالليل والنهار على قوم ذوى أموال واشتغف الناس نهاراً وليلاً وقتل بعضهم^(٥٧) بمضاقتلا ظاهراً وفتح الحبس ودامت الفتنه . وبرزت خيم السلطان الى نهر دبالى وخرج ابن رائق الى الحلبة والقواد معه . فلما كان يوم الاثنين للنصف من جمادى الآخرة عبر أصحاب أبي الحسين البريدي نهر دبالى وكان أولو مقبلاً على شاطئ النجى وبدر الخرشنى بالهضى وما زالت الحرب بين البريدي وابن رائق الى وقت الظهر وما زالت الحرب في الماء منذ ذلك اليوم الى يوم السبت لتسع بتمين من جمادى الآخرة فاشتدت الحرب على الظهر وفي الماء وأوقع الديلم بالمامة الذين فرضوا ودخل الديلم من أصحاب البريدي

(١) وفي تاريخ الاسلام : واجتمع الخلق على كرسي الجسر فقتلهم وانحسف ففرق خلق

دار السلطان من جهة الماء وملكوا الدار . فخرج المتقى وابنه منها هاربين في نحو عشرين فارسا فخرجا الى باب الشماسية ولحق بهما ابن رائق وجيشه ولؤلؤ ومضوا الى الموصل . واستتر القراريطى الوزير فكانت مدة وزارته احد وأربعين يوما . وقتل الديلم من وجدوا في دار السلطان ونهبوها نهباً قبيحاً ودخل الديلم دُور الحرم وأقام البريدي أبو الحسين في حديدية أياما على باب الخاصة ووُجد في دار السلطان ابن سنجلا وعلى بن يعقوب فاطلقا وأما كورنكيچ فقيده وحضره الى أخيه أبي عبدالله فكان آخر العهد به . ووُجد القاهر في محبسه فأقرَّ فيه من دار السلطان ^(١)

فلما كان بعد أيام صمد أبو الحسين البريدي ^(٥٨) ونزل في دار مونس وهى التى كان ينزلها ابن رائق وقلدأبا الوفاء توزون الشرطة في الجانب الشرقى ونوشتكين الشرطة في الجانب الغربى . وأخذ الديلم في النهب والسلب وكُبت الدور وأخرج أهلها ونُزات ولم يزل الناس على ذلك الى ان تقلد توزون ونوشتكين الشرطة فان الفتنة سكنت قليلا . وأخذ أبو الحسين البريدي حُرْم توزون وابنيه وعيالات أ كثر القواد والأتراك وأنفذهم الى أخيه ليكونوا رهائن في يده

وغلت الاسعار ببغداد وظالم البريدى الظلم المعروف لهم وافتتح الخراج فى اذار فخطب التَّناء حتى تهاجروا وافتتح الجوالى ^(٢) وخطب أهل المدة وأخذ الاقوياء بالضمفاء ووظف على كرم من الخنطة سبعين درهما وعلى

(١) قال فيه صاحب التكملة : وكان القاهر محبوسا فتركه الموكلون فخرج فرئى وهو يصدق بسوق الثلاثاء فباع ذلك البريدى فانفذ بن أقامه وأجرى له فى كل يوم خمسة دراهم

(٢) وفى التكملة : وافتتح الجزية

سائر المكيلات وعلى الزيت وقبض على نحو خمسمائة كرّ كان للتجار ورد من الكوفة وادّعى انه للحسن بن هرون المتقلد كان للناحية وهرب خججج الى المتقي لله وكان أخرج الى بزرج وسابور والراذانيين . وكان توزون ونوشتكين والاتراك تحالفوا على كبس أبي الحسين البريدي فقدر نوشتكين بتوزون ونفى الخبر الى أبي الحسين البريدي فتحرّز وأحضر الديلم داره واستظهر بهم وقصد توزون دار أبي الحسين فحاربته من كان فيها من الديلم وغلقت الابواب دونه . وانكشف لتوزون عدو نوشتكين^(٥٩) فلهذه وانصرف ضحوة يوم الثلاثاء ومضى مع قطعة وافرة من الاتراك الى الموصل واضطرب العامة وقتلوا البريدي .

ولما صار توزون وخججج والاتراك الى الموصل وقوى بهم ابن حمدان عمل على ان ينحدر مع المتقي لله الى بغداد وبلغ ذلك أبا الحسين البريدي وكتب الى أخيه يستمدّه فامدّه بجماعة من القواد والديلم . وأخرج أبو الحسين مضربه الى باب الشماسية وأظهر انه يحارب ابن حمدان ان وافى وذلك كله بعد ان قتل أبو محمد بن حمدان ابن رائق وسنشرح خبره على أثر هذا الحديث . فلما قرّب المتقي وأبو محمد بن حمدان من بغداد انحدر أبو الحسين هاربا وجميع جيشه وأخذ معه من كان معتقلا في يده يطالبه مثل ابن قرابة وأبي عبد الله بن عبد الوهاب وعلى بن عثمان بن النفاط ومن أشبههم فاضطربت العامة ببغداد زيادة اضطراب ونهبت الدور وتسلاح الناس في الطرقات ليلا ونهارا . وكانت مدّة أبي الحسين البريدي ببغداد ثلاثة أشهر وعشرين يوما

ولما وصل المتقي لله وابناه ومحمد بن رائق ومن معهم الى تكريت

وجدوا هناك وهم مصعدون الى الموصل بعد أبا الحسن على بن عبد الله بن حمدان وذلك ان ابن رائق لما قرّب البريدى من بغداد كتب الى أبي محمد ابن حمدان يسأله مدداً ومعاونة على قتاله فانفذ أبو محمد أخاه فلم ياحقهم الا بتكرير^(٦٠) وقد انهزموا وأخذوا طريق الموصل . فلما التقوا أقام على بن حمدان للمتقي لله وابنه وابن رائق والقواد كل ما يحتاجون اليه من الميرة والثياب والفرش والدرهم وما قصر في أمرهم وساروا باجمعهم الى الموصل . فلما وصلوا اليها حاد عنها أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان وعبر الى الجانب الشرقى ومضى الى نواحي معلّيا فما زالت الرّسل تتردد بينه وبين محمد بن رائق الى ان توثق بعضهم من بعض بالايامن والعهود والمواثيق حتى أنس أبو محمد وعاد فنزل في الشرقى بازاء الموصل

﴿ ذكر الخبر عن مقتل ابن رائق ﴾

فعبّر اليه الامير أبو منصور ابن المتقي لله ومعه أبو بكر ابن رائق يوم الاثنين لنسع بقين من رجب ليسلموا عليه فلقبهم أجمل لقاء وثر على الامير أبي منصور الدنانير والدرهم . فلما أراد الانصراف من عنده ركب الامير أبو منصور ثم قدّم فرس ابن رائق ليركب من داخل المضرب فامسك أبو محمد بن حمدان كفه وقال له : نقيم اليوم عندى لمتحدث فان بيننا ما تجاراه . فقال له ابن رائق : اليوم لا يجوز لاني أريد ان أرجع مع الامير ولكن يكون يوما آخر . فالح عليه ابن حمدان الحاحا استراب به ابن رائق فجذب كفه من يده حتى تحرق وكان رجله في الركاب فشبه به الفرس فوق^(٦١) وقام ليركب فصاح أبو محمد بغلامه وأمرهم بالايقاع به وقال : ولاكم لا يفوتكم .

فوضوا عليه السيوف وقتلوه^(١) وأرسل أبو محمد ابن حمدان الى المتقي لله
انه وقف على ان ابن رائق أراد أن يغاله ويوقع به فجرى في أمره ماجرى
فردّ المتقي عليه الجواب يُعرفه انه الموثوق به ومن لا يشك فيه ويأمره
بالمصير اليه فمبر ولقيه

﴿ ذكر اماره أبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان ﴾

فخلع عليه المتقي وعمد له لواء ولقبه ناصر الدولة وجعله أمير الامراء
وكنّاه وكان ذلك مستهل شعبان وخلع على أخيه عليّ وعلى أبي عبد الله
الحسين بن سعيد بن حمدان وكتب الى القراريطى بتقليده الوزارة وذلك
في شوال وجلس في داره وقتل وعزل وأمر ونهى وضبط الامر الى ان
وافى المتقي وناصر الدولة أبو محمد

﴿ خبر محاربة البريدى مع ابن حمدان ﴾

دخل المتقي بغداد مع ناصر الدولة أبي محمد وأخيه عليّ وجميع الجيوش
وعمات لهم العامة القباب^(٢) ونزل ناصر الدولة وأخوه في البستان الشفيعى
ولقى الوزير القراريطى المتقي لله وناصر الدولة وتقدّم أبو الوفاء توزون

(١) زاد فيه صاحب تاريخ الاسلام : فاضطربت أصحابه خارج الخيم وجاء مطر فتفرقوا
فدفن وعق قبره . ونهبت داره التي بالموصل فقل ابن الحسن التنوخي (وهو أبو القاسم
على وترجمته في ارشاد الارب ٥ : ٣٠١) عن عبد الواحد بن محمد الموصلى قال حدثني
رجل ان الناس : نهوا دار ابن رائق فدخلت فأجد كيسا فيه ألب دينار أو أكثر فقلت
« إن خرجت به أخذه مني الجند » فطقت في الدار فررت بالمطبخ فاخذت قدر سكباج
ملأى فربمت فيها الكيس وحملتها على رأسي فكل من رأى نى يظن أني جائع فذهبت
بها الى منزلى (٢) زاد فيه صاحب تاريخ الاسلام : وقد انتهى بدرا الحرشنى طريق
القرات فسار اليها ثم سار الى مصر فأكرمه الاخشيذ واستعمله على دمشق فمات بها .

الشرطة في جانبي بغداد وخلع المتقى على الوزير أبي اسحق القراريطي^(٦٢)
 خلع الوزارة يوم الاثنين ليلتين خلا من ذي القعدة وفي يوم الخميس خلع
 المتقى لله على ناصر الدولة وأخيه وطوقا وسورا بطوقين وطوقين وأربعة
 أسورة ذهباً وعلى أبي عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان وطوق بطوق
 واحد وسوارين ذهباً

وورد الخبر بان أبا الحسين على بن محمد البريدي قد أصعد من واسط
 يريد الحضرة فاضطرب الناس ببغداد وعبر المتقى الى الزبيدية ليكون مع
 ناصر الدولة وقدم حُرْمه الى سر من رأى وهرب جماعة من وجوه أهل
 بغداد وعبر جيش ناصر الدولة من الجانب الشرق الى الجانب الغربى منها
 وسار أبو الحسن على بن عبد الله بن حمدان فى الجيش . وكان مع أبي الحسين
 البريدى لما أصعد من واسط أبو جعفر ابن شيرزاد وأبو بكر ابن قرابة
 والديلم وجيش عظيم فكانت الوقعة بين أبي الحسن على بن حمدان وبين
 البريدى يوم الثلاثاء انسلاخ ذى القعدة ويوم الاربعاء مستهل ذى الحجة
 ويوم الخميس ويوم الجمعة لثلاث وأربع خلون من ذى الحجة فى القرية
 المعروفة بكيل أسفل المدائن بفرسخين . ومع ابن حمدان توزون وخجنج
 والأتراك فكانت أولا على بن عبد الله بن حمدان وانهزم أصحابه فردم
 ناصر الدولة وكان ناصر الدولة بالمدائن ثم صارت على أبي الحسين البريدى^(٦٣)
 فانهزم واستوسر من أصحابه يانس غلام البريدي أبي عبد الله وأبو الفتح ابن
 أبي طاهر ومحمد بن عبد الصمد ومذكر البريدي والفرج كاتب جيش
 البريدى واستأن الى ابن حمدان محمد بن ينال الترجان وابراهيم بن أحمد
 الخراسانى وحصل له جمعُ الديلم الذين كانوا فى عسكر البريدي وقتل جماعة

من قواد البريدي وعاد البريدي الى واسط هزوما فلولوا ولم يبق في على ابن حمدان وأصحابه فضل لاتباعه لعظيم ما مر بهم واسكترة الجراح فيهم واسبع خلون من ذي الحجة عاد المتقي لله من الزبيدية الى دار الخلافة على ثلاث ساعات ونصف وعاد الحرم من سر من رأى ومن كان هرب اليها من بغداد . ودخل ناصر الدولة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة بغداد وبين يديه يانس غلام البريدي وأبو الفتح بن أبي طاهر والمذكر البريدي مشهرين على جمال وعلى رؤسهم برانس^(١) وكتب عن المتقي كتاب الفتح الى الدنيا ولقب المتقي لله أبا الحسن على بن عبد الله بن حمدان لما فتح هذا الفتح سيف الدولة وأنفذ اليه خلعا وكتب فيه كتابا وانحدر سيف الدولة الى واسط فوجد البريديين قد انحدروا منها الى البصرة وأقام بها ومعه الاتراك والديلم وسائر الجيش

﴿ ذكر حيلة ابن مقاتل على ناصر الدولة ﴾^(٦٤)

وراسل أبو بكر محمد بن على بن مقاتل ناصر الدولة على يد أبي زكريا السومى فاخذله أماناً من ناصر الدولة واشترط فيه ابن مقاتل ان يستقر بينه وبين ناصر الدولة مصادرة ينهض بها ويطيّب نفسه لها أقام على ظهوره وان لم يستقر عاد الى استناره فلما ظهر تباعد ما بينهما فقال له ناصر الدولة : عد الى استنارك . فقال ابن مقاتل : لم أجد الى ذلك حداً فاذا شئت فقلت . فضج ناصر الدولة من ذلك لانه مضطر الى الوفاء بعهده وعلم ان الحيلة قد تمت عليه فاضطر الى ان فصل أمره على مائة وثلاثين ألف دينار

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وسار في الجنب الغربى الى دار عمه أبى الوليد سليمان ابن حمدان وهو بالقرب من الجسر

ونظر ناصر الدولة في أمر النقد والعيار فامر بتصفية العين والورق
وضرب دنانير سماها البريزية ^(٩) من أجود عيار وكتب في ذلك كتابا
وفي هذه السنة استولى الديلم على آذربيجان

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

ان ديسم بن ابراهيم لما تمكن من آذربيجان وقد كتبنا خبره فيما
تقدم كان معظم جيشه الاكراد الا طائفة يسيرة من بقية عسكر وشمكير
اختاروا المقام معه حين رد عسكر وشمكير اليه فبسط عليه الاكراد وزاد
أمرهم في الادلال والتحكم الى ان صاروا يتغلبون على حدود أعماله . فنظر
في أمره فلم يجد من يستظهر عليهم بهم الا الديلم فاجتذب جماعة من أكابرهم ^(١٠)
منهم صعلوك بن محمد بن مسافر وأسفار بن سياكولي ؟ وجماعة من أمثالهم
وصار اليه جماعة من الموصل وفيهم رجل كان من قواد بحكم (فنفاه بحكم من
عسكره لشيء أنكره منه) يقال له علي بن الفضل الصولي فافضل عليه ديسم
ومولاه وعظم محله فاجتذب الديلم اليه فلما قويت شوكة ديسم بهم انتزع من
يد الاكراد ما كانوا تغلبوا عليه وقبض على جماعة من رؤسائهم وازداد من
عدة الديلم واستظهر بهم . وكان متولي وزارته أبو القاسم علي بن جعفر
وكان من كتاب آذربيجان وكثرت سعاية أعدائه به فاخافه ديسم وأوحشه
حتى هرب منه الى الطرم ليعتصم بمحمد بن مسافر فوافق وصوله اليه
الوقت الذي استوحش فيه ابنه منه وهسودان والمرزبان وملكا عليه قلعة
المروفة بسيران . وكان السبب في وحشتها قبح سيرته وسوء معاملته لاهل

(١) زاد فيه صاحب التكملة : ويبيع الدينار منها بثلاثة عشر درهما بعد أن كان
عشرة وكتب ابن ثوابه عن المتقي بذلك كتابا

بيته وقبضه عليهم لغير ذنب كبير وذلك لشراً كان في طبعه . وكان استوحش منه وهسودان فصار الى أخيه المرزبان وكان في قلعة من قلاع أبيه بالطرم فلم محمد بن مسافر انه لا يتمكن من القبض عليه الا بعد أن يفرق بينه وبين أخيه فكتب الى المرزبان يستدعيه فقال وهسودان له : اني لا أقوم في القلعة بمدك . وأعلمه انه ان^(٦٦) فارقه تمكن منه وقبض عليه فقال له المرزبان : فاخرج معي . فلما صاروا في بعض الطريق ظفرا برسول لابيها كان أغذه سراً الى انقيم في القلعة يأمرهم اذا خرج المرزبان أن يقبضوا على وهسودان والاحتياط عليه وعلى القلعة فمجا من ذلك وجمعهما الاستيجاش من أبيهما فوصلا الى قلعة أبيهما وقد خرج أبوهما الى قلعة أخرى فعرفا أمهما خراسويه ما كتب أبوهما فيهما وكانت أمهما هذه جزلة فساءت هما على القلعة وفيها ذخائر محمد بن مسافر وأمواله فاستوليا عليها وتمكنا منها فلما عرف محمد بن مسافر ذلك تحير في أمره وحصل في القلعة التي كان قصدها وحيداً قد فرق بينه وبين نعمته . فلما وصل على بن جعفر كاتب ديسم الى هذه الصورة اعتمد بالمرزبان وأطمعه في آذربيجان فضمن له ان يملكه اياها فيوصله الى أموال جليلة من ارتفاعها من وجوه يعرفها فنفق عليه وقرّب من قلبه وقلده وزارته . واتفقا مع ذلك على عصمة في الدين وذلك ان على ابن جعفر كان من دعاة الباطنية وكان المرزبان معهوداً فيهم فأذن له المرزبان أن يدعو الى هذا المذهب ظاهراً فاجتمع له كل ما أراد .

وكاتب عسكر ديسم وكان يعرف من استوحش من ديسم^(٦٧) ومن هو غير راض عنه . ومن لا يرضى مذهب ديسم لان ديسما كان يرى رأى الشراة وكذلك كان أبوه وكان يصحب هرون الشاري^(١) اعنى أباه فلما قتل

هرب الى آذربيجان وتزوج الى رئيس من أكرادها فولد ديسم فاصطنعه ابن أبي الساج وارتقى معه الى ما ارتقى اليه .

ولم يزل على بن جعفر يصمم أركانه ويفسد قلوب أصحابه وخاصة الديلم الى أن استجاب له أكثر أصحابه وكاتبوه وقالوا : ان صار المرزبان فارقتا ديسما بأجمعنا . فلما وثق المرزبان بذلك من ثبات أصحاب ديسم سار الى آذربيجان وسار اليه ديسم فلما صافه الحرب قلب الديلم ترأسهم في وجهه وصاروا الى المرزبان وكانوا نحو ألف رجل واستأمن معهم كثير من الاكراد وحمل عليه المرزبان ففرق عنه من بقي معه وانهمزوا وهرب في طائفة يسيرة الى أرمينية واعتصم بجاجيق بن الديراني لمودة كانت بينهما فأحسن ضيافته وحمل اليه ما يحمل الى مثله . فاستأنف ديسم يألف الاكراد وعرف خطأه في الاستكثار من الديلم وكان أشار عليه بعض النصحاء الفضلاء ان لا يرتبط من الديلم أكثر من خمسمائة رجل بمصاه . وملك المرزبان آذربيجان وجرى أمره على سداد بتدبير كاتبه على بن جعفر الى ان أفسد ما بينه وبينه ^(٦٨) .

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان له كاتب يعرف بابي سعيد عيسى بن موسى ويعرف بعيسكويه فسمي عليه وأطعم المرزبان في ماله وكان علي بن جعفر قد أوحش جماعة من حاشية المرزبان فتضافروا عليه وعارضوه في تدبيره وأحسَّ علي بن جعفر بذلك فاحتال على المرزبان بان أطمعه في أموال عظيمة يثيرها له من بلد تبريز وتبريز هذه مدينة جليلة وعليها سور حصين وحواليها غياض وأشجار مشمرة وهي حصينة وأهلها ذو بأس ونجدة ويسار . فضم اليه المرزبان جستان بن

شرمزن ومحمد بن ابراهيم ودليز بن أورشفناه والحاجب الحسن بن محمد المهلبى^(١) فى جماعة من ثقاته فسار على بن جعفر الى تبريز . فلما تمكن بها استمال أهل البلد وكتب الى ديسم يتلافاه ويستدعيه ويعدّه من نفسه ان يقتل الديلم ويوازره حتى يعود الى مملكته . فأجابه ديسم بأنه لا يثق به الا بعد أن يوقع بالديلم فواطأ أهل البلد على الايقاع بهم وأعلمهم أنه انما حضر لطمع المزربان فيهم وان الديلم لا يساعدونه على صلاح أمرهم وهم لا يرضون الا باستئصالهم . فواطأه أهل البلد على الوثوب بهم فى يوم ذكره وأحضر القواد المذكورين فى ذلك اليوم فقبض فى داره عليهم وقتل الديلم فصار الى ديسم فى العسكر الذى أجمع له .

وكان المزربان أساء الى^(٢) الا كراد الذين استأمنوا اليه فرافق ذلك ظهور ديسم بتبريز فصاروا بأجمعهم اليه واتصل بالمزربان ما جرى على الديلم فقدم على ايجاش على بن جعفر واستماع كلام أعدائه فيه واستوزر أبا جعفر أحمد بن عبدالله بن محمود وخلع عليه ولقبه المختار . ثم استعد وسار الى تبريز وقد سبقه ديسم فجرت بينهما حروب وثبت الديلم وانهمزم الا كراد فماد ديسم الى تبريز متحصناً بها وحامي أهلها عليه وذلك لما سبق من فعلهم بالديلم وحاصرهم المزربان . وابتدأ فى استصلاح على بن جعفر ومراسله واعطائه عهد الله وميثاقه والعصمة التى بينهما من الدين على ان يعود له فأجابه على بن جعفر بأنه لا يريد من جميع ما بذله له الا السلامة وانه ما فارق ديسم حين فارقته الا هرباً من المكروه ولا فارقة الآن وعاد اليه الا هرباً من مثل ذلك وان الذى ياتمه منه ان يعفيه من العمل ويصونه فى نفسه وحاله ليلازم منزله

ويروح ويندو اليه فأجابه الى ذلك وسفر بينهم من الثقات الذين يجمعهم الدين من وثق له بجميع ما أراد فسكن اليه . واشتد الحصار على ديسم فلم تلمة في سور المدينة ليلا وخرج منها هو وأصحابه الى أردبيل ولم يجسر المرزبان على اتباعه في الوقت خوفا من أن يمطف عليه في صماليكه^(٧٠) ويخرج من ورائه أهل تبريز فتأخر عنه . وخرج اليه على بن جعفر فوفى له وأقام أهل تبريز على ممانته .

﴿ ذكر ما آل اليه أمر ديسم بعد حصوله باردبل ﴾

لما عرف المرزبان حصول ديسم باردبل خلف على تبريز بعض جيشه وصار في معظم العسكر اليه واستدعى أخاه وهسودان اليه في جماعة من أطاعه وجد في محاصرة ديسم . وكان ديسم استوزر بعد مفارقة على بن جعفر أبا عبدالله محمد بن أحمد النعمي فراسله المرزبان وتلطف له ووعد ان يستوزره فاستجاب له وآثره على ديسم وواطاه على التدبير عليه

﴿ ذكر حيلة النعمي على ديسم حتى فارق الحصار وخرج الى المرزبان ﴾

أخذ النعمي في المشورة على ديسم بان ينفذ الى المرزبان وجوه أردبيل ليسألوه الصلح ويهادوه ويستوثقوا منه بالايمان المؤكدة على ان يومنه ليدخل في طاعته وخوفه من طول الحصار واسية حاش أهل البلد وانهم سيواطئون المرزبان ويسلمونه بان ينتحوا له الباب وأعلمه انه قد وقف من ذلك على أمر سيظهر له ان لم يبادر بالصلح . ونظر ديسم في أمره فوجد الصورة قريبة مما خوفه منه وذلك ان الحصار كان قد اشتد وانقطعت الميرة عنه^(٧١) وعن جده وعن أهل البلد فالجميع في شدة والدمدمة كثيرة والبأس مستوحشون

وهم على بأس من الصلاح وخوف من زيادة المكروه . وانفذ ديسم اليه وجوه
البلد وأعيانهم ومذكورهم ليتوثقوا له بالأيان والمهود حتى يأمن بها ويخرج
اليه ففعل القوم ذلك وتوثقوا له نهاية التوثيق . وراسل أبو عبدالله النعمي
المرزبان بأن يحبس هؤلاء الوجوه ولا يردهم الى البلد الا بعد خروج ديسم اليه
لئلا يتغير الامر أو يحدث ما ينقض رأيه ولأن أهل البلد اذا حبس عنهم
وجوههم ورؤسائهم اجتمعوا عليه ولم يملوه وعرفوه انه قد أمن على نفسه
بالايان التي سألها وسكن الى ما بذل له وليس لتأخره عن الخروج وجثة
ويشيد هو أيضاً كلامهم ويؤيده ولا يقنع منه الا بالخروج اليه في أسرع
وقت وأقربه . ففعل المرزبان ذلك واضطرب أهل البلد على ديسم لحصول
رؤسائهم في يد المرزبان فخرج اليه فلما آتاه خبره لاقاه وأكرمه وأعظمه
ووفى له بكل ما وافقه عليه وقلد أبا عبد الله النعمي وزارته وقبض على ابن
محمود وسلمه اليه فصادره وجميع أصحابه وصادر وجوه البلد واستخرج
أموالاً عظيمة . واستقامت أمور المرزبان وخطب له ^(٧٢) على جميع منابر
أذربيجان .

فليعتبر الناظر في هذا الكتاب هل أتى هؤلاء الملوك الا من سوء
تحفظهم واشتغالهم عن ضبط أمورهم وتفقدوا لذاتهم وشهواتهم وإغناهم
أمر أصحاب الاخبار وتركهم تمرؤف نيات وزرائهم وقوادهم وأمر عساكرهم
وتعويلهم على الاتفاقات والدول التي لا يوثق بها وقلة تصححهم أحوال الملوك
قبلهم ممن استقامت أمورهم كيف كانت سيرتهم وكيف ضبطوا ممالكهم
ونيات أصحابهم بضروب الضبط أولاً بالدين الذي يحفظ نظامهم ويملك
لما أثرهم ثم بأصحاب الاخبار الثقات واليؤن المذكاة على مدبرين أمورهم

والنفقة لهم يوما يوما وحالا خالا وترك يحاشهم ما أمكن ومدارة من تجب مداراته والبطش بمن لا حيلة في استصلاحه ولا دواء لسيرته . وقد كان حُصفا الملوك يخرجون من خزائهم الاموال العظيمة جدا الى أصحاب الاخبار ولا يستكثرونها في جنب ما ينتفعون به من جهاتهم

فاما ما انتهى اليه أمر ديسم فانه خاف بعد ذلك على نفسه وسأل المرزبان ان يخرج به الى قلعه بالطرم ليقم فيها مع أهله ويقبض على ارتفاع ضياعه وهو ثلاثون ألف دينار في السنة وهو دون ما كان يبذله المرزبان له ويتكافئه من مؤوته^(٧٣) فاجابه الى ذلك وحصل في القاعة مصونا في أهله ونفسه وضياعه ﴿ ودخلت سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة ﴾

وفيها وافى الامير أبو الحسين أحمد بن بويه الى عسكر أبي جعفر بازاء البصرة وأظهر ان السلطان كاتبه في حرب البريدى فاقام مدة يحاربهم ثم استأمن جماعة من قواده الى البريديين مثل روستاباش وغيره فاستوحش من المقام وعاد الى الاهواز بعد ان استأمن اليه جماعة من عسكر البريدى

وفيها زوج ناصر الدولة ابنته^(١) من الامير أبي منصور ابن المتقى ووقع الاملاك والخطبة بحضرة المتقى ولم يحضر ناصر الدولة وجعل العمد الى أبي عبد الله محمد بن أبي موسى الهاشمى وكان الخاطب القاضي الخرقى فلحن فى مواضع وجلل الصداق والنحلة واحداً وجماعها صداقا وكان الصداق خمسمائة ألف درهم والنحلة مائة ألف دينار ولم يحسن ان يعقد التزويج فعقده ابن أبي موسى

وفى رجب من هذه السنة عبر الوزير أبو اسحق القراربطى الى ناصر

الدولة على رسمه فقبض عليه وعلى جماعة معه فكانت مدة وزارته ثمانية أشهر وستة عشر يوماً^(١) وجعل اسم الوزارة على أبي العباس أحمد بن عبد الله الاصفهاني وخلع عليه المنقح لله خلع الوزارة^(٢) في دار السلطان لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب وانصرف بها الى دار الامير ناصر الدولة فكان يابس القباء والسيف والمنطقة في أيام المواب والمدير الامور أبو عبد الله الكوفي وصور القرايطى والكتّاب والمتصرفون

وكان ناصر الدولة ينظر في قصص أصحاب الجنائيات من السامة وفيما ينظر فيه صاحب الشرطة وتقام الحدود الواجبة عليهم من ضرب وقطع يد ورجل بمحضته وتعرض عليه الايدي والارجل اذا قطعت وتُعد بمحضته ويستوفي المدد عليهم لئلا يرتفع أصحاب الشرطة من الجناة ويطلقوا من غير علمه .^(٣)

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٥٧ : هو محمد بن أحمد بن ابراهيم ابن عبد المؤمن أبو اسحق الاسكافي الكاتب المعروف بالقراريطي الوزير كان كاتباً لمحمد ابن رائق الامير ثم وزير ثم صار الى الشام وكتب لسيف الدولة ابن حمدان ثم قدم بغداد في وزارة المهلبى فاكرمه ووصله وكان ظالماً عسوقاً توفي في الحرم وله ست وسبعون سنة (٢) وزاد صاحب التكملة : وصار عدل حاجب بحكم بعد الى ابن رائق وبعد الى ناصر الدولة فقلده الرحبة واستولى عليها وكثر اتباعه . فانفذ ناصر الدولة بدر الحرشي لحربه فلما صار بدر بالدالية توقف عن المسير الى عدل وكاتب الاخشيدي محمد بن طفيج وهو بدمشق يستأذنه في المسير اليه فاذن له وانفذ اليه القرب والجل والروايا فسلك بدر البرية ووصل دمشق فقلده الاخشيدي المعاونة . وجعلت الرحبة وأعمال الفرات لعدل وعامله أبو على النونجي وحصل لعدل من المصادرات الف الف درهم فاستعت يده وكثرت رجاله وأقبل الديلم والأتراك يقصدونه من بغداد في المرقعات فخلع عليهم . وتمت على عدل الحيلة من سهلون كاتب ناصر الدولة لانه أراد الماضي الى يانس المونسي بالركة فتمه عدل من ذلك فقال له سهلون : قد كثرت أتبائك ولا يني تؤنسك ما في يديك . وأنا أكتب عن ناصر

﴿ ذكر ما آل إليه أمر سيف الدولة بواسط مع الاتراك ﴾

(وما اتصل بذلك من خبر ناصر الدولة ببغداد)

[illegible]

الدولة الى يانس بتسليم الرقة اليك . فقبضه على ذلك فبلغا الخاقوقة فقال له سهلون : الرأي أن أقدمك اليه . فطلب منه رهينة فقال : ان رآك وقد أخذت رجلى فظن (كذا) فتركه فلما حصل بالرقة مع يانس كاتباً بني نير . فلما عرف عدل الصورة سار الى نصيبين فلقه الحسين بن سعيد بن حمدان فاستأمن أصحابه بدل الى الحسين فأسره وانيه وسلمهما وأنفذهما الى ناصر الدولة وشهرهما على حملين .

وكان معه توقيع من ناصر الدولة بخطه اليه يقول فيه : قد اتصل طمعك فيّ وانبساطك عليّ وأنا محتمل وأنت مغترّ وبلغني ادخالك يدك في وقف فلان ووالله لئن لم تخلصها وتقصّر عن فعلك المذموم لاقطعن يدك ورجليك . فزعم أبو عمرو المسيحي انه قرأء وانحدر وذكر انه قال له قبل ذلك بايام : يا مسيحي أنت مجتهد في أن تجعل توزون أميراً وعلى رأسك تحمّل التراب ان بلغ ما تؤمّله له لم يرضك كاتباً لنفسه وطلب ابن شيرزاد أو مثله وشبهه فاستكتبه وأنف منك فصادرك

فتلا في سيف الدولة أبا عمرو^(٧٦) المسيحي وواراه وراسل توزون وسكّنه . وكان سيف الدولة كثيراً يرّهد الأتراك في العراق ويحملهم على قصد الشام معه والاستيلاء عليه وعلى مصر ويضرب بينهم وبين أخيه فكانوا يصدقونه في أخيه ويأتون عليه في البعد من العراق وكانوا يتسحبون على سيف الدولة ويطالبونه باستحقاقاتهم وينصّون على ان يوفيهم يوم الستين من أيامهم استحقاقهم ويستصغرونه وأخاه . فلما وافى أبو عمرو المسيحي قالوا له : نحتاج أن تحمل مال قائدٍ قائد ورجاله وتوفينا ذلك بالقبان وزنة واحدة مالا مالا . فاجاب الى ذلك قطعاً للحجة وساموه ان يكون الوزن بالليل والنهار فصبر على ذلك كله وأذن فيه . وأخرج سيف الدولة أبا عبد الله الكوفي ليلاً وضم اليه ابن عمّه أبا وليد في جماعة من العرب وأصعد معه بنفسه اشفاقاً عليه ثم وصّى العرب حتى بلغوا به المدائن . فلما كان ليلة الاحد انسلخ شعبان كبس الأتراك سيف الدولة بالليل وهرب من ممسكته وازم نهراً^(١) بقرب ممسكته فاداه الى قرية تعرف ببرقة وازم البرية حتى وافى

بغداد . وأضرَمَ الاتراك النار في عسكره وقد كان بقي من المال المحمول اليه مع السكوفي من عند أخيه شيء لم يفرَّق فيهم فهبوه ونُهَب جميع سواده ^(٧٧) فهذا خبر سيف الدولة بواسط

فاما خبر ناصر الدولة ببغداد فان أبا عبد الله السكوفي وصل الى بغداد ولقى ناصر الدولة ووصف له الصورة فبرز ناصر الدولة الى باب الشماسية وركب اليه المتقي لله في دجلة يسئله التوقُّف عن الخروج من بغداد فعبر ناصر الدولة غلمانهُ الى الجانب الشرقي من بغداد وأكثَر جيشه ليوم الاتراك أنه يعبر ويسير في الجانب الشرقي فلما حصل جيشه في الجانب الشرقي قطع الجسر . وسار ناصر الدولة في الجانب الغربي فنُهبت داره وأفلت يانس غلام البريدى وأبو الفتح ابن أبي طاهر من الحبس وعادا الى البصرة واستتر أبو عبد الله السكوفي ^(١) وخرج من بقي من الديلم ببغداد الى المصلَّى وعسكروا هناك وضبط الاتراك الذين كانوا ببغداد دار السلطان ورحل الديلم من المصلَّى ودبَّر الامور بالحضرة أبو اسحق القراريطي من غير تسمية بوزارة وانمقدت الرياسة بواسط لتوزون . فكانت مدة امارَة ناصر الدولة أبي محمد ابن حمدان ثلاثة عشر شهرا وثلاثة أيام

﴿ ذكر ماجرى من أمر توزون بواسط مع الاتراك بعد ﴾

﴿ هزيمة سيف الدولة حتى تمت له الامارة ﴾

لما انصرف سيف الدولة من واسط على تلك الصورة وعاد توزون

(١) زاد صاحب التكملة : وابن مقاتل . وفي تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٥٠

انه مات في شعبان هذه السنة بمصر وهو متولى ديوان الحراج بها فوجدوا في داره ثلثمائة

ألف دينار مدفونة . وليراجع كتاب الولاية لابن عمر الكندي ص ٢٩٤

وخجج الى معسكرهما وقع الخلاف^(٧٨) بينهما وتنازعا الرياسة ثم استقرت الحال على ان يكون توزون الامير وجيء بالأس والريحان اليه على رسم المعجم اذا ترأس واحد منهم وعلى ان يكون خجج صاحب جيش وهو الاسفهنسار وأمضى القواد ذلك عليهما بنفير رضى جماعة ثم صاهر القواد بينهما وطمع البريدى بواسط فاصعد اليها وتقدم توزون الى خجج ان ينحدر الى نهر أبان ويراعى من يرد من أصحاب البريدى ويطاعه فنفذ . ووافى عيسى بن نصر برسالة البريدى الى توزون يهته بالامارة ويسأله ان يضنه أعمال واسط ويعرفه عنه ان رأى تعجله الى الحضرة لخراج ابن حمدان عنها فاجابه جوابا جميلا وامتنع من التضمن وقال : اذا استقرت الامور تخاطبنا فى الضمان فاما وأنا بصورتى هذه وأنت تظن انى مطلوب خائف من بني حمدان فلا وعسكرى عسكر بحكم الذى قد جرّبت وخبرت وطائفة منهم تقى بك . وانصرف عيسى بن نصر واتبعه توزون جاسوسا

﴿ ذكر سبب قبض توزون على خجج وسمله اياه ﴾

فماد اليه الجاسوس وأعلمه انه اجتمع مع خجج وتخاليا طويلا وان خجج على الاستئمان الى البريدى . فسار اليه توزون لثانى عشر من رمضان ومعه مائة غلام من الاتراك^(٧٩) ومائة من الخاصة واشكورج وجماعة من السكبار وكبشه فى فراشه فلما أحس به ركب دابة النوبة بقميصه وفى يده لتّ ودفع عن نفسه سويمة ثم أخذوه وجاؤا به الى واسط وسمله توزون^(٨٠) وهدأت نار خجج

وسعى أبو الحسين على بن محمد بن مقلة فى الوزارة وراسل المتقى لله

واستصلح قبل ذلك الترجمان وضمن له مالا فبعث المتقى اليه : انى راغب
فيك مائل اليك محبٌ لتقليدك ولكن ليس يجوز ان أبتدي بذكرك
فاصلح أمرك مع الترجمان وقل له يسميك دع جماعة فاني أختارك من بينهم .
فعمل ذلك ولقى المتقى لله وقاده وزارته وانصرف الى منزله

وورد الخبر بنزول سيف الدولة المروفة

﴿ ذكر الخبر عن مهير سيف الدولة الى بغداد بعد ﴾

﴿ هزيمته وما انتهت اليه حالته ﴾

لما بلغ سيف الدولة خلاف توزون وخججج بواسط طمع في بغداد
فوافى المروفة وظهر المستترون من أصحابه من الجند وخرجوا اليه . وانحدر
أبو عمرو المسيحي كاتب توزون الى واسط مستترا هاربا الى صاحبه وانحدر
أيضا الترجمان . وأرجف الناس بأعداء المتقى واضطرب الناس وأصبحوا على
خوف شديد فأمر المتقى لله بالنسداء ببراءة الذمة ممن أرجف بأعداءه ^(٨٠)
وجاء سيف الدولة في يوم الاثنين لاربعة عشرة ليلة خلت من شهر رمضان
الى باب حرب فنزل في المضارب وعليه وعلى أصحابه أثر الضرر الشديد لما
لحقهم في البرية وخرج اليه أصحابه ومن يريد الاثبات وجرت بينه وبين
المتقى لله رسائل على يد أبي زكرياء السوسى وطالب بان يحمل اليه ماله
ووعدان يقاتل توزون ان ورد الحضرة . لحمل اليه المتقى أربعمائة ألف
درهم في دفعات وانضم اليه كل من بتى بالحضرة من القواد وما زال يقول
في مجلسه : ما أنصفنا أبو الوفاء توزون حيث كبسنا في الليل ونحن نيامٌ والا
فليحضر نهرا ونحن مستيقظون . ونحو هذا من الكلام .

وخلع المتقى لله على الوزير أبي الحسين بن مقالة يوم السبت لاثني

عشر بقيت من شهر رمضان

ولما بلغ توزون وصول سيف الدولة الى بغداد خلف بواسط كيغلغ في ثلاثة غلام وأصعد مبادرا من واسط الى بغداد ولما اتصل بسيف الدولة خبر اصعاده رحل من باب حرب مع من انضم اليه من قواد الحضرة وفيهم أبو علي الحسن بن هرون ومضى على وجهه . ودخل محمد بن ينال الترجمان آذنا لتوزون الى بغداد لست بقين من شهر رمضان ودخل توزون من الهند ونزل دار مونس^(١) وانتم البريدي بعد توزون من واسط فوافها ثلاث بقين من شهر رمضان فهب وأحرق واحتوى على الغلات وأخذ جميعها . وقبض توزون على أبي عمرو المسيحي كاتبه وقتل كتابته أبا جعفر الكرخي وسلم أبو اسحق القراريطي الى الوزير أبي الحسين ابن مقلة فصادره ﴿ ذكر الخبر عن تقليد توزون امرأة الامراء ﴾

لما حصل توزون ببغداد خلع المتقى عليه وعقد له لواءً وقتله أميرة الامراء . وصار أبو جعفر الكرخي كاتب توزون ينظر في الامور كما كان الكوفي ينظر فيها فاما الكوفي فانه لحق بسيف الدولة وهرب معه . فكان مدة نظر الوزير أبي الحسين ابن مقلة في الامور الى ان ينظر فيها أبو جعفر الكرخي نحو شهر وقد كان كيغلغ لما استخلفه توزون بواسط أمره بقتال أبي الحسين البريدي فمجز عنه فاصعد الى بغداد . ولم يمكن توزون المبادرة بالرجوع الى واسط الى ان تستقر الامور بالحضرة وتجهز جميع ما يحتاج اليه فاقام مدة شوال وأكثر ذى القعدة الى ان توطأت الامور واستقامت .

وكان وقت هزيمة سيف الدولة من واسط أسر غلاما له يقال له عمل

عزیزا علی سیف الدولة فاطمة ووهبه لسیف الدولة وأكرمه وأنفذه اليه^(٨٢)
 فی هذا الوقت لما حصل ببغداد خسن موقع ذلك منه ومن ناصر الدولة حتى
 قال بالموصل : توزون صديقي وقد قلده الحاضرة واستخلفته بها . فسكنت
 نفس توزون الى ذلك

وكان مغیظا علی البریدی إقبیح ماعامله به فانحدر توزون الى واسط وخلف
 الترجمان ببغداد^(٨٣) وتقدم الى أبي جعفر السرخی ان یأحق به وضع
 ضیاعه أبا الحسين ابن مقلة برغبة منه اليه بمائة وثلاثين ألف دينار فی السنة .
 ووافی فی هذا الوقت أبو جعفر بن شیرزاد الى توزون هاربا من البریدی
 فتلقاه توزون فی دجلة وسر به وقال له : یا أبا جعفر کملت أمارتی بك ونمت
 النعمة عندي لاجلك أنت أبی وهذا خاتمی (فنزعه من یده وأعطاه اليه)
 فدیرنی وصرّفتی علی رأیک . فقبل أبو جعفر یده وسأله ان یمله فلم یجبه
 وكان أبو الحسن الاسمر واقفا وجماعة فقال الاسمر : بالله یسیدی أجب
 الامیر وتصدق بصدقة وانظر فی أمره ! ففعل ونظر فی أمره وأنفذ طازاد
 ابن عیسی آخر ذلك الیوم الى الحاضرة لخلافته . فكان مدة كتابة أبی جعفر
 السرخی ونظره نیفا وعشرين یوما

﴿ ذکر سبب مفارقة ابن شیرزاد البریدی ﴾

﴿ والاتفاق الغریب له فی ذلك ﴾

(١) زاد فیہ صاحب النکلة : وخطب ابن مقلة كتابة توزون لعمه أبی عبد الله
 (یعنی الحسن بن علی بن مقلة وترجمته فی ارشاد الاریب ٣ : ١٥٠) وأنفذ اليه هدية
 منها عشرون ثوبا دیقيا وعشرون رداء قصب وطیبا وذلك بعد ان استکتب توزون
 القراریطي وصرّف النوبختی فلم یحب توزون الى ذلك وقال : لا یحسن بی صرفه بعد
 ثلاثة أيام من استخدامی له .

كان يوسف بن وجيه صاحب عمان وافي (في) ذى الحجة في مراكب
وشذآت يُريد البصرة يحارب بني البريدي^(٨٣) وكان معه من يحارب بقوارير
النار فأحرق شذآتهم وزبازبهم فملك الابلّة وضغطهم فهرب في تلك الوهلة
أبو جعفر ابن شيرزاد ومعه طازاذ وغـيره . فاما سبب هزيمة يوسف بن
وجيه بعد تمكنه فسنذكره .

﴿ ذكر حيلة تمت على يوسف بن وجيه ﴾

كان قد استظهر استظهارا شديدا وقارب ان يملك البصرة وكان مع
البريدي ملاحٌ يعرف بالزياديّ فلما ضغط يوسف بن وجيه البريديين
وأشرفوا على الهلاك قال هذا الملاح : ان أنا هزمت العدو وأحرقتُ
مراكبه ماتصنع بي ؟ فوعده الاحسان اليه ان فعل ذلك ولم يعرفه الملاح
ما يريد ان يعمل وكنتم أمره ومضى فاخذ بالنهار زورقين وليس يعلم أحد
لماذا يريد هما ولم يأخذ معه أحدا من أسباب البريدي ومضى فلا الزورقين
سعفا (ومثل هذا لا يذكر بالبصرة) وحدهما في أول الليل (ومثل ذلك
بالبصرة كثير لا يستراب به) وكان رسم مراكب ابن وجيه ان تُشدّ بمضها
الى بعض باليل في عرض دجلة فيصير كالجسر فلما كان في الميل ونام الناس
وكل من في المراكب أشعل ذلك الملاح السعف وأرسل الزورقين والنار
فيهما فوقعا على تلك المراكب والشذآت فاشتعلت واحترقت قلوبها
وتقطعت واحترق^(٨٤) من فيها ونهب الناس منها مالا عظيما . وانقلم يوسف
ابن وجيه ومضى هاربا على وجهه وانكشف وجه البريدي ووفي للملاح
بما وعده .

﴿ وفيها استوحش المتقى من توزون ﴾

﴿ ذكر السبب في الوحشة بين توزون والمتقى ﴾

﴿ وما آل اليه الامر فيه ﴾

كان الترجان قد نفر من توزون لشيء بلغه عنه وكان أبو الحسين ابن مقله خائفاً من توزون لانه خسر في مال ضمانه وأشفق أن يطالبه به ويهلكه ؟ وزاد في نفوره تقلد أبي جعفر ابن شيرزاد كسبة توزون . وما شك أحد أن أبا جعفر ابن شيرزاد وافى عن موافقة البريدى فطارت نفس ابن مقله خوفاً من ابن شيرزاد وان يطالبه بمال ضمانه واقطاع توزون وخاف الترجان وغيره وساءت الظنون . وغاب القنوط على الكافة من أهل الحضرة فوقع التدبير بين أبي الحسين ابن مقله وبين الترجان على مكتابة ناصر الدولة في انفاذ من يُشيع المتقى ويخرجه اليه وقيل للمتقى : ثبت للبريدى بالامس فجرى ما ندمت عليه وأخذ منك خمسمائة الف دينار وخرجت الى ناصر الدولة في دفعته الثانية فاظفرك الله وعدت موفورا وقد ضمنك بخمسمائة الف دينار أخرى وقال لتوزون « هي باقية في يدك من تركه بحكم » وهذا ابن شيرزاد وارد لتسليمك بعد خلمك . فازرعج واعتبر بما مضى على ^(٨٥) مستأنف أمره وأصعد بعد ذلك أبو جعفر ابن شيرزاد الى الحضرة في ثلاثمائة غلام

وفيهما ورد الخبر بموت نصر بن أحمد بنجراسان واتصاب نوح ابنه مكانه

(ودخلت سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة)

ووافى أبو جعفر ابن شيرزاد الخمس بقين من المحرم فدخل بغداد فلم يشك المتقى لله والجماعة في انه انما وافى لما أرجف به ولقى المتقى لله في اليوم الذى وصل الى بغداد فيه وحمل الوزير أبو الحسين والترجان المتقى لله على القبض عليه فلم يفعل . وبادر أبو جعفر بالانصراف وأمر ونهى وأطلق

القراريطي من الاعتقال ونظر فيما كان ينظر فيه الوزير

ووافي أبو عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان فنزل باب حرب في جيش كثير فخرج اليه المتقي لله وحرّمه والوزير أبو الحسين ابن مقلة والترجمان^(١) واستتر ابن شيرزاد وخرج وجوه أهل الحضرة وكتائبها . فلما بلغ المتقي تكريت ظهر ابن شيرزاد وطالب الناس وخطبهم

وانحدر سيف الدولة من الموصل ومعه الجيش وبلغ توزون وهو بواسط . ماجرى بالحضرة من خروج المتقي والوزير من بغداد فجرد موسى ابن نسيان في ألف رجل وبادر به الى بغداد . وامتدّ موسى الى باب السماسية وعسكر^(٢) هناك وأقام توزون حتى عقد واسطاً على البريدي ثم أصعد ودخل بغداد وقلد الشرطة غلامه صافيا . وانحدر ناصر الدولة ومعه الجيش^(٣) ووصل الى تكريت فلقاه الخليفة وسار توزون الى عكبرا وعبر من الجانب الشرقي الى قصر الجصّ بسرّ من رأى . وصاعد المتقي لله الى الموصل ومعه أبو الحسين الوزير وأبو اسحق القراريطي وأبو زكريا السوسى وسار سيف الدولة للقاء توزون فاشتبكت الحرب بينهما أسفل من تكريت بفرسخين وناصر الدولة بتكريت فدامت الحرب بين سيف الدولة وتوزون يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء فلما كان يوم الخميس انهزم سيف الدولة . وأصعد معه ناصر الدولة ونهب الاعراب بعض سوادهما وملك توزون وشعب أصحاب توزون فانحدر الى بغداد . وتأهب سيف

(١) زاد صاحب النكتة : وسلامة الطولوني وأبو زكريا السوسى وأبو محمد المندرائي والقراريطي وأبو عبد الله الموسوي وغيرهم (٢) وفي النكتة : انه انحدر في بني نمير وبني كلاب وبني أسد .

الدولة للقاء توزون ثانية فأنحدر الى تكريت وخرج توزون الى باب الشماسية ثم سار الى ناحية أخرى^(١) وواقعه هناك فانهزم سيف الدولة وتبعه توزون . فلما وصل سيف الدولة الى الموصل سار منها وسار ناصر الدولة والمتقى والوزير وسائر من معهم الى نصيبين ودخل توزون الموصل ومعه ابن شيرزاد وأبو عبدالله بن أبي موسى الهاشمي واستخرج^(٨٧) ابن شيرزاد من الموصل نحو مائة الف دينار

ورحل المتقى وحُرّمه ومن معه من نصيبين الى الرقة ولحق بهم سيف الدولة وقد كان توزون عند خروجه من بغداد زوّج ابنته من أبي عبدالله البريدي وعقد الإملاك بالشماسية وأنفذ المتقى لله أبا زكرياء السوسي الى توزون في رسالة يقول فيها : اني استوحشت منك لاجل البريديين لقبح ما يفعلونه دفعة بعد دفعة وأبغضت انكما اجتمعتما وصرتما يداً واحدة فخرجت من الحضرة والآن فقد مضى ما مضى فان آثرت رضائي فصالح ناصر الدولة وارجع الى الحضرة فاني اذا رأيتك مطيعاً الى عدت واستقامت لك الامور بي وبرضائي وكان الله عونك . قال أبو زكرياء : فلما وردت حضرة توزون اتهمتي وهم بقتلي فخلصني ابن شيرزاد وقال : أيها الامير أنا والله سألت أبا زكرياء الخروج مع الخليفة ليأله اليكنا ولا يكون خليفتنا بحضرته فان كان منهمأ فانا منهم . ثم أدبت الرسالة فقبلها ابن شيرزاد وأشار على توزون بالاحابة وسفرت في الصلح الى ان تم^(٢) وصح لاني جعفر ابن شيرزاد قبل الصلح

(١) وهي « حربى » كذا في النسخة (٢) قال فيه صاحب النسخة : فقال ابن سعد : يا أمير المؤمنين اني أخافه على نفسي . فقال : اذا قصدت الصلاح كيفت . فقلت له : فان لم يتم الصلاح أعود الى وطني . قال : قد أذنت لك . فقبلت يده . فلما جئت

وبعده زيادة على مائتي الف دينار . وعقد البلد على ناصر الدولة ثلاث سنين كل سنة بثلاثة آلاف الف وستمائة الف درهم^(٨٨) وانصرف توزون الى بغداد وتواترت الاخبار بنزول الامير أبي الحسين أحمد بن بويه واسطا وكان على وعد من البريديين بمسك الماء فاخلفوه وانحدر اليه توزون محاربا له والتقى في الموضع المعروف بقباب حميد وطالت الحرب بينهما بضعة عشر يوما على اجتهاد شديد بين الفريقين الا أن توزون كان يتأخر كل يوم ويتقدم الديلم على سبيل الزحف وعلى عادتهم في مثل ذلك وكثر القتلى من الجانبين الى ان عبر توزون نهر ديبالى يحصل في الجانب الذى يلى بغداد وقطع جسورا كان عقدها عليه . فلما صار بينهما النهر ثبت الاتراك وكان مع توزون زبابز وخيل في الماء فيها غلمان رماة فكانوا يستولون في كل يوم على قطعة من خزائن أحمد بن بويه وزواريق عسكره ثم يحولون بين العسكر وبين الماء فيعطشونهم ودوابهم فرأى معز الدولة ان يصعد على ديبالى الى نحو جسر النهر وان ليبعد عن دجلة ويقرب من الماء ويحتال للميرة فقد كانت ضاقت عليه وأحسن توزون بذلك

﴿ ذكر حيلة تمت على معز الدولة حتى انهزم بعد اسظهار منه ﴾

وعبر توزون بنخمسمائة من الاتراك مع تسكين الشيرزادى والف فارس من العرب فيهم ابراهيم المطوق وقطينه وأمثالهم من حيث^(٨٩) لم

الموصل هم الاتراك بي وارتاب توزون بوصولي فقلت : أيها الامير قد كنت أسفر ينك وبين ابن رائق وهل عرفتني الأمستقيا ؟ قال : صدقت : فقلت : انا رجل سنى وأرى طاعة الخليفة وخرجت معه احتساباً لا أطلب الدنيا وقد أئذنى رسولا وأنهم أولادى وريبتكم وأرى الصلح . وأشار عليه ابن شيرزاد بذلك ووردت الاخبار بمجيء معز الدولة الى واسط فاحب توزون انعام الصلح وحصل لابن شيرزاد الخ

يشعر بهم معز الدولة فلما سار وسار سواده في أثره خرج عليهم القوم فخالوا
بينه وبين السواد ووقعوا في العسكر على غير تسمية . وتمجل توزون فعبر
بجماعة من أصحابه سباحة ولم يزل يقتل ويأسر حتى ملّ . وأفلت معز الدولة
مع الصيمري ^(١) ونفر يسير معه بأسوأ حال وحصل بالسوس واجتمع اليه
نفر من القلّ بعد أيام وعاد توزون الى بغداد

وفي صفر من هذه السنة ظهر لصّ يقال له ابن حمدي وكان أعبي
السلطان فخلع عليه ابن شيرزاد وأثبتهُ برسم الجند وواقفه على ان يصحح في
كل شهر خمسة عشر ألف دينار مما يسرقه وأصحابه وأخذ خطه بها فكان
يستوفيهامنه ويأخذ البراآت وروزات الجهد بما يؤدّيه أولاً أولاً
وفي هذه السنة قتل أبو عبد الله البريدي أخاه أبا يوسف

﴿ ذكر السبب في قتل البريدي أخاه وما جرى ﴾

﴿ بعد قتله اياه وعاقبة أمره ﴾

كان أبو عبد الله البريدي لما حاصره سيف الدولة أيام مقامه بواسط احد
عشر شهراً ثم توزون بعده ضاقت به الامور فاضطربت رجاله وعملوا على
الاستئمان الى أبي يوسف أخيه ليساره . واستقرض من أبي يوسف قرضاً
بعد قرض فكان يعطيه النزر اليسير وذكر تخلفه ^(١٠) وتضييعه وأنه
بالاقبال ثم له ماتم لا لتدبير ثم تسمى ذلك فصار يذكر جنونه وعجلته .
وصح عند أبي عبد الله ان أبا يوسف يريد القبض عليه واعتقاله لان يجري

(١) زاد صاحب التكملة : وأخذ في جلته ابن الاطروش المعروف بالداعي

العلوي (والاطروش هو أبو محمد الحسن بن علي الحسيني من ولد عمر الاشرف) وأبو
بكر ابن قرابة وكان قد وافي مع الديلم فصودر على عمر بن ألف دينار

عليه جناية على نعم فاستوحش كل واحد منهما من صاحبه
فحكي اسرائيل الجبذ وكان خصيها بابي عبدالله انه استدعاه وشكا
اليه حاله في الاضافة ثم قال : قم الى أبي يوسف أخى (وأوما الى درج بين
يديه وفتح فاذا فيه حبّ لؤلؤ وياقوت أحمر وأزرق يهر الناظرين) وقال :
احمل هذا اليه وسله ان يقرض عليه عشرة آلاف دينار . وكان مافى الدرج
قد وهبه بحكم لابنته سارة التى تزوج بها وكان بحكم أخذه من دار الخليفة
فأخذه أبو عبد الله منها قال اسرائيل : فضيت الى أبي يوسف وحدثته
بجميع ما خاطبني به أخوه وأخرجت الدرج اليه فقال لى : يا أبا الطيب من
سوء تحصيله يرى ولو مدت دجلة مالا لبدّده هذا رجل حصّل له من
واسط فى كراته التى تولاهما ثمانية آلاف الف دينار أما وجب ان يستظهر
بالف ألف دينار . فقلت : ياسيدي ومن أولى به منك على تصرف كل حال ؟
فتفضل بما طلب . فقال : انى قد أعطيته الى هذا الوقت ومنذ انصرف من
واسط . خمسين الف دينار وما تملك عينه ! ابث الى الجوهرين ^(١١) واحضرهم
حتى يقوموا هذا الجوهر وأعطيه قيمته . فوجه اليهم وحضروا وأخرجه
اليهم فقالوا : لافيمة له تُحدّ واذا حضر ملك يرغب بحكم صاحبه ولوانتهى
فى السوم الى أقصى غاية . فاشتطّ وقال : يا جهال من قال لكم انى مروان
الاموى (فانه كان راعبا فى الجوهر وحضر للابتيع) أو خاروبه بن أحمد
وابن الجصاص ؟ قوموه بما اذا طالبتكم به بكرة صحّتموه العصر .
فقوموه خمسة آلاف دينار فقال : اعطونى خطوطكم بها . فتنبّوا ثم ردوها
الى خمسين الف درهم وضمنوها فقال : هذا أعطيك . فقلت : ياسيدي
احملها خمسة آلاف دينار . فقال : قم ودع فى القيمة فضلا لطلبه فانه سيعاود

ويطالب . فانصرفت بخمسين الف درهم الى أبي عبد الله وحدثته الحديث فقال : لا اله الا الله قل له : يا أبا يوسف جنوني الذي ذكرتَه وقلة تحصيلي أفعذك هذا المقعد وصيرك كـقارون : ثم عدد ما عمله معه ودفعت عينه وتبين الشر في وجهه . فلما كان بعد أيام نحو العشرة أقام غلمانه وفيهم يانـس وأقبال وريبب وملاح يانـس في مخترق قد سقّف بين باب داره (وكانت دار فضـلان الساجي) بالبلدة وبين الشط . فتـكـمّن له هؤلاء ووثبوا عليه بالسكاكين وما زال يصيح « بأخي قتلوني قتلوني » وأبو عبد الله^(٩٢) يقول « الى لعنة الله » فخرج أبو الحسين أخوه وكان ينزل في جواره الى روشن دجلة وقال : يا أخي قتلته ! فقال : يا فاعل خربت اسكت والا ألحقـشـك به . فجمع أبو الحسين نفسه وشغّب الجند وظنوه حياً فنبشه واطهره لهم فسكنوا ثم أعاده الى قبره

وانتقل الى الدار بمسـماران فساعة ملكها طلب الجوهر فأحضره قال امـرائـيل : دخلتُ اليه فقال لما رأيـتُ : يا غلام هات الدرج . فأحضره اياه فقال لي : يا أبا الطيب أخذنا المال والجوهر ومضى الفاعل بن الفاعل الى لعنة الله . ثم أودع أبو عبد الله هذا الجوهر ابنة أبا القاسم سرّاً وأمره أن يستره فلما توفي أبو عبد الله وملك الامر بعده أخوه أبو الحسين طلب هذا الجوهر طلباً شديداً فلم يجد له أثراً وقيل « أودعه مَنْ لا يُعرف » ولما خرج ابنة الى هجر أخذته معه فسأله المهجريون ان يُريهم اياه ففعل ذلك ووهب لهم منه حبة واحدة فلما حضر مدينة السلام في أيام أبي الحسين معز الدولة طلبه منه ليراه فأحضره عنده ووسط أبا محمد عبد الله بن يحيى ليقبضه منه فامتنع من بيعه ثم رأى الوجه في يمينه فاستجاب فقوّم بما قوّمه تجار البصرة فقال أبو

مخلد : حط منه ثمن الحبة التي أخذها الهجريون . فأعطى ثلاثة آلاف دينار عن قيمة خمسة ^(١٣) وأربعين ألف درهم وأحالهُ بذلك على كار التمر واستوفاهُ

وكان أبو عبد الله البريدى يتهم أبا الحسن ابن أسد بالتضريب بينه وبين أخيه وقيل له : ان عنده ستة عشر ألف ألف درهم . فلما ملك الأمير أخرج اليه دفترٌ فيه ثبت ودائع أبي يوسف بخطه فلم يجد فيه وديعةً عند أحد الا ما عند ابن أسد فطالبهُ بها وبسط منه وأقره على ما كان يتولاهُ . ففضى الى منزله وحمل اليه ألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم ولم يظهر له وعرفه انه لا وجه للباقي وان أخاه حصل عليه ذلك من عجز بعد عجز لحقه في مدة سنة معه وأخذ خطهُ بها انها وديعة له عنده . وكان في أسفل الثبت الذي وجد له عمل لكل سنة عملاً باضمان وما صحَّ منه بالامانة وما تحصل من العجز الذي أخذ خطهُ به وجمع ذلك وكان بازاء العجز وهو ثلاثة عشر ألف ألف وخمسمائة ألف درهم . فقامت قيامة أبي عبد الله وقال : دم أخى في رقبة ابن أسد فاني قتلته طمعاً في المال . فضى ولم يصل اليه ثم آمنه فظهر وقام بحجته شفاهاً وذكر ان له بقايا هذه السنة في النواحي زيادة على أربعة آلاف ألف وله أصحاب منهم أبو العلاء صاعد بن ثابت وأبوه وأخوه وأبو علي الانبارى وقد هرب فتوسط أمره القاضي أبو الحسين بن نصرويه ^(١٤) وصحَّ لابن عبد الله من جميع الوجود على أحوال قبيحة مع الاتني الالف والخمسمائة الالف الدرهم الموجودة عشرة آلاف ألف درهم وتاه الباني وذهبت نفس أبي يوسف

وفيها قبض أبو العباس اشكورج الديلمي وكان توزون قلده الشرطة

يغداد على ابن حمدي اللص^(١) وضرب وسطه فخنق مكروه اللصوص
عن الناس وانقطع شرهم بعد ان تحارس الناس بالليل بالبوقات وامتنع عنهم
النوم خوفا من كبساته .

وفيهما ورد الخبر بدخول الامير أبي الحسين أحمد بن بويه واسط وانحدر
من كان بها من أصحاب البريدي الى البصرة

وفيهما صار محمد بن ينال الترجمان الى سيف الدولة وهو بالركة فعانبه
سيف الدولة على أشياء بلغت عنه وكان اتهم بأنه عقد الرئاسة لنفسه على المعجم
وواطأ المتقى لله على الايقاع بسيف الدولة فجحد محمد بن ينال ذلك فلما خرج
من حضرته بعد العتاب وثب به غلمان سيف الدولة بسيوفهم فقتلوه .

وفيهما ورد الخبر بموت سليمان بن الحسن أبي طاهر القرمطي وأنه جدير
ومات وصار الامر لاختوته بعده

﴿ ذكر الخبر عن الاصهباني الذي احتال لقتل ﴾

﴿ القرامطة بأيديهم حتى كاد يفنيهم ﴾

كان ابن سنبر يماذي المعروف بابي حفص الشريك فاحتال في حياة
أبي طاهر بان أحضر رجلاً^(١) من أهل اصهبان فكشف له أمر آرا كان
أبو سعيد الجنابي كشفها له في حياته ولم يكشفها لغيره وعرفه مواضع دفائن
له لم يعلم بها غيره ولم يعلم أبو طاهر ان أباه أبا سعيد كشف ذلك لابن سنبر
فقال ابن سنبر لهذا الرجل الاصهباني : امض الى أبي طاهر وعرفه انك
الرجل الذي كان أبوه وهو يدعوان اليه فاذا هو سألك عن الملامات

(١) وردت حكاية تاجر مع ابن حمدي هذا في كتاب الفرج بعد الشدة

٢ : ١٠٨ وفيه يقال له « ابن حمدون » : وهذا هو غلط .

والدليل أظهرت له هذه الاسرار . وشرط ابن سنبر على هذا الاصهباني ان يكون اذا تمكن من الامر قتل أبا حفص الشريك . فضمن له الاصهباني ذلك فضى الى أبي طاهر وأعطاه العلامات وحدثه بالاسرار فلم يشك في صحة تلك العلامات فوثب أبو طاهر وقام بين يديه وسلم الامر اليه وقال لاصحابه : هذا هو الذي كنت أدعوكم اليه والامر له . فتمكن الرجل من الامر وثبت ووفى بما كان ضمنه لابن سنبر وقتل أبا حفص الشريك . ثم كان يأمر أبا طاهر واخوته بقتل من يشاء ويقول « قد مرض » يعني أنه قد شك في الدين فيقتل وأخذ يقتل واحداً واحداً من رؤساء القوم وأهل البصائر منهم والنجدة وأمره ممثل مطاع لا يخالف الى ان أتى على عدد كثير منهم . وكان اذا أمر الرجل أن يقتل أخاه أو أباه أو ابنه لم يتوقف وبادر الى امتثال أمره فخافه أبو طاهر ^(٩٦) وبلغه انه عمل على قتله فقال لاختوته : قد وقع على غلط وشبهة في أمر هذا الرجل وليس هو صاحب الامر الذي يعرف ضمائر القلوب ولا تخفي عليه الاسرار ويمكنه ان يُبريء المريض ويعمل كل ما يريد . وجاؤا الى الرجل فعرّفوه ان والديهم عليه وسألوه ان يدخل اليها ونوموا والديهم على فراش وغطوها بازار فدخل اليها فلما رأها قال لهم : هذه علة لا يبرأ صاحبها فطهروها (ممناه اقتلوها) . فلما قال لهم ذلك قالوا لأمهم : اجاسى . فجلست وقالوا : انها لقي عافية وأنت كذاب . فقتلوه

وكان لهم سبعة من الوزراء اكبرهم ابن سنبر وكان أبو طاهر له اخوان أبو القاسم سعيد بن الحسن وأبو العباس الفضل بن الحسن ولهم أخ آخر لا يدخل معهم في أمورهم يقال له أبو يعقوب اسحق مُقبل على الشرب

والقصص وأمر الثلاثة واحد وكلهم واحدة لا يخلفون فكانوا إذا أرادوا عقد أمر أو ورد عليهم أمر ركبوا أو أصبحوا واتفقوا على ما يعملون ولا يطلعون أحدا على أمرهم فإذا انصرفوا أمضوا ما اتفقوا عليه^(١)

(١) وأما أبو طاهر الفرطى فليراجع ما في تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٣٢ : هذا تنمة أخبار أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنبى الفرطى ذكرها المصنف في غير موضعه وأمر أن تلحق هنا فالحققتها حسب مرسومه قال : كان أبوه يحبه ويرجيه للامر بعده وأوصى « أن حدث بي موت فالامر الى أبي سعيد الى أن يكبر أبو طاهر فيعيد أبو سعيد اليه الامر » وكان أبو سعيد قد عتا ومرد وأخاف العباد وهزم الحيوش . وكان قد أسر فيمن أسرخادما فحسنت منزلته عنده حتى صار على طعامه وشرا به وكان الخادم ينطوى على اسلام فلم ير أبا سعيد يصلى صلاة ولا صام شهر رمضان فابغضه وأضر قتله . فخلاه وقد دخل حماما فى الدار ووثب عليه فذبحه ثم خرج ودعا بعض قواد أبي سعيد فقال له : كالم أبا سعيد . فلما حصل ذبحه ثم استدعى آخر ففعل به كذلك حتى فعل ذلك بجماعة من الكبار وكان شجاعا قويا جدا . ثم استدعى في الآخر رجلا فدخل في أول الحمام فاذا الدماء تجري فادبر مسرعا وصاح فتجمع الناس . وقد مر ذلك في سنة ٣٠١ وأخذ سعيد ذلك الخادم ففرض لحيه بالمقاريض الى أن مات .

فلما كان في سنة ٣٠٥ سلم سعيد الامر الى أخيه أبي طاهر فاستجاب لابي طاهر خاق واقتنوا به بسبب أنه دلهم على كنوز كان والده أطلعه عليها وحده فوقع لهم أنه علم عينا ونخب موضعها من الصحراء وقال : أريد أن أحفر ههنا عينا . فقبل له : هنا لا ينبع ماء فخابلهم وحفر فتبع الماء فازدادت فنتهم به ثم استباح البصرة وأخذ الجميع وفعل المظالم وأرعب الخلق وكثرت جمونه وتزلزل له الخليفة . وزعم بعض أصحابه أنه إله ومنهم من زعم أنه المسيح ومنهم من قال « هو نبي » وقيل « هو المهدي » وقيل « هو المهدي للمهدي » وقد هزم حيوش الخليفة المقتدر غير مرة ثم أنه قصد بغداد ليأخذها فدفع الله شره وقد قتل بحرم الله تعالى مقتلة عظيمة لم ينم مثلها قط في الحرم وأخذ الحجر الأسود . ثم لم يممه الله بعد ذلك فلما أشفى على التلف سلم ملكه الى أبي الفضل ابن زكريا الجومسى المعجمي .

قال محمد بن على بن رزام الكوفي : قال لي ابن حمدان الطيب : أقت بالقطيف

وفي هذه السنة مات أبو عبد الله البريدي بحتى حادثة مكث فيها سبعة أيام فكان بين قتله أخاهُ أبا يوسف وبين موته ثمانية أشهر وثلاثة أيام فتبارك الله رب العالمين . ^(٩٧) فتحدث أبو القاسم ابن أبي عبد الله البريدي بعد زوال أمره ومصيره الى بغداد ان أباه لما مات بالبصرة انتصب أخوه

أعاجل مريضاً فقال لي رجل : أنظر ما يقول الناس يقولون ان ربهم قد ظهر . فخرجت فإذا الناس يهرعون الى ان أتينا دار أبي طاهر سليمان القرمطي فإذا بعلام حسن الوجه درى اللون خفيف الارضين له نحو عشرين سنة وعليه عمامة صفراء تعميم العجم وعليه ثوب أصفر وفي وسطه منديل وهو راكب فرسا شهباء اسمه أبو الفضل المجوسي والناس قيام وأبو طاهر القرمطي وأخوته حوله فصاح أبو طاهر بأعلا صوته : يا معشر الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أبو طاهر سليمان بن الحسن اعلموا انا كنا وابائكم حمير وقد من الله علينا بهذا (وأشار الى الغلام) هذا ربي وربكم والهي والهمك وكلنا عباده والامر اياه وهو يملكنا كلها . ثم أخذ هو والجماعة التراب ووضعوه على رؤسهم ثم قال أبو طاهر : اعلموا يا معشر الناس ان الدين قد ظهر وهو دين أئمتنا آدم وكل دين كنا عليه فهو باطل وجميع ما توصلت به الدعاة اليكم فهو باطل وزور من ذكر موسى وعيسى ومحمد أما الدين دين آدم الاول وهؤلاء كلهم دجالون محتالون فالعنوهم . فلعنهم الناس وكان أبو الفضل المجوسي (يعني الغلام الامرد) قد سن لهم اللواط ونكاح الاخوات وأمر بقتل الامرد الممتنع وكان أبو طاهر ليطوف هو والناس عراة به ويقولون « الهنا عز وجل »

قال ابن حمدان الطيب : أدخلت على أبي الفضل فوجدت بين يديه أطباقا عليها رؤس جماعة فسجدت له كعادتهم والناس حوله قيام وفيهم أبو طاهر فقال لابي طاهر : ان الملوك لم تزل تعد الرؤس في خزائنها فسلوه (وأشار الي) كيف الحيلة في بقائها بغير تغيير . فسألني أبو طاهر فقلت : الهنا أعلم وبعلم ان هذا الامر ما علمته ولكن أقول على انتقير ان جملة الانسان اذا مات يحتاج الى كذا وكذا صبر وكافور والرأس جزء من الانسان فيؤخذ بحسابه . فقال أبو الفضل : ما أحسن ما قال . قال ابن حمدان : وما زلت اسمع الناس تلك الايام يلغون ابراهيم وموسى ومحمدا وعليه وأولاده ورأيت المصحف يمشح به الغائط .

أبو الحسين مكانه . وكان لأبي عبد الله عسكر مقيم بنهر الأمير بازاء الأمير أبي الحسين أحمد بن بويه وعسكر آخر بمطارا وكان ديلم أبي عبد الله مضمومين الى يانس غلامه وكانوا يميلون اليه وكان بين يانس وبين أبي الحسين ميانة في الباطن وعداوة ولما تمكن أبو الحسين من الرئاسة أخذ

وقال أبو الفضل لكتابه ابن سنبر : أكتب كتابا الى الخليفة فصل لهم على محمد وكل لهم من جراب النورة . قال ابن سنبر والله ما تنبسط يدى لذلك . وكان لأبي طاهر أخت فاقضها أبو الفضل وذبح ابنها في حجرها وقتل زوجها ثم عزم على قتل أبي طاهر . فبلغ ذلك أبا طاهر فاجمع رأيه ورأى ابن سنبر ووالدة أبي طاهر على أن يمتحنوها ويقتلوه فأتياه فقال : يا لهذا ان فرجة أم أبي طاهر قد ماتت وتشتهى ان تحضر لشق جوفها ونحشوه جعرا . (وكان قد شرع لهم ذلك) فضى معهما فوجد فرجة مسجاة قامر بشق بطها فقال أبو طاهر : يا الهى أشتهى ان تحبها لى . قال : ما تستحق فأنها كافرة . فعادوه مرارا فاستراب وأحس بتغيرها عليه فقال : لا تمجلا على ودعاني أخدم دوابكا الى أن يأتى أبى فاني سرقت منه العلامة فبرى في رأيه . فقال له ابن سنبر : وبلك هتكت استارنا وحربنا وكشفت أمرنا ونحن نرتب هذه الدعوة في ستين سنة لا يعلم مانحن فيه فأت لو رأك أبوك على هذه الحالة لقتلك قم يا أبا طاهر فاقتله . قال : أخشى ان يسخني . فقام اليه سعيد أخو أبي طاهر فقتله وأخرج كبده فأكلته أخت أبي طاهر . ثم جمع ابن سنبر الناس وذكر حقه فيهم لأنه كان شيخهم وقال لهم : ان هذا السلام ورد بكذب سرقه من معدن حق وعلامة موه بها فاطعناه لذلك وانا وجدنا فوقه غلاما ينكحه فقتله . وقد كنا نسمع أنه لابد المؤمنين من فتنة عظيمة يظهر بعدها الحق وهذه هي فارجموا عن نكاح المحرمات واطفؤا بيوت النيران واتركوا اتخاذ الغلمان وعظمو الانبياء عليهم السلام . فضج الناس بالصياح وقالوا « كل يوم تقولون لنا قولا » فانفق أبو طاهر أموالا كان جمعها أبو الفضل في أعيان الناس فسكنوا

قال ابن حمدان الطيب : وبعد قتل أبي الفضل اتصلت بخدمة أبي طاهر فاخرج الي يوم الحجر الاسود وقال : هذا الذى كان المسلمون يمدونه . قلت : ما كانوا يمدونه . فقال : بلى . قلت : أنت أعلم . وأخرجه الى يوما وهو ملقوف بتياب ديق وقد طيه بالمسك فمرقا أنه معظم له . ثم انه جرت بين أبي طاهر وبين المسلمين حروب

في الاستطالة على الديلم والاتراك ويستخف بهم فنفرت قلوبهم منه . وأحس يانس بذلك فمضى الى أبي القاسم مولاه وابن مولاه أبي عبد الله فقال له : ان كان عندك مالٌ أصلحت لك قلوب الرجال وعمدت لك الرئاسة . فاعترف له أبو القاسم ان عنده ثلاثمائة الف دينار فاصالح له قلوب الديلم والرجال وواطأهم على الايقاع بابي الحسين وعقد الرئاسة لابني القاسم وضمن لهم عنه الاحسان . فسار الجيش الذي كان ينهر الامير الى مسماران وكان أبو الحسين بها فكبسوه وهو نائم فخرج من تحت السكينة ومضى ماشيا متتكرا الى الجعفرية وكاتب المهجري يستجير بهم وقصدهم فقبلوه أحسن قبول وسألهم ان يعاونوه على الرجوع الى البصرة وردّه الى أمره فضمنوا له ذلك وأقام عندهم^(١٨) نحو الشهر وتقررت الرئاسة بالبصرة لابني القاسم ابن أبي عبد الله . ثم سار أبو الحسين من هجر ومعه من اخوة أبي طاهر اثنان وصاروا الى سور البصرة فوجدوا أبا القاسم قد حفظه بالرجال واحترس منه

وأمر وهدف جانبه فقتل من أصحابه في تلك الوقعات خاق وقلوا فطلبوا من المسلمين الامان على أن يرد الحجر الاسود وان لا يتعرض للحجاج أبدا وان يأخذ على كل حاج دينارا ويخفروهم فطابت قلوب الناس وحجوا آمنين وحصل له أضعاف ما كان ينتهبه من الحاج . وقد كان هذا الملعون بلاء عظيمًا على الاسلام وأهله وطالت أيامه ومنهم من يقول انه هلك عقيب أخذه الحجر الاسود والظاهر خلاف ذلك . فلما ضعف أمر الامة ووهت أركان الدولة العباسية وتغلبت القرامطة والمبندعه على الاقاليم قوية همة صاحب الاندلس الامير عبد الرحمن بن محمد الاموي المرواني فقال « أنا أولى الناس بالخلافة » وتسمى بامير المؤمنين وكان خليفًا بذلك فانه صاحب غزو وجهاد وهية زائدة استولى على أكثر الاندلس ودانت له أقطار الجزيرة

.. انتهى ما لحقه المؤلف بخطه من أخبار أبي طاهر القرمطي في غير موضعه فالحقته هنا . ولا قوة الا بالله فني كتابه مثل هذا مضى ونسأل الله العفو والسلامه .

فلم تكن لهم حيلة في الوصول الى البلد وطال مقامهم فضجر الهجريون
وكتبوا أبا القاسم وسفروا بينه وبين عمه في الصالح وسألوه ان يؤمنه ويأذن
له في الدخول الى البصرة واحتاط أبو القاسم في أمره الى أن تأهب واختار
الشخص الى بغداد فأذن له وأطلقه فخرج وصار الى مدينة السلام
ثم طمع يانس في الرئاسة وازالة أبي القاسم عنها فوادأ روستاباش فلما
انقعد الامر بينهما تحرك روستاباش والديلم واجتمعوا في دار روستاباش .
وآثر روستاباش الايقاع بيانس والتفرد بالرئاسة فلما خرج يانس من عنده
أتبمته بن يُوقع به فتحرك يانس ورماه الديلمي بزوين ووقع في ظهره
وهرب وصار الى خراب بهرب دار أبي القاسم ولم يعرف له أحدٌ خبراً وكان
ليلاً وسار روستاباش الى دار لشكرستان وكان نقيب الديلم والمدير ليانس .
وكان قد جزع أبو القاسم لما عرف الخبر وهم بالجلوس في طياره ^(١١)
والخروج عن داره فلما عرف لشكرستان ان روستاباش قد أوقع بيانس
وعزم على التفرد بالرئاسة لم يطمئه وصاح الديلم وزبرهم فتفرقوا ومضى
بعضهم في الوقت معتذرا وهرب روستاباش بالليل عند تفرق الناس عنه
واستتر واصبح أبو القاسم وقد استقام أمره . وعرف خبر يانس فحمله الى
داره مكرما ووجد روستاباش فنفاه الى حيدة وعولج يانس الى ان برأ وأبو
القاسم مُتهم له فلما كان بعد أيام قبض عليه وعلى اشكرستان وصادر يانسا على
مائة الف دينار ثم نفاه الى عُمان فلما حصل على الحديدى لينزل به خرج اليه
بعض عُمان أبي القاسم فقتله وقتل لشكرستان وتمكن أبو القاسم من الرئاسة .
وفيها عرض لتوزون يوما وهو جالس للسلام والناس وقوف بين يديه
صرع فوثب ابن شيرزاد وموسى بن سليمان ومدّا في وجهه رداً كان على

رأس موسى وحجزوا بينه وبين الناس لئلا يروه على تلك الصورة وصُرف الناس وقيل لهم ان الامير قد نار المرار به من خُمار لحقه .

وفي هذه السنة خرج عسكر الامة المعروفة بالروس الى آذربيجان وقصدوا برذعة وملكوها وسبوا أهلها^(١٠٠)

﴿ شرح أخبار الروسية وما آل اليه أمرهم ﴾

هؤلاء أمة عظيمة لهم خِلق عظام ولهم بأس شديد لا يعرفون الهزيمة ولا يولي الرجل منهم حتى يقتل أو يُقتل . ومن عادة الواحد منهم أن يحمل آلة السلاح ويُعلق على نفسه أكثر آلات الصنّاع من القاس والمنشار والمطرقة وما أشبهها ويُقاتل بالحربة والترس ويتقلد السيف ويُعلق عليه عمودا وآلة كالدشنى ويُقاتلون رجالة لاسيما هؤلاء الواردين . وذلك انهم ركبوا البحر الذى يلى بلادهم وقطعوه الى نهر عظيم يعرف بالسكر يحمل من جبال آذربيجان وأرمينية ويصب الى البحر وهو نهر برذعة الذى يشبهونه بدجلة . فلما وصلوا الى السكر توجه اليهم صاحب المربزان^(١٠١) وخليفته على برذعة وكان معه ثلاثمائة رجل من الديلم ونحو من عددهم صماليق وأكراد واستنفر العامة فخرج معه من المطوعة نحو خمسة آلاف رجل لجهاد هؤلاء وكانوا مغترين لا يعرفون شدتهم وحسبوا انهم يجرون مجرى الارمن والروم . فلما صافوهم الحرب لم تكن الا ساعة حتى حلت الروسية حملة منكورة فهزموا العسكر ووات المطوعة بأسرهم وسائر العسكر الا الديلم فانهم ثبتوا ساعة فقتلوا كلهم^(١٠١) الا من كان بينهم فارسا واتبعوا الفل الى البلد فهرب كل من كان له مركوب بجملته من الجند والرعية

(١) وفي التكملة هو « المربزان بن محمد » يعنى ابن محمد بن مسافر

وتركوا البلد. فنزلته الروسية وملاكوه.

فحدثني أبو العباس ابن نُدَار وجماعة من المحصلين ان القوم بادروا الى البلد ونادوا فيه وسكنوا الناس وقالوا لهم : لا منازعة بيننا وبينكم في الدين وانما نطلب المُلْكَ علينا ان نُحسن السيرة وعليكم حُسن الطاعة . ووافهم المساكر من كل ناحية فكانوا يخرجون اليهم ويهزمونهم وكان أهل برذعة يخرجون معهم فاذا حملوا عليهم المسلمون كبروا ورجوهم بالحجارة فكانت الروسية تتقدم اليهم بان يضبطوا أنفسهم ولا يدخلوا بين الساطان وبينهم فيقبل أهل السلامة منهم خاصة فاما العامة ومُعظم الرعايا فكانوا لا يضبطون أنفسهم ويظهرون ما في نفوسهم ويتعرضون لهم اذا حمل عليهم أصحاب الساطان . فلما طال ذلك عليهم نادي مناديتهم بالا يُقيم في البلد أحد من أهله وأجلوهم ثلاثة أيام من يوم نداءهم فخرج كل من كان له ظهر يحمله ويحمل حرمة وولده وهم نفر يسير وجاء اليوم الرابع والاكثر مقيمون فوضعت الروسية فيهم سيوفهم فقتلوا خلقاً عظيماً لا يحصى عددهم وأسروا بعد القتل بضعة عشر الف رجل وغلام^(١٠٢) مع حرمهم ونسائهم وبناتهم وجعلوا النساء والصبيان في حصن داخل المدينة وهي شہرستان القوم وكانوا نزلوه وعسكروا به وتحصنوا فيه . ثم جمعوا الرجال الى المسجد الجامع ووكلوا بابوا به وقالوا لهم « اشترُوا أنفسكم »

﴿ ذكر تدبير صواب أشار به بمضهم فلم يقبلوا منه حتى ﴾

﴿ قتلوا باجمهم واستيجت أهوالهم ونزاريتهم ﴾

كان بالبلد كاتب نصراني له رأى سديد يعرف بابن سمعون وكان يسمى في السفارة بينهم ووافق الروسية ان يُبتاع كل رجل منهم بمشرين

درهما فتابعه على ذلك هقلاء المسلمين وخالفه الباقون وقالوا : انما يريد ابن سمعون ان يلحق المسلمين بالنصارى في أداء الجزية . فامسك ابن سمعون وتوقف الروسية عن قتل الرجال طمعا في هذا القدر اليسير ان يحصل لهم من جهتهم فلما لم يحصل لهم شيء وضعوا فيهم السيوف فقتلوه عن آخرهم الا عددا يسيرا أخرجوا في قناة ضيقة كانت تحمل الماء الى المسجد الجامع والا من اقتنى نفسه بذخيرة كانت له . فربما وافق الواحد من المسلمين الروسى على مال يقتنى به نفسه فحضر معه الى منزله أو حانوته فاذا استخرج ذخيرته وكانت زائدة على مال موافقه لا يمكن صاحبها منها وان كانت ^(١٠٣) أضمافا مضاعفة عليه وعطف بالمطالبة حتى يحتاجه فاذا علم انه لم يبق له عين ولا ورق ولا جوهر ولا فرش ولا كسوة أفرج عنه وأعطاه طينا مختوما يأمن به من غيره فاجتمع لهم من البلد شيء عظيم يحل قدره ويعظم خطرهُ وكانوا قد حازوا النساء والصبيان فقجروا بهن وبهم واستعبدوهم .

فلما عظمت المصيبة وتسامع السامعون في البلدان بخبرهم تنادوا بالنفير وجمع المرزبان بن محمد عسكره واستنذر الناس وأناه المطوعة من كل ناحية فسار في ثلاثين ألف رجل فلم يقاوم الروسية مع إجماع هذه المدّة ولا أمكنه أن يؤثر فيهم أثرا فكان يغاديرهم القتال ويرأوحه وينقلب عنهم مفسلولا واتصت الحرب بينهم على هذه الصورة أياما كثيرة فكانت الذبيرة أبدا على المسلمين . فلما أعيا المسلمين أمرهم ورأى المرزبان الصورة النجاء الى الحيلة والمكيدة وافق له ان الروسية لما حصلوا بالمرافة تبسطوا في الفلابة وهناك أنواع كثيرة منها فرضوا ووقع فيهم الروابل لان بلادهم شديدة البرد ولا ينبت فيها شجر وانما يحمل اليهم الشيء اليسير من البلاد

الشاسعة عنهم . فلما تحقق عددهم وفكر المرزبان في الحيلة وقع له أن يكمن لهم ليلاً وواطأ عسكره^(١٠٤) ان يُبادروا الحرب فاذا حمل عليهم القوم انهزم هو وانهزموا معه وأطعمهم بذلك في العسكر والمسلمين فاذا تجاوزوا موضع السكمين عطف المرزبان ورجاله عليهم وصاحوا بالسكمين بشعار اتفقوا عليه فاذا حمل الروسية في الوسط تمكنوا منهم . فلما أصبحوا على هذه المكيدة تقدم المرزبان وأصحابه وبرز الروسية وأميرهم راكب حمار وخرج رجاله واصطفوا للحرب فجروا على عاداتهم وانهزم المرزبان والمسلمون واتبعهم الروسية حتى تجاوزوا موضع السكمين واستمر الناس على هزيمتهم . فحكى المرزبان بعد ذلك انه لما رأى الناس كذلك وصاح بهم واجتهد بهم ان يراجعوا الحرب فلم يفعلوا لما تمكن في قلوبهم من هيتهم علم انه ان استمر الناس على هزيمتهم عاد القوم فلم يخف عليهم موضع السكمين فيكون ذلك هلاكهم قال : فرجت وحدي مع من تبعني من أخى وخاصتى وغلاني ووضعت في نفسي الشهادة فحينئذ استجيت أكثر الديلم فرجعوا وكررنا عليهم وناديناهم « السكمين » فخرجوا من ورائهم فصدقناهم الحرب وقتلنا منهم سبعمائة نفس فيهم أميرهم وحصل الباقيون في الحصن الذي كانوا فيه من البلد وقد كانوا نقلوا اليه غلات كثيرة^(١٠٥) وميراً عظيمة وحصلوا فيه السبي والاموال . فبينما المرزبان في منازلهم وهو لا يقدر لهم على حيلة سوى المصاراة اذ ورد عليه الخبر بدخول أبي عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان آذربيجان وانتهائه الى سلماس واجتماعه مع جعفر بن شكويه السكردى في جماهير الهداينية^(١) واضطر الى أن خلف على حرب الروسية

(١) وفي الاصل (الهداينة) والصواب فيها بعد وهم صنف من الاكراد

أحمد قواده في خمسمائة من الديلم والاب وخمسمائة فارس من الاكراد
والفين من المطوعة وسار الى اوران ولقي أبا عبد الله فاقتتلا قتالا خفيفا
وسقطت ثلجة عظيمة واضطرب أصحاب أبي عبد الله لان معظمهم اعراب
وساروا عنه فسار بسيرهم الى بعض المدن الحصينة فلقية في طريقه كتاب
من ابن عمه ناصر الدولة يُعلمه فيه وفاة توزون بمدينة السلام واستثنان رجاله
اليه وانه قد عمل على الانحدار معهم الى بندق ومحاربة معز الدولة لانه كان
دخلها فاستولى عليها بعد اصماد توزون عنها ويأسره بالتخيلة عن أعمال
آذربيجان والانكفاء اليه فعمل .

فلم يزل أصحاب المرزبان عن قتال الروسية وحصارهم الى ان ضجروا
واتفق ان زاد الوباء عليهم فكان اذا مات الرجل منهم دفنوا معه سلاحه^(١٠٦)
وثيابه وآلته وزوجته أو غيرها من النساء وغلالمه ان كان يحبه على سنة لهم
فاستثار المسلمون بعد زوال أمرهم مقابرهم فاستخرجوا منها سيوفاً يتنافس
فيها الى اليوم لمضائها وجودتها . فلما قل عدددهم خرجوا ليلا من الحصن
الذي كانوا فيه وحملوا على ظهورهم كل ما أمكنهم من المال والجواهر
والثياب الفاخرة وأحرقوا الباقي وساقوا من النساء والصبيان والصبايا
ما شاؤا ومضوا الى الكُرّ وكانت السفن التي خرجوا فيها من بلادهم معدة
فيها مع ملاحهم وثلاثمائة رجل من الروسية كانوا يدونهم باقساطهم من
غانمهم فجلسوا فيها ومضوا وكفى الله المسلمين أمرهم

فسمعت ممن شاهد هؤلاء الروسية حكايات عجيبة من شدتهم وقلة
مبالاتهم بمن يجتمع عليهم من المسلمين فمن ذلك خبر شاع في الناحية وسمعت
من غير واحد ان خمسة نفر من الروسية اجتمعوا في بستان يبرذعة وفيهم

غلام أمرد وضىء الوجه من أولاد رؤسائهم ومهم نسوة من السبي وان
المسلمين لما عرفوا خبرهم أحاطوا بالستان واجتمع عدد كثير من الديلم
وغيرهم على حرب أولئك نفر الخمسة واجتهدوا في ان يحصل لهم أسير واحد
فلم يكن اليه سبيل لانه كان لا يستسلم أحد منهم ولم يكن ^(١٠٧) قتلهم حتى قتلوا
من المسلمين أضعافا كثيرة ليدتهم وكان ذلك الامرد آخر من بقى فلما علم
انه يؤخذ أسيرا صعد شجرة كانت بالقرب منه ولم يزل يجرح نفسه بخنجر
معه في مقاتله الى ان سقط ميتا .

وفي هذه السنة ظهر للمتمقي من بنى حمدان ضجرت به وبمقامه عندهم
وشهوة لمفارقته فراسل توزون في الصالح فلتقى توزون ذلك بنهاية الرغبة
فيه والحرص عليه ووردت رسالة المتقي لله الى توزون مع الحسن بن هرون
وأبي عبد الله بن أبي موسى الهاشمي وتوثقا من توزون واستحلفاه إيمانا
مؤكدة للمتمقي وللوزير أبي الحسين ابن مقله وأحضر توزون القضاة
والمدول والعباسيين والطلبين ومشايخ الكتاب حتى حلف بحضرتهم
للمتمقي لله وكتب بذلك كتاب وأحكم ووقت فيه الشهادة من جميع من
حضر على توزون .

ودخلت سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ﴿

ولما كان يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من المحرم وصل
الآخشيدي الى حضرة المتقي لله وهو بالركة ولقيه بها وأعظمه المتقي نهاية
الاعظام ووقف الآخشيدي بين يديه وقوف الغلمان وفي وسطه سلاح م
ركب المتقي فمشى بين يديه الآخشيدي فأمره ان يركب فلم يفعل ^(١٠٨) ولم يزل

على تلك الحال مختلطاً بالفلمان الى ان نزل من ركوبه^(١) وحمل اليه هدايا ومالا وحمل الى أبي الحسين ابن مقلة عشرين الف دينار ولم يدع كاتباً ولا حاجباً الأبرّه . واجتهد بالمتقى لله ان يسير معه الى مصر والشام فيكون بين يديه فلم يجبه الى ذلك وأشار عليه بالمقام مكانه فلم يقبل فلما امتنع عليه من الامرين عدل الى الوزير أبي الحسين وأشار عليه بان يسير معه الى مصر وضمن له إنفاذ أمره وترك الاعتراض عليه في شيء يديره فخالفه . وكان أبو الحسين بعد ذلك يظهر التندّم ويقول « نصحنى الاخشيد فلم أقبل » وكانت دنائير الاخشيد في صندوق أبي الحسين الى ان انتهت لما قبض على المتقى لله^(٢)

(١) وقال ابن المديم في تاريخه زبدة الحلب : وكتب الاخشيد في هذه السفرة الى عبده كافور الخادم الى مصر وقال له : وما يجب ان تقف عليه أطال الله بقاءك ان أبيت أمير المؤمنين بشاطئ الفرات فأكرمني وكناني وقال : كيف أنت يا أبا بكر أعزك الله . فرحاً بأنه كناه والخليفة لا يكتفى أحداً (٢) وفي خلع المتقى لله قال صاحب كتاب العيون : قال أبو محمد الفرغانى : لحدثني ذكا مولى الراضى قال : فلما بلغ المتقى الى الرحبة أقام بها أياماً الى أن هل هلال صفر ثم انحدرنا الى عانة فاستقبلنا الحسين بن المرزبان وهو رجل كان من خزان بيت المال فلقى المتقى فسأله عن أخبار توزون والمعجم وما في نفوسهم وما ظهر له من عزمهم في أمره فذكر عنهم طاعة وموالة وسرورا بقدوم السلطان قال ذكا : وكان الحسين هـذا أحد من اصطفته فخلوت به وقلت : عرفنى ما في اعتقاد القوم للسلطان . فذكر انه يدخل الى دار توزون ويفتش عن سرائرهم فلم يتبين منهم شيئاً يكرهه قال ذكا : وكان الامر كما ذكرت لم يظهر منهم ذاك ولا كان لهم عزم عليه الى ان قربنا فسمي في القصة من أفسدها والسبب في ذلك ان حسن الشيرازية لها ابنة متزوجة بابى أحمد الشيرازى وكانت حسن هذه وابنتها امرأتى سوء مشهورتين بشرب النبيذ والفاحشة وكانت تدخل الى عبد الله بن المكتفى وتضي الى جماعة من المعجم بحال قبيحة وكانت تستخص رجلاً منهم يعرف بابن مالك الديلمي

ولما توثق المتقي لله من توزون انحدر من الرقة يُريد بغداد في الفرات
ومعه غلامان من غلمان الاخشيدي ومحمد بن فيروز ونقط فلما وصل الى هيت

نظيف الوجه وكان له عند توزون موضع ومحل وكان ابو عبدالله بن سليمان يكتب لذلك
الديلمي فكانت اذا جاءت اليه تطيل عنده وتكثر السرار معه فقال ابن سليمان للديلمي :
أراك تطيل سرار هذه المرأة فاكشف لي الحال فانك لن تجد مساعدة مثلي . فقال
الديلمي : هذه المرأة تزعم ان هاهنا رجلا يقال له عبد الله بن المكنتي يلتبس الخلقة
ويضمن انه يحمل الى توزون اذا قبض على المتقي سبعمائة ألف دينار على انه يسلم المتقي
وحاشيته وانه يضمن ان يجعلني حاجبه وسألني ان أكون سفيرا بينه وبين توزون . فقال
ابن سليمان : أنا أحكم لك هذه القصة وابلغ من توزون كلما تحبه بعد ان تضمن
لي ان تستكثني ولا تزيلني أنت عن خدمتك . فضمن الديلمي لابن سليمان ما شرطه
واجتمع الديلمي وابن سليمان عند دكلا وكان دكلا متمكنا من توزون يقبل مشورته
ويأخذ برأيه وكشفا لدكلا الحال وسألاه ان يدخل معهما فاعتنق القضية وأوصاهما الى
توزون وسألهما عليه أن يقبل قولهما فيما سميا له وان يقبض على المتقي عند وروده فلما
وقف توزون على ذلك أكرهه وقال : كيف يجوز ان أفعل هذا وقد عاقدنا وأشهدت على
نعمي سائر الناس واشهر هذا عني في البلدان ؟ فقال له : ياسيدنا هؤلاء بني العباس فيهم
قلة الوفاء وقد استوحش هذا الرجل وليس والله تأمن مكره فينبغي أن تعمل الحيلة عليه
قبل ان يحثك عليك وتقبل ما أشار به عبدالله بن المكنتي وتأخذ منه هذا المال الذي قد
بذله فهو أصلح لك من خدمة رجل لا تأمنه على نفسك (قال ذكا) : وكان توزون
حدث السن فلم يزالوا به حتى أفسدوا بنته ثم شرطوا عليه ان لا يعرف كاتبه ابن شيرزاد
ما وافقوه عليه وقالوا : ما تأمن أن يشير عليك بضد ما قد أشرنا خبئنا منه ولميله الى المتقي
ولا تأمن أن ينفذ الى المتقي من يذره فيفلات من يدك . فسمع هذا توزون وكنمه عن
ابن شيرزاد .

وأراد توزون الاجتماع مع عبد الله بن المكنتي وكره ان يحدره اليه فيشيع خبره
فعمل على الاصعاد اليه الى دار ابن طاهر وأمر أن لا يظهر أحد في دجلة ولا في المدينة
بعد العشاء الاخرة لئلا يلقاه أحد فيقف على قصده وكان يصعد في زرب ومعه دكلا
وابن مالك وابن سليمان فيسبرون الى جزيرة بازاء دار ابن طاهر ويخرج عبد الله بن
المكنتي وينزل اليهم ويتحالفون ويعقدون الرأي والتدبير على المتقي ويضمن عبد الله بن

أقام بها وأنفذ القاضي الخرقى وابن شيرزاد حتى جددا على توزون الايمان
والعهد والمواثيق وأكرم المتقي لله توزون وأتبعه المظفر وعاد القاضي الى

المكتفى لتوزون المال . وكان يبلغ ابن شيرزاد فيظن ان هذا كله تدبير عليه
ولما وافى المتقي الى هيت أنفذ القاضي الخرقى وأبا العالم سلامة أخا نوح الطولوني
الى توزون ليشاهد حاله ويكشف عما في نفسه فوصلا الى بغداد ولما توزون فاطمهما
سرورا بقرب السلطان وأنحدر متهما الى دار فدخلها وأمر بتبويض مواضع من القصر
وأمر باصلاح ما تشعت من الدار وانصرف الى داره ووردها الى المتقي . وتقدم الى ابن
شيرزاد بالخروج الى الانبار لياقي المتقي وجرده قطعة من المعجم وخرج توزون فاقام على
البقي على موضع بالسندية على ست فراسخ من بغداد . وأقام المتقي بهيت ستة أيام الى ان
واقاه رسوله لخلاهما وسألهما عما شاهدا من توزون فوصفا عنه كل جميل وعرفاه انه
مجتهد في عمارة الدار وكان يثق بالقاضي الخرقى ثقة تامة فسكن الى ذلك (قال ذكا) : فلما
وقف على ذلك رحل من هيت ورحلنا معه فوافينا الانبار ولفيه بها ابن شيرزاد فترجل
وقبل الارض بين يديه وأمره بالركوب فركب . وأخذ يمشي عن اخبار توزون وهو
يصنف له حسن طاعته وخلوص موالاه وشدة سروره وإتباعه بقدم مولاه (قال)
وبتأ بالانبار ثم رحلنا من الغد نريد بغداد وأخذنا على الطريق الاوسط الى ان قربنا
من السندية وقد كان قدم له مضربا الى السندية فمضرب له بازاء مضرب توزون فلما قرب
من السندية وأبطأ عن تلقيه توزون عجب من ذلك ولاننا من عرفنا ان توزون أخذ على
طريق الفرات مقدرا ان السلطان يراي على شط الفرات ولم يكن الامر كما حكاه وأما
هو مضى ليخرج وراء المتقي فيتوكل به ويجمع أسبابه ولا يفوته منهم أحد . وقال ابن
شيرزاد وقد كان مع المتقي : تأذن مولانا أمضي اليه فاعرفه ان مولانا قد أخذ هذا
الطريق ليلحق به ؟ فقال له : افعل . فمضى وعاد المتقي الى حائط رفيع في وسطه
سدة فوقف تحت ظلها ووقفنا بين يديه نحو خمسين غلاما وسبق كل من كان مع السلطان
الى المضرب ونزلوا فلم يزل المتقي واقفا ونحن معه حتى لاحت لنا غيرة من ورائنا فعلمنا
انها موكب توزون وأقبل يسير حتى دنا منا فقال لابنه أبي منصور : امض أنت ومعه
الغلمان حتى تستقبله . فمضى (قال ذكا) وكنت معه فلما قربنا منه استقبلنا ابن خاقان
ووجع معنا حتى وصلنا اليه وهو سائر على تعبئة بالسلاح والعدة فسلم على أبي منصور ابن
الخليفة وهو راكب ولم يفوه حقه كما يجب من الترحل فانكرنا ما رأينا منه (قال ذكا)

هيت وعرف المتقي انه قد أحكم الامر مع توزون . وخرج توزون لليلة بقيت من صفر الى البثق الذي كان بالسندية ونزل الوزير أبو الحسين على

وسمت أنا عليه وكانت بيني وبينه أحوال وكيدة وكان اذا أراني بشر بي فما رد على السلام ولارد على أحد وقد كان بلغنا انه عليل ففدنا انه لضعف ناله من العلة وسبقناه الى المتقي وجئت فوقنت بين يديه فلما وافى توزون سمعت المتقي يقول : اذا كان هؤلاء على هذه الصورة على غير حرب فكيف يكونون في الحرب ؟ ثم قال لابن خاقان : اخرج حتى توصله الي راكبا . فخرج من الحائط وأوصله اليه بعد ان أوما أن ينزل خارج الحائط ودارت ديلمة توزون حول الموضع الذي كان المتقي فيه واقفا وكذلك فرسانه وترجل هو وجماعة من الفواد وتقدم الى المتقي فقبل الارض ثم قبل يده ورجله وتبسم المتقي اليه وأظهر سرورا به ثم قال : الحمد لله الذي جمع بيننا يا أبا الوفاء وأزال ما كان في القلوب . فقال بالفارسية : الساعة تبصر مولاي أي خدمة أخدمه . ثم قال له المتقي : اركب يا أبا الوفاء فليس يحتمل الوقوف . فركب وسار المتقي وتأخر هو عنا وقام على تل ونحن لانعلم ما يريد وما يراد منا وقد كان المتقي أخضر حرمه والخدم خلفه لئلا تقع عليهم عيون المعجم فوجه اليهم توزون بقرامطة كانوا معه فوكل بكل من كان وراءنا من الخدم والحرم وغيرهم وسار هو من ورائنا . فوجه اليه المتقي بعبد الواحد بن عثمان الشرابي : قد ركبتم عمارية وأنت عليل فبحياتي الا ركب أنت أيضا عمارية . فقال للرسول : ما أقدر على ركوب العمارية أسأل الله أن يطيل بقاء مولانا . فلما قربنا من مضرب السلطان سمعنا صوت الدبابدب على باب المضرب ووجه توزون جماعة من الديلم يتوكلون بالمتقي فداروا حوله وأخذوا بعنان البغل يقودونه ويسرون سيرا خفيا . وقد كان قبل التوكل به وجه توزون بالحسين بن هرون يسأل المتقي ان ينزل في مضرب توزون فراسله : ان معنا حرما وليس يصلح ان ينزلوا الا في مضربنا . وانما أراد توزون ان يوكل به وجميع حاشيته فلا يقات منهم أحد . ثم وجه باسكورج الديلمي الى المتقي فوكله به فوافي اسكورج وفي يده حربة فسار قدام المتقي (قال ذكرنا) ونحن نقدر انما نعلمون هذا خدمة له واكراما لحقه ثم لم يملك المتقي من أمره شيئا وأفعدني الى ابن شيرزاد فتمعه توزون من ذلك واتهرني فرجعت اليه وقد أحاطت به الديلم وهم يستلون سجد الكنيسة ويكلمونه بما لا يفهمه الا انه شتم فقال : يا ذكرا استعجل محمد بن مجي (يعني ابن شيرزاد) وهو يقوم ويقعد في الكنيسة . فرجعت الى توزون فسأله ان يوجه بابي جهنم الى المتقي فصاح علي وعلى

شاطيء الفرات وبين توزون والمتقي^(١٠٩) نحو فرسخ فلما هم بالانحدار استقبله توزون وترجل له وقبل الارض بين يديه ووكل به وبالوزير والجماعة وأنزل بهم في مضرب نفسه مع حُرْم المتقي لله وارتجت الدنيا فسمله وحكى ثابت ان توزون سمله بحضرة قهرمانة المستكفي بالله . وانحدر توزون من الغد وفي قبضه الجماعة فكانت مدة وزارة أبي الحسين ابن مقله سنة واحدة وخمسة أشهر واثنى عشر يوما .

﴿ ذكر السبب في القبض على المتقي وخلافة المستكفي بالله ﴾

قال ثابت : حدثني أبو العباس التميمي الرازي وكيله قال وكان

ابن شبرزاد ومنعه نخفت ان يوقع بي لعظم ما شهدت من أمره ثم رجعت الى المتقي وهو لا يملك أمره . وارتفعت غبرة عظيمة واشتغل كل واحد منا بنفسه وجزنا مضرب المتقي واقطع عنا صوت الدباب ووقفنا بين خيم العجم وتوجهت الى خيمة أبي عمران اصفهسلار متنجرا به فزلت في خيمته وأغار العجم على الناس فسلب كل من كان معنا حتى ما أفلت واحد بثوب ولا دابة وأدخل المتقي موكلا به الى مضرب توزون وقبض على حرمه وأسبابه وسلب العجم بعضهم بعضا لعظم القصة

(قال ذكا) ووافوا بابي الحسين ابن مقله الى الحيمة التي كنت فيها ثم وافوا بالهاضي الحرقى فجزعت جزعا شديدا وخشيت من القتل ثم جاؤا بابي الحسن بنحري غلام الاخشيد وعليه سيفه ومنطقته فاطمأنت نفسي قليلا وعلمت انا انما وقفنا في الغلط وبقي بنحري متعجبا بما نزل بالمتقي وقال : يا قوم كذا يجري على الخلفاء ! فقلت : لانهجب من هؤلاء الملائعين فانهم لو قدروا على أكثر من هذا لفعلوا . ولما حصل المتقي في أيديهم بعد ان قبضوا على جميع من قدروا عليه من أسبابه وقبض على أمه ووزيره ابن مقله والحرقى ومبشر ورائق الحادمين اغتفلوا في حزيرة بازاء السندية

واجتمعوا على كحله فحضرت حسن الشيرازية ومعه غلام لها سندی فقلت كحله بد غلامها السندی وذلك يوم السبت ثلاث لبال بقيت من صفر من السنة المقدم ذكرها ولم يزل المتقي بافيا الى أن توفي في خلافة المطيع في شعبان سنة ٣٥٠ وله سنون سنة

خصيصا بتوزون مستوليا عليه قال : كنت أنا السبب فيما جرى على المتقى
وذلك ان ابراهيم بن الربيع الديلمي لقيني يوما وسألني ان أصير الى دعوته
فاستأذنت توزون في ذلك فأذن لي فيه ووضيت اليه وهو ينزل في دار
القرار يبطى على دجلة فوجدت داره مفروشة مُضدّة فسألته عن السبب في
ذلك وقلت : أحسبك قد تزوّجت . فقال : انا احديثك عن امرى اعلم انى
خطبت الى قوم وتجمّلت عندهم بان ادعيت انى محلاً من الامير واختصاصاً
به فقالت لى المرأة : اذا كنت بهذه المنزلة فهل لك ان تسفر في شىء يجمع
صلاح الامير وصلاحك وصلاح المسلمين ؟ فقلت لها : نعم . قالت : هذا ^(١١٠)
الخليفة (يعنى المتقى لله) قد عاداكم وعاديتوه وكاشفكم وكاشفتوه وايس
يجوز ان تصفونيته لكم آخر الدهر وقد اجتهد في بواركم فلم يتم له فرة
بني حمدان ومرة ببني بويه وهاهنا رجل من ولد الخلافة من فهمه وعقله
ودينه ورجلته كيت وكيت تنصبونه في الخلافة وتزيلون المتقى لله وهو يثير
لكم أموالاً جليلاً لا يعرفها غيره ولا يقدر عليها سواه وتكونون انتم قد
استرحتم من عدو تريدون ان تحرسوه وتحرسون منه وتحافونه وبخافكم
وتقيمون رجلاً من قبلكم يرى انكم قد احسنتم اليه وان روحكم مقرونة
بروحه . وأطالت الكلام في هذا المعنى فهو ستنى ودار كلامها في نفسي
وعلمت ان محلي لا يبلغ الكلام في مثله والسفارة فيه وكرهت ان اكذب
نفسى عندها لما ادعيت من المحل والمنزلة فاطمعت في ذلك وعلمت ان هذا
الامر لا يتم الا بك ولا تقدر عليه غيرك وقد اطاعتك عليه فاي شىء اعزمك
ان تعمل ؟ فقلت : أريد ان اسمع كلام المرأة

فجاءني بامرأة تسكلم بالمرية والفارسية من أهل شیراز جزلة شهمة

فهمة فخطبتي بنحو ما خاطبني به الرجل فقلت لها : لا بد من أن ألقى
الرجل وأسمع كلامه . فقالت : تمود غداً الى ههنا حتى أجمع بينك وبينه .
فلما كان من غد عدتُ فوجدت الرجل قد أخرج^(١١١) من دار ابن
طاهر في زي امرأة وحصل في دار ابن الربند فلقيته وعرفني انه عبد
الله بن المكتفي بالله . وخاطبني رجل حصيف فهمُ ووجدته مع هذا
يتشيع ورأيت عارفاً بالمر الدنيا وضمن لي ستمائة الف دينار يستخرجها
ويُمنّي بها الامر ومائتي الف دينار للامير توزون وقال : أنا رجل فقير
وانما أعرف وجوه أموال لا يعرفها غيري وأعرف من ذخائر الخلافة في
يد قوم لا يعرفهم غيري . وكرراً^(١١٢) ان وجوهها صحيحة لاشك فيها ولا يقدر
غيره عليها فلما سمعت ذلك وعرفت صحته صرت الى توزون . وفكرت
في ان الامر لا يتم بي وحدي فلقيت في طريقي وأنا أصعد الى توزون أبا
عمران موسى بن سليمان في الحديدي الذي على باب توزون فاخذت بيده
واعزلنا . واستحلفته على كتمان ما أطلعته عليه فحلف ثم حدثته به كله
وسألته معاونتي على تمامه فقال : هذا أمر عظيم لا أدخل فيه . فلما أيسني
من نفسه سأله أن يُمسك ولا يمارضني فقال : افعل . فدخات الى توزون
وأدخلته الى حجرة وخلوت به واستحلفته بالمصحف وبإيمان مؤكدة ان
يكنم ما أحدثه به فحلف فلما حلف حدثته الحديث من أوله الى آخره
فوقع بقلبه وقال : صواب ولكني أريد ان أرى الرجل وأسمع كلامه .
فقلت : على ذلك ولكن ان أردت^(١١٣) تمام هذا الامر فلا تطمع عليه
أبا جعفر ابن شيرزاد فإنه يفثاً عزمك ويصرفك عنه . فقال : افعل . وبلغ

أبا جعفر خلوتى بالامير فاتهمنى انى سمعتُ عليه ومضيت الى القوم ووعدتهم بحضور الامير ايرى الرجل ويكون الاجتماع فى منزل موسى بن سايمان .
 (قال) وتشددنا فى الطوف بالليل فى دجلة فلما كان ليلة الاحد لاربعم عشرة خلت من صمبر وافى عبد الله بن المستكنى بالله الى دار موسى بن سليمان ولقيه توزون هناك وخاطبه وبايع له فى تلك الليلة وكنتمنا القصة .
 فلما وافى المتقى لله من الرقة ولقيه توزون وسلم عليه قلتُ لتوزون : عزمك على ما كننا انتمنا عليه صحيح ؟ فقال : بلى . قلت : فافعله الساعة فانه ان دخل داره بُمد عليك مرامه (قال) فوكل به وجرى ماجرى . وكانت المرأة التي سفرت فى هذا الامر المعروفة بحسن الشيرازية حمأة أبى أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي فلما تمت للمستكنى الخلافة غيرت اسمها وجعلته « علم » وصارت قهرمانة المستكنى واستوات على أمره كله ^(١)

(١) وفى حسن الشيرازية قال صاحب كتاب العيون :

فلما تمت للمستكنى الخلافة غيرت اسمها وجعلته علما وصارت قهرمانة للمستكنى واستوات على أمره كله وبعث عن ذخائر المتقى هي وابن سليمان الكاتب فقاظوا باكثرها وكان يحمل الى المستكنى من ذلك فوجه الى توزون سبعة جواهر فى قدّ واحد خاتمها ياقوت حمراء لم ير مثل ذلك الدر والخاتمة وقومت السبعة بمخمين ألف دينار فاخذها توزون بالقيمة من ماضن المستكنى . وصارت حسن تسكس منازل التجار والمستورين فتحوز ما يجده لنفسها وانبسط يدها حتى صارت تأخذ أموال الناس التي لا شبهة فيها (قال ذكا) : انحدر ابن شيرزاد الى دار توزون فاستغاث اليه خالق من تجار الكرخ وذكروا ان حسن القهرمانة كبست بعض التجار فأخذت منه متاعا كثيرا من بز وغيره ما قيمته ثلاثون ألف دينار فاحضرهم وسمع قولهم وقال : أنا أكفيكم هذا الامر . ودخل ابن شيرزاد الى توزون فقال له توزون : انحدر الى مولانا فذكره عني فانه قد اهدى الى البارحة ثيابا كثيرة فى نموت . فقال له ابن شيرزاد : ياسيدنا هذه ثياب التجار وأموالهم وعلى بابكم منهم خالق كثير يستغيثون ويذكرون انه أخذ من تاجر ما قيمته ثلاثون ألف

﴿ ذكر مصير الامير أبي الحسين الى ديالى ﴾

وقد كان قبل خلافة المستكفي صار الامير أبو الحسين أحمد بن بويه

ديناو . فواصلهم توزون الى حضرته وسمع كلامهم فلما تحقق عنده ما قالوا قال لابن شيرزاد : انحدر الى الخليفة من وقتك هذا وخذ هذه الثياب معك وقل له : اردد هذه الثياب على من أخذت منه فلا حاجة لي فيها وعرفه ان هذا قبيح واذا جرى على الناس مثله كان عظيما وقد كان ينبغي لمولانا لو جرى هذا من أحد منا ان يكون التكبر منه علينا واذا نظر غيره الى هذا الفعل يظهر من مولانا لم يعلم على ما يفعله . وقال : لا تزال من حضرته حتى يسلم الى التاجر ما أخذه منه . فانحدر ابن شيرزاد الى الدار وخطب المستكفي في أمر الثياب وردّها الى التاجر

قال ذكا : وكان قد التفت الى حسن نفر ممن كانوا معها على الاحوال القبيحة منهم المكنى بابي طلحة وسندي (كذا) وهو الذي كحل المني وقد ألبسهم سيوفا ومناطق وكانوا يدخلون الى المستكفي أى وقت أرادوا على الانفراد والحاجب ابن خاقان يستقل ولا يستخدم الا في وقت ينحدر توزون الى الدار وسائر الحجاب يتصرفون بين يدي حسن ولا يعضون بالحجاب فكانت تتولى عرض العلمان والحجاب والرجالة في قصر الخليفة في مجلس يقال له الحوادن لم يكن يصل اليه أحد الا وزير أو حاجب فانحرفت الهية بهذه المرأة وذهبت الرسوم التي كانت للخلافة وصارت الدار طريقا لكل من لم يرها وكان كل من وصل الى المستكفي أجلسه بين يديه

وقد المستكفي وزارته أبا الفرج السامري ولم يكن له من الوزارة الا اسمها والمدير ابن شيرزاد واستكتب أبا عبد الله بن سليمان على ما كان شرطه له وخلع على توزون ووضع على رأسه تاجا مرصعا بالجواهر وطوق وسور وجلس بين يدي المستكفي وانصرف بالخلع والتاج وحمل على فرس بؤكب ذهب مرصع بجوهر وخلع على ابن شيرزاد والقاضي ولما فعل ابن شيرزاد ما فعل من رد أموال التجار وثيابهم علم ان هذا يشتمد ويعظم على ابن سليمان ويسمى في افساد المستكفي فقال ابن شيرزاد لتوزون : ان هذا رجل سوء مزور محتمل لا يصلح ان يكون كاتباً للخليفة . فصرفه عن خدمة المستكفي وقبض عليه وعلى أخيه وابنه ونفذهم الى الشام واستكتب المستكفي الشيرازي زويج اينة حُسن

الى واسط وقت مصير توزون الى الموصل فلما صالح توزون ابن حمدان^(١١٣) وعاد الى الحضرة عمل على الانحذار لدفعه . فخرج في ذي القعدة من سنة اثنتين وثلاثين وورد عليه خبر الامير أبي الحسين ابن بويه بانه نزل بسبب بني كوما ولقيه جيش توزون وما زالت الحرب بينهما تسعة أيام في قباب حميد وهي في كل يوم على توزون يتأخر توزون الى خلف ويتقدم الامير أبو الحسين الى قدام الى ان بلغ توزون نهر ديبالي وعبره الى جانب بغداد وقطع الجسر الذي عليه وأقام . ووافاه أحمد بن بويه الى الجانب مقابل له وبينهما الماء فلما كان يوم الاحد لاربع خلون من ذي الحجة انصرف الامير أبو الحسين راجعا الى الاهواز

﴿ ذكر السبب في انصرافه مع استظهاره ﴾

﴿ وبعد ما هزم توزون ﴾

كان مع الامير أبي الحسين سواد عظيم وكراع كثير وجمال وافرة فكان اذا سار جعل سوادهُ بينه وبين دجلة وله خيمة تُضرب على رسم لهم فما دامت الخيمة منصوبة فالقتال واقع ومتى قُلت كان ذلك علامة الهزيمة . فلما كان يوم مسيره الى ديبالي أخذ السواد يسير على طول ديبالي واجتهد ان يضبطه ويستوقفه فلم يمكن ذلك . وأراد أن يضرب الخيمة على الرسم فلما تباعد الديلم وصار بين السواد والديلم فرجة دخل أصحاب توزون وأعرابه^(١١٤) بين السواد والديلم وأوقعوا بالسواد ولم يكن عنه دافع فدفت الضرورة الى ان ينصرف وصارت هزيمة . واضطر الديلم الى ان يستأنموا الى توزون لانهم رحالة فاستأنموا أكثرهم الى توزون وأخذ الامير على طريق بادرايا وباكسابا الى الاهواز . وقد كانت الميرة أيضا

ضاقت على الامير أبي الحسين حتى اضطر في الليلة التي انصرف فيها من غد الى ان ذبح خمسين جملا من جماله و فرق لحمها على أصحابه ورجاله وأخذ له بقر فذبحها ونهب في وقت هزيمة نهبا عظيما . واستؤسر من وجوه قواده سبعة عشر قائدا فيهم ابن الداعي العلوي^(١) وأسر أبو بكر ابن قرابة واستأمن من الديلم أكثر من ألف رجل . وأقام توزون وعواده الصرع يوم هزيمة الامير أبي الحسين وشغل بنفسه عن الطلب فعاد الى داره .

ونعود الى تمام خبر المستكنفي بالله . فقد وزارته أبا الفرج محمد بن علي السامري ولم يكن له من الوزارة الا اسمها والمدير للامور أبو جعفر ابن شيرزاد . وخلع على توزون وطوق ووضع على رأسه تاج مرصع بجوهر وجلس بين يدي المستكنفي بالله على كرسي وانصرف بالخلع والتاج والطوق والسوار الى منزله . وطلب المستكنفي بالله الفضل بن المقتدر طالبا شديدا فاستتر^(١٥) وأمر بهدم داره^(٢) وكان الفضل طول أيام المستكنفي بالله مستترا .

﴿شرح قصة أبي الحسين البريدي ووصيه الى بغداد واستأمن﴾

(الي توزون وما آل اليه أمره من القتل)

كناذ كرناحاله الى وقت خروجه الى بغداد ولما وصل الى بغداد ولقي توزون وأنزله أبو جعفر بالقرب من داره في دار طازاذ التي في قصر

(١) وابن الداعي هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن القاسم الزبيدي الحنفي وقام بالامر في سنة ٣٥٣ وابعاه الزيدية وتسمى المهدي لدين الله وتوفي سنة ٣٦٠ وردت ترجمته في كتاب عمدة الطالب (طبع بمكة ١٣١٨) ص ٦١ وفي نسبه الى عبيد الرحمن الشجري ليراجع ص ٦٩ . (٢) قال صاحب التمسكة : فلما هدم داره قال علي بن عيسى : اليوم بايع له بولاية المهدي

فرج على شاطئ دجلة . ثم شرع أبو الحسين في مسألة توزون ان يعاونه على فتح البصرة وضمن له اذا فتحها ان يحمل اليه مالا رغبة عن كثرة فكان يطعم في المال ويلبل بالمواعيد . وسأل ان يوصل الى المستكني بالله فوصل اليه مع توزون وابن شيرزاد نخل المستكني بالله عليه خلة الرضاء وانصرف الى منزله . وبلغ الخبر ابن أخيه أبا القاسم وان عمه يسعي في أمر البصرة فوجه بمن أصلح أمره مع توزون وابن شيرزاد وحمل مالا فأقر على عمله وأنفذ النخل اليه . ووقف عمه أبو الحسين على ذلك ويثس مما كان شرع فيه ولم يقطع توزون اطعامه فيه

﴿ ذكر الخبر عن قتل أبي الحسين البريدي ﴾

لما يئس أبو الحسين البريدي من معاونة تلحقه في فتح البصرة سعى أن يكتب لتوزون ويقبض على ابن شيرزاد وصح ذلك عند^(١١٦) ابن شيرزاد فاستوحش من أبي الحسين ومن توزون فجلس في منزله أياماً وما زال توزون يرأسه ويترضاه حتى كتب اليه وأخذ في التدبير عليه . فلما كان يوم السبت لست خلون من ذي الحجة أنفذ أبو العباس وكيله وصافي حاجب توزون الى أبي الحسين البريدي فقبضا عليه وأحدراه الى دار صافي وضرب هناك ليلة الاحد ضرباً عنيفاً وقيد وأحدر الى دار السلطان وبسط ابن شيرزاد لسانه فيه أقبح بسط وذاكر مآياه وذاكر بذنوبه . وكان أبو عبد الله محمد ابن أبي موسى الهاشمي أخذ في أيام ناصر الدولة فتوي الفقهاء والقضاة بأحلال دمه فظهرها في هذا الوقت فلما كان بعد اسبوع من القبض عليه استحضر الفقهاء والقضاة وأحضر أبو الحسين البريدي وجمعوا بين يدي المستكني بالله وأحضر السيف والنطع ووقف السياف بيده السيف وحضر

ابن أبي موسى الهاشمي ووقف فقراً ما أفتى به واحد واحد من اباحه دمه على رؤس الاشهاد وكلماً قرأ فتوى واحد منهم سأله هل هي فتواه فيعترف بها حتى أتى على جماعتهم وأبو الحسين البريدي يسمع ذلك كله ويراه ورأسه مشدود والسيف مسلول بأزائه في يد السياف فلما اعترف القضاة والفقهاء بالفتوى أمر المستكفي^(١) بالله بضرب عنقه فضربت من غير أن يحتاج لنفسه بشيء أو يعاود بكلمة أو ينطق بحرف وأخذ رأسه وطيفه في جانبي بغداد ورد الى دار السلطان وصابت جثته^(٢) حيث كان حديدية مشدوداً فيه لما ظهر بدار السلطان فبقي مملوفاً هناك أياماً . ثم قرأت صكا على الجهبذ ثمن بواري ونفط اشترت بتسعة دراهم لاحتراق جثته فأحرقت للنصف من ذي الحجة^(٣)

وقبض على الوزير أبي الفرج السامري وصودر على ثلاثمائة ألف درهم فكانت مدة وقوع اسم الوزارة عليه اثنتين وأربعين يوماً . وفي هذه السنة طالب المستكفي بالله القاهر بأن يخرج من دار السلطان ويرجع الى دار ابن طاهر فامتنع فسأل فيه أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن وهو يومئذ يكتب للمستكفي بالله على خاص أموره ورنق بالقاهر وضمن

(١) زاد صاحب التكملة : على باب الخاصة على دجلة : وقال أيضا : فكان هذا خاتمة أمور الثلاثة وعني ما ارتكبوا من الظلم وأهله ومن البلاء كله . وقال أيضا أنه أطلق بوژون أبا الحسين ابن مقلة بعد أن صاخره على ثلاثين ألف دينار

(٢) ليراجع مقال ابن حمدون في تذكرته في الباب السابع والاربعين في أنواع السبر والاخبار وعجائبها : وجد في بعض الاوارجات السلطانية : وما حمل الى أبي الفضل جعفر بن يحيى (يعني البرمكي) أعزه الله هدية السرور من المين الطري مائة ألف دينار . وفي آخر الحساب : وما أخرج ثمن النفط والبواري والخطب لاحتراق جثة جعفر بن يحيى بضعة عشر درهما

أن ينزله عنده ولا يردّه الى دار ابن طاهر . قال أبو أحمد : فلما قلت له ذلك استجاب بعد أن سألتني عن « نزل في أي جانب هو قفلت » في الشرق ناحية سوق يحيى » فسكنت نفسه الى ذلك واستجاب حينئذ وأنزلت به الى طيارى بمدا ان غيرت زبّه فاني وجدته ملتصقا في قطن محشوّ جبة وفي رجله نعل خشب مربعة فلما حصل في الطيار عبرت به ^(١١٨) من ازاء دارى وأومأت الى الملاحين ايماء من غير أن أنطق بحرف فلما وضع صدر الطيار للعبور فطن وقال « هو ذا يعبر بي الى دار ابن طاهر » وأراد أن يرى بنفسه الى الماء فتقدمت الى غلاني بضبطه فضبطوه الى أن أصعدت به الى داره من دار ابن طاهر فاقام فيها مدة ثم خرج في يوم جمعة الى المسجد الجامع في مدينة المنصور واخذ في أن يتصدق فرآه ابو عبد الله ابن ابى موسى الهاشمى فتمعه من ذلك واعطاه خمسمائة درهم وردّه الى داره

وفي هذه السنة ورد الخبر بأن قوما يعرفون بالروس يكونون وراء بلدان الخزر خرجوا الى آذربيجان وملكوا برذعة . وهم قوم لا دين لهم وانما طلبوا الملك وليس يعرفون الهزيمة وسلاحهم وزينهم تشبه سلاح الديلم وفيهم قوة شديدة ولهم أبدان عظام . ثم أوقع بهم المسلمون فلم يبق منهم كبير أحد . وكان للمرزبان بن محمد بن مسافر في ذلك أثر كبير وعناء عظيم وقد ذكرناه في موضعه .

(ودخلت سنة اربع وثلاثين وثلثمائة)

وفي المحرم منها مات توزون في داره ببغداد فكانت مدة امارته سنتين وأربعة أشهر وسبعة عشر يوماً ومدة كتابة ابن شيرزاد له سنتان وستة عشر يوماً . وورد الخبر على ابن شيرزاد وهو بهيت ^(١١٩) وكان خرج اليها

لموافقة ابى المرجى ابن فيان على مال ضمانه وكان قد آخره وطمع في ناحيته يموت توزون^(١) واضطرب العسكر ثم اجتمعوا على عقد الرياسة لابن شيرزاد . وكان أبو جعفر قد عزم على عقد الامر لناصر الدولة فانحدر ابن شيرزاد فلما وصل الي باب حرب وذلك في مستهل صفر أقام هناك في معسكره وخرج اليه الاتراك والديلم وانفذ اليه المستكفي بالله خلع ثياب بياض وحمل اليه طعاماً عدة أيام

فلما كان يوم الجمعة لليلتين خلتا من صفر أجمع الجيش بأسره على عقد الرياسة له وحلفوا له وأخذ البيعة عليهم لنفسه وحبوه بالريحان على رسم المعجم . ووجه ابن شيرزاد الي المستكفي بالله يسأله ان يحلف له يميناً بحضرة القضاة والعدول تسكن نفسه اليها ففعل المستكفي ذلك ثم سأله إعادة اليمين بحضرة وجوه الاتراك والديلم فاشتد ذلك عليه ثم فعله . فدخل ابن

(١) قال صاحب التكملة : فصالحه ابو المرجا عمرو بن كلثوم مقدمها على ثمانمائة الف وخمسين الف درهم يقسطها على اهل البلد واقام (ابن شيرزاد) لاخذها . وقال ايضا في ترجمة السنة المتقدمة : واخذ ابن شيرزاد خطوط الناس بمال الضمان فدخل اليه ابو القاسم عيسى بن علي بن عيسى فقال له : اكتب عن والدك بالف دينار . فكتب ومضى الي ابيه فادى خمسمائة وركب الي ابن شيرزاد فخرج اليه ابو زكرياء السوسي وطازاذ معتذرين فقال علي بن عيسى : اني اريد ان اقامه ولا أخاطبه في البقية . ففضيا وعادا اليه وقالاه انه يستحي من لفائفه فانصرف علي بن عيسى كثيراً من العزلة اكثر من كآبته بانصرم وقال ايضا : خرج تكيين الشيرزادى صاحب توزون الي جزيرة بني غبر وعاد الي جسر سابور وامر اصحابه بالتقدم الي واسط واجلس في بيتان يشرب فأحاط به عسكر البربدى فأمره وحملوه الي البصرة . وفي رجب دخل ابو جعفر الصيرى واسط ودخلها معز الدولة ولما علم انحدار توزون اليه كنى بالله وانصرف عنها وراى توزون البربدى فأطلق تكيينا وضمنه واسطاً واصعد المستكفي وتوزون (الي) بغداد

شيرزاد من مُعسكره على الظهر بتعمية الى دار السلطان ووصل الى الخليفة
وانصرف مُكرِّمًا

وزاد ابن شيرزاد الاتراك والديلم في ارزاتهم زيادات كثيرة فاشتدت
الاضافة فأنفذ الى ناصر الدولة يطالبه بحمل المال ويطمعه في رد الامارة
اليه فحمل اليه ^(١٢٠) دقيماً وسفاتيخ بخمسمائة الف درهم فلم يكن لها موقع
مع الاضافة فتقض ما عزم عليه من عند الامارة لناصر الدولة وأقام على أمره
وفلج أبا السائب القاضي مدينة المنصور وقلد جماعة القضاة في نواحي بغداد ^(١)
وأخذ في المصادرات وقسط على الكتّاب والعُمال والتجار وسائر طبقات
الناس ببغداد مالا لارزاق الجند . وكان القمازون يغمزون بمن عنده قوت
من حنطة أو عدة لعياله فكبسه واخذه وكان قد انتصب للغمز بذلك وغيره
وبمن يرمق بنعمة رجلان من السعاة يعرفان بهاروت وماروت فكانا يصلان
الي ابن شيرزاد في الاسحار والخلوات ويمضيان أيضا الي دار المستكني بالله
فلحق الناس منهما أمر عظيم وكذلك من الضرائب فانها كثرت حتى تهارب
التجار من بغداد وعاد هذا الفعل بالخراب ^(٢) وفاد الامر وزيادة الاضافة

(١) زاد صاحب التكملة وقبض المستكني علي القاضي ابن ابي الشوارب ونفاه الى
سر من رأى وقسم أعماله فولى الشرقية اباطاهر محمد ابن احمد بن نصر وولى المدينة
ابا السائب شبة بن عبيد الله وكان الى ابي عبد الله ابن ابي موسى الهاشمي القضاء بالجانب
الشرقي فدخل عليه المنصور في شهر ربيع الآخر فاخذوا أمواله وقتلوه فولى
ابو السائب مكانه

(٢) زاد صاحب التكملة : واقطع الجلب . وقال ايضا : وورد الخبر بوقوع الصلح
بين سيف الدولة والاخشيد وسلم اليه سيف الدولة حلما وانطاكية فتزوج ابنة اخيه
عبيد الله بن طنج وتوسط بذلك الحسن بن طاهر الملوي . وورد الخبر بموت ابي عبدالله
الكوفي بجلب وقد تقدمت اخباره .

فاختيج الي مصادرة ابن عبد العزيز الهاشمي واخوته . وكثرت كبسات اللصوص فكان اذا ظهر السلطان بلص قتلته العامة قبل ان يصل الي الوالي .

وقلد أبو جعفر ابن شيرزاد ينال كوشه اعمال المعاون بواسطه والفتح للشكري أعمال المعاون بتكريت فاما الفتح للشكري فانه خرج الي عماله بتكريت فلما وصل اليها (١٢١) امتد الي ناصر الدولة بالموصل فقبله وأكرمه وقلده تكريت من قبله وردّه اليها . وأما ينال كوشه فكاتب الامير أبا الحسين ابن بويه

وأخرج ابن شيرزاد تكين الشيرزادي الي الجبل فهزمه أصحاب أبي علي ابن محتاج وانصرف الي بغداد

(ذكر الخبر عن مسير أبي الحسين أحمد بن بويه الي بغداد)

ورد الخبر بدخول ينال كوشه في طاعة الامير أبي الحسين أحمد بن بويه وان الامير قد تحرك من الاهواز يريد الحضرة فاضطرب الاتراك والديلم ببغداد وأخرجوا مضاربهم الي المصلي وعسكروا هناك وأخرج أبو جعفر مضربه معهم . ثم ورد الخبر بنزول الامير أبي الحسين أحمد بن بويه باجسري فزاد الاضطراب ببغداد واستتر ابن شيرزاد واستتر المستكني بالله فكانت اماره ابن شيرزاد ثلاثة أشهر وعشرين يوما . فلما وقف الاتراك على استتارهما عبروا الي الجانب الغربي وساروا الي الموصل فلما سار الاتراك ظهر المستكني بالله وعاد الي دار الخلافة

وورد أبو محمد الحسن بن محمد المهدي (١) صاحب الامير أبي الحسين

أحمد بن بويه ولقى ابن شيرزاد حيث هو مستتر وفاوضه ثم انحدر الى دار السلطان واتي^(١٢٢) المستكني بالله فظهر المستكني بالله سروراً بموافاة الامير أبي الحسين أحمد بن بويه وأعلمه أنه انما استتر من الاتراك لينحل أمرهم فيحصل الامر للامير أحمد بن بويه بلا كلفة . فلما كان يوم السبت لاحدى محشرة ليلة خلت من جمادي الآخرة نزل الامير ابو الحسن في معسكره بباب الشامية ووصل الى المستكني بالله ووقف بين يديه طويلاً وأخذت عليه البيعة للمستكني بالله واستخلف له باغلظ الايمان وادخل في اليمين الصيانة لابني أحمد الشيرازي كاتبه ولعلم قهر ماتبه ولأبي عبد الله ابن ام موسى وللقاضي ابي السائب ولأبي العباس أحمد بن خاقان الحاجب ووقعت الشهادة على المستكني بالله وعلى الامير ابي الحسين فلما فرغ من اليمين سأل الامير ابو الحسين المستكني بالله في أمر ابن شيرزاد واستأذنه في ان يستكتبه فأمنه واذن له في ذلك . ثم لبس الامير الخلع وكفى ولقب بمعز الدولة ولقب أخوه أبو الحسن على بن بويه بمعاد الدولة وأخوه أبو على الحسن بن بويه بركن الدولة وأمر ان تضرب القابهم وكناهم على الدنانير والدرهم وانصرف بالخلع الى دار مونس^(١) ونزل الديلم والجبل والاتراك دور الناس فلحق الناس من ذلك شدة عظيمة وصار رسماً عليهم الى اليوم^(١٢٣)

(ذكر كتابة ابن شيرزاد لمعز الدولة أبي الحسين)

ظهر أبو جعفر ابن شيرزاد من استناره ولقى معز الدولة ودبر أمر الخراج وجباية الاموال . وقبض الامير أبو الحسين على أبي عبد الله الحسين بن على بن مقله وذلك لوصول رقعة له اليه يطلب فيها مكان ابن شيرزاد

(١) زاد فيه صاحب التكملة : ومن جملة دار مونس المدرسة النظامية .

﴿ ذكر الخبر عن قبض معز الدولة على المستكفي بالله ﴾

كان السبب الظاهر أن علماً فهرماته دعت دعوة عظيمة حضرها جماعة من قواد الديلم فاتهمها الأمير معز الدولة أنها فعلت ذلك لتأخذ عليهم البيعة للمستكفي بالله وأن ينقضوا رئاسة معز الدولة عليهم ويطيعوه دونة فسأه ظنه لذلك ولما رأى من جسارتها واقدامها على قلب الدول . تم قبض المستكفي بالله على الشافعي رئيس الشيعة من باب الطاق فشفع فيه اصفه دوست فلم يُشَفِّه فاحفظه ذلك وذهب الي معز الدولة وقال : راسني الخليفة في ان القاه متكرراً في خوف وازار . فتتج من ذلك وغيره مما لم يظهر خلعه من الخلافة فلما ان كان يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة انحدر الأمير معز الدولة الى دار السلطان وانحدر الناس على رسمهم فلما جلس المستكفي بالله على سريره ووقف الناس على مراتبهم دخل أبو جعفر الصيمري وأبو جعفر ابن شيرزاد^(١٢٤) فوقفا في مرتبتهما ودخل الأمير معز الدولة فقبل الارض على رسمه ثم قبل يد المستكفي بالله ووقف بين يديه يحدته ثم جلس على كرسي وأذن لرسول كان ورد من خراسان ورسول ورد من أبي القاسم البريدي فتقدم نسان من الديلم فمدا أيديهما الى المستكفي بالله وعلا صوتهما فارسية فظن أنهما يريدان تقبيل يده فمدها اليهما فجذباه بها وطرحاه الى الارض ووضعاه عمامته في عنقه وجراهُ . فنهض حينئذ معز الدولة واضطرب الناس وارتفعت الزعقات وقبض الديلم على أبي أحمد الشيرازي وعلى ابن أبي موسى الهاشمي ودخلوا الى دار الحرم فقبضوا على علم القهرمانة وابنتها وثبادر الناس الى اليباب من

الروشن فجرى أمر عظيم من الضغط والنهب^(١)
وساق الديلمان المستكنى بالله ماشيا الى دار معز الدولة واعتقل فيها
ونهبت دار السلطان حتى لم يبق فيها شيء وانقضت أيام خلافة المستكنى بالله
وأحضر معز الدولة أبا القاسم الفضل بن المقتدر بالله الى دار الخلافة
في يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٣٤ وخوطف بالخلافة
وبويع له ولقب المطيع لله^(٢)

﴿ ذكر خلافة المطيع لله وما جرى عليه من الامور^(٣) ﴾

وقام له ابن شيرزاد في تدبير الامور والاعمال بمقام الوزراء من غير
تسمية بوزارة واستخلف على كتابته على خاص أمره أبا الحسن طازاذ بن
عيسى واستحجب المطيع لله أبا العباس ابن خاقان . وأقام له الامير معز الدولة
لنفته كل يوم الف درهم وكتب بخبر تقلده الخلافة الى الآفاق

(١) وروى صاحب التكملة : قال ابن البهلول : كنا اذا كلمنا المستكنى وجدنا كلامه
كلام العيارين وكان جلدا بعيد الغدر والحيلة وكان يلعب قبل الخلافة بالطور ويرمي
بالبنديق ويخرج الى البساتين للفرجة واللاعب وكان لا ينفق عليه من الجوارى غير السودان
ولا يماشر غير الرجال وعزم معز الدولة على ان يبايع ابا الحسن محمد بن يحيى الزيدى
العلوى فنهه "صيمري" من ذلك وقال : اذا بايعته استنفر عليك اهل خراسان وعوام البلدان
وطاعه الديلم ورفضوك وقبلوا أمره فيك وبنو العباس قوم منصورون تعمل دولتهم مرة
وتصح مرارا وتمرض ثارة وتستقل اطوارا لان اصحابها ثابت وبنائها راسخ . فعزل معز
الدولة عن تمويله . ولما الزيدى العلوى قال راجع انه الزاصر لدين الله ابو الحسن احمد بن
يحيى الهادى ولكن يروى انه توفي سنة ٣٢٥ وان مدة ظهوره نحو ثلاث عشرة سنة .

(٢) قال صاحب كتاب العيون : وأمه أم ولد صفلية واسمها مشغلة وتعرف بالصقارة
(وكان العباس بن الحسن اهداها الى المقتدر) وتأخذ من ورق السوسن أو غيره الثني
اليسير وتجمله في قفها وتصفر به صغيرا لم يسمع بمثله تحكى به كل طائر وغيره

وتم الصالح بين الامير معز الدولة وبين أبي القاسم البريدي وتسلم ابن البريدي واسطا وضمن البقايا بها بالف ألف وستمائة ألف درهم واستخلف بالحضرة أبا القاسم عيسى بن علي بن عيسى

وطلب الامير معز الدولة ابن شيرزاد برهينة لانه تبين منته تليحاً في أمر المال ولم يأمن ان يهرب واضطرب أبو جعفر وسأل الامير أن يقرضه ما يمشی به أمره فدفع اليه عدة من مراكب ذهب وفضة على ان يرد مكانها فتسلم أبو جعفر ذلك وسلم أخاه أبا الحسن زكريا رهينة .

وكان وصف للامير معز الدولة كفاية أبي الفرج ابن أبي هشام وشهامته فأوصله الى حضرة وأنس به ولطف محله ورد اليه أمر الضياع الخراب بالسواد وكافه عمارتها . قال ثابت : وأخبرني أبو الفرج انه قال لمعز الدولة : لججت أيها الامير في أمر أبي جعفر ابن شيرزاد ^(١٢٦) في أن يكتب لك وراجعت الخليفة المستكني بالله دفعات حتى ^(١) أذن بأن تستكتبه لك ليس هذا لرغبة في صناعته فانه ما كان صانعا أمر كتاب الرسائل وأمر كتاب الخراج وانما ولي ديوان النفقات مرة وكتب لابن الخال وكان إمرأ متوسطا وما عدّه كتاب الحضرة وأصحاب دواوينهم في النكفاة وأهل الصناعة (قال)

(١) قال فيه صاحب النكفة . ولما استولى ابن شيرزاد على الامور قل أبو الفرج ابن (أبي) هشام : بأي شيء تفق عليك ؟ وما يصلح لكتابة الانشاء ولا لجاية الخراج وانما تولى ديوان النفقات وكتب لابن الخال مرة وقد سألك المستكني عزله بعد ان سألك فيه فلم تجب . فقال : لما رأيت عظم لحينه الخ

وقال أيضا . وصرف ابن نصر عن القضاء بالجانب الغربي وأعاد ابن أبي الشوارب . وصار ابن شيرزاد ابن أبي موسي ويقيم القهرمانة على أربعين ألف دينار وقطع لسانها وصلها الى المطبع لله . ولم يمرض أبا أحمد الشيرازي لقديم مودته

فقال : أنت صادق فاني ما سألتُ عنه أحداً فقال فيه الا مثل قولك ولما رأيت لحية قلت « هذا بأن يكون قطاناً أولى منه ان يكون كاتباً » ولكن وجدته وقد تقلد الامارة ببغداد واستولى على الخلافة وصار لي نظيرا وليلوك الاطراف وتصوره الرجال بصورة من يصلح أن يرؤسهم ومن يعقدون له على نفوسهم فاردت أن أحطه من هذه الحال الي ان اجعله كاتباً لعلام لي أو عاملا على بلد .

وكان الامير معز الدولة قد أخرج موسى فياذه وينال كوشه في يوم الجمعة لتسع بقين من رجب الي عكبرا مقدمة له الي الموصل فلما سارا أوقع ينال كوشه وابن البارد بموسى فياذه وأخذوا سواده ومضوا الي ناصر الدولة

وفي يوم الاثنين لتسع خلون من شعبان استتر أبو جعفر ابن شيرزاد وأسلم أخاه أبا الحسن زكرياء ^(١٢٧)

ونزل ناصر الدولة ومعه الاتراك بسر من رأى لا ربيع بقين من شعبان وابتدأت الحرب بينه وبين أصحاب معز الدولة بعكبرا وبسار معز الدولة يوم الخميس لاربع خلون من شهر رمضان ومعه الخليفة المطيع لله الي عكبرا . وظهر أبو جعفر ابن شيرزاد ومضي فتلقى أبا المطاف جبير بن عبدالله بن حمدان أخا ناصر الدولة فانه وافى بغداد ونزل باب قطربل فنزل معه أبو جعفر ابن شيرزاد ولؤلؤ وجماعة من العجم . ولقيه أهل بغداد ودبر الامور أبو جعفر ابن شيرزاد من قبل ناصر الدولة والحرب متصلة بين معز الدولة وناصر الدولة بسر من رأى ونواحيها .

فلما كان يوم الاربعاء لعشر خلون من شهر رمضان وافى ناصر الدولة الي بغداد

فنزّل في الجانب الغربي أسفل قطر بل بعد أن أحرق خزائن نفسه وأصحابه التي في الزواريق لظهور الديلم عليه وخلف أبا عبد الله الحسين بن حمدان في الحرب . ثم عبر أصحاب معز الدولة الديلم من الجانب الشرقي من سر من رأى إلى الجانب الغربي من دجلة وساروا إلى تكريت ونهبوها ثم صار بعضهم إلى سر من رأى ونهبوها ثم دبر جميعهم مع معز الدولة إلى الجانب الغربي من دجلة والخليفة معهم وساروا منحدريّن إلى بغداد وبازأهم أبو عبد الله الحسين ابن سعيد والأتراك في الجانب الشرقي . فلما حصل معز الدولة ^(١٢٨) في الجانب الغربي عبر ناصر الدولة إلى الشرق ونزل في رقة الشماسية واجتمع مع الأتراك وما خطب ناصر الدولة للمطيع لله ولا ذكر اسمه ولا كنيته في الخطب . وفي يوم الأحد لليلتين بقيتا من شهر رمضان أوقع أبو عبد الله الحسين بن سعيد بمسكرو معز الدولة في الماء ففرق منهم وملك آلات الماء التي كانت معهم

ولما كان يوم الخميس لليلتين خلّتا من شوال وجّه ناصر الدولة بخمسين رجلا من الديلم الذين كانوا في جملة إلى الجانب الغربي من بغداد في جملة الجيش الذين عبر بهم لمحاربة معز الدولة . فلما صاروا على الخندق الذي في قطعة أم جعفر وخطبوا الديلم الذين مع معز الدولة أوهموا جيش ناصر الدولة الذين كانوا معهم أن جماعة من ديالة معز الدولة يريدون أن يعبروا الخندق ليستأنموا إلى ناصر الدولة فافرجوا لهم عن الخندق حتى عبروه وقلبوا ترابهم على جيش ناصر الدولة وحاربوه وأوقعوا به فانهزم أصحاب ناصر الدولة بأسره ^(١) . وحصل القرامطة من أصحاب ناصر الدولة وتبكين

الشيرزادى وغيره من قواده محدقين بمسكر معز الدولة فى الجانب الغربى فلم يكن يتقدر معز الدولة على تناول شىء من علف ولا غيره فلقق أهل الجانب الغربى غلاء شديد وعدموا^(١٢٩) الاقوات . وكان أبو جعفر الصيمرى لتشاغله بأمر الحرب قد رد خدمة معز الدولة والقيام بما يحتاج اليه هو وحاشيته وأسبابه الى أبي على الحسن بن هرون فحدثني أبو على هذا انه اشترى للامير معز الدولة كرك دقيق حواري بعشرين الف درهم^(١) وتغذر على الناس العبور من الجانب الغربى الى الشرق ومن الشرق الى الغربى لمنع ناصر الدولة من ذلك ولحق الناس فى السواد من الجانبين ضرر عظيم بتسلط الجند على غلاتهم فانهم كانوا يحصدونها ويدرسونها ويحملونها الى معسكرهم . وكان التسعر فى الجانب الشرق خمسة أرتال تخبز بدرهم لورود الزوازيق من الموصل بالدقيق وبقي السعر فى الجانب الغربى غاليا بعد ادراك الغلات لما ذكرنا فكان الزطل الواحد من الخبز بدرهم وربيع اذا وجد وذلك لمنع ناصر الدولة ما يرد من الموصل ان يصل الى الجانب الغربى ولان اعرابه منتشرون فى الجانب الغربى يحولون بين أصحاب معز الدولة وبين الغلات . وضرب ناصر الدولة دنانير ودرهم بسكة سنة ٣٣١ باسم المتقي لله وناصر الدولة وسيف الدولة .

واستعان ابن شيرزاد بالعامية والعيارين من بغداد^(١٣٠) على حرب معز الدولة والدبلم وفرض قوما منهم^(٢) وكان يركب كل يوم فى الماء ومعه

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : قلت الكر سبعة عشر فنظارا بالدمشقي لان الكر أربع وثلاثون كارة والكرارة خمسون رطلا بالدمشقي

(٢) قال صاحب التكملة : وكان ابن شيرزاد قد أثبت ختما من العيادين ليحاربوا

عدة زبازب فيها أتراك فينحدر ويُصعد في دجلة ويرى من على الشطوط في الجانب الغربي من الديلم بالنشاب وكان ناصر الدولة عبر بصافي التوزوي في الف رجل لكبس معز الدولة وعسكره فلقمه اصفهدوست وأبو جعفر الصيمري فهزماه . فكان جعفر بن ورقاء يقول وكان معهما : كنت أسمع ان رجلا واحدا يني بالف رجل فلا أصدق حتى شاهدت اصفهدوست وجملةً وهزيمة صافي وزمرته فصدقت بذلك .

وكان معز الدولة بنى زبازب في قطعة أم جعفر وعددها نيف وخمسون فخرجت يوم الاربعاء لثلاث بقين من ذى الحجة الى دجلة وكان ثلمان معز الدولة يحاربون فيها من في زبازب ناصر الدولة من أصحابه وذكروا أبو جعفر الصيمري ان الجهد كان قد بلغ منهم والحيل قد أعينهم وضاق بهم الامر حتى عزم معز الدولة على الرحيل الى الأهوار وحمل أثقاله وقال : ترون في طريقنا العبور فان أمكننا حيلة فيه والا جعلنا وجهنا الى الأهواز . وتبين ان عبر الصيمري واصفهدوست وبهما تسمة نهر في سحر يوم السبت انسلاخ ذى الحجة الى الجزيرة ^(١٣١) التي بأزاء المحرم وأرادوا العبور منها الى الجانب الشرقي فعارضهم ينال كوشه معارضة يسيرة وتبين لهم العبور وتبعهم أصحابهم فعبروا

﴿ ذكر الحيلة التي تم بها عبورهم ﴾

كان معز الدولة رتب هذه المعابر في العسرة ثم حذرهما في الليل على شاطئ دجلة الى موضع الثمازين لانه أضيق موضع في دجلة ووافق وزره

مع ناصر الدولة (نظفر) بكافور خادم معز الدولة فشهره . فظفر معز الدولة بابي الجلس ابن شيرزاد نصابة حيا فطرق أبو جعفر الخادم فحفظ معز الدولة أخاه .

الصيمرى واصفهدوست وخواص ديلمه على العبور وأظهر هو انه يدبر من
أعلى قطرل . ففضى بالليل في وقت موافقتهم وضرب البوقات وسار
بالمشاعل وحمل بعض تلك المعابر بالأوهاق على الظهر . فلما رأى أعداءه
ذلك سار أكثرهم بازائه لممانفته فتمكن الصيمرى ومن معه من العبور
وكان الصيمرى أول من بذل نفسه لان أصحابه تهيّبوا العبور فلما سبقتهم
أنفوا وتبعوه . ثم عاد معز الدولة الى هذا الموضع وقد أحس القوم بحيلته
فكاثروا بالزبابزب ومنعواهم من العبور وغرقوا ركوتين واشتدت الحرب
وانهزم الاتراك . وكان يال كرشه قد شرب ليلته ولما حصل جماعة من
الديلم في الجانب الشرقى زعقوا بينال كوشه فانهزم وفضى أصحابه الى
باب الشماسية . (١٣٢) واضطرب عسكر ناصر الدولة فوجه ابن شيرزاد الى
ناصر الدولة : ان الصواب ان تترك لتلقى من عبر من الديلم . فرد عليه في
الجواب : ان العادة قد جرت بانى اذا ركبت انهزم الناس . وان الصواب ان
يركب هو فركب أبو جعفر ورأى الناس قد ركب بعضهم بعضا وليس
يلوى أحد على أحد ولا يقف فانهزم هو أيضا معهم وانهزم ناصر الدولة
وملك الديلم الجانب الشرقى وأحرقوا ونهبوا وقتل من العامة جماعة ومات
منهم عدد كثير من رجال ونساء وصبيان لان الخوف حملهم على الحرب لما
كانوا قدّموه الى الديلم من الشتم والحرب في أيام الفتنة فخرجوا حفاة في
الحر الشديد ومشوا الى عكبرا فأتوا في الطريق (١٣٣) وجى معز الدولة على

(١) زاد صاحب التكملة : قال بعضهم : رأيت امرأة تقول : انا بنت ابن قرابة

ومعى حلى وجواهر تزيد على الف دينار فن يأخذها ويسقي شربة ماء ؟ فما أجابها
أحد ومات وما قتها أحد لشغل كل انبان بنفسه

عادته في الرأفة فامر برفع السيف والكف عن النهب وأمن الناس وملك الجانبين . ولما منعهم معز الدولة ونادى بالكف لم ينتهوا ولا كانت له قدرة على منعهم حتى ركب الصيمري فقتل جماعة وصلب بعض غلمان الديلم وواصل الطوف والحماية بنفسه حتى أمكنه تسكين الجند وحزر ما انتهب فيكلن بمقداره عشرة آلاف ألف دينار وذلك ان القصد وقع على مواضع التجار وحيث الاموال والامتنعة .

ومضى ناصر الدولة وابن شيرزاد والاتراك^(١٣٣) التوزونية مصعدين الى عكبرا فلما استقروا بها راسل ناصر الدولة الامير معز الدولة يلتصق الصلح^(١) في آخر المحرم سنة ٣٣٥ وكان ناصر الدولة فعل ذلك بغير علم الاتراك فلما وقفوا على ذلك أرادوا الوثوب به وهموا به فزقي اليه الخبر وصبح عنده ما عزموا عليه فهرب منهم ومضى مغدا مسرعان نحو الموصل وتركهم . وكتب معز الدولة بالفتح عن المطيع لله كتابا نفذ الى الامير عماد الدولة والى سائر الاطراف .

﴿ حيلة غريبة يذبح ان يحتز من مثلها ﴾

ومن أطرف الامور وأعجبها ان رجلا قصد مضرب ناصر الدولة وهو بباب الشماسية بازاء معسكر معز الدولة فدخله بالليل ودخل خيمته وهو نائم فيها ولم يشعر به الحراس ولا الحجاب ولا البوابون ولا الخدم ومضى حتى عرف موضعه وشاهده وهو نائم وعرف موضع رأسه من الخنقة ورجع ليطنء السراج وشمعة كانت بقربه خارج الخيمة فيعود فيضع السكين في موضع حلقه . فاتفق ان اتلب ناصر الدولة في تومه ولما رجع

الرجل لاطفاء الشمعة من جنب الى جنب فاطفاً الرجل الشمعة. وعلا وقد
 أظلم الموضع فوضع سكينة في الموضع الذي كان فيه تقديره وما شك أن
 السكين تقع في حلقة^(١٣٤) فبقي السكين مغرراً في الخدة. مكان رأس ناصر
 الدولة وعند الرجل انه قد قتله وخرج من المضرب ولم يعلم به أحد
 وانتبه ناصر الدولة ورأى السكين وطلب الرجل فلم يأتق وشاع الخبر
 فصار الناس الى ناصر الدولة للتهنئة بالسلامة. ومضى الرجل الى معز
 الدولة ليشره بأنه قد قتله واستشرحه ما عمل فشرحه له فقال معز الدولة :
 مثل هذا لا يؤمن . وسلمه الى الصيمري ليحبسه فقتله الصيمري

وفي هذه السنة أفرط الغلاء حتى عدم الناس الخبز البتة وأكل الناس
 الموتى والحشيش والميتة والجيف وكانت الدابة اذا راثت اجتمع على الروث
 جماعة ففتشوه ولقطوا ما يجدون فيه من شعير وأكلوه وكان يؤخذ بزر
 قطونا ويضرب بالماء ويُسقط على طابق حديد ويجعل على النار حتى تحب
 ويؤكل ولحق الناس من ذلك في أحشائهم أورام ومات أكثرهم وبين
 بقي كان في صورة الموتى . وكان الرجل والمرأة والصبي يقف على ظهر
 الطريق وهو تالف ضراً فيصيح الجوع الجوع الى أن يسقط ويموت وكان
 الانسان اذا وجد اليسير من الخبز ستره تحت ثيابه والآن استلب منه ولكثرة
 الموتى وانه لم يكن يلتحق دفنهم كانت الكلاب تأكل لحومهم^(١٣٥) وخرج
 الضعفى الى البصرة خروجا مقرطاً متابعين لا كل التمر فلف أكثرهم في
 الطريق ومن وصل منهم مات بعد مديدة . ووجدت امرأة هاشمية قد
 سرقت صبياً فشوته وهو حي في تنور فأكلت بعضه وظفرها وهي
 تأكل البعض الباقي فضربت عنقها . وكانت الدور والعقارب تباع

برغقان ويأخذ الدلال بحق دلالاته بعض ذلك الخبز . ووجدت امرأة أخرى تقتل الصبيان وتأكلهم ثم فشا ذلك فقتلت عدة منهم . ولما زالت الفتنة ودخلت الفلات الجديدة المحل السر

ولما استتر ابن شيرزاد نظر أبو جعفر فيما كان ينظر فيه ابن شيرزاد ثم قلد الأمير معز الدولة والصيمري الحسن بن علي بن مقله ما كان أبو جعفر ينظر فيه من أعمال الخراج وجباية الاموال^(١)

وفي هذه السنة شغب الذيلم على معز الدولة شغبا قبيحا وكاشفوه بالإسماع وخرقوا عليه بالسفك الكثير فضمن اطلاق أموالهم في مدة ضربها لهم فاضطر إلى خبط الناس واستخراج الاموال من غير وجوها . فاقطع قواده وخواصه واتراكه ضياع السلطان وضياع المسترين وضياع ابن شيرزاد وحق بيت المال في ضياع الرعية وجار أكثر السواد مُغْلَقًا وزالت أيدي العمال عنه^(٢) وبقي اليسير منه من المحلول فضمن واستغنى عن أكثر الدواوين فبطلت وبطأت أزمته واجتمعت الاعمال كلها في ديوان واحد .

﴿ ذكر ما انتهى إليه هذا التدبير من سوء العاقبة وخراب ﴾

﴿ البلاد وفساد العساكر وسوء النظام ﴾

ان التدبير اذا بُني على أصول خارجة عن الصواب وان خفي في

(١) زاد صاحب التكملة : فقبض (يعني ابن مقله) على أبي زكرياء السوسى والحسن بن هرون فشنهما فقال الصيمري : لم يكن غرضك غير التشنفي منهما . وأطلق معز الدولة أبا زكرياء السوسى ولم يلزمه شيئا وألزم الحسن بن هرون خمسين ألف دينار ونزل ابن مقله وأفراد الصيمري بالامر . وقال أيضا : وفي شعبان انشق البحر بفق الخالص والنهران .

الابتداء ظهر على طول الزمان . ومثل ذلك مثل من ينحرف عن جادة الطريق انحرافا يسيرا ولا يظهر انحرافه في المبدأ حتى اذا طال به المسير بعد عن السمت . وكلما ازداد امتعانا في السير زاد بعده عن الجادة وظهر خطاه وتفاوت أمره . فمن ذلك انه أقطع أكثر أعمال السواد على حال خرابه وتقصان ارتفاعه وقبل عودته الى عمارته . ثم سأل الوزراء المقطين وقبلوا منهم الرضى وأخذوا المصانعات في البعض وقبلوا الشفاعات في البعض فحصلت الاقطاعات لهم بغير متفاوتة . فلما أتت السنون وعمرت النواحي وزاد الارتفاع في بعضها بزيادة الغلات ونقص في بعضها بانحطاط الاسعار (وذلك ان الوقت الذي أقطع فيه الجند الاقطاعات كان السعر مُفرط الغلاء للمقطوع الذي ذكرناه) فتمسك الرابحون بما حصل في أيديهم من اقطاعاتهم ولم يمكن الاستقصاء عليهم في العبرة . ورد الخاسرون اقطاعاتهم^(١٣٧) فعوضوا عنها وتمت لهم نقائصها وانسحق الخرق حتى صار الرسم جاريا بان يخرب الجند اقطاعاتهم ثم يردوها ويعتاضوا عنها من حيث يختارون ويتوصلون الى حصول الفضل والفوز بالربح . وقُلِدَت الاقطاعات المرتجعة من كان غرضه تناول ما يجده فيها ورفع الحساب ببعضه وترك الشروع في عملتها ثم صار المقطعون يعودون الى تلك الاقطاعات وقد اختلط بعضها ببعض فيستقطعونها بالموجود بعد تناهيتها في الاضمحلال والانحطاط . وكانت الاصول تدوين على ممر السنين . ودرست العبر القديمة وفسدت المشارب وبطلت المصالح وأتت الجوائح على التواء وزقت احوالهم فن بين هارب جال وبين مظلوم ضارب لا يصف وبين مستريح الى تسليم خيخته الى المقطع لأمم شريرة . وبواقفه . فبطلت العمارات وأغلقت الدواوين وأبغى أثر الكتابة

والعمالمة ومات من كان يحسنها ونشأ قوم لا يعرفونها ومتي تولى أحدهم شيئاً منها كان فيه دخيلاً متجلفاً . واقتصر المقطعون على تدير نواحيهم بفلمانيهم ووكلائهم فلا يضبطون ما يجري على أيديهم ولا يهتدون إلى وجه تميز ومصلحة ويقطعون أموالهم بضروب الفساد واعتاض اصحابهم^(١٣٨) مما يذهب من أموالهم بمصادراتهم وبالخيف على معاملهم . وانصرف عمال المصالح عنها لخروج الاعمال عن يد السلطان ووقع الاقتصار في عملها على ان يقدر ما يحتاج اليه لها ويقسط على المقطعين تقسيطات يتقاعدون بها وبأدائها وان ادوها وقعت الحياة فيها فلم تنصرف الى وجوها . وقل حفل الناظرين بالحوادث تمويلاً على أخذ ما صفا وترك ما كدر والرجوع على السلطان بالمطالبة ورد ما تخرب على أيديهم من الاقطاعات وفوض تدير كل ناحية الى بعض الوجوه من خواص الديلم فاتخذهم مسكناً وطعمة والتحف عليهم المتصرفون الخوة وصار غرض احدهم الترجية والتمشية والدفع من سنة الى سنة . وعقدت النواحي الخارجة من الاقطاعات على طبقتين من الناس احدهما اكابر القواد والجد والاخري اصحاب الدراريح والمتصرفون فاما القواد فانهم حرصوا على جمع الاموال وحياسة الارباح ودعوي المظالم والتماس الحطائط فان استقصى عليهم صاروا اعداءهم . ولما كثرت أموالهم واتفقت بهم الفتوق خرج منهم الخوارج وان سوحوا استشرى طمعهم ولم يقفوا منه عند غاية . وأما اصحاب الدراريح^(١٣٩) فكانوا اهدى من الجندی الى تغريم السلطان والحيلة عليه في كسب الاموال ونظر بعضهم الى بعض فيما تجرى عليه معاملاتهم وبذلوا المرافق واعتصموا بالوسائل ووجب ان يجمع الناس حكم واحد . وتوالت السنون عليهم فتفردوا بنواحيهم وغلوا

بماملهم فمن مستضعف يصادر ويفير رسمه وتنقص معاملته على قدر حاله وماله ومن مانع جانبه فيخفف عنه الرسوم ويرتفق على ذلك منه بالاموال ويتخذ الضامن عضدا في شدائده وعند مناظرة سلطانه ويصطم المستضعفين . فبطل ان ترفع الى الدواوين جماعة او تعمل لعامل مؤامرة او يسمع لاحد ظلامة او يقبل من كاتب نصيحة واقتصر في محاسبة الضمماء على ذكر أصول العقد وماصح منه وبقي من غير تفتيش عما عولمت به الرعية واجريت عليه احوالها من جور أو نصفة من غير اشراف على احتراس من الخراب او خراب يعاد الى العمارة وجبايات تحدث على غير رسم ومصادر ترفع على محض الظلم واضافات الى الارتفاع ليست بعبدة وحسابات في النفقات لاحقيقة لشيء منها ومي تكلم كاتب من الكتاب في شيء من ذلك فكان ذاحال ضمن ونكب واجتبح وقتل وباعه السلطان بالتطيف .^(١٤٠) وان كان ذافقة وخلة ارضى باليسير فانقلب وصار عوناً للمخضم ولم يكن بذلك بلوم لان سلطانه لا يحببه اذا خاف ولا ينصره اذا قال .

فهذه جملة الحال في ضياع الدخل فاما الخرج فان النفقات تضاعفت وسوق الدواوين ازيلت والازمة بطلت الى غير ذلك من أمور يتسع فيها القول ويقتضى بعضها سياقة بعض فاقصرنا على الاشارة دون التطويل

ثم ركب معز الدولة الهوي في أمور غلما نه فتوسع في اقطاعهم وزياداتهم واسرف في تمويلهم وتخويلهم فتمذر عليه ان يذخر ذخيرة لنوابه أو ان يستفضل شيئا من ارتفاع ولم تزل مؤوته تزيد ومواده تنقص حتى حصل عليه عجز لم يكن واقفا على حد منه بل يتضاعف تضاعفا متفاقا وأدى ذلك على من السنين الى الاخلال بالديلم فيما يستحقون من أموالهم وداخلتهم

المنافسة للآثرak من اجل حسن احوالهم . وقادت الضرورة الى ارتباط
الآثرak وزيادة تقريرهم والاستظهار بهم على الديلم وبحسب انصراف العناية
الى هؤلاء ووقوع التقصير في أمور أولئك فسدت النيات وفسد الفريقان
اما الآثرak فبالطمع والضاوارة^(١١) . وأما الديلم فبالضر والمسكنة واشترابوا
الى المتن وصارت هذه المعاملة لقاها لها وسببا لوقوع ما وقع فيها مما سينذكر
جلا منه في مواضعها بمشيئة الله

وفي هذه السنة سمعت علم القهرمانه وقطع بعد ذلك لسانها
وفيها ورد الخبر بان نوحا صاحب خراسان قبض على اخوة ابي علي ابن
محتاج وقتل بعضهم

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

لما انهزم ابن محتاج من بين يدي ركن الدولة بعد ان كان ضمه
لصاحب خراسان فتح الري أمده صاحبه بابن ملك وجماعة من نظرائه
وقواده وبالغ في تقويته فسار في عدة وعدة وافزة . فكاتب ركن الدولة
عماد الدولة وسأله المدد فأمره ان يخلي لهم الطريق ويصير اليه . واعلمه أن
له تديرا في ذلك ففعل ركن الدولة ذلك ودخل الخراسانية الري . فراسل
عماد الدولة صاحب خراسان سرا يعرفه قلة جدوى الري عليه مع ما يلتزمه
من النفقات على العساكر العظيمة وان الاستيحاء بينهما زائد مع ذلك
ويسأله ان يزيل هذه الوحشة بان يضمه اعمال الري عشر سنين بمثل ما تقرر
عليه بينه وبين ابن محتاج وزيادة مائة الف دينار في كل سنة على ان يسلمه ملك
سنة^(١٢) . وسأله انقاذ ثقة من ثقائه ليوقع العهد معه ويحمل المسال على يده
وأنه يعاونه بعد ذلك على ان محتاج حتى يظفر به . فوردت هذه الرسالة على

نوح بن نصر ونيته فاسدة لابن محتاج وتطلعت نفسه الى تحصيل المال فشاور
 ثقاته وكلهم اضداد واعدا لابن محتاج فاشاروا عليه بقبول ما بذله عماد الدولة
 فاطهر حينئذ ما كان في نفسه وقبض على اخوة ابي علي ابن محتاج وأهله
 واسبابه وقتل بعضهم . وانهد الى عماد الدولة على بن موسى المعروف بالزرار
 وكان من قواده واكابر حاشيته فسار على الجمازات واستقبله عماد الدولة
 واكرمه وواصل اليه العطايا والتحف ومأطله فيما ورد له . وراسل ابا علي
 ابن محتاج يعلمه خبر هذا الرسول ويطلعه على ما ورد له وقرر في نفسه انه على
 عنده محافظ على دوده وحذره من غدر نوح وخوفه منه . فحينئذ اتفق ابن
 محتاج رسوله الى ابراهيم بن احمد وهو عم نوح وكان اذ ذاك بالموصل احد
 قواد ناصر الدولة فعرفه . انه قد عقد له الرياسة وأخذ له البيعة على اصحابه
 على ان يكون اليه خراسان . ويمضى معه فيحاربان نوحا ويؤكد عليه ان يجعل
 اليه . فرغب ابراهيم بن احمد في ذلك واستأذن ناصر الدولة ^(١٤٣) في المضي
 فقال له : نحن على المصير الى بغداد فانتظر حتي ندخلها فاذا دخلناها قلنا لك
 الخليفة وخلع عليك من داره وعقد لك لواء فيكون أعز لك وأقوى لامرك .
 وكان هذا في آخر أيام المستكفي بالله فعمل ابراهيم بن احمد على ذلك فلما طالت
 المدة وحدث على المستكفي بالله الحادثة وانحدر ناصر الدولة الى بغداد تابعت
 رسل أبي علي ابن محتاج الي ابراهيم فغبر تكررت في سبعين غلاماً ومضى
 الى دقوقا ومنها الى طريق خراسان . ثم وردت كتبه من الري على ناصر
 الدولة بانه سائر الي نيسابور لمحاربة ابن أخيه نوح فانفذ اليه ناصر الدولة
 خطماً سلطانية ولواء عقده له . عن الخليفة المطيع لله وحمل اليه ذلك مع خنجح
 المسمول فطير الناس له من ذلك وقالوا انه لا يتم أمره . ولما بلغ أبا علي مسير

ابراهيم تلقاه الى همدان وعاهده علي السمع والطاعة والنصيحة وعاد معه الى الري ثم نهضا جميعا الى خراسان وكتب كتابا الي ركن الدولة بانه سائر الي خراسان وانه قد أفرج له عن الري فكتب عماد الدولة الي أخيه ركن الدولة بالمسير اليها فبادر الي ذلك واضطرب خراسان على نوح بن نصر

﴿ ذكر ماتم من الحيلة لعماد الدولة في تلك الحال ﴾

لما فرغ عماد الدولة من التضرير بين ابن محتاج وبين صاحبه وتمت المكاثفة بالمداوة بينهما^(١٤٤) بادر برد الزرار رسول صاحب خراسان على نوح برسالة يقول فيها : انه قد ظهر ما كان ينذره به من سوء نية ابن محتاج وسعيه عليه وانه لما كاشفه بالحرب مع عمه ابراهيم أنفذ أخاه ركن الدولة الي عسكره حتى اذا سارت جيوش نوح بن نصر الي عمه والى ابن محتاج واحتاج الي أن يسير ركن الدولة من وراءهم معاوناه عليهما فعمل ذلك . وأقبل نوح الي نيسابور في عساكره وجميع من معه من أصحاب جيوشه ورجالهم فبرز له ابراهيم وابن محتاج بخياريه وكسراه وأسرا ابراهيم بن سمجور ومنصور بن قراتكين وعددا كثيرا من قواده واستأمن أكثر جيشه وانصرف نوح مفلولا على حال سيئة من الضعف والخيرة واتبعه ابراهيم وابن محتاج وحملوا معهما ابراهيم بن سمجور ومنصور بن قراتكين أسيرين واستمرت بنوح الهزيمة الي سمرقند فدخل ابراهيم بن أحمد بخاري واشتمل على الخزانة والدخائر وذلك في سنة ٣٣٥ . وكتب ابن محتاج الي عماد الدولة يبشره بما جرى ويطلبه تجديد أمر السلطان لابراهيم ابن أحمد بالخلع والعقد له على خراسان .

﴿ ذكر ما انتهى اليه أمر ابراهيم وابن محتاج مع نوح بن ﴾
﴿ نصر وما اتفق من الاسباب التي أعادت نوحا ﴾
﴿ الى سريره ومقرّ عزه بخراسان ^(١٤٥) ﴾

كان سبب ذلك ان ابراهيم أصنى الى قوم حساد لابي علي ابن محتاج
فكانوا يوهونه ان أبا علي انما استعان به ليجمع له جيوش خراسان فاذا
فرغ من نوح عطف عليه فمأمله بمثل ما عامل به نوحا وان الصواب له ان
يحترز منه . فوقر ذلك في نفس ابراهيم وأطلق ابن سمجور وابن قراتكين
وطلع عليهما من غير رأي أبي علي ابن محتاج فاستوحش ابن محتاج
وانقبض عن ابراهيم وتمكن ابن سمجور وابن قراتكين من استمالة الجند
وكتابا نوحا وترددت الرسل بينهم سرا . ثم ان نوحا سار الى ثغور
خراسان فجمع منها جيشا واستخرج أموالا وعاد الى بخارى فملكها وقهر
عمه وحصل أسيرا في يده فممله وسبل جماعة من أهل بيته

﴿ ذكر الخيل التي تمت لنوح على عمه حتى تمكن منه ومن عسكره ﴾

كان ابراهيم وابن محتاج خرجا الى ظاهر بخارى وعسكرا بموضع
يقال له ريكنستان فينماهم نزول اذ صاح صائح في الميدان الذي بجزاء دار
الامارة ببخارى « نوح يامنصور » واجتمع اليه طائفة من الحشم . ثم ان نوحا
زحف الى عمه ابراهيم وكان يدير أمره ابن أبي داود البلخي فاحتال على
تقوية قلوب أصحابه بان أعلمهم ان مددا كثيرا قد أقبل اليهم وهم يلحقون
في ^(١٤٦) الليل وكانت الحرب قد وقعت في ذلك اليوم فكانت على نوح .
فلما كان في الليل أنفذ طائفة من عسكره مع مرأى اليهم وأمرهم بالإبعاد
فاذا كان في الثالث الآخر من الليل ضربوا بطولهم وبوقاهم وددادهم

ودخلوا المعسكر في صورة المدد ففعلوا ذلك فلم يزالوا الى الصبح يدخلون المعسكر على هذه الصورة فلما أصبحوا وتصافوا للحرب استأمن الديلم الذين كانوا مع ابراهيم وانهزم قوم من أصحابه وانهزم أبو علي ابن محتاج وظفر نوح بابر ابراهيم وعامله بما ذكرت

وفي هذه السنة مات أبو بكر محمد بن طنج الاخشيد وتقدم مكانه ابنه أبو القاسم أبو جور وغلب كافور الخادم الاسود وكان خادما للاخشيد على الامر^(١) وفيها مات علي بن عيسى عن تسعين سنة^(٢)

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وكان ابن طنج حيانا شديد النيقظ في حروبه وكان جيشه يحتوي على أربع مائة رجل وكان له خمسة آلاف مملوك يجرسونه بالليل بالنوبة كل نوبة ألفا مملوك ويوكل بجانب خدمته الخدم ثم لا يثق بمد ذلك فيمضي الى خيم القراشين فينام . قال التوخي : لقب الرازي أبا بكر محمد بن طنج أمير مصر بالاخشيد وسبب ذلك انه فرغانة وكل ملك فرغانة يدعاه اخشيديدا كما تدعو الروم ملكها بقيسر والفرس بكسرى وشاهنشاه والمسلمون بامير المؤمنين وملك أشروسنة الاقشيين وملك خوارزم خوارزم شاه وملك الترك خاقان وملك حرجان صول وملك آذربيجان اصبهذ وملك طبرستان يدعاه سالار . وأبو بكر ابن الاخشيد على مذهب الحياي كان جده يدعاه بحضرة المتضد الاخشيد ولقب على ابنه بذلك وهو من أولاد الملوك بفرغانة

الحياي محمد بن محمد وهاج بن سلاية أبو علي شيخ المعزلة توفي سنة ٣٠٣ هـ .
هذا في تاريخ الاسلام

(٢) قال صاحب التكملة : حتى هلال بن الحسن : قال أبو علي بن محفوظ : لما ورد معز الدولة وأبو جعفر الصيمري معه الى بغداد أراد أبو الحسن علي بن عيسى الركوب اليه وقضاء حقه . وافق انه نزل الى داره ليجلس في سميرة وأبو جعفر محتاج في طياره وأما وأخي وأبو الحسن طازاد بن عيسى معه فقبال لنا : من هذا ؟ قلنا : الوزير أبو الحسن علي بن عيسى . فقال لابي الحسن بن طازاد : قدم بنا اليه فاسأله ان ينزل معنا في الطيار . فقدمنا منه وسأله عليه فقال له أبو الحسن طازاد : الى أين توجه سيدنا . فقال : أشار فبقينا بلقاء الأمير الوارث وقضاء حقه فمضت على ذلك فمضينا له :

(ودخلت سنة خمس وثلاثين وثلثمائة)

لما اجتمع لمعز الدولة أمر بغداد في هذه السنة زاد في التوثق من أمير المؤمنين المطيع لله فاستعلمه يمين عزيمة ألا يتغيب عن معز الدولة ولا يبعثه

فيقتل سيدنا الى انطار فانه أولى . فامتنع ولم يزل يراجعهم وكان معه ابنه أبو نصر فخطبه حتى فعل وسهل عليه ذلك وزل . وقام له أبو جعفر الصيمري عن موضعه وقد وصانا ان لا نعرفه اياه وكان أبو نصر عرفه وأراد ان يشهر أباه فلم تدعه طاعة لابي جعفر . وسرنا مصعبين ووصلنا الى معسكر معز الدولة بباب الثماسة وقدم الطيار الى المشرفة فقال أبو جعفر لابي الحسن : تجلس يا سيدنا بمكانك حتى أصعد الى الامير وأعرفه خبرك وأؤذنه بحضورك . فقال له : لك أطال الله بقاءك عند الامير آرة وبه أنة : قال : نعم . وصعد فلما صعد قال أبو نصر لابي : هذا الاستاذ أبو جعفر الصيمري . فارتاع وقال له : ألا أعلمنا ذلك لاوفي للرجل حقه ؟ قال : منعى أصحابنا . وأقبل على طازاد فقال له : لا أحسن الله جزاءك كذا يفعل الناس ! فقال : والله يا سيدنا ما فعلت ما فعلته الا لان الاستاذ أمرني به ولم تمكنني الخافة له . فقال : انا لله وانا اليه راجعون . ووجم وجما شديدا ثم قال : من هاذان أعزهما الله ؟ (وأشار الى وإلى أخى) فقال طازاد : ابنا محفوظ . فاستنبتة وقال : الذى كان يصحب جعفر بن الفرات ؟ قال : نعم . فقال : قد كان جعفر من العمال الظالمة .

ولما صعد الصيمري الى معز الدولة وجده على شراب فلم يقل له شيئا وعاد الى على بن عيسى فتهض له وأعظمه . وقال له : قد جئنا على أصحابنا في كتمانى موضع الاستاذ حتى كان في قصيرى في قضاء حقه ما لم أحتمله وأنا أعذر اليه أدام الله عزه من ذلك . فقال : فعل الله بك يا سيدنا وصنع وأى قصيرى ؟ فالتفت الى طازاد فقال : ألم أوصك بتوك اعلامه أمرى ؟ فقال : أبو نصر ولده أعلمه وقد حصلت بين العتب أيها الاستاذ منك ومنه . وقال له أبو جعفر : الامير على خال لا يجوز لقاءه مثلك عليها وهو يمتدو من تأخير الاجتماع باعتراض ما اعترض منها واذا تكلف سيدنا العود في غداة عز لقيه ووقاه من الحق ما يجب ان يوفيه اياه والطيار يتاكر باه . وانصرف أبو الحسن وساد أبو جعفر الى معز الدولة فقال له : وافي على من غشيت لقاءك وخدمتك فاعتذرت اليه عنك بانك على نيينه ولم يجز ان يرالك عليه . فقال : من على بن عيسى ؟

سوءاً ولا يُبالى له عدواً فلما حلف أزال عنه التوكيل وعاد الى دار الخلافة واعتزل أبو علي الحسن بن هرون النظر في الامور لتحامُل

فقال : وزير المقتدر بالله . فقال : ذلك العظيم ! قال : نعم . قال ما وجب ان ترده فاني كنت أقوم الى مجلس آخر واللقاء فيه . فقال : ما كان يحسن ان ينهم منك رائحة شراب وفي غد ييا كرك . فقال معز الدولة : وكيف أسأله وما الذي أقول له ؟ فقال له الصيمري : تنزعج له بعض الانزعاج وترفع مجلسه وتقطعه مخدة من مخادك وتقول له « ما زلت مشتاقا الى لقاءك ومشتوقا للاجتماع معك وأريد ان تشير علي في تدبير الامور وعمارة البلد بما يكون الصواب فيه عندك »

وجاء أبو الحسن علي بن عيسى من غد ودخل على معز الدولة فوفاه من الاجلال والاكرام أكثر مما وافقه عليه أبو جعفر وأعطاه مخدة من دسسته وقبلها أبو الحسن وقال له ما يقال لثله فقال له معز الدولة : كما نسمع بك فيعظم عندنا أمرك ويكثر في نفوسنا ذكرك وقد شاهدت منك الآن ما كنت مؤثرا واليه متظاما والدنيا خراب والامور على ما تراه من الانتشار فاشير علي بما عندك في اصلاح ذلك . فقال له أبو الحسن : هذه النية منك أبها الامير داعية الى الخير وممهلة الى النجاح وطريق العمارة ودرور المسادة واستقامة أمر الجند والرعية والعدل . والذي أهلك الدنيا وأذهب الاموال وأخرج الممالك عن يد السلطان خلافه وأءانى الصلاح ويطرد الاغراض بالولة الموفقين والاعوان المنصحين

وحدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا فلان (وذكر الاسناد عن النبي صلعم) انه قال : اذا أراد الله بوال خيراً قبض له وزير صدق ان غفل اذ كره وان رفل أبقظه . وقد وفق الله الامير من هذا الاستاذ (وأشار لابي جعفر) من تمت فيه أسباب الكفاية وبانت فيه شواهد الخالصه ويوشك ان يجري الخير على يده ويتأتى المراد بحسن تدبيره . فتراجع أبو جعفر وتوقف عن تفسير هذا القول لمعز الدولة وفطن معز الدولة ان توقفه لامر كره ذكركه فقال لابي سهل العارضي : انظر ما يقول . فحضر له تفسيراً لم يفهم عنه ولا استوفى القول فيه وتلجلج في ذكر رجال الحديث حتى استفهم معز الدولة أسماهم وقال : هؤلاء أصحاب رسول الله صلعم ؟ فقال أبو الحسن : لا هؤلاء رجال قتلوا لنا الحديث عنه . ثم عاد أبو جعفر الى الترجمة بينهما وقال أبو الحسن : ومن أولى مانظر فيه الامير وقدمه سد هذه البثوق هي أصل الفعاد وخراب العوادة . فقال :

الصيمري^(١٤٧) عليه ومصادرة كاتبه فرد النظر في الاعمال الى أبي الحسين على بن محمد بن مقله من قبل أبي جعفر الصيمري ورعى له معز الدولة مكاتبته له أيام مقامه في الجانب الغربي فلما عبر معز الدولة ولقيه لزمه ثم رد في هذا الوقت اليه النظر في الامور^(١) وقيل كتبه الخليفة أبو أحمد الفضل

وقد نذرت لله عند حضوري في هذه الحضرة الا أقدم شيئاً على ذلك ولو نفقت فيه جميع ما أملك . قال : إذن بحسن الله عونك وبذل الك على صعب وبسهل كل مراد بين يديك . فلما انقضى القول بينهما في ذلك قال معز الدولة : أذكر حوائجك لا تقدم فيها بما أقضي به حقك . قال : الحاجة الحاضرة هي الى الله تعالى في ان يطيل بقاءك ويديم علاك ومتى عرضت من بعد حاجة اليك كان الموعول فيها عايتك . قال : لا بد من ان تذكر شيئاً . قال حراسة منازل فانها تشتمل على عدد كثير من بنين وبنات ومجانز وأهل وأقارب وأتباع وأصحاب . قال : هذا أقل ما افعله . ونهض أبو الحسن وشيعة أبو جعفر ووشى العلمان بين يديه .

وتوفي أبو الحسن بعد عبور معز الدولة وهرجته ناصر الدولة يوم فضي أبو عمران موسى بن قتادة وكان معه مائتا رجل من الديلم فزل داره . وركب الصيمري اليها وقد فرغ من تجهيزه ووضع في تابوته فصلى عليه وقال لوسى : اخرج من هذه الدار فإمجد مجوز نزولك فيها . فقال لا اخرج . فقال لا أمكنك منها . فقال لا أقبل منك . قال اذا لم تقبل أكرهتك . وتنازعا بالقول تنازعا تولدت منه فتنة واجتمع الي موسى أصحابه والى أبي جعفر آخرون وعرف معز الدولة ذاك فبادر لاطفاء النائرة وقال للصيمري ليس هذا وقت ذاك . قال بلى أيها الأمير هذا وقته ومتى افتتحنا أمرنا بسقوط هيبتنا استمر ذلك وبعد تلافيه وازداد الامر من بعد وهذا والطمع استحكما . فاخذ معز الدولة بيد موسى بن قتادة فاخرجه معه وقال له يكون نزولك في الدار التي أترها ولا تفتح أمراً بما يوجب من انزعاج أولاد هذا الشيخ المشهور ذكره في الدنيا وعياله عن منازلهم وأوطانهم . وبقيت دور أبي الحسن على ولده ودور (ابن) أخيه أبي على بن عبد الرحمن عليه في حياته بفعل أبي جعفر ما فعله .

(١) زاد صاحب التكملة . وكان ابن مقله يواصل معز الدولة في أيام الحصار بالهدايا والاعطاش فلما عبر الى الجانب الشرقي حما داره بها واستخدمه . فاخذ في المصادرات

ابن عبد الرحمن الشيرازي وسُلِّمَت اليه ضباغ الخدمة ارتفاع مائتي ألف دينار في السنة

وفيها ورد الخبر في المحرّم بدخول الامير ركن الدولة الريّ وانه ملك الجبل بأسره .

وفيها ورد أبو بكر ابن قرابة من عكبرا برسالة ناصر الدولة ياتمس فيها من معز الدولة الصلح وقد كان تردد قبل هذه الوقعة مرات فتقرّر أمر الصلح على ان يكون في يد ناصر الدولة من حد تكريت الى فوق ويضاف الى أعماله مصر والشام على أن لا يحمل عن الموصل وديار ريعة شيئاً مما كان يحمله من المال ويكون الذي يحمله عن مصر والشام ما كان يحمله الاخشيدي محمد بن طنجع عنهما وعلى أن يدرّ ناصر الدولة الميرة الى بغداد ولا تؤخذ لها ضريبة وحلف معز الدولة بحضرة الخليفة والقضاة على ذلك والوفاء به

وأنفذ القضاة مع ابن قرابة الى معز الدولة لالتماس الصلح^(١٤٨) بغير موافقة منه للاتراك ولا علم منهم فلما علموا بذلك وظهر أمر الصلح اجتمع الاتراك للايقاع به وأحس ناصر الدولة بذلك فخرج بالليل وعبر الى خيمة ملهم . وكان ملهم والقرامطة في الجانب الغربي والاتراك وناصر الدولة في الجانب الشرقي واستجاره فاجاره^(١٤٩) وسيّره في الجانب الغربي ومعه ابن

للتجار والشهود فصادف أحد العامة معز الدولة منصرفاً منفرداً نصف النهار فصرّفه ما الناس فيه من الخوف فتقدم بصرف ابن مقلة . واحترق دور ابن شيرزاد ودوز أسبانه وأخيه وصودر على مائة وثمانين ألف درهم . وقد مز الدولة الشرطة أبا عباس بن خاقان (١) قال صاحب التكملة فاستجار بأمر ملهم حتى أمرت ولدها بتسييره

شيرزاد وبقي الاترك في الجانب الشرقى . فلما فاتهم ناصر الدولة اجتمعوا على تأمير تكين الشيرزادي وقبضوا على أبى بكر ابن قرابة بعد ان نزل به مكره عظيم وقبضوا على كتّاب ناصر الدولة وأسبابه وساروا يطالبونه وابستأمن ينال كوشه ولؤلؤ الى معز الدولة واسرع ناصر الدولة في سيره فلم يلحقه الاترك . ولما صار الى مرج جهينة قبض على ابن شيرزاد وسلمه وعلى طازاذ وعلى أبى سعيد وهب بن ابراهيم وجوهر خادم ابن شيرزاد وانفذ جماعتهم الى القلعة . ولم يتلبث ناصر الدولة ومضى الى نصيبين ورحل تكين الشيرزادي والاترك الى الموصل وغلبوا عليها ثم ساروا في طلبه فمضى الى سنجار فتبعوه وكتب الى معز الدولة يستصرخه فانفذ اليه معز الدولة جماعة من قواده ثم انفذ اصفهدوست بعدهم ثم اخرج الصيمرى . ولما سار^(١٤٩) تكين الشيرزادى الى سنجار في طلب ناصر الدولة سار من سنجار الى الحديثة فتبعه تكين الى الحديثة فلما قرب منه سار ناصر الدولة الى السرى وهناك لحق به جيش معز الدولة وأبو جعفر الصيمرى واصفهدوست فساروا باسرم الى الحديثة للقاء تكين الشيرزادي . ووقعت الواقعة بالحديثة وكانت شديدة فانهزم تكين وتقطع أصحابه واستؤسر منهم وجره القواد وجماعة من الاصاغر وقتل منهم خلقٌ بعد ان كان استعلى واستظهر في الحرب

﴿ ذكر السبب في هزيمة تكين والظفر به بعد استعلائه ﴾

كانت العرب على كثرة عددهم فى عسكر الصيمري ينقضون صفوف الديلم ولا يصدقون الإلقاء فقال لهم الصيمري : اعتزلوا عنا ولا تدخلوا بيتنا وانظروا فان انهزم واحد منهم فاتبعوه وان ثبت فدعونا واياهم ما دام ثابتاً .

واعلموا انكم اذا قربتم منا واختلطتم بمصافنا بدأنا بكم قبل اعدائنا . ففعلوا
واعتزلوا وصبر الفريقان وحمل الاتراك حملات شديدة ثبت لها الديلم ثم
وثبوا في وجوه الاتراك فلما ولوا حمل عليهم العرب ووضعوا الرماح بين
ظهورهم ونكسوهم فأكثروا القتل والاسر . ثم استأسر^(١٠٠) جنود تكين
الشيرزادى فقتربوا به الى ناصر الدولة فسلمه للوقت وانفذه الى قلعة من
قلاع وسار ناصر الدولة وأبو جعفر الصيمري الى الموصل فنزل الصيمري في
الجانب الشرقي بازاء الموصل ودخل اليه ناصر الدولة وحصل عنده في
خيمته وخرج من عنده وعبر الى الموصل ولم يعد اليه بعدها .

حكى عن ناصر الدولة انه قال : لما حصلت مع أبي جعفر الصيمري في
خيمته ندمت وعلمت اني قد أخطأت وغررت فبادرت الى الانصراف . وحكى
عن الصيمري انه قال : لما خرج من عندي ناجر الدولة ندمت على تركي
القبض عليه وعلمت اني قد ضيعت الخزم وأخطأت بعد ان فاتني الصواب
ثم تسلم أبو جعفر الصيمري طازاذ ووهباً وجوهراً والى ألف كر حنطة
وشعيراً وأخذ بهم الى بغداد مع ابن لناصر الدولة رهينة يقال له هبة الله
وأدخل ابن شيرزاد بعده بيوم الى بغداد . وكلا به^(١١) وصادره معز الدولة

(١) قال صاحب التكملة . وضمن لناصر الدولة طازاذ وأبو سعيد وهب النصراني
الكتاب (وهو الكتاب الذى مدحه ابن تينة) خمسين ألف دينار على ان يطلقه فلم
يفل وسلمه الى الصيمري وكان الصيمري مراعيّاً لطازاذ . وقال أيضاً وكتب أبو عبد الله
ابن توبة (وترجمته في ارشاد الاريب ٢ . ٨٠) عن المطيع لله كتاباً بالفتح الى عماد
الدولة منه فلم يسفر المعراج الا عن قنيل مرسل أو غريق . معجل أو جريج معطل أو
أسير مكبل أو مسنأمن محصل أو حنيئة . ألا هـ الله بلا تعب أو غنيمة آفاه الله بلا نصب .
وفي هذه السنة صرف أبو الحسن محمد بن الحسن بن أبي الشوارب عن القضاء بالجانب

على خمسمائة الف درهم ثم حمل ناصر الدولة تكين الشيرزادي مسمولا الى معز الدولة فأحسن اليه معز الدولة وأطلقه واقطعه اقطاعا .

وفيهما خرج لشكر رورز بن سهلان في جيش الى الاهواز ومعه عامل خراج وظهرت الوحشة بين الامير معز الدولة وبين أبي القاسم البريدي وقبض معز الدولة على ينال كوشة^(١٥١) وكان استجبه وعلى أرسلان كور وعلى فتح للشكري وحملهم الى قلعة رامهرمز

وفي يوم الاحد ثمان خلون من شوال ضرب الصيمري ابن شيرزاد بحضرته بالمقارع وطالبه بمال المصادرة وانحدر الصيمري الى الاهواز وفيها جرت وقعة بين أصحاب البريدي وبين أصحاب معز الدولة فكانت على البريدي وأسر منهم نحو مائتي رجل من وجوه الديلم

البري وأضيف الى عمل القاضي أبي الحسن محمد بن صالح الهاشمي ويعرف بابن أم شيان . وفي النصف من شعبان خرجت العامة لزيارة قبر الحسين وعقدت القباب باب الطاق . وورد الخبر ان سيف الدولة قبض على الفراريطى واستكتب بعده أبا عبد الله بن فهد الموصل . وفي هذه السنة انقطعت قطرة دهما بأسرها . وفي تاريخ الاسلام في ترجمة هذه السنة ولما مات الاخشيد بدمشق سار سيف الدولة من حلب فلاك دمشق واستأن من اليه يانس المونسي ثم سار سيف الدولة ونزل الرملة . وجاء من مصر انوجور بن الاخشيد بالجيوش والقائم بامرهم كافور الخادم فرد سيف الدولة الى دمشق وسار وراءه المنصريون فانهزم الى حلب فساروا خلفه فانهزم الى الرقة ثم تصالحوا علي ان يعود سيف الدولة الى ما كان يده . قال المصبحي وكان بين سيف الدولة وبين أبي المظفر حسن بن طنج وهو أخو الاخشيد وقعة عظيمة بالنجون فانكسر ابن حمدان ووصل الى دمشق بعد شدة ونشنت وكانت أمه بدمشق فنزل المرح خائفا وأخرج حواصله وسار نحو حمص على طريق قارا وسار أخو الاخشيد وكافور الاخشيدي الى دمشق ثم سار الى حلب في آخر السنة واستقر أمرهم . وكمرة المظفر لابن حمدان مذكورة في كتاب الولاة لابي عمر الكندي ص ٢٩٥

﴿ودخلت سنة ست وثلاثين وثلثمائة﴾

وفيهما سار المطيع لله والامير معز الدولة الى البصرة وانزعاهما من يد أبي القاسم البريدي فسارا من واسط في البرية على الطوف فلما صاروا في البرية ورد على الامير معز الدولة رسول المهجرين القرامطة من هجر بكتاب منهم اليه بالانكار عليه في سلوك البرية من غير أمرهم اذ كانت لهم فلم يجب عن الكتاب وقال للرسول : قل لهم «ومن أنتم حتي تستأذنوا في سلوك البرية وكافي أنا أقصد البصرة انما قصدي بلكم واليكم بعد فحي اياها وستعرفون خبركم» وكلام في هذا المعنى فانصرف الرسول . وانحدر أبو جعفر الصيمري وموسى فياذة في المباء فملك مساران ودخل دار البريدي بها بعد حرب يسيرة ووصل الخليفة والامير معز الدولة الى الدرهمية فاستأمن اليه ^(١٥٢) جيش البريدي بأسره وهرب أبو القاسم البريدي الي هجر وملك معز الدولة البصرة فاحمات الاسعار كلها ببغداد انحلالا شديدا . وقبض معز الدولة على جميع قواد البريدي بالبصرة واستخرج أمواله وودائعهم وقبض خزائنه وأحرق كل ما وجد له من آلات المياه من الشدات والطيارات والربازب واستدعى لؤلؤا من بغداد فقلده أعمال البصرة والحرب . ووصل معز الدولة من البصرة الى الاهواز ليأتي أخاه عماد الدولة وتأخر الخليفة والصيمري بالبصرة . وتأخر كوركيز عن صحة معز الدولة من غير موافقة وقيل انه في التدبير عليه وعقد الرياسة لنفسه فوجه اليه باني جعفر الصيمري فامتنع عليه وجاربه في داره فظفر به أبو جعفر وقبض عليه وصار به الي معز الدولة فأنفذه الي القلعة برامهرمز

ولقي معز الدولة أخاه عماد الدولة فقبل الأرض بين يديه واجتهد به
 عماد الدولة أن يجلس بين يديه فلم يفعل وكان يتردد إليه كل يوم بالغداة والعشي
 فيقف ولا يجلس . وقيل للأمير معز الدولة ان عماد الدولة يريد أن يسأله
 في الافراج عن رامهرمز وعسكر . مكرم خفي أبو الحسن المافروخي ^(١)
 انه كان مع معز الدولة وكان عماد الدولة ورد أرجان فالتقي بها قال : فدعاني
 عماد الدولة وقال : بلغني انه حكى لآخي ^(٢) اني وافيت الى هذا الموضع
 لارتجع منه بمض أعمال الاهواز . وضرب يده الى لحيته وقال : سوءة لها
 انما تواضعت لهذه الحال ا من لي حتى احتاج الى استكثار البلاد وادخار
 المال له ؟ هذا وأخوه ابنائى وانما أريد الدنيا لهما والله ما وافيت الا لاعتقد
 ما بينهما من الرياسة حتى لا يجري خلاف ان حدثت بي حادثة فاني عليل
 كما ترى واسأله أن يقدم المكبير على نفسه كما جرت العادة وبارك الله له في
 بلاده ولو أراد بمض فارس لوهبته له ولقد أصبحت وأمست وما مناني
 على الله الا العافية وسلامتهما وابقاؤهما فانهما أخواي بالنسب وابنائى
 بالتربية وصنيمتاي باولايات ومن لي غيرهما فيقدر مايقدر . (قال) فعديت
 الى معز الدولة وحدثته بالحديث فبكى وحضر في آخر النهار عند عماد
 الدولة فأسرف في الشكر والدعاء وتذكر الكلام فبكى بحضرته حتى
 ضمه عماد الدولة الى نفسه .

ثم انصرف الى بغداد وامتد الى باب الشامية وقدم الخليفة فذل
 بالزيدية . وأظهر معز الدولة انه يريد الموصل وكتب عن المطيع لله كتابا
 الى ناصر الدولة وورد أبو بكر ابن قراة الى هناك بجواب الرسالة وردد

(١) هو محمد بن أحمد كذا في ارشاد الارب ٣ : ١٨١

مرات ثم حمل المال وتم الصلح ^(١)

﴿ ^(١٥٤) ودخلت سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ﴾

وفيهما ورد الخبر بوقعة للروم مع سيف الدولة انهزم فيها سيف الدولة وأخذ الروم مرعش وأوقعوا باهل طرسوس ^(٢)

وفيهما قبض معز الدولة على اصفهدوست وحمله الى قلعة رامهرمز ^(٣)

ذكر السبب في ذلك

كان اصفهدوست خال ولد معز الدولة وولد له من أخته الحبشى وكان يكثر الدالة عليه ويقل الهيبة له وكان يزرى عليه في كثير من أفعاله وبلغ معز الدولة عنه انه يرسل المطيع لله في الايقاع به وانه قد استجاب له الى ذلك

(١) قال صاحب التكملة . ولما ورد المطيع لله من البصرة وكان في صحبته أبو السائب عقبة بن عبيد الله الهمداني فولاه قضاء القضاة وصرف ابن أم شيان ولم يرتزق أبو السائب واستخلف أبا بشر عمر بن أكنم . وورد الخبر بأن ركن الدولة فتح طبرستان وجرجان وهزم وشمكير بن زيار واستأسر من أصحابه مائة وثلاثة عشر قائدا وفي ذي القعدة ضمن روزبهان الديلمي السواد والضرائب بعشرة آلاف ألف درهم واستكتب على ذلك ابن سنجلا . وضمن الصيرى أعمال واسط واستكتب عليها أبا الحسن طازاذ . وفي ذي الحجة خلع معز الدولة على هبة الله بن ناصر الدولة الذي كان وهينة عنده وأنقذه مع ابن قرابة الى أبيه

(٢) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٣٦ . وفيها اغارت الروم لغنهم الله على أطراف الشام فسبوا واسروا فساق وراهم سيف الدولة ولحقهم فقتل منهم مقتلة واسترد ما اخذوا ثم اخذ حصن برزبة من الاكراد بعد ان تازلهم مدة ثم افتتحه في سنة سبع

(٣) قال فيه صاحب التكملة . وقبض على اصفهدوست لانه اشار على معز الدولة بمبايعة ابي عبد الله ابن الداعي فقال الصيرى انه قصد ان يوليه الامارة اذا صار الامر اليه فكان ذلك سببا لا اعتقاله برامهرمز ومات بقلعها معتقلا .

فلما كثر عليه ذلك قبض عليه

وفيه ورد الخبر بان ركن الدولة هزم العلوى الذي كان بجرجان وطبرستان
وفيهما دخل أبو القاسم البريدى فى الامان الى بغداد ولقى معز الدولة
وقبل الارض بين يديه وأنزله وأقطعته بمائة وعشرين الف درهم ضياعاً^(١)
وفيهما ورد الخبر بمسير السلار وهو المرزبان بن محمد الى الرى طامعاً
فيها وفى دفع ركن الدولة عنها خاربته ركن الدولة وأسره مع ثلاثة عشر قائداً
من قواده وحمله الى القلعة بمسيمر وجبسه فيها وعاد الامير ركن الدولة
الى الرى وقد شرحنأ أمره على الاستقصاء فيما بعد

وفيهما خرج الامير معز الدولة^(٢) الى الموصل ودخلها وجرت
مراسلات بين ناصر الدولة ومعز الدولة استقر آخرها على ان يحمل عن
الموصل وديار ربيعة وديار مضر والرحبة والشام فى كل سنة ثمانية آلاف
الف درهم ويقيم الخطبة لعاد الدولة ومعز الدولة وبختيار بن معز الدولة وأخذ
الفضل والحسين ابني ناصر الدولة رهينة وانصرف الى بغداد . ولم يكن
الصيمرى أخذ خط ناصر الدولة بهذه المفارقة وذلك لان ابن قراتكين
غلام صاحب خراسان قصد الرى واضطرب معز الدولة فبادر الى بغداد
لينفذ منها جيشاً الى أخيه فوسف أبا جعفر عسفاً شديداً فى فصل القصة .
فقال الصيمرى تسكيناله : ارحل اذا شئت فقد أخذت الخط ثمانية آلاف
الف درهم . ونما بمض الخبر الى ناصر الدولة فامتنع على أبى جعفر من بذل
الخط وخاف أبو جعفر أن يخبر الامير معز الدولة بالصورة بعد الاعتراف

(١) زاد صاحب التكملة . واعاد عليه ضيمته المعروفة بفروخباد من بادوريا
وانزله فى الدار المعروفة بالموزة بمدرعة الساج محتاطاً عليه .

فلا يقبله العثرة وانحدر الى بغداد

فقال أبو محمد المهلبى وكان يخلف الصيمرى : قلت لابي جعفر : بأى شىء تحتج على الامير اذا طالب بهذا الخط فلم تحضره اياه ؟ فقال : اطالب ابن قرابة حتى يكتب خطه عنه فانه لا يقدر على مخالفتى ثم ان أنكر ناصر الدولة قلت انه خايفته وما كتب عنه يلزمه . قلت : فان لم يكتب ابن قرابة خطه وهذا مما لا يجوز ان تكرهه عليه ؟ قال : نزور^(١٥٦) على خط ابن قرابة . (وكان ببغداد من نزور على الخطوط عجباً) قلت : فاذا صح رأيك على هذا فلا تطالب ابن قرابة بكتب الخط فانه ان امتنع عليك بطل التزوير به ولكن نزور . فزورنا والله على خط ابن قرابة ضماناً بمائة آلاف درهم وخرج الصيمرى لحرب عمران ثم حدثت الحادثة من موت عماد الدولة وشخص وكانت كرتة التى ما عاد بمدها . ووافى ابن قرابة وطالبته بالمال فاني وأريته الخط فجعده وحلف بالطلاق انه ما كتبه ثم قال : ما أشك انه خطى ولكن ما كتبه . ثم هذا يا هذا انا قد شككت فكيف غيرى ممن تشبهه عليه الخطوط ؟ وأنت تعلم يا أبا محمد ان ناصر الدولة امتنع من كتب الخط على ابي جعفر وان أبا جعفر خرج وما أخذه وقد أحاطت بى البلوى وليس هذا حقى عليك . فقلت : الاستاذ أبو جعفر غائب وكلامك فيه لا يقبل والامير ينصر وزيره ولا ينصرك ويشهد ونحن معه ان هذا خطك لئلا يبطل ماله ويصير محصواة وخاصة وزيره ولكن الراى ان تقول للامير : « لما حدث أمر ابن قرانكين وخرج الجيش الى الرى طمع ناصر الدولة وجهد الضمان والوجه مقارنته حتى يصح من جهته بعض المال والا بطل الاصل ثم اذا زال هذا الشغل بعد سنة صار^(١٥٧) الكلام ليسنة مستأنفة

ويمجل شيئاً يؤخذ منه فان هذه السنة أصلح ، فأعاد ذلك على الأمير معز الدولة ودعاني على خلوة وقال لي : أى شئ ترى ؟ فقلت : الوجه ان تقارب وتأخذ ومتى تمكنا من قصد الموصل فالضمان معنا ونحن نستوفي تمام التمانية آلاف الألف درهم . قال : فافعل . وقررنا الامر على ثلاثة آلاف الف درهم لسنة واستوفيناها . وكان الصيمرى لما انصرف من عند ناصر الدولة بالصلح صار ناصر الدولة الى الموصل وعصف الناس وطالبهم بالتعجيل . وفي هذه السنة خرج سبكتكين الجلبج ومعه أكثر الجيش والقرامطة الى الرى مدداً لركن الدولة ثم أتبعه معز الدولة بـروزبهان وعلبكان وجماعة من الديلم ولحقوا به

(ذكر السبب فى ذلك)

كان السبب فيه أن جيش خراسان تمركز فورد الخبر على ركن الدولة وكان ابن عبد الرزاق من كبار أصحاب الجيوش بخراسان الا أنه كان مستوحشاً من صاحبه فكاتب ركن الدولة بأنه صائر اليه فى الجيش الذى معه فاستعد له ركن الدولة واعد أصناف الكرامات له . وكاتب أخاه أبا الحسين أحمد بن بويه معز الدولة وأخاه أبا الحسن على بن بويه عماد الدولة فحمل كل واحد منهما اليه شيئاً كثيراً من المال والدواب^(١٥٨) والثياب والالطاف فصرفها كلها اليه مع ما أضاف اليه من جهته وذلك بعد أن حضره ووطئ بساطه وردّه الى الدامغان فوصل اليه شئ لاعهد له بمثله وانما رده الى الدامغان لئلا يتضايق الرى بالعساكر وقيل له : فرّق من الاموال ما ترى على من ترى . ثم استقر الرأى بين الامراء الثلاثة أعنى عماد الدولة وركن الدولة ومعز الدولة على تقليد ركن الدولة خراسان والمعهده عليها ليكون

محاوثة اياهم على الاصل والولاية . ثم وردت الاخبار بحركة المرزبان بن محمد بن مسافر وهو السلار وانه عازم على قصد الري لمحاربة ركن الدولة مفتتما ورود جيش خراسان وانه سيدخله ذلك عنه . فندب عند ذلك معز الدولة سبكتكين الحاجب المسير الى ركن الدولة مددآله بعد أن عظم أمره ونخم شأنه وضم اليه جماهير عسكره وأكابر قواده وفيهم بورریش وروزبهان ومن يجري مجراها وقطعة وافرة من الأتراك وثلاثة آلاف من شجعان العرب المعروفين فيهم ابراهيم بن المطوق المعروف بلبن البارد وعمار المجنون واحمد بن صالح السكلابي وطبقتهم وأطلق الاموال وأزاح العال في الخيل والسلاح وغيرها . وكتب عهد ركن الدولة على خراسان وعقد لواءه وحملت الخلع اليه معه وخرج بذلك أحد حجاب^(١٥) السلطان مع سبكتكين الحاجب فسارت الجماعة معه على أتم أهبة . فلما وصل العسكر الى ظاهر الدينور خلع بورریش الطاعة وأنف من متابعة سبكتكين والمسير تحت رايته وجمع الى نفسه الديلم الذين في العسكر فاستجابوا له جميعاً وبكروا عليه في غداة غد وهو فيها غافل جالس في خيمة له فغافصوه ورماه بزويين اثبتته في كنفه وولى من موضعه وخرج مجروحاً من تحت ذيل خيمته وركب جنديّة الزوبة فبرز الى الصحراء وتلاحق به غلماناه وسائر الأتراك مع العرب وتمكن الديلم من رحله وسواده فنهبوه ونهب رحل حاجب السلطان الذي معه الخلع فذهبت في النهب . وتميز الديلم كلهم مع بورریش الآروزبهان ونفراً قليلاً معه فاتهم اختاروا طاعة سبكتكين على طاعة بورریش ومهر بورریش هائماً على وجهه ورجع عنه الديلم الى سبكتكين فقبلهم سبكتكين وبسط عذرهم ولم يسي إلى أحد منهم . وأمر العرب بطلب بورریش فلم يكن بأسرع من

أن يوافي به إبراهيم بن المطوق المعروف بابن البارد أسيراً مسلوباً فأقيم بين يدي سبكتكين فخطبه بما يجرى مجرى التشفي واسمعه القبيح ثم أمر بتقييده ورحل الى همدان واستأنف تجديد الخلع التي انتهت حتى ^(١٦) أقام العوض عنها ثم تم السير الى حضرة ركن الدولة فوجده نازلاً بباب الري فلم يورثه اليه فكان آخر العهد به . ولبس الخلع فبرز فيها للناس وقرى عهده على خراسان بمشهد من القضاة والقواد ووجوه الناس ووافاه المدد من شيراز واستدعى محمد بن عبد الرزاق من الدامغان لمناجزة المرزبان فانه كان أهم وأولى بالابتداء فلما واقعه ظهر به وأخذ أسيراً كما حكينا في أخباره .

﴿ ودخلت سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة ﴾

وفيها انحدرت أبو جعفر الصيمري لمحاربة عمران بن شاهين وكان هذا الرجل من أهل الجامدة ^(١٧) وجنى جناية فهرب الى البطيحة من سلطان الناحية فأقام بين القصب والالجام واقنصر على ما يصيده من السمك قوتاً ثم اضطر الى معارضة من يسلك البطيحة متلصصاً وعرف خبره جماعة من صيادي السمك فاجتمعوا اليه مع جماعة من المتلصصة هناك حتى حوى جانبه من السلطان فلما أشفق من أن يقصد استأمن الى البريدي فقلبه أبو القاسم الجامدة للحماية والاهواز التي في البطائح فما زال يجمع الرجال الى أن كثر أصحابه وقرى فتاب على تلك التواخي .

وفيها ورد الخبر بان ابن قراتكين غلام صاحب خراسان ^(١٨) انصرف الى نيسابور وشرقت جموعه عنه وبقي وشمكير بطبرستان فسار اليه ركن

(١) زلد صاحب كتاب العيون . وهي قرية من اسافل واسط يزعم أنه عربي من بني سليم ولكنه سوادى المنها باللغة وكان قد جنى الخ

الدولة يريد به فلما قرب منه انصرف بغير حرب وعارضه على بن سرخاب أحد قواد ركن الدولة فوقع بسواده واستأمن أكثر أصحاب وشمكير الى ركن الدولة ودخل ركن الدولة آمل

وفيها أوقع الصيمري بمران بن شاهين دفعة بعد دفعة واستأسر أهله وعياله وهرب عمران بن شاهين واستتر . ثم ورد الخبر بموت عماد الدولة على بن بويه فاضطرب الجيش هناك وكتب معز الدولة الى الصيمري بالمبادرة الى شيراز لاصلاح الامور بها فترك الصيمري ما كان فيه من طلب عمران ابن شاهين وبادر الى شيراز . ووافى ركن الدولة الى شيراز واجتمع على تقرير الامور وضبط البلد واصلاح امر الجيش فلما استقام الامر وصالح البلد سلماه الى الامير ابي شجاع فتأسخسه بن ركن الدولة وانصرفا عنه وكانت علة عماد الدولة التي مات فيها فرحة في كلاء طالت به ونهكت جسمه ^(١) ولما مات نفذت كتب الخليفة بانه قد نصب أخاه الامير ركن الدولة مكانه وجعله أمير الامراء .

وتنيرت نية الامير معز الدولة على ابي الحسن المافروخي وقبض على ابي محمد على بن عبد العزيز ابن عمه بالبصرة ثم على ابي الحسن بعده لما عجزا عن ^(١٦٣) طمان البصرة والاسافل فان أمرها كان مشتركا وكتب الى ابي جعفر الصيمري وهو بشيراز بان يُنفذ اليه أبو الفضل المباس بن فسائجس فأنفذه وقلده الدواوين التي كانت الى ابي الحسن المافروخي ويسألها منه قبل ان يستكتب الامير معز الدولة أبا محمد المهلبى بأسبوع ثم حاول ان يدخل بده في ديوان السواد ليجرى في ديوانه فمنعه أبو محمد

المهاجي واحتج عليه بان هذا الديوان كان يجري في ديوان الصيمري ثم حاول أن يدخل يده في ديوان النفقات وكان يتولاه أبو الفضل العباس ابن الحسين الشيرازي وفي ديوان الجيش وكان الى سهل بن برديشث توفي حساب الخزانة الذي يتولاه أبو علي الحسن بن ابراهيم الشيرازي ^(١) فتمت معز الدولة من ذلك لخصوص هذه الطائفة به ^(٢) وسكونه اليها

وفيها ورد الخبر بان كوركير وبنال كوشه قتلا الموكلين قلعة رامهرمز وكسرا قيودهما وخرج بنال كوشه وهرب فلقبه الا كزاد ومانهم فقتلوه ولم يخرج كوركير ولا فتح الشكري ولا ارسلان كور ولا اصفه دوست وكتب معز الدولة الى أبي جعفر الصيمري وهو بشيراز ان يادر الى القلعة وحفظها فبادروا كان اصفه دوست عليا من قولنج فقات بها . ولما أخذ الصيمري عن عمران ^(١٦٣) وشغل بهذه الاسباب بعد ان لم يبق في أمره شيء تنفس وخرج من استناره وعاد الى أمره وجمع اليه من كان تفرق عنه من رجاله وقوى أمره .

وفي هذه السنة أحس علي بن بويه عماد الدولة بالموت لمخافة الملل اياه وخاف لئلا أخيه عنه وكثرة من في جلته من كبار الديلم ان يطمع في مملكته بعده فاستدعى فناخسره بن ركن الدولة من أبيه ليرشحه للامر بعده ويأمن به للقواد والجيش فقبل ذلك وسار فناخسره بن ركن الدولة الى شيراز وضم عسكره اليه أبوه حاشيته الثقات ولما قرب من شيراز تلقاه عماد الدولة في جمع وأجلسه في داره على السرير وأمر الناس بالسلام عليه ووقف يحضرته ثلاثا تمتع أحضته فكان يوما عظيما مشهودا ثم عهد اليه بمد ذلك ومات

(١) هو « النصراني » في إرشاد الأرب ٣٠ : ١٨٢ (٢) ليس في الأصل

هو ذكر استعمال حزم واستظهار من عماد الدولة قبل موته

كان عماد الدولة يهتم جماعة من أكابر قواده ويعرفهم بطلب الرياسة لانفسهم وكانوا يرون انفسهم اكرم منه من نصبا واحق بالولاية فظف عسكره منهم وقبض على جماعة . فكان ممن قبض عليه شيرنجين بن جليس فخطب فيه وتشفع فيه ^(١٦٤) وجوه حاشيته وثقات اصحابه فقال لهم : اني احببتكم عنه بحديث فان رأيتم بعد استماعه ان اطلاقه فقلت . ثم ابتداء يجادلهم انه كان بخراسان في خدمة نصر بن احمد قال : ونحن يومئذ في شرملة من الديلم وكان يجلس نصر بن احمد للسلام في كل اسبوع مرتين يجلس ذات يوم وحواليه من مماليكه ومماليك ابيه بضعة عشر آلاف غلام سوى سائر المسكر فرأيت شيرنجين هذا قد جرد دشنيا ^(١) واشتمل عليه بكسائه فقلت له : ما هذا ؟ قال : اريد ان اصنع اليوم ما اذ كره به آخر الدهر . قلت : وما هو ؟ قال : ادنو كاني متظلم او طالب حاجة فاقبل الارض ولا ازال ادنو حتى اذا وثقت بالوصول الى هذا الغلام (بنى نصر ابن احمد) فتسكت به ثم لا ابالي ان اقتل بعده وقد انتفت من القيام بين يدي صبي (وكان لنصر بن احمد يومئذ عشرون سنة وقد خرجت لحيته) فقلت انه ان فعل لم يقتل وحده حتى نقتل كلنا معه مماشر الديلم فاختفت بيده وقلت له : بني وبينك حديث . وجهت عليه الديلم وحملتهم بما هم به وما يحسن علينا كلنا ان تم له ما يريد فتبضوا على يده واخذوا منه الدشني . افتر بدون من بعد ان سمعتم رأيه في نصر بن احمد ان امكنه من الوقوف بين يدي هذا الصبي ؟ ^(١٦٥) فامسكوا عنه وقالوا : الامير اعلم بحيشه . ولم

يزل محبوبا حتى توفي في محبسه . .

وفي هذه السنة قُتِلَ أبو السائب عُثْبَةُ بن عبيد الله قضا القضاة^(١)

﴿ ودخلت سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ﴾

وفيها ورد الخبر بدخول ابن قرائكين غلام صاحب خراسان الى
الري وانصراف من كان بها من أصحاب ركن الدولة وكان ركن الدولة
بطرستان واستولى أصحاب ابن قرائكين على الجبل كله .

وفيها مات أبو جعفر محمد بن أحمد الصيمري في حُمى حادة بالبزبوني
من الجلمدة لما عاد لمحاربة عمران بن شاهين^(٢)

وفيها استكتب معز الدولة أبا محمد الحسن بن محمد المهلبى ولما ورد

(١) وله قصة مع صاحب ابن عباد : ارشاد الارب ٢ : ٣٣٨ .

(٢) زاد صاحب التكملة : وكان الصيمري يحسد المهلبى على تخصيصه وأدبه فكان
إذا جلس معه على الطعام رأى كلامه وفصاحته فأمر القراشين بعينه فيطرحون المرقعة
على ثيابه فكان المهلبى منقضا به وكان يستصحب مع غلامه دائما ثيابا يغير بها ما عليه .
وقال أيضا : ولما خرج الصيمري في هذا الوجه استخاف أبا محمد المهلبى فلما علم نفاقه
على معز الدولة أطاع لسانه فيه فكان أبو محمد قد يقن أنه يهلك على يد الصيمري
فأنفذ الى معسكره ظيورا وأوقف من يكتب عليها اخباره فأناه البراج بطير قد أقبل بالماء
بكتاب لم يقف عليه فقال للصباي (يعنى أبا اسحق ابراهيم بن هلال الذي ولى ديوان
الرسائل بعد أبى عبيد الله بن نوبة في سنة ٣٤٩ كذا في ارشاد الارب ٢ : ٨٠) .
تلطف في قراءته . فقرأ بعد جهد فاذا فيه « هلك الصيمري » فدخل الى معز الدولة
وغيره وجلس للعزاء به . وترشح للوزارة أبو على الطبرى وهو عامل الاهواز قال
النوعى . من أعظم المصادرات مصادرة معز الدولة لابى على الحسن بن محمد الطبري
صادره على خمسة الف دينار فلما مات الصيمري طمع في الوزارة وبذل فيها مالا عظيما
قدم منه أول نوبة ثلاثمائة الف دينار فلما بين عليه خروجها فاخذها منه وقلد المهلبى .
ولتراجع أيضا ارشاد الارب ٣ : ١٨٢ =

الخبر بموت أبي جعفر الصيمري أرجف لجماعة بان الامير معز الدولة
يستكتبه فمنهم أبو علي الطبري ومنهم أبو علي الحسن بن هرون ومنهم أبو
محمد المهلبى واجتمع أبو محمد المهلبى وأبو علي الحسن بن هرون فتحالفا على ان
من صح له الامر منهما كان لصاحبه على مودة ومشاركة . وسمى أبو علي
الطبري وكان رجلا أميا في أول أمره فخاسا يبيع الرقيق فخطب كسبة
الامير أبي الحسين مكان أبي جعفر الصيمري وبذل مالا فاطمعه معز الدولة
فيما قدّر وتقدّم اليه بحمل المال فحمل الى الخزنة مالا فلما صح المال عدل عنه
الى أبي محمد المهلبى فقلده كتابته وتدير أعمال الخراج وجباية الاموال
وخلع عليه لذلك يوم الاثنين الثالث بقين من جمادى الاولى . وزوج أبو
محمد المهلبى ابنته من أبي علي الحسن بن محمد الانبارى الكاتب واستخلفه
بالخزنة وانحدر الى الاهواز

﴿ ذكر السبب في اختيار معز الدولة أبا محمد المهلبى ﴾

﴿ وإثاره إياه على وجوه الكتاب من الخزنة ﴾

﴿ وغيرهم مع وفور عدد الكفاة يومئذ ﴾

سبب ذلك انه وجده جامعا لادوات الرياسة وكان لا يجمعها غيره
وان كان فيهم من هو أرجح كتابة وأيضاً فقد أنس به على طول الزمان
وانه خاف الصيمري على الوزارة فمرف غرائب الامور وأسرار المملكة
وكان الباقون لا يعرفون ذلك ولا يخرج اليهم ولا يوثق بهم فيها . وكان مع
ذلك حسن الانباء عن نفسه فصيحاً مهيباً متوصلاً الى انارة الاموال عازقاً
برسوم الوزارة القديمة سخياً شجاعاً أديباً يفصح بالعربية فتلافى أكثر
مآذرس من رسوم الكتابة واستدرك كثيراً من العمارات وأثار وجوه

الاموال من مواضعها فحسنت آثاره . وتوفر مع ذلك على أهل الادب والعلوم فاجيا ما كان درس ومات من ذكرهم ونوّه بهم ورغب الناس بذلك في معاودة ما أهمل منها . ثم خرج الى الاهواز فجعم أموالا ^(١٦٧) كان قد طمع فيها العمال من بقايا وزيادات زادها في العقود عليهم ومن مؤامرات ناظر عليها العمال والضمضاء فألزمهم أموالها فاتصلت حمولة وظهر فضله على من تقدمه . ^(١٦٨) ثم انتقل من الاهواز الى البصرة فكان أثره فيها أوفر وإنارته للاموال منها أكثر كما سند ذكر بعضه

وفي هذه السنة ورد الخبر بان سيف الدولة غزا وأوغل في بلاد الروم وفتح حصونا كثيرة من حصون الروم وسبي عدداً قلما أراد الخروج من بلد الروم أخذ الروم عليه الدرب الذي أراد الخروج منه فقتل كل من كان معه من المسلمين أسراً وقتلاً وارتجع السبي الذي كان سباه وأخذ سواده وكراعه وخزائنه وأمواله وسلاحه وغنم الروم منه غنيمة لم يروا مثلاً

(١) زاد صاحب التكملة : وكان المهلبى ثقيل البدن ومشى في صحون الخليفة وقد أنقله ماعليه من اللباس فسقط بين يدي المطيع لله عند دخوله من ذلك ومن شدة الحر ووقع على ظهره فاقم . وظن من معه انه محصر بما جرى فنكس وأحسن وأطال الشكر والقول وتمثل بايات فتعجب الناس من بديته وركب الى داره ومعه جميع الجيش وحجاب الخلافة . وداره هي الدار المعروفة بالمرشد ونزلها السلطان (طغرل بك) ركن للدولة في سنة ٤٧٧ عند دخوله بغداد ونقضها موفق خادم القائم بامر الله رضوان الله عليه في سنة ٤٥٥ وبنى بآتها حجرة لاطيور يباب النوبي وعمرها سعد الدولة الكوهراييني في سنة ٤٩٠ ولما قتل وقفها زوجته ونفذ ما كان بقي من التقض في الدور الشاطبية يباب الطاق وما امتدت يده من قصر بنى المأمون رضي الله عنه ثم نزلها قوام الدولة كرها في سنة ٤٩٣ ثم خلت بعد خروجه . ولبراجع أيضا ارشاد الاربيب ٣ : ١٨٢

وأفلت في عدد يسير^(١)

وفيهما خرج الحاجب سبكتكين الى همدان مدداً لركن الدولة فلما دخل قرميسين أسر من كان بها من أصحاب ابن قراتكين .

وفيهما رد القرامطة الحجر الاسود الى موضعه من البيت الحرام بمكة وكان أخذه أبو طاهر سليمان بن الحسن الجنابي من البيت الحرام وكان بحكم

(١) زاد فيه صاحب تاريخ الاسلام : وفيها غزا سيف الدولة فسار في ربيع الاول وواقاه عسكر طرسوس في أربعة آلاف عليهم القاضي أبو حصين فسار الى قيسارية ثم الى القندق ووغل في بلاد الروم وفتح عدة حصون وسبي وقتل ثم سار الى سمندو ثم الى خرشنة يقتل ويسبي ثم الى بلد صارخة وبينها وبين قسطنطينية سبعة أيام فلما نزل عليها واقع الدمستق مقدمته فظهرت عليه فليجأ الى الحصن وخاف على نفسه ثم جمع والتقى سيف الدولة فهزمه الله أقبح هزيمة وأسرت بطارقه وكانت غزوة مشهورة وغنم المسلمون ما لا يوصف وبقوا في الغزو أشهراً . ثم ان الطرسوسيين قفلوا ورجع العربان ورجع سيف الدولة في مضيق صعب فاخذت الروم عليه الدروب وحاولوا بينه وبين المقدمة فقطعوا الشجر وسدوا به الطرق ودهدوها الصخور في المضائق على الناس والروم وراء الناس مع الدمستق يقتلون ويأسرون ولا منفذ لسيف الدولة وكان معه أربعائة أسير من وجوه الروم فضرب أعناقهم وعقر جماله وكبر أمن دوابه وحرق الثقل وقاتل قال الموت ونجا في نفر يسير واستباح الدمستق أكثر الجيش وأسرا أمراء وقضاة ووصل سيف الدولة الى حلب ولم يكد . ثم مالت الروم فعاثوا وسبوا وتزلزل الناس ثم لطف الله تعالى وأرسل الدمستق الى سيف الدولة يطلب الهدنة فلم يجب سيف الدولة وبمت يهدده ثم جهز جيشاً فدخلوا بلاد الروم من ناحية حران فغنموا وأسروا خلقاً وغزوا أهل طرسوس أيضاً في البر والبحر ثم سار سيف الدولة من حلب الى آمد فحارب الروم وخرب الضياع وانصرف سالماً . وأما الروم فانهم احتالوا على أخذ آمد وسعى لهم في ذلك نصراني على ان ينقب لهم نقبا من مسافة أربعة أميال حتى وصل الى سورها ففعل ذلك وكان نقبا واسداً فوصل الى البلد من تحت السور ثم هرب به أهلها فقتلوا النصراني وأحكوا ما نقبه وسدوه . ومعنى الدمستق نائب البلاد التي في شرقي قسطنطينية .

بذل في رده خمسين الف دينار فلم يُردّ وقبل : انا أخذناه بامر واذا ورد الامر برده رددناه . فلما كان في ذي القعدة ^(١٦٨) من هذه السنة كتب اخوة أبي طاهر كتابا يذكرون فيه انهم ردوا الحجر بامر من أخذوه بامره ليتم مناسك الناس وحجهم . وكان الذي جاء به أبو محمد ابن سنبر ثم سار به الى مكة ورده الى موضعه ^(١)

﴿ ذكر الآثار الجميلة التي أنجزها الوزير أبو محمد المهلبى ﴾

﴿ حتى عمرت الخراب وتوفّر دخلها واتصل ﴾

﴿ الحل منها بعد انقطاعه ﴾

قد كان معز الدولة لما فتح البصرة ودخلها تظلم اليه الرعية من سوء معاملات البريديين ففرف أكثرها وذلك ان أبا يوسف البريدى خاصة تمرد بالنظر في أعمال البصرة وجباة أموالها فرسم لابي الحسن ابن أسد الكاتب ان يطالب ملائكة الارضين التي يؤخذ منها حق العشر (وتعرف

(١) وفي تاريخ الاسلام : قال المسيعى : وافى سنبر بن الحسن الى مكة ومعه الحجر الأسود وأمير مكة معه فلما صار بفناء البيت أظهر الحجر من سقف وعليه ضباب فضة قد غلّت من طوله وعرضه تضبط شقوقا حديث عليه بعد انقلاعه وأحضر له صائغا معه جنى يشده به فوضع سنبر بن الحسن بن سنبر الحجر بيده وشده الصانع بالحصى وقال لما رده : أخذناه بقدرة الله ورددناه بمشيئة الله .

وفيهِ أيضا في ترجمة سنة ٣٤٠ : وفيها قلع حبيبة الكعبة الحجر الذي نصبه - نير صاحب الجنابي وجعلوه في الكعبة وأحبوا أن يجعلوا له ظوقا من فضة فيشده به كما كان قديما لما عمله عبد الله بن الزبير وأخذ في إصلاحه صائغان حادثان فاحبهما . قال أبو الحسن محمد بن نافع الخزاعي . فدخلت الكعبة فيمن دخلها فقامت الحجر فإذا السواد في رأسه دون سائرهِ وسائرهِ أبيض وكان مقدار طوله فيما حزرت مقدار عظم الذراع . قل . ومبلغنا عليه من الفضة ثمان مائة ألف وسبعمائة وثمانون درهما ونصف .

بصدقات أراضي العرب) بالبصرة عن كل جريب من الحنطة والشعير
عشرين درهما وانما فعل ذلك بسبب زيادة الاسعار بالبصرة وان السكر
بالمعدل من الحنطة بلغ بها مائتي دينار ولم يستعمل ذلك الا على تدريج . فلما
قتل أبو عبد الله البريدي أخاه أبا يوسف أقرّ ابن أسد على العمل وأجرى
الناس على ذلك الرسم . وكانت العمارة تنقص في كل سنة لاجل جور
البريدين وعمّالهم وهم يطالبون بالمعبرة فنقص مال المعبرة ^(١٦١) عن جربان
العمارة فزاد ذلك ما يلزم كل جريب في السنة على ما كان يلزمه في السنة
التي قبلها . وكان قد قحط أهل البصرة بالمحاصرات التي لحقتهم فالزموا ان
يزرعوا تحت النخل حنطة وشعيرا فلما فعلوا الزموا عن كل جريب أربعين
درهما فقصروا في العمارة فجعل ما كان يرتفع عبرة عليهم واستوفى من
ملاك أرض العشر قهارب الناس فزاد ذلك على من بقي . فلما تقلد أبو محمد
المهلبى وزارة معز الدولة ودخل البصرة وتظلم اليه أهل البصرة من العبر
التي جُمعت عليهم في أراضي الحنطة والشعير فوعدهم بكل ما أنسوا به . ثم قرر
أمرهم على ان يردوا الى رسمهم القديم في أخذ العشر حبا بعينه من غير تريع
ولا تسمير . ونظر فيما بين ذلك وبين ما يؤخذ منهم على تقرب فإشار على
أرباب العُسر ان يتناخوا فضل ما بين المعاملة على الظلم والمعاملة على الانصاف
بشمن يرغب فيه معز الدولة عاجلا فيسهل عليه ما ينحط من الارتفاع مع
ما تمجّل له من المال ثم يضاف الى ذلك ما يشمره العدل وموقعه من قلوب
الناس مع الرجاء في المستقبل لزيادة الارتفاع . فاستجابوا وتقرر الامر بينهم
على ألفى ألف درهم ^(١٧٠) ومائتي ألف درهم وكتب لهم بذلك وثيقة ثم
حط من الجميع عن الضيف مائتي ألف درهم وكتب الى معز الدولة بان في

ذلك حظا عاجلا وصلاحا ووفورا في ارتفاع الناحية في المستقبل فحسن موقع فله من معز الدولة فامضاه . وحضر البصريون فاشهدوا على المطيع لله بالبيع وسجلوا بالابتاع ونسب المبتاع الى فضل ما بين الماملتين في العير فعمر الناس وتضاعف الارتفاع للسلطان وزال عن البصرة تلك الرسوم وصار يرتفع عن المراكب ما يعدل ألفي الف درهم فكان هذا من الآثار الجميلة لآبى محمد المهلبى .

وفي هذه السنة ورد الخير بشنوب جرى في عسكر الحاجب سبكتكين وان القرامطة انصرفوا عنه مع الاتراك بعد ان أوقع بهم ركن الدولة

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان الاجتهاد شديدا في استصلاحهم لانهم كانوا بازاء حرب فلما تمذر قال ركن الدولة : هؤلاء أعداء معنا في عسكرنا وهم أشد علينا من أعدائنا الذين بازائنا والوجه ان نحاربهم ونطردهم . فحاربهم وهزمهم فلما العرب فصاروا الى معز الدولة وأما الاتراك فمضوا الى الموصل ولما سار ركن الدولة الى همدان ارتحل ابن قراتكين من الري^(٧١) الى أصبهان وفي هذه السنة واقع أبو محمد المهلبى عمران بن شاهين ومع أبي محمد المهلبى روزبهان فكانت على المهلبى وروزبهان واستؤسر أكثر قوادهم وقتل أبو الفتح ابن أبى طاهر بعد ان استظهر المهلبى واستعلى

﴿ ذكر السبب في ذلك وفي هزيمة المهلبى بعد ﴾

﴿ الاستظهار على عمران ﴾

كان السبب في ذلك ان معز الدولة كان عول على روزبهان في محاربة

عمران فيني آلات المساء وأثبت الرجال واحتشد فظاوله عمران وتحصن
 في مكانه من البطائح فضجر روزبهان وأقدم عليه طلباً لمناجزته فاستظهر
 عليه عمران وهزموه وهزم أصحابه وغنم جميع آلاته وسلاحه فقوى بها .
 وتضاعف طمعه في السلطان وضرى أصحابه على جند السلطان واستخفوا
 بهم فكان بعد ذلك إذا اجتاز بهم الحجاب الكبار المحتشمون والقواد
 والامراء من الديلم والأتراك سفهوا عليهم وطالبوهم بحق المرصد والبذرة
 فان تأبى عليهم احسد تناولوه بالشتم القبيح والضرب المهين وكان الجند
 لا يستغنون عن الاجتياز بهم لحاجتهم الى ضياعهم ومعاملاتهم بالبصرة^(١٧٢)
 والاهواز ثم انقطع طريق البصرة الاعلى الظهر . فشغل ذلك قلب معز الدولة
 وكثر بكاء الامراء والحجاب والقواد بين يديه بما يجري عليهم من الهوان في
 اجتيازاتهم فكتب الى الوزير المهلبى بالاصمعاذ الى واسط لتسلافي الحادثة
 والتجرد لطلب عمران ومعاودته الحرب وجرد اليه عسكريا جرارا فيسه ابن
 أبي طاهر ووجوه قواده وغلماؤه وحمل اليه سلاحا كثيرا واطاق يده في
 اتفاق الاموال فزحف الى عمران وسد عليه مداخله وانهى الى مضيق في
 البطيحة شعب لا يعرف مسالكها الا عمران واصحابه . فحبب روزبهان ان
 يلحق المهلبى مثل ما لحقه من الهزيمة ولا يستبد بالظفر فاشار عليه بالاعتحام
 والهجوم وتوثق المهلبى واراد سد تلك المضائق فاخذ روزبهان في التضريب
 عليه وعارضه في كل مادبره ومنعه من هذا الاستظهار وسد الشعب وكتب
 الى معز الدولة يستعجزه ويذكر أنه انما يحجم ويمنح الى المطاولة ليحتسب
 بالاموال في النفقات ولم يزل بذلك وشبهه الى أن وردت كتب معز الدولة
 بالاستبطاء فترك المهلبى الحزم وركب الخطا وعدل عما يدبره كله ودخل

بجميع عسكره ^(١٧٣) هاجماً على عمران وتأخر روزبهان ليصير أول الخارجين عند الهزيمة . وقد كمن عمران كمناءه في تلك المعترضات وشحنها بالآلات الموافقة لتلك المضايق فخرجوا على المساكر وهم متزاحمون متضايقون في طريق الماء لا يعرفونها فوضعوا فيهم الحراب فقتلوا وأسرُوا وانصرف روزبهان موفوراً ونجا الوزير المهدي سباحة وحصل القواد والوجه في الأسر . فاضطرت الحال الى مصالحة عمران فقوى واستفحل امره واجيب الي كل ما اقترح

وقد كنا ذكرنا ورود الخبر بمسير السلار المرزبان الى الري ووعداً هناك باستقصاء خبره والان حين نبداً بذلك

﴿ ذكر الاسباب التي بعثت السلار المرزبان على قصد الري ﴾

﴿ وما انعكس عليه من تدابير حتى أسر ﴾

(وحبس في القلعة بسيرم)

كان المرزبان انفسه رسولاً الى معز الدولة في أمور حمله اياها فورد مدينة السلام وقد رحل عنها الى البصرة فافتتحها وأقام هذا الرسول منتظراً له الى أن عاد فأدي اليه الرسالة وكان فيها ما غاظه فتقدم بحلق لحيته ففعل وأسمع نهاية ما كره وانصرف على هذه الحال . فحكي للمرزبان ما جرى عليه فامتمض وأخذ ^(١٧٤) في جمع الرجال والاستعداد ورأي أن يتدي بالري فراسل ناصر الدولة سراً يبذل له المعاونة بنفسه وأولاده ورجاله وماله وأشار عليه بان يتدي بقصد بغداد فخافه وأجابه بحميل واعلمه أنه يرى الصواب في الابتداء بالري فانتم له ما يريد طلب بعد ذلك بنفاد وغيرها . وكان استأمن اليه من قواد الري على بن جوانقوله فمرقه نية القواد للذين

وراه بالري وانهم على المصير اليه فزاده ذلك طمعا واستدعي اياه محمد بن مسافر واخاه ابا منصور وهسودان فلما وافاه ابوه تلقاه وقبل الارض بين يديه واجلسه في صدر الدست ووقف بحضرته وامتنع من الجلوس حتى حلف عليه ابوه دفعات كثيرة فجلس وامتنع وهسودان من الجلوس فلما جن الليل خلوا جميعا وتفاوضوا فلما عرف ابوه صحة عزمه في قصد الري فثأ عزمه وعرفه احوالا توجب الامتناع من قصد ما يني عليه وقال : قد وردت على كتب واكثر القواد هناك مستعدون للانحياز الى . فلما كان وقت الوداع يكي ابوه وقال : يا مرزبان ابن اطلبك بعد يومى هذا . فقال مجيبا له : اما في دار الامارة بالري واما بين القتلى .

وقد كان ركن الدولة ^(١٧٥) حين عرف خبره كتب يستمد من اخويه عماد الدولة ومعز الدولة وخشى أن يساجله المرزبان قبل ورود المدد فكتب اليه على سبيل المكر والخديعة يعظمه ويستخذي له ويسئله أن ينصرف عنه على شريطة أن يفرج له عن ابهر وزنجان وقزوين . ولم تزل الرسائل تتردد بينهما الى ان ورد حضرة ركن الدولة بارس الحاجب في النى رجل من جيش عماد الدولة وورد سبكتكين الحاجب في النى رجل من جيش معز الدولة وكان قد صار اليه محمد بن عبد الرزاق مستأمنًا من عسكر خراسان ومحمد بن ما كان مدداً من جهة الحسن بن الفيروزان فلما تنهاى استظهاره قبض على جماعة من قواده الذين شك فيهم واتهمهم بمكاتبه المرزبان وسار الى قزوين في جميع هذه الجيوش . فلم المرزبان أنه لا طاقة له به ولكنه أنقذ من الرجوع فعمل على محاربته وكان مع المرزبان يومئذ خمسة الآف من الديلم والجيل والاكراذ فحلبت ميمنة ركن الدولة وميسرته على ميمنة

المرزبان وميسرته فانهزمتا جميعا وثبت هو في القلب الى أن قتل بين يديه
حموه بلى وونداسفحان بن ميشكى وأسر على بن ميشكى المعروف بياط ومحمد
ابن ابراهيم وعدة من أكابر قواده وأحاطت الرجال به فأسروا وحملوه (١٧٦)
ركن الدواة الى الرى ومنها الى أصبهان وحمل من أصبهان الى قلعة سميرم
فلما انفصل من الرى مع جماعة من قواد ركن الدواة وخواصه وكانوا
مضمومين الى الاستاذ الرئيس حقا أعنى أبا الفضل ابن العميد رحمه الله
وكان (١٧٧) هو المتولى حفظه والاستظهار عليه الى أن يحصل فى القلعة

﴿ ذكر تدير تم على المرزبان حتى حصل باصبهان بعد ان كان واطا الديلم ﴾
﴿ الذين أخرجوا معه على القنك بابى الفضل ابن العميد والمهرب به ﴾
حدثني الاستاذ الرئيس أبو الفضل قال : لما كنا بين الرى وأصبهان
تحقق عندى مراسلة الديلم اياه واجتماعهم على أن يأخذوه قهراً ويحلوا قيوده
ويقتكوا بي وظهر ذلك حتى كادت المكاشفة تقع . فلما خنت هوت التدبير
سأيرته وهو فى عمارية وحادثته وهو ينتظر فى ذلك اليوم أن يتم له ما يريد
وجمات أقاربه والين له فظهر التوجع والتألم مما حصل فيه فلما أطمعته فى
نفسى (وكان لا يطمع فى ذلك من قبل) أمال الى رأسه وقال : أنت مقبل
فإن كنت صادقاً فابدأ بحل قيودى وعلى لك كيت وكيت . وضمن
الضمانات التى تبذل فى مثل ذلك الوقت (قال) فلو همت انى لا أعرف شيئاً
من مواطاة الديلم له وقالت : اخشى ألا يساعدني من معى على ذلك . فقال :
غفر الله لك انت لا تعرف (١٧٧) الصورة جميع من معك قد عملوا على فك
قيودى والقنك بك وأنا أريد ذلك الساعة ان شئت . فقلت : يكفينى ان

اتق بذلك ثم انا اول عبد خدمك وناصحك وتابعك حتى يتم لك ما تريده .
وحدثته باشيء أنكرتها من صاحبي وحقوق في قلبي عليه فاستدعي واحداً
بعد واحد من القواد الذين كانوا معي وأسر اليهم أني معه وموال له ووصل
حديثه معهم بان أدخلني معهم في التدبير فظهرت سروراً شديداً بذلك
وتواعدنا النزول في المنزل القريب واتمام التدبير . فلما نزلنا وضربت خيمتنا
وخر كاهاتنا وحصل في موضعه راسلني وأخبلاني بنفسه ثم قال لي : ابث
الى فلان وفلان (يعنى جماعة ممن يثق بهم) حتى يحضروا . فقلت : أيها
السلار ان هاهنا تدبيراً يجب أن تسمعه فإن وقع بوفاك والافما تأمر به
ممثل . فقال : وما هو . فقلت : ان حرم ركن الدولة وأولاده وخزائمه
كلها باصبيان وأنا وزيره وثقته والمتولى للجميع فلو امتدنا على صورتنا هذه
حتى لا نهم لتمكنت من القبض على الجميع وحصلنا في مدينة عامرة تمكن
فيها من التدبير ومع ذلك فان حرم جميع القواد باصبيان وكذلك أولادهم
فاذا قبضنا عليهم لم يبق في واحد ^(١٧٨) منهم فضل لمحاربتك واستسلم الجميع
لك وانهم بجانب ركن الدولة انهمداداً لا انجباراً له وتمكننا ايضاً من قلاعه
وذخائره وأخرجناها ولم يكن له بقية وان نحن عاجلنا الامر وخرجنا من
هذا المكان طلبنا الخيول وأحدثت بنا ولم نأمن مع ذلك تقرب بعض من
هو الآن معنا الى تلك الجنبه ونحن في عدة يسيرة وحوالينا اصحابه ورجاله
ولا نثق بالسلامة الى المأمن . (قال) فرأيت قد تهمل وجهه ولم يملك نفسه
لما استخفه من السرور وقال : ليس الرأي الا ما رأيت . قلت : فاني منصرف
عنك فراسل انت كل من واطاك على رأيك الاول بماحدث لك من الرأي .
قال : نعم . وقت عنه وليس عنده شك في حصول الملك له بمواطأني وانه

قد اقبل جده وتمت سعادته بتمام تديري وشاع في أصحابه ومن كان واطاه
انا في تدير فديكنوا بعد ان كانوا هموا بما هموا به . وسرت آماحتي
حصات باصبيان فلما تمكنت من الرجال والتدير بدأت بالقبض على اوائك
القواد واستظهرت علي المرزبان بثقاتي حتى حصاته في القلعة بقيوده
﴿ ذكر ما جري في أمر عشكر المرزبان في آذربيجان ﴾
﴿ بعد حصوله في الاسر ﴾

اجتمع من أفلت من عسكره وقواده وفيهم جستان بن ثيرمزن وعلي
ابن الفضل وشهريوز بن ^(١٧٩) كردويه وجماعة من الرؤساء مع ألقى رجل من
الفل إلى الشيخ محمد بن مسافر فعقدوا له الرياسة عليهم وصاروا إلى أردبيل
فلما آذربيجان وهرب ابنه وهسوزان منه وتحصن في قلعه بالطرم لما كان
يعرفه من حقه وسوء رعايته . فلم تأت الايام على محمد بن مسافر حتى تجبر
وعاد إلى أسوأ أخلاقه مع الديلم فاجتمع الديلم على الوثوب به فشنبوا وهموا
بقتله فالتجأ بالضرورة إلى ابنه وهسوزان وعنده انه يعصمه فقبض عليه
وحبسه في قلعة شيسجان التي كان فيها وضيق عليه فلم تنبسط له يد ولا نفذ له
أمر حتى توفي وكانت وفاته قبل خلاص ابنه المرزبان من قلعة سميرم . وقلد
ركن الدولة محمد بن عبد الرزاق أعمال آذربيجان بعد أسر المرزبان وأنفذه إليه
فتجبر وهسوزان في أمره واضطر إلى اخراج ديسم بن ابراهيم من القلعة
لطاعة الاكراد اباه ولياسته القديمة على آذربيجان فاطلقه وخلع عليه
وقواه ومكنه ووافقه على جمع أكراد آذربيجان ومن يطيعه من غيرهم
ويتعهد محمد بن عبد الرزاق . وكان الديلم بعد محمد بن مسافر اجتمعوا إلى علي
ابن الفضل ورأسوه فتوسط وهسوزان بينهما حتى أطاعه علي بن الفضل

وتم^(١٨٠) أمره وسار ديسم الى أردبيل واستكتب أحمد بن عبد الله بن محمود وورد ابن عبد الرزاق فأنحاز عنه الى ورنان من نواحي برذعة ليستخرج الاموال وترد عليه عساكر الاكراد

﴿ ذكر خطأ ديسم في ايجاش وزيره حتى فارقه وثلمه فهزمه عدوه ﴾
كان بنواحي خوى^(١٨١) وسلماس كاتب نصراني يعرف بابن الصقر من جهة المرزبان قبل أسره فلما بلغه خبر ديسم صار اليه وحمل اليه ما كان جباهه فحسن موقعه من ديسم فأكرمه وبالع في اكرامه حتى صار يخلو به ويشاوره فاستوحش وزيره ابن محمود واتقاه . فلما استعد ديسم للقاء ابن عبد الرزاق سلم الى ابن محمود خزائنه وثقله وأمره بالمصير الى جبال موقان للتحصن بها استظهارا الى أن يكشف الأمر . فتسلم ابن محمود ذلك كله وعدل الي أردبيل وأرسل ابن عبد الرزاق بانه صائر اليه وسأله ان يستقبله بطائفة من عسكره ففعل ذلك ووقع ذلك من ابن عبد الرزاق أحسن موقع . وقت في عضد ديسم وبلغه ذلك يوم القتال فضمنت نفسه واضطرب رأيه وتبين ذلك منه أصحابه فاضطربوا واستظهر عليه ابن عبد الرزاق فهزموه^(١٨٢) .

﴿ ودخلت سنة أربعين وثلثمائة ﴾

وفيهما لحق زكن الدولة بابن قراتكين غلام صاحب خراسان وواقعه بروذبار من خان النجان سبعة أيام متوالية فلنهرم ابن قراتكين وذلك في المحرم من هذه السنة

قال الاستاذ أبو علي أحمد بن محمد مسكويه صاحب هذا الكتاب :
أكثر ما أحكيه بعد هذه السنة فهو عن مشاهدة وعيان أو خبر محصل يجري عندي خبره مجرى ما عاينته وذلك از مثل الاستاذ الرئيس أبي الفضل

محمد بن الحسين بن العميد رضى الله عنه خبرنى عن هذه الواقعة وغيرها بما
دبره وما اتفق له فيها فلم يكن اخباره لى دون مشاهدتى فى الثقة به والسكون
الى صدقه ومثل أبى محمد المهلبى رحمه الله خبرنى بأكثر ما جرى فى أيامه
وذلك بطول الصعبة وكثرة المجالسة . وحدثنى كثير من المشايخ فى عصرها
بما يستفاد منه تجربة وأنا أذكر جميع ما يحضرنى ذكره منه وما شاهدته
وجربته بنفسى فسأحكيه أيضا بمشيئة الله

حدثنى الاستاذ الرئيس أبو الفضل ابن العميد رضى الله عنه عن هذه
الواقعة وأنا أحكى أولا السبب فى ورود ابن قراتكين ^(١٨٢)

﴿ ذكر السبب فى ورود ابن قراتكين الرى ﴾

كان ركن الدولة عند وفاة أخيه عماد الدولة بنواحى جرجان وذلك أنه
قصد وشمكير وهزمه وتبعه الى حالوس فلما بلغه وفاة أخيه اضطرب وجزع
وعلم ان فارس ستضطرب على ابنه فسارع الى السير اليها لتوطئة الامور
وانصرف الى الرى فاستخلف بها على بن كامه وانسع خناق أعدائه ييمده
عن ممالكه وكل حدث نفسه بامر . وكتب ركن الدولة الى معز الدولة
بما عزم عليه وبما كان من وفاة أخيهما فكتب معز الدولة الى وزيره أبى
جعفر الصيمرى وهو يومئذ منازل ليمران بن شاهين بالبطائح بان يخل
ما هو بسبيله ويصير الى فارس لخدمة ركن الدولة ففعل وسبق وصوله
وصول ركن الدولة فحسن موقع ذلك من ركن الدولة . فلما وصل الى
شيراز ابتدا بزيارة قبر أخيه ياب اصطخر فمشى حافيا حاسرا ومشى أهل
عسكره وعسكر فارس على تلك السبيل ولزم المصيبة ثلاثة أيام الى ان خاطبه
الرؤساء وسألوه ان يرجع الى المدينة فقبل وأقام ستة أشهر . وأنفذ نصيبا

من تركه عماد الدولة الى أخيه معز الدولة وكان في جلته مائة وسبعون غلاما ومائة وقر من السلاح ثم ما يجري مجرى ذلك من الثياب والآلات واقتطع من أعمال^(١٨٣) فارس ارجان وهي كورة من كور فارس الى أعماله وخلف وزيره هناك واقلب الى الري . وجدت اطماع من ذكرت وامتدت الى الري والجل واصلهان وتسربت العساكر اليها فن ذلك مسير صاحب جيش خراسان الى الري ومعه محمد بن ما كان من جهة الحسن ابن الفيروزان وسار شيرج بن ليلي من قبل وشكير ثم جمهور عسكر خراسان وكان أبو الحسن علي بن كاهن قد انحاز الى أصبهان وتفرق قواد عسكر ابن قراتكين في ولايات أعمال الجبل وكان منهم بهمدان ينال قام وفي كل بلد من بلدان الجبل مثله . وكان ركن الدولة قد كاتب أخاه معز الدولة وهو بعيد بفارس يستدعي من يدفع معزات هؤلاء فأمدّه بسبكتكين الحاجب في عسكر ضخم من الأتراك والديلم وفيهم جماعة من الأتراك القدماء التوزونية وجماعة من العرب وكان مسيره من بغداد سنة ٣٣٩ فدبر سبكتكين تدييرا جيدا

﴿ ذكر تدير صواب تمكن به سبكتكين من ﴾

(أول عدو لقيه بقرميسين)

رأى سبكتكين ان يخلف عسكره وما ثقل من سواده وينتخب من الفرسان من يثق به ويسري الى قرميسين وكان فيها قائد من قواد الأتراك الجراسانية يقال له بجكم الخمارتكني وكان^(١٨٤) ينال قام أنفذه الى همدان والياً عليها فدكسه سبكتكين وهو في الحمام وأخذته أسيرا وأوقع برجاله وأصحابه وأنفذه الى معز الدولة فاعتقله مدة طويلة ثم أطلقه . ولما بلغ ولاية

أعمال الجبل ما جرى على بحكم هذا فارتقوا سرا كرم واجتمعوا الى يال قلم
بهمذان فلما سار سبكتكين نحوهم ساروا من همذان باجمعهم فلم يحاربوا
وورد سبكتكين همذان وأقام بها منتظرا ركن الدولة وذلك ان كُتِبَ ركن
الدولة كانت ترد عليه انه يسير من فارس على طريق الجبل ثم تأخر انتظارا
لانحسار الثلوج ثم ورد همذان وتقدم الى سبكتكين بالمسير على مقدمته..
فشغب الصنف من الاتراك التوزونية وأظهروا التضجر بالمقام الطويل
فوسط الاستاذ الرئيس أبو الفضل رحمه الله بينهم وداراهم وسكنهم فسكنوا
في الوقت ثم عاودوا من العدو وطال ذلك منهم حتى أتهموا. فسمعت
أبا الفضل ابن العميد رحمه الله يقول : انى قلتُ للامير ركن الدولة : هؤلاء
أعداؤنا وقد كاثفونا فكيف نسير بهم الى أعدائنا؟ فاتفق الرأي بيننا ان
نُسكِنَهم فان سكنوا والّا حاربناهم وفرغنا من العدو الاقرب فلما عملنا على ذلك
عملوا على الحرب فاقومنا بهم ومضوا مفلولين. ^(٥٨٥) وسبق خبرهم الى معز الدولة
فكتب الى ابن أبي الشوك الكردي وسائر وجوه الاكراد المقيمين في
أعمال حلوان يطلبهم والايقاع بهم ففعلوا ذلك وطلبوهم وأسروا منهم وقتلوا
فاما الاسارى فانفذهم الى بغداد وأما الفلّ فصاروا الى الموصل بحال سيئة
وأقام ركن الدولة بهمذان لتعرف خبر ابن قراتكين الى ان صح
عنده مسير ابن قراتكين من الرمي نحو همذان فبثّ جواسيسه وطلّاعه
لتعرف خبره فآاه الخبر بأنه عدل عن سمت همذان وأخذ على طريق
بودى الى اصبهان فسار ركن الدولة في أثره يقفوه حتى انتهى الى
جرباذقان. ووصل ابن قراتكين الى اصبهان فعاتبها عثا كثيرا مدة ما أقام
ثم عرف قرب ركن الدولة منه فسار الى طرف منازة يقرب من اصبهان

فُنزل منها على زرين روذ ليكون وصول ركن الدولة اليه مع عسكره . وقد قطعوا المفازة ومسهم الثعب والعطش ولا يصلون الى الماء فرأى ركن الدولة ان يعدل الى خان النجان ليلزم سمت قري زرين روذ ولا يعدم الماء واتصل ذلك بابن قراتكين فاقطع عن موضعه معترضاً له لئلا يملك عليه ظهره فالتقى في الموضع المعروف بالروذبار وبينهما زرين روذ ولكنه يُغيض ولا يمنع الراجل ولا الفارس^(١٨٦) العبور وذلك ان الفصل كان ضيقاً . فدامت الحرب بينهما سبعة أيام واشتدت في اليوم السادس خاصة ثم انهزم ابن قراتكين في اليوم السابع

وعاد الحديث الى حكاية ابي الفضل ابن العميد رضى الله عنه عن هذه الواقعة . حكى انه لحقه وركن الدولة وسائر الجيش من الاضافة وعوز الميرة والعلوفات وتعدر جميع الاقوات ما لم يلحقها مثله وذلك ان الاكراد اُحدقوا بنا فلم يتمكن أحد من اطلاع رأسه عن العسكر وانقطعت عنا المواد وكنا نصل الى اقواتنا مما تحملها الاكراد اليها ويبيعونه باوفر الاثمان وكذلك العلوفات فكان يجيئنا الكردى بجراب أو مخللة أو وعاء فيه دقيق فيبيعناه بحكمه فاذا أخذناه ونفضناه وجدنا قدر الدقيق فيه مقدار ما رأيناه في رأس الوعاء وأسفله كله تراب ثم يختلط ذلك القدر بالسير بالتراب فلا ينتفع بشئ منه وكذلك يفعل بالشعير والخنطة وكانت لهم حيل تجري هذا المجرى بكثرة قال : فكنا نتحرر الجمل أو الدابة فتوزع لحمه بين عدد كبير وتبلغ به على عادة الديلم وصبرهم على المجاعة والشدة في الحرب وكان أعداؤنا الاتراك في مثل حالنا الا أنهم لا يصبرون كما نصبر ولا^(١٨٧) يفتنون بما نفنع^(١)

فاذا ذبحنا نحن جزوراً ذبحوا أضعافاً كثيرة ثم ان أصحابنا يعودون الى نشاطهم في الحرب ويتسخط اولئك ويشغبون على صاحبهم ولا يناصحونه في الحرب الى أن ملوا . وأصبحنا يوماً وقد رحلوا من معسكرهم فتركوا خيمهم بازائنا وأنا الخبير برحيلهم فما صدقنا به حتى عبر عنا جماعة وتلاهم العسكر أولاً أولاً واشفقنا أن يكون لهم كمين أو مكيدة فلم يكن الا هزيمة وذهبوا على وجوههم

﴿ ذكر خبر عجيب واتفاق غريب ﴾

حكى الاستاذ أبو الفضل ابن العميد نصر الله وجهه ان ركن الدولة دعاه في اليوم السابع وقد نفذ صبره وصبر أصحابه : وشكا الى شدة الامر وصعوبته عليه وكأنه يفكر في حيلة للانهزام وان كانت متعذرة عليه فقالت : أيها الأمير انك كنت منذ اسبوع مالك أكثر تملك سرير الخليفة فينفذ أمرك في أكثر بلاد الاسلام ومن لم يكن من الملوك في سائر الارض تحت أمرك وولايتك فهو ايضا تحت حكمك حشمة لك يقبل امرك تجملاً ويطيعك تهيباً وقد أصبحت اليوم وانت لا تملك من الارض الا ما عليه مضربك وقد اجتمع عليك هؤلاء الاعداء^(١٨٨) لينصبوا عليه ويمنعوك منه ولا مفرغ لك الا الى الله عز وجل فاخلص نيتك له واعقد عزمك على ما بينك وبينه تعالى يطع على صدقها ويعرف صحتها وانوار المسلمين خيراً واسكافة الناس مثله وعاهده على ما تعمله وتقي به من الاعمال الصالحة والاحسان فيما تلى الى من تلى عليه فان الحيل البشرية كلها انقطعت بنا ولم يبق لنا الا هذا الذي نصحتك به . قال فتبسم وقال : يا أبا الفضل قد سبقتك الى ما اشرت به . وجرى في هذا الباب ما يجري مثله من النذور وصدق النية . وبتنا تلك الليلة

على حالنا فلما كان في الثالث الاخير من الليل جاءني رسله متقاطرة فصرت اليه وهو مسرور قوي النفس بخلاف ما عهدته وقال : يا أبا الفضل انت تعرف مناماتي وصدقها وقد رأيت ما أرجو ان يكون تأويله قريبا غير بعيد . قلت : وما ذاك . قال : رأيت كافي على دابتي المعروف بفيروز وقد انهزم عدونا وانت تسير الى جانبي وتذكر لي نعمة الله علينا فيه وأن الفرج جاءنا من حيث لا نختسب فينا نحن في هذا الحديث وشبهه حتى مدت عني بين غبرة الموكب الى الارض فرأيت خاتما يتلأل قد سقط الى الارض عن صاحبه بين التراب فقلت^(١٨٩) للركابي الذي بين يدي « يا غلام هات ذاك الخاتم » فطأطأ ورفعته الى فاذا خاتم فيروزج فاخذته وجعلته في أصبعي السبابة وتبركت به وانتبهت وقد تقالت به وأيقنت بالظفر (وذلك ان الفيروزج معناه الظفر اذا عُرِب وكذلك لقب دابته الذي رآه فيروز) . قال ابو الفضل ابن العميد رحمه الله : فوالله ما أضاء الصبح حتى جاءنا الخير والبشرى بأن العدو قد رحل فاصدقنا به ولا التفتنا اليه حتى تواترت الاخبار وعبر سرعان الخيل وعادوا الينا مستبشرين فقمنا حينئذ وركبنا متعجبين لا نعرف سبب هزيمته حتى عبرنا على حذر من كمين او مكيدة فينا نحن نسير وانا الى جانب ركن الدولة وقد تعدد ركوب دابته فيروز ليصدق رؤياه اذ صاح الامير بغلام بين يديه « يا غلام ناولني ذلك الخاتم » فطأطأ وناوله من الارض خاتم فيروزج فاخذته ولبسه في سبابه والتفت الى وقال : هذا بلا تأويل هو الخاتم الذي حدثك بحديثه منذ ساعة . فهذا من طرائف الاخبار ولولا صدق محدثه وجلالة قدر من حكاه لي وبمعهده عن التزييد لما يسطرقة في كتابي هذا

وفيهما تم الصلح بين معز الدولة وبين عمران بن شاهين وقلده معز الدولة^(١٩٠) البطائع وأطلق اخوته وعياله وأطلق عمران بن شاهين من استأسر من القواد وغيرهم

فلما ابن قرأتكين فاته عاود حرب الامير ركن الدولة وجرت بينهما وقائع عظيمة بناحية الري ومات ابن قرأتكين جثاء وكان سبب وفاته انه كان شرب أياماً متوالية لباليها فاصبح يوماً ميتاً وذلك في شهر ربيع الآخر من هذه السنة

وفيهما انهزم صاحب عمان من باب البصرة من بين يدي أبي محمد المهلبى وأسر جماعة من أصحابه وأخذت عدة من مراكبه ودخل أبو محمد المهلبى بغداد ومعه المراكب والاسارى

﴿ ودخلت سنة احدى وأربعين وثلثمائة ﴾

وفيهما ملك الروم مدينة مروج وسبوا أهلها وأحرقوا مساجدها وفيها ضرب الامير معز الدولة أبا محمد المهلبى بحضرته بالمقارع وحمله الى داره وأقره على كتابته

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان السبب في ذلك أن ابا محمد المهلبى لما خرج الى عمان وانفق في ذلك الوجه ما اتفق ثم انهزم تنكر له معز الدولة وهم بالقبض عليه فلما حدث بالرى ما حدث من ورود جيش خرسان اليها شغله ذلك عما في نفسه منه . وكان ورد ابو العباس الحناط الى الحضرة برسالة ركن الدولة يطالب بمال يحمل اليه فدفعت الضرورة^(١٩١) الى مكتبة الوزير المهلبى وهو بواسط قد واقاهل منهنهما وأمر بالصدول الى الاهواز وتسليم الف الف درهم الى

أبى العباس الخنات من القلعة ورد العوض مما يستخرجه وأن يواصل الحمل إلى الحضرة ويسرب الجيوش إلى الأهواز على طريق أصبهان إلى الري فنفذ لذلك كله وفي نفس الأمير معز الدولة عليه ما فيها . فلما أصيد المهلبى إلى الحضرة اثر في أمر يوسف بن وجيه صاحب عمان اثراً كبيراً وذلك أنه كان قصد البصرة فسبقه أبو محمد المهلبى إليها وحاربه وهزمه وأسر أصحابه وأخذ مراكبه كما ذكرنا

{ ذكر السبب في طمع ابن وجيه في البصرة ثم انهزامه منها }
 كنا ذكرنا ما كان من استيحاء القرامطة من معز الدولة ومن جوابه إياهم عن رسالتهم واستخفافهم بهم فلما عرف ابن وجيه ذلك كاتبهم وأطمعهم في البصرة وسألهم أن يمدوه من ناحية البر فأمدوه بأخيهم أبى يعقوب في سرية قوية فورد باب البصرة وأنهض ابن وجيه رجاله في مراكبه من ناحية البحر ونهض هو بنفسه . ووافق ذلك فراغ المهلبى من الأهواز فبادر إلى البصرة وأخرج معه من القواد والرجال والريابز والطيارات وآلات الماء كفايته وشحنها بالرجال وأزاح عنهم في الجيش والسلاح وأخذ إليه معز الدولة ^(١٩٣) مدداً من بغداد . وكان المهلبى رتب على سور المدينة بالبصرة الرجال يحمونه وجمع إلى نفسه وجوه القواد مثل لشكرو رز بن سسلان وموسى فياذه وموسى بن ما كان وأشباههم من وجوه الناس وطبقات الغلمان وحارب ابن وجيه إياهم ثم هزمه وظفر المهلبى بمراكبه ورجالهم وأسر جماعة من وجوه أصحابه فخفف بذلك بعض ما كان في قلب معز الدولة وانجلي هم كثير كان في نفسه

فلما قدم بغداد تلقاه معز الدولة وجامله مديدة ثم وقف على طراز

مال من ضمانه له قدر وكان سبب عليه للأتراك والمهمات فردّ التسبيبات
وطالب أصحاب المال باستحقاقاتهم وأضجر ذلك معز الدولة فطالب أبا محمد
المهلبى وهزّ المهلبى طازاذا فاستسلم وأظلمت القصة . فدخل المهلبى الى معز
الدولة فصدقه عن الصورة فاعتاظ من جريته فى الامر وأثار ما كان فى
نفسه منه فزبره وطرده من بين يديه وأمره ألا يعود اليه الا بعد ان
يستدعيه فأنصرف كشيئا . وحرك بطازاذا فصيح له مالا ونهض الى الامير
مُتَجَبِّا له من طازاذا بغير استدعاء من الامير له فلما حصل بين يديه وأخبره
بالصورة بطش به وضربه مائة وخمسين مفرقة ترازح منها (ثم أمر) بأن
يرفع عنه الضرب حتى ^(١٩٣) يؤخه ويبيكته بذنوبه منذ استخدامه ثم يعيد
عليه الضرب الى ان تفسخ وتقل وقيل له انه كالتالف وأراد ان يرمى به الى
دجلة ثم تماسك وردّه الى منزله ووكل به . وفى اليوم الثانى استدعى طازاذا
أيضا وضربه وعمل على صرف المهلبى فلم يرتض خدمة أحد ممن كان
بحضرته فى الوقت فترجّع رأيه وصعد وصوب فلم يقم أحد مقام أبى محمد .
وكان أبو محمد المهلبى شهما قوى النفس لا يتحرك لشيء من نواب الدهر
فممل عملا يشتمل على ثلاثة عشر الف الف درهم باقية فى الممالك والأعمال
وأنفذه اليه وذكر انه يقيم باستخراجه وانه ان تمادت الايام فى التوكيل به
تمزقت وطمع فيها فشاور معز الدولة من حضرته وكان فيهم أبو مخلد عبد
الله بن يحيى وقال : هل يجوز أن أستنيم الى هذا الرجل وقد لحقه منى هذا
المكروه العظيم ؟ فقال أبو مخلد : قد ضرب مرداويج وزيره أباسهل أعظم
من هذا الضرب ولحمته ما لحقك من السوء عنه ثم خلع عليه وردّه الى
أمره وكان لا يطبق المشي لما حل به من الضرب فركب عمارية وثب عليه

في الطريق مال ولا يمكنه ان يستقل بالجلوس وبقي كذلك مدة ثم عاود
مرداويج الانكار عليه فذكبه وأتى على نفسه .^(١٩٤) فعند ذلك راسله معز
الدولة بالركوب اليه اذا استقل وأزال عنه التوكيل فتجلد المهلبى وركب
بعد أيام يسيرة نخلع عليه وعاد الى أمره

وكان معز الدولة حديداً سريع الغضب بذى اللسان يكثر سب
وزرائه والمحتمشين من حشمه ويفترى عليهم فكان يلحق المهلبى رحمه الله من
نفسه وشمته عرضه مالا صبر لاحد عليه فيحتمل ذلك احتمال من لا يكثر
له وينصرف الى منزله وكنت أنادمه في الوقت فلا أرى لما يسمعه فيه أثرا
ويجلس لانسهِ نشيطا مسرورا حتى لقد سمعت أبا العلاء صاعدا بن ثابت
وكان يخلفه ويأنس به يعاتبه ويقول في عرض كلامه : ان الامير اذا اتصل
به أنسك وقلة اكرانك لغضبه وما يلحقك من شتمته نسبك الى الاستهانة
به فيزيد ذلك في ضرره عليك فان أظهرت الانخزال والاستكانة حتى
يلغى تحرمك وانتباضك كان أحرى ان يقصر ويندم ولا يشتم على عادته
معك وغضبه منك . فقال له أبو محمد المهلبى : ما يذهب على ما تقول ولكن
هذا امير خرق عجز لا يملك لسانه فان ذهبت أظهر الاستيحاء من
هذياناته وقع له انى قد تنكرت له وانى لا أناصحه وانه يتهمنى بما لا يدور
في فكري فيكون سببا لجائحة ونكبة وليس له غير التغافل والتبسم^(١٩٥)
في وجهه اذا أمكن فان لم يمكن ذلك خوفا من غضبه فليس الا قلة الفكر فيه .
فكان الامر على ذلك .

وحدثني أبو بكر ابن أبى سعيد رحمه الله ان معز الدولة وقت مقامه
بالبصرة وهزيمة للبريدى افترى على المهلبى وذكر جرمه وأخفش عليه وكان

المافروخي حاضرا فلما انصرفنا من عنده قال لي المافروخي : قد ساءني أن أجري هذا الفجش القبيح بحضرتي على الوزير فكيف الطريق الى تسليته ؟ (وانما أراد ألا يتهمه بالشماتة ولا يراه بعين من علم استهانة الامير به) فقلت : الامساك في مثل هذا أولى من الكلام . فأمسك أياما لا يركب اليه الا مع الناس وقت الاذن ثم اتفق ان يدخل المافروخي وأنا معه لمهم فوجدناه واجما مطرقا فقال المافروخي : أرى الوزير واجما فهل تجدّد أمره ؟ فقال : ويحك اني أرى الامير منذ أيام قد أمسك عما كان يتعاهدنا به من بره بلسانه وأخاف أن يكون مشغول القلب بطارق تطارقه وأنا مفكر في ذلك . قال أبو بكر ابن أبي - ميد : فلما خرجنا من عنده قال لي المافروخي : هل رأيت أدهى من هذا الرجل وأذكر منه ؟ فقلت : لا

وفيهما خرج أبو غنجد وأبو بكر عبد الواحد بن أبي عمرو الشرابي حاجب الخليفة المطيع لله الى صاحب خراسان في الصلح بينه وبين أمراء بني بويه وكتب معهم كتاب عن الخليفة ^(١) (١٩٦)

﴿ ودخلت سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة ﴾

وفيهما مات أبو الفضل العباس ابن فسانجس بالبصرة ^(٢) وقُلد الديوان

(١) وزاد صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة هذه السنة : فيها اطلع أبو محمد المهدي على قوم من الناسخية فيهم شاب يزعم ان روح علي رضي الله عنه انتقلت اليه وفيهم امرأة تزعم ان روح فاطمة عليها السلام انتقلت اليها وفيهم آخر يدعي انه جبريل فضربوا فمذروا بالانتهاء الى أهل البيت فامر منز الدولة باطلاقهم لميله الى أهل البيت وهذا كان من أفعاله الملعونة . وليراجع ما نال فيه ابن الاثير في السكامل في سنة ٣٤٠ في المزاقرية يعني أصحاب محمد بن علي الشلمغاني المعروف بابن الزاقر (٢) زاد صاحب السكاملة : وبه سب سب سبعين سنة وحمك تابوته الى الكوفة

بعده أبو الفرج محمد ابنه وأجرى على رسم أبيه .
وفيها ليلة الجمعة للتاسع من جمادى الآخرة ولد الأمير أبو اسحق
ابراهيم بن معز الدولة بطالع السنبلة .

وفيها وافى أبو سالم ديسم بن ابراهيم الكردي منهنما من
آذربيجان هزمه السلار المرزبان وهو الذي حكينا ان ركن الدولة أسره
وحبسه في قلعة سُميرم فاحتال حتى فكّ قيده وقتل صاحب القلعة وخرج
مها وسنحى حيلته هذه فيما بعد . وعاد الى آذربيجان واجتمع اليه من كان
مع ديسم من الديلم وانصرف ديسم عنها وصار الى الحضرة مستنجرا بمعز
الدولة ومستنصرا فأكرمه معز الدولة جدا ووقع منه وأنس به وعائمه
وحمل اليه مالا وثيابا وكان يسميه في كتبه « الاخ أبو سالم »

﴿ ذكر السبب في خروج ديسم عن آذربيجان بعد ﴾

﴿ تمكنه منها وانهزاه من بين يدي المرزبان ﴾

كناذ كرا خبر ابن عبد الرزاق وتمكنه من آذربيجان من قبل ركن
الدولة واتفق ان أوحش كاتبه له كان صحبه من خراسان واعتمد لوزارته ابن
محمود لخدمته اياه بالاموال قديما ولخبرته بالبلدان فاستوحش الكاتب
وتركه الى ان أشغفه لجباية الاموال في نواحي ديسم وضم اليه جيشا فلما
وجد الفرصة كاتب ديسما وهرب اليه بذلك الجيش كله . فنفرت نفس ابن
عبد الرزاق ^(١٩٧) من آذربيجان وعاد الى الري وأخذ معاه ابن محمود وسار
ديسم الى أردبيل واستأذنه الكاتب الخراساني في العود الى بلده فأذن له
وأحسن اليه بالخلع والجوائز . ودبر أمره أبو عبد الله النعماني وابن الصقر
النصراني ونوافروا اليه الديلم والاكراد فملك آذربيجان وبلادها وجي

الاموال وأعطى البلاد له باليد فتمكن من آشوا ودّيل وكان عليهما الفضل ابن جعفر الحمداني و ابراهيم بن الضابي على سبيل التغلب فصاحت حاله وانتظمت . واتفق ان مات ابن الصقر النصراني فوصل من تركته اليه مائة الف درهم سوى ما اغضى عنه وهو شيء كثير فنفرّذ النعمي بوزارته . ولم يزل أمره منتظما الى ان شره الى مال النعمي وطمع فيه فقبض عليه ونصب في موضعه كاتباً له يقال له علي بن عيسى فاحتال النعمي ^(١) * * * الى بذل خطّه بكلّ ما اقترحه عليه ولم يخالفه وسلك سبيل الإدارة ثم قال له : ان ردّتي الى العغل وسلمت اليّ خليفتي عليّ بن عيسى صححت لك من جهته وجهتي سوى مال الموافقة الف الف درهم . فشرهت نفسه الى ذلك ورده الى موضعه وقبض على عليّ بن عيسى وسلمه اليه .

وكان المرزبان بن محمد في تلك الايام قد ملك القلعة التي حبس فيها بسنميرم وقتل الموكل به وهو شيراسفار وكان أيضاً قد أفلت علي بن ميشكي المعروف بـ ^(١٩٨) يلكا المأسور معه من حبس ركن الدولة وصار الى الجبل وجمع جمعا كثيرا وكاتب الديلم الذين كانوا مع ديسم واستمالهم وسار حتى قرب من وهسوذان أخى المرزبان فكافا جميعا يدبران على ديسم . ثم وصلت كتب المرزبان اليهما بخلاصه من القلعة وكاتب سائر الديلم بأذربيجان وليس عند ديسم من الخبر كله الا خبر علي بن ميشكي وظنّ أنه وحده يقاتله . فليحق اردبيل ابن أخت له يقال له غانم مضموما الى وزيره النعمي ومستوفيا عليه المال الذي ضمنه عن نفسه وعن علي بن عيسى خليفته وسار على اغترار بمن معه من الديلم فوجد النعمي الفرصة لما كان في نفسه وأفسد غانما على

خاله ديسم وقتل على بن عيسى بالـمـكروه العظيم واستأمن الى على بن ميشكى واحتمل معه كل ما قدر عليه من المال . وبلغ الخبر ديسما فعاد الى أردبيل بعد ان كان بلغ الى زنجان وشغب الديلم عليه فاخرج كل ذخيرة له من الصياغات وغيرها وتوجه الى برزعة على سبيل النزهة والصيد وهو يظن ان خصمه على بن ميشكى وليس عنده خبر الرزبان . وكان أُنقذ الى أرمينية من يوطى له نيات ملوكها من ابن الديراني وابن جاجيق وأخيه حمزة وابن سباط وغيرهم ليلجأ اليهم ان حزبه أمر وورد عليه خبر على بن ميشكى بتوجهه الى أردبيل مع عدة يسيرة ثقة بان الديلم الذين مع ديسم سيستأمنون اليه فانسكفاً ديسم الى أردبيل ووقعت الحرب فقلب ^(١٦٦) الديلم ترأسهم في وجهه وانحازوا الى ابن ميشكى سوى جستان بن شرمزن فإنه أخلص مودة ديسم فقبض الديلم عليه وأنهزم ديسم في نفر من الاكراد الى بلد الارمن فحمل اليه ملوكها ما تماسك به . وورد عليه خبر الرزبان هناك في مسيره عن قلعة سميرم التي كان محبوساً فيها وحصوله بأردبيل وتسلمه القلاع والاموال وانفاذه على ابن ميشكى في جيش لطلب ديسم فلم يتمكنه انقام فهرب الى الموصل ثم صار الى بغداد وذلك في سنة ٣٤٢ فتلقاته معز الدولة وأكبرمه ورتبه في أعلى مرتبة وقضى حقه وواصل اليه المبارك والالطاف وبذل له خمسين الف دينار اقطاعاً في كل سنة على أن يقيم بحضرته فاقام مديدة في أطيب عيش وأرخى بال فكان يقول ذلك لـكتابه وأسبابه ويقول : أرغد عيش لي وأهنأه أيام بمقامي ببغداد .

ثم كاتبه أسبابه من آذربيجان بما اغترّ به فزاع الى الامرة والاستبداد فرحل من بغداد وزوده معز الدولة مالا كثيراً ومياباً وقواباً ومراكب

فسار الى الشام زائراً سيف الدولة في طريقه ثم انقلب من عنده الى أرمينية وقصد ابن الديراني وابن جاجيق لثقتهم كانت به وانه كان أودعه ذخيرة له وكتب المرزبان اليه يلزمه القبض [عليه] ^(٢٠٠) فدافعه ثم اضطر الى أن أطاعه في القبض عليه وسأله الا يلزمه تسليمه اليه فأجابته المرزبان الى ذلك فأوقع ابن الديراني الحيلة على ديسم حتى قبض عليه وحصله عنده فلما فعل ذلك كتب اليه المرزبان يلزمه حمله الى حضرته ناقضا الشرط فدافعه مدة ثم اضطر الى تسليمه فحبسه عنده ثم سمل عينه فلما توفي المرزبان قتله بعض أسبابه خوفاً من غائلته

﴿ ذكر حيلة المرزبان على صاحب قلعة سميرم وما تم عليه حتى ﴾
﴿ أفلت من موضعه وعاد الى مملكته بأذربيجان ﴾

لما حصل المرزبان في القلعة امتنع من الطعام والشراب خاصة اللحوم وما أشبهها واقتصصر على القوت اليسير من الخنطة التي يستظهر منه أيضا فبلغ خبره ركن الدولة فأمر أن يوصل اليه طبائخه الذي يثق به ليتولى له ما كان يتولاه من المأكل والمشرب فحصل الطبائخ في القلعة معه وأخذ المرزبان في تدبير الخلاص على يده . وكان الطبائخ خفيفاً أحرق وظهر منه ما في نفسه وعرف خبره شيرازي سفار صاحب القلعة فرمى به من قلة القلعة فهلك وضيق علي المرزبان . وكانت والدته المرزبان خراسويه بنت جستان بن وهسوذان الملك تبذل الاموال في تعرف أخباره وتحتال في خلاصه وكان ابراهيم المعروف بابن الضابي (وقد تقدم ذكره) في حبس ديسم فتخلص منه ولم يجد مفرغاً الا خراسويه فقصدتها ولاذ بها ^(٢٠١) وضمن لها أن يتوصل الي المرزبان فأطلقت له مالا وأثذته . وكانت المراغة بها رجل يعرف بتوبان

يصارع ويقامر ويدخل في كل منكر فطلبه أصحاب الشرط بها خاف
وهرب من المراغة وقصد خراسويه وضمن لها السعي لها في أمر ابنها
فطمعت في جلادته وأطلقت له مالا وعرفته خبر ابن الضابي وأنه نفذ قبله
فاجتمعوا ولبسا لباس التجار وأظهروا الستر والدين والورع ولزما فناء القلعة
وراسلوا شيراسفار وعرفاه انهما تاجران وانهما كانا فيما مضى يعاملان
المرزبان وأنه أخذ بضائعهما وامتعة التجار وسألاه أن يجمع بينهما وبين
المرزبان ليتجزأ كتبه وعلاماته بازاحة عنهم فيما يستحقانه وتستحقه التجار
عليه وواصل الدعاء له وعلى المرزبان وأكثرا لعه وشتمه وكانا يقولان:
الحمد لله الذي كفى الناس شر هذا الظالم الذي لا يعرف الله ولا يؤمن
بنييه صلى الله عليه . وما أشبه هذا حتى رق شيراسفار لهما وأوصل
واحدا واحدا منهما اليه من غير اجتماع فقال المرزبان : لا أعرفهما .
فاغظله وواجهه بالقبيح وخوفاه بالله وسوء العاقبة وقال : انى لا أعرف
جسائهما ولاكنى أكتب بان يحاسبنا . وكثر^(٢٠٣) تردهما اليه فضمت
والدته اليهما وصيفا الديلمي للتنقب وكان في عسكر السلطان قديما ورجلا
آخر يعرف بابي الحسن ابن جنى وجماعة من أهل الطرم على هيئة التجار
ويحملوا اللطاف الى شيراسفار وأسبابه والى بواب القلعة وكانوا يشترون
منهم الخوايج ويمدونهم الى أن يصلوا الى أموالهم وبضائهم انهم يبدلون
لهم أموالا جلية وفي خلال ذلك ييكون ويشكون ظلم المرزبان وعدوانه
وكانوا يصلون الى المرزبان فرادى ويوصلون السكتب ويتجزون الاجوبة
ويدسون اليه في خلال ذلك الدنانير الكثيرة ليبدلها وينفقها فيما يحتاج اليه .
وكان لشيراسفار الموكل بالقلعة غلام أمره وضىء الوجه يحمل ترسه

على مذهب الديلم فأظهر المرزبان عشقا له ومحبة مفرطة فكان يعطيه سرا الشيء بعد الشيء ويمده ان هو تخلص بامور عظيمة وولايات كبار حتي طمع الغلام وواطأه على كل ما أحب وأوصل اليه درعا في زنبيل فيه تراب وعدة سكاكين وأوصل اليه شموعا فيها مبارد واجتمع معه على وجوه الحيل . وأظهر أولئك القوم الذين كانوا في زى التجار النسك والثأله والخشوع فصاروا يصلون الى باب القلعة ويوصلهم البواب واحدا واحدا الى ان تمت الحيلة بموافقة هذا الغلام للأسير سرا^(٢٠٣) وكان اتفق معه على يوم بعينه اذا دخل اليه شيراسفار يناوله الترس والزوبين الذي لصاحبه اذا استدعاه منه ووافق بعض أولئك التجار ان يكونوا مع البواب ليفتكوا به اذا صاح بهم . فلما كان في ذلك اليوم وصل اليه توبان وكان أجدهم وجلس آخر مع البواب ليفتك به اذا سمع الصوت وجلس الباقيون قريبا من الباب ليدخلوا عند انتمكن فلما صار اليه شيراسفار على رسم كان له وكان المرزبان قد برد سمارة قيده على مر الايام ولبس في ذلك اليوم درعه والتف بكسائه وكان يخاطب شيراسفار قديما ويسئله ان يطلقه ويمده المواعيد العظام فيمتع عليه شيراسفار ويقول : لا أخون ركن الدولة أبدا ولكن أساعدك على كل ما يخفف عنك غير هذا الباب . فلما كان في ذلك اليوم عاد المرزبان في مسئلته وكان توبان حاضرا فقال لهم توبان : بالله الا خلصتموني من الديون عليكم ثم عودوا لشأنكم . فقال المرزبان لشيراسفار : قد أطلت عنائي . ونهض من موضعه وقد أخرج رجله من القيد وبادر الى الباب فتسلم الترس والزوبين من الغلام ونهض شيراسفار ليتعلق به فوثب توبان اليه وعاركه وضربه ثم وجاء بسكين كان معه حتى قتله وصاح المرزبان (٢٠ — نجارب (س))

اشتلم^(١) على عادة الديلم فوثب الرجل^(٢٠٤) الذي كان في الدهليز على البواب فقتله ودخل القوم الذين كانوا بالقرب فأحذقوا بالمرزبان وكان منغمساً في دم شيراسفار . وكان الموكلون في القاعة على تفرق ولعب بالنرد فدخلهم الرعب واجتمعوا وطلبوا الأمان فجمعهم المرزبان في بيت وأخرج حرم المقتول شيراسفار وحرم الجماعة ثم طاب سلاح القوم الذين في البيت فملكه ثم أخرجهم من القلعة وتوافى إليه الرجال حتى خرج ولحق بأمنه

وفي هذه السنة تم الصلح بين ركن الدولة وابن محتاج بعد حروب كثيرة على باب الرى ومنازلة ثلاثة أشهر وانصرف ابن محتاج الى خراسان ﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان استمد وشمكير على عادته صاحب خراسان فامسده بابي على ابن محتاج في جموع كثيرة وتوجهوا الى الرى وظنوا أنه الاستيصال وأنه لا ثبات لركن الدولة ولا بقية له وجاء وشمكير على ثقة بذلك فلم يركن الدولة أنه لا يقوم لهؤلاء الجمع الكثير الا بالمطاولة والتحصن بحيث يكون القتال من وجه واحد فجعل بلد الرى خلقه وحارب في الموضع المعروف بطبرك فدامت الحرب وصبر الفريقان الى أن قرب الشتاء ومل الخراسانية فلم يصبروا وخافوا ايضاً سقوط انثلج عليهم فاخذوا^(٢٠٥) في العتاب والتراسل ورق أمر الحرب . وكان الواسطة من قبل الخراسانية أبو جعفر الخازن وهو صاحب الكتاب المعروف بزيج الصفائح^(٢) وله تقدم في علوم الرياضة ومراً بينهما كلام كثير انتهى الى المودعة والصلح

(١) كلمة فارسية معناها العنف

(٢) وردت ترجمته في تاريخ الحكماء لجمال الدين الفطحي ص ٣٩٦

فاشير على ركن الدولة بان يجهز على الجرح ولا بنفس عن خناق عدوه فانه انما جنح للسلم عن ضرورة وقد تقد صبره وماله وشغب عليه جنده « ووراءك بلدة مثل الرى وانت وادع جام بها » ولم ير له احد من نصحاائه ان يجيبهم الى الصلح وذاك ان النكول كان قد ظهر فيهم . فلم يقبل ركن الدولة هذا الراى من احد على سداده ووضوحه ولو صدقهم بصدمة يصد مهم بها لآتى عليهم والله اعلم بعواقب الامور فقبل الصلح وشق ذلك على وشمكير وبلغ منه مبلغا عظيما وذلك انه كان لا ينتظر ولا يرجو ان يجمع اكثر مما جمع ولا يمتدح اكثر من هذا الاحتشاد . فلما انصرف ابن محتاج طلب ركن الدولة وشمكير فانهزم من بين يديه ولم يقف فاتبعه حتى اخرجاه من طبرستان وجرجان وحصل باسفرايين . وكتب الى نوح بن نصر يعرفه ما جرى ويفرجه بان محتاج فاغتاظ نوح وتحرك منه ما كان فى نفسه على ابن محتاج ^(٢٠٦) فعزله من الجيش بيكر بن مالك واتقذه فى جيوش عظيمة فصار ذلك سببا قويا ضروريا لمساكنة ابي على ابن محتاج ركن الدولة وعدوله الى طاعته بعد ان اصابه فى نفسه واسبابه واحواله مكاره عظيمة ازالته ثقته بصاحبه وثقة صاحبه به ولم يبق بينهما حال يرجى معها الصلاح . وكتب الخليفة فى هذا الصلح كتابا نفذ على يد ابن ابي عمرو الشرابى حاجب الخليفة وابى مخلد عبد الله بن يحيى صاحب معز الدولة واتفق موت نوح قبل ان يؤدى الرسالة والكتاب وقعد مكانه عبد الملك بن نوح . ولما قدم ابو مخلد من خراسان عائدا ومعه ابوبكر عبد الواحد بن ابي عمرو الشرابى اعترضهما ابن ابي الشوك الكردى من الشاذنجان وكان متقلدا أعمال المعاون بجلوان واليه الحماة والطريق وأظهر الخدمة وخرج معهما مبذرقا بهما ثم

غدير فنهبهما ونهب القافلة التي كانت معهما وأسر أبا مخلد وأفلت أبو بكر عبد الواحد بن أبي عمرو الشراي فطالب ابن أبي الشوك معز الدولة باطلاق رهائيه ووعده أنه ان أطلقوا أطلق أبا مخلد فضمن له ذلك وأطلقوا وأطلق أبا مخلد ثم خرج الحاجب سبكتكين الى حلوان للايقاع بالاكراد فدخل حلوان وقرر أمر الاكراد وابن أبي الشوك^(٢٠٧) وعاد

﴿ ودخلت سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة ﴾

وفيها خرج أبو سالم ديسم من بغداد وذلك لما يتيسر من نصرة معز الدولة .

﴿ ذكر السبب في بأس ديسم من نصرة معز الدولة اياه ﴾

سبب ذلك ان ركن الدولة صالح المرزبان بن محمد السلار وضاهره وتمكن سلار من آذربيجان فانصرف ديسم من حضرة معز الدولة وودعه وظن انه يجد عند ناصر الدولة عوناً فقصده وأقام عنده بالموصل مدة ثم مضى من عنده بعد اليأس منه الى سيف الدولة أخيه وأقام عنده أيضاً مدة وفي هذه السنة قصد أبو علي ابن محتاج ركن الدولة للضرورة التي ذكرناها وجاء على طريق جبل ونداز هرير فاستقبله ركن الدولة وبالغ في إكرامه وأضافه وجميع من معه وأقام لهم الانزال الواسعة والنمس ابن محتاج عهداً يكتب له من جهة الخليفة على خراسان فكتب معز الدولة في ذلك فتسكفل به حتى فعل .

وفيها وصل رسول ابن محتاج الى بغداد ولقي معز الدولة فاحتشده له احتشاداً كثيراً وأوصله الى الخليفة حتى عمد لابي علي على خراسان، وقلده اياها مكان نوح بن نصر وسلم اليه العقد والخلع وضم^(٢٠٨) اليه أبا مخلد وأبا بكر بن أبي عمرو الشراي وأنفذ معهم معز الدولة أبا منصور لشكر ورز

نجدة لابي علي ابن محتاج ومأونة له على نوح فلما كان بعد مدة ورد كتاب
أبي علي ابن محتاج بانه قد خطب لامير المؤمنين المطيع لله بنيسابور ولم يكن
خطب له الى هذه الغاية في شيء من بلدان خراسان^(١) وذكر في كتابه
صححة موت نوح . وورد الخبر بان نوحا لما حضرته الوفاة كان بحضرته ابن
مالك وهو أحد قواده الكبار فغلب على الامر وعقد الامر لعبد الملك بن
نوح في ولاية خراسان وتقلد هو رئاسة الجيش مكان أبي علي ابن محتاج .
وسار يطلب ابن محتاج واتقل عن ابن محتاج رجاله وعادوا الى صاحب
خراسان وبقي أبو علي في مائتي رجل من أصحابه سوى من ضم اليه من
الديلم فاضطر الى الهرب من بين يدي ابن مالك . وورد خبره من الدامغان
بانه صائر الى ركن الدولة مستجيرا به فقبضه ركن الدولة أحسن قبول وأقام
عنده بالرى . ونزل ابن مالك بنيسابور وتتبع أسباب ابن محتاج .
وفيهما صرف الابرأعجي عن الشرطة ببغداد واعتقل وصودر على
الماناة ألف درهم وقلد الشرطة مكانه تكينك نقيب الاتراك وقد كان
طويل قبل صرفه بأربعين ألف درهم على ان يقرر^(٢) في عمله من
الشرطة ووعد باقطاع فلم يفعل

﴿ ذكر الرأى الخطأ من الابرأعجي حتى استمرت عليه ﴾

﴿ النسكة وعظمت بعد ان كانت خفيفة ﴾

كان الابرأعجي منقطعا الى أبي علي الخازن فاستشاره وكان أبو علي
يعتني به فاشار عليه ألا يلتزم شيئا ولا يدخل تحت شيء مما يُطالب به وقال

(١) زاد صاحب التكملة . وبلغ الخبر بموت موسى فياذه فأنجده المهلبى لحيازة

مركته وكان عظيمه .

له : هذا يطمع فيك ويسير رسماً عليك فان امتنعت انحسم الطمع فيك وفيما بعده . فقبل رأيه فاداه ذلك الى النكبة وما أراد به أبو علي الا الخير ولكنه أخطأ الرأي كما يخطئ الانسان ولما أدى هذا المال وانصرف الى منزله قبض أيضاً عليه ونُسكب نكبة ثانية وسُلم الى تسكينك جُرى عليه مكره عظيم وصودر على مائتين وخمسين ألفاً فادّاها .

وفيها دخل ركن الدولة الى جرجان ومعه أبو علي ابن غنّاج بغير حرب وانصرف وشمكير عنه ودخل خراسان

وفيها خطب (بمكة والحجاز) لركن الدولة وممّن الدولة وبختيار وبدمم لابن طنج وذلك بعد حرب جرت بين أصحاب ممّن الدولة وبين المصريين وكان أبو علي ابن محمد بن عبيد الله صاحب الحاج من قبل السلطان بمكة وقاتل وقتل ابن له بين يديه

﴿ ودخلت سنة أربع وأربعين وثلاثمائة ﴾^(٢١٠)

وفيها عقد ممّن الدولة لابنه أبي منصور بختيار الرئاسة وقلده أمرة الامراء وذلك في المحرم من هذه السنة وكان سبب ذلك انه عرض لأمّن الدولة علة يقال له فريافسمس وهي علة الانماط الدائم ويكون معه وجمع شديد مع تواتر القضيّب وكان ممّن الدولة خوارة في أمراضه فإوصى وقلده ابنه كما حكينا أمرة الامراء .

وبلغ عمران بن شاهين ان ممّن الدولة قد مات واجتاز به مال يحمل الى ممّن الدولة من الاهواز ومعه كاركير فيه للتجار أمتعة عظيمة وكاف مقدار المال المحمول لأمّن الدولة مائة ألف دينار وما للتجار أضعاف ذلك . فد عمران يده الى المال والسكر على رسمه في مثل ذلك فأخذ الجميع وقبض .

على المزعل ملاح معز الدولة الذي كان مع المال فصادره وضربه ضربا عظيما ودفعه الى أن أزمته ثم أتخذ اليه معز الدولة أبا الحسين الكوكبي^(١) نقيب الطالبيين برسالة الى ان رد المال وذهبت أمتعة التجار وانتقض الصلح وتآدى الامر الى الوحشة

وكان الحاجب سبكتكين أخرج الى شهرزور في جيش كثير ومعه عرادات ومنجنقات فأقام مدة عليها ولم يمكنه فتحها^(٢) واتفق أن جيشا ورد من صاحب خراسان الى الري فاحتيج الى انفاذ سبكتكين الى ركن الدولة مددا له فانصرف من شهرزور ولم يصنع شيئا

وفيها ورد ابن ما كان اصبهان وكان مسيره اليها على طريق المفازة من خراسان فهجم هجومًا واضطر أبو منصور بويه بن ركن الدولة وعيال ركن الدولة وجميع أصحابه أن يخرجوا على وجوههم الى خان النجان ومنها الى الرباط على أقبح صورة واستولى ابن ما كان على اصبهان . وكان الاستاذ الرئيس أبو الفضل ابن العميد رفع الله درجته بارجان فبادر مع قطعة من العرب ونفر يسير من الديلم كانوا معه فوجد ابن ما كان قد تبع أبا منصور بويه بن ركن الدولة ومن معه من الحرم فلحق سواده وملك خزائنه وتخلص الامير بويه والحرم على . وقد أشرف هو والحرم على الفضيحة والاسر

(١) هو أحمد بن علي بن أبي جعفر محمد الكوكبي من ولد محمد الارقط بن عبد الله الباهر بن علي زين العابدين وقال صاحب كتاب عمدة الطاب انه كان نقيب النقباء ينفذ في أيام معز الدولة : وفي كتاب الافادة في تاريخ الإثمة السادة لابن غالب يحيى ابن الحسين البطحاني العلوي المتوفى سنة ٤٢٢ . كان فيه زعارة وغف فشكا العلوية الى معز الدولة سوه معاملته اياهم مرة بعد أخرى . فقال لهم . قد عزلته عنكم فاختاروا لانفسكم من نرضونه . فاجتمع العلوية كلهم على الرضي بابي عبد الله ابن الداعي .

فلحقه الاستاذ الرئيس فعارض ابن ما كان ودافعه بخان النجان فأوقع به واستأسره وبه ضربات وأسرى جميع قواده وقتل أصحابه قتلاً ذريعاً . وحمل الاستاذ الرئيس أبو الفضل ابن ما كان وقواده الى القلعة بالخان ثم صار الى اصبهان فأوقع بمن فيها من أصحاب ابن ما كان وورد الامير ^(٢١٣) أبا منصور بويه بن ركن الدولة مع الحرم الى اصبهان مصونين وتلافى ذلك الخطب العظيم أحسن تلاف .

وكان يحدثنى رحمه الله بخبر هذه الوقعة مرات فيقول : لما التقينا بالخان اهزم غنى أصحابى واشتغل أصحاب ابن ما كان بالنهب والغارة وثبت آتفة فقط من غير رجاء منى في ظفر بل وقفت وقوف المستسلم للقتل والاسر . وذلك انى افكرت فى تلك الحالة وقلت « ان انصرفت بنفسى سالماً ومثلت بين يدى صاحبي أى وجه يكون لى عنده وأى لسان يدور بمذرى بمحضرتة بعد ان أسلمت أعزته وأولاده وحُرّمه وبالجملة ملكه ! » ونظرت فاذا القتل على فى حالتى تلك أهون من هذه الحال التى تصورتها فصرت لان أقتل كريماً (قال) فكنت واقفا وراء خيمة لى بعمودين وأنا أرى أطناها تقطع وما فيها يخرج ومن يرانى لا يظن انى أثبت فى ذلك الموضع مع تلك الصورة فينما أنا كذلك وأصحاب ابن ما كان مشغولون غنى بالنهب اذ تاب الى ثلاثى روين وفلان وفلان وراءهم العرب فتاب منهم جماعة يسيرة فحملت بهم وصاح الناس السكر فقتلنا وأسّرنا ولم يفلت أحد ولما كان بعد ساعة من النهار لم يبق من جيش ابن ما كان عين تطرف ^(٢١٣) الا من أخذ أسيراً وحمل الى ابن ما كان وبه ضربة فى يده وقد تعلق منها اصبعان بجملة رقيقة فبدها حتى قطعها (قال) فهو على ذلك بين يدى حتى شق الزحمة اليه

مكار أو ركابي فصفعة صفعة طن بها الموضع وغاص فلحقني غيظ عظيم وأمرت بطلبه وهممت بالمثلثة به وقطع يده فما وتفت له على أثر ولا عرف له خبر الى اليوم

وكان ابن ما كان مع عظم قدره في نفوس الديلم وشدة بأسه محرباً عظيم القوة ورأيت انا جوشننه وهو رزين جدا يعرض على قتيان الديلم واشدأهم أن يلبسه فيستعفى منه لئلا يلد على اليد

وفي هذه السنة أنجد سيف الدولة ديسما وعاضده بمض الاكراد فقصد المماس وملكها وخطب لسيف الدولة بها وكان السلار غائباً بناحية باب الابواب مشغولاً يقوم خرجوا عليه هالك فلما عاد من باب الابواب وأصلح أمره هناك وظهر بعدوه فقصد ديسما فاستأن رجاله الى سلار وهرب ديسم ومضى الى ابن الديراني صاحب أرمينية مستجيراً به فقبله ثم غدر به وقبض عليه وقيده وحمله الى السلار فيقال ان السلار سمله ثم قتله

وفيها مات أبو علي ابن محتاج وابنه بالري في وبأ حدث هناك وفيها تم الصلح^(٢١٤) بين ركن الدولة وصاحب خراسان .

وفيها ورد أبو الفضل القاشاني صاحب ركن الدولة مع ابن أخت ابن مالك برسالة عبد الملك بن نوح صاحب خراسان يلتمس أن ينفذ اليه خلع ولواء على خراسان فمقد له الخليفة اللواء وولاه مع الخلع الى ابن أخته الوارد برسالته ورده مع أبي الفضل القاشاني وقاد أيضاً اليه فرسا وأضاف الى خلع الولاية خلع منادمة^(١)

(١) زاد صاحب التكملة . وفي هذه السنة سيد معز الدولة فوهة نهر الرقيل وسيد ببق التهروانات وحفر للخلاص محوله وشرع في سد ببق الرومانية بادوريا . وقال أيضاً (٢١) — نجارب (س)

﴿ ودخلت سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ﴾

وفيها خوطب أبو محمد المهلب بالوزارة وأمر بذلك معز الدولة وخلع عليه وزاد في اقطاعه

وفيها خرج روزبهان بن ونداذ خرشيد الديلمي على معز الدولة وخرج أخوه المسي بيلكا بشيراز وكاشفا بالعصيان وفعل مثل ذلك أخوه الآخر أسفار بالاهاواز وجاء روزبهان الى الاهواز وكان بها الوزير المهلب ليحاربه فاستأمن رجاله الى روزبهان وانحاز الوزير عنه . وورد الخبر بذلك على معز الدولة فلم يكن يصدق بذلك لشدة ثقته به فانه هو الذي اصطنعه ونوّه باسمه فكان خاملا وعظم قدره وكان صغيرا قبل ذلك من رجال موسى فيأذه وصغار أصحابه . وأتقذ معز الدولة شيرزبل على مقدمته للحرب واضطرب الديلم بأجمعهم على معز الدولة ^(٢١٥) اضطرابا شديدا وأظهروا أشياء كانت في نفوسهم عليه من العتب والاستبطاء وكاشفوه وواجهوه بكل ما كره وأخذوا يستأمنون . فقلد معز الدولة الازعاجي الشرطة بواسط وأنفذه اليها وفي يوم الخميس لحس خلون من شعبان خرج معز الدولة من داره ببغداد متوجها الى قتال روزبهان وزاد الامر في استئمان الديلم الى روزبهان . وخرج الخليفة المطيع لله منحدرًا الى معز الدولة وذلك ان ناصر الدولة لما بلغه خبر روزبهان وما عمله هو واخوته حدث نفسه ببغداد فوجه بابنه أبي البرججي وآخر من أولاده الى بغداد وبلغ ذلك معز الدولة فرد الحاجب بسبكتكين من واسط لضبطها وكتب الى مسافر بن سهلان (وكان بنهاوند متقلدا لها) يأمره

وأنحدر روزبهان في شهر رمضان لقتال عمران وجاء المهلب الى زاوطلا لمعاوته وترك روزبهان مجازبة عمران ومضى الى الاهواز ناصبا

بالتعجل الى بغداد لمضامة الحاجب سبكتكين ببغداد . فشغب الديلم المقيمون ببغداد لطلب أرزاقهم فبعث اليهم . سافر وسبكتكين ولشكر ورز ووعدهم بالمال فسكنوا وكان مسافر نزل في أعلى القطيعة وخرج سبكتكين الحاجب فنزل بباب الشامية وهم على قنوط من [معز] الدولة . ومنع معز الدولة جميع الديلم من العبور لقنطرة أربق معه لما رأى من استئمانهم الى روزبهان ووكل بالقنطرة من يمتنعهم من عبورها قلة ثقة بهم^(٢١٦) وخوفا من أن يقدروا به . ويشوشوا باقى عسكره لانه كان ينفق فيهم فاذا قبضوا النفقات صاروا الى روزبهان من فورهم فمأعبر معه من الديلم الا ليلى بن موسى فيأذه وشيرزىل ابن وهري والحسن بن فناخسره فقط

وكان اعتماد معز الدولة على غلمانه الاتراك خارب روزبهان يوم الاثنين انسلاخ شهر رمضان نهاره كله الى ان سقط القوم^(٢١٧) ثم حل بنفسه في غلمان داره وحضهم بأن قال : يا أولادى قد ربيتكم تربية الاولاد فأرونى غناءكم الساعة . فحملوا معه حملة الصبيان الاغمار فلم يردهم شىء وانهمز روزبهان وأصحابه وأسر روزبهان وبه ضربات وأسر كوركير وفتح اللشكري وأرسلانى كور

﴿ شرح صورة هذه الحرب على سياقة من شاهدها ﴾

استوحش الديلم من منع معز الدولة اياهم من العبور فاجتمعوا عليه وقالوا له : ان كنا رجالك فاخرجنا نقال بين يديك فأنا لا نصبر ان نجلس مع الصبيان لحفظ سوادك ونرى الاتراك يقايلون عنك فتى ظفرت بمدوك خرجنا من المحمدة ومتى ظفر عدوك فلحقنا العار والسبة . وكانهم سلكوا

في هذا السلام مسلك الحيلة يُطلق لهم العبور فيتمكنون من ^(٢١٧) كسر
عسكره والاستئمان الى عدوه فسألهم التوقف وقال : انما أريد ان أشام
القوم ولا أناجزهم فيما فعلت بالامس فاذا كان في غد باكرناهم باجمعنا على
تعبية واستعنا بالله وناجزناهم . وكان يدبر عليهم النفقات وبواصل العطايا
ويكثر المدارة فامسكوا عنه وعبر معز الدولة وعبي غلمانه كراديس تتناوب
في الحملات الى وقت غروب الشمس فهناك قتل الاتراك وانقطعت حيلهم
وفنى نسايمهم وشكوا الى معز الدولة وقالوا : ليس فينا فضل وقد أوسينا
فستريح الليلة وتفرق فينا النشاب ونباكرهم الحرب . فعلم معز الدولة
انه ان رجع عن هذه الحالة زحف روزبهان والذيل ونار من خلف ورائه
من أصحابه الديلم الذين كان يهملهم فلا يمكنهم الهرب وكان الهلاك فبكي
بين أيدي غلمانه وكان سريع الدمعة ثم سألهم ان تجمع الكراديس
كلها ويحملوا وهو في أولهم فاما ان يظفروا واما ان يقتل أول من يقتل
فظالبوه بالنشاب فقال : قد بقي مع الغلمان الا صاغر نساب نخذوه وتوزعوه
وكانت عدة من الغلمان الا صاغر تحتهم الخيل الجياد العناق وعليهم الجب
والتجايف وكانوا سألوا معز الدولة ان يأذن لهم في الحملة نوبة في
الكراديس فلم يأذن لهم ^(٢١٨) وقال لهم : اذا كان الوقت الذي يصلح
لكم ما سأتم اذنت فيه . فوجه اليهم بنقيب وأوماً بيده أن اقبلوا ما يقول
النقيب ليأخذ النشاب منهم فلم يشكوا انه انما أوماً اذناً لهم فيما كانوا
يسألونه ووعدهم به حملوا وهم مستريحون وكذلك خيلهم فصدموا صفوف
الديلم فكسروا بعضهم فوق بعض وصاروا من ورائهم وحمل معز الدولة
فوضع فيهم التوت فكانت اياها وكتب بالظفر الى بغداد

فورد على الديلم المقيمين ببغداد ما أدهشهم ولم يصدقوا به وقدروا
انه أرجف بذلك ارجافا فكانوا يستهزئون استهزاء ظاهراً ويقولون « نعم
كانوا دجاجاً وضع عليهم مكتبة فما أدلت أحد » وكانت نفوسهم اثراأت
الى روزبهان فلما صح عندهم الخبر ضمفت نفوسهم وانخذلوا . وأسرع معز
الدواة الانصراف ليلحق ببغداد قبل ورود أصحاب ناصر الدولة اليها فدخل
بغداد يوم الجمعة لاثني عشرة ليلة بقيت من شوال ودخل داره ثم سار في
يومه ذلك في المساء الى معسكر الحاجب بباب الشماسية في زرب ومعه
روزبهان في زرب آخر مكشوفاً يراه الناس وكوركير في زرب آخر
واجتمع الناس على الشطوط فدعوا له وعلى روزبهان . وقد كانت العامة
محبين لايام^(٢١٩) معز الدولة وذلك لما كان منه في سد بثق نهر الرفيل
وسد بثق بادوريا فانه خرج بنفسه حتى سد هذا البثق وحمل التراب بنفسه
في بركة قبائه حتى فمل جميع المعسكر مثل فعله وسد ذلك البثق ثم خرج
الى النهروانات فسد بثقائها وكانت النهروانات قد بطلت وكذلك بادوريا
فلما سد بثوقها عمرت ببغداد وبسع الخبز النقي عشرين رطلاً بدرهم فمالت
العامة الى أيام معز الدولة وأحبوه .

ومضى الامير معز الدولة ممتداً الى عسكره بقطر بل وكان أبو المرحج
وأخوه قد وصلا الى عكبرا ووصلت خيولهما الى البركان فلما بلغهما قدوم معز
الدولة وما جرى على روزبهان انصرفا من عكبرا الى الموصل وتبعهما الحاجب
سيكتكين فلم يلحقهما لاغذاهما السير .

وجنس روزبهان بالصراة في حصن كان هناك فكان الديلم يحدثون
أنفسهم بكبس موضعه واخرجه وأشار أبو العباس مسافر على معز الدولة

بقتله فأبى وكره ذلك الى ان قال جماعة من ثقاته : انك ان لم تبادر الى قتله
أخذه الديلم غصبا وزالت الدولة وذهبت أرواحنا . فأخرج حينئذ بالليل
وغرّق في سُميرية أسفل دار الخليفة وورد الخبر بعد ذلك بظفر الاستاذ^(٢٢٠)
ابن العميد يُلُكّا أخى روزبهان ورزّه الملك على أبي شجاع فناخسره بن
ركن الدولة . فانطوى ذكر روزبهان واخويه بعد ان اشتعل اشتعال النار
وانحار اليه والى أخيه بألكا الديلم وظنوا انهم قد ثقلوا مُلك بني بويه ولله
الامر من قبل ومن بعد . ثم ان معز الدولة أسقط الديلم الروزبهانية وقبض
على جماعة من قواده وأعرض عن سائر الديلم وأقبل على الاتراك واصطنعهم
وكتب بالفتح الى الامصار

﴿ودخلت سنة ست وأربعين وثلاثمائة﴾

وفيه ورد الخبر بموت السلار المرزبان بأذربيجان في شهر رمضان
وكانت وفاته بفساد المزاج فلما يئس من نفسه أوصى الى أخيه وهسودان على
ان يكون الرياسة له ثم من بعده لابنه جستان وكان قد تنبم الى أصحاب
قلاعه الموكلين بحفظها ان حدث عليه حدث الموت الا يسلموها الا الى
جستان ابنه فان حدث به حدث الموت فالى ابنه ابراهيم فان مات فالى ابنه
ناصر . وكان له ولد رابع يقال له كيخسره^(٢٢١) فلم يذكره لصغره وقال « فان
لم يبق من هؤلاء أحد فسلموها الى أخي وهسودان » ولما وصى الى أخيه
وصيته هذه عرفه علاماته التي بينه وبين أصحاب قلاعه فانفذ وهسودان^(٢٢٢)
بعلاماته وخاتمه الى المرتين في القلاع في تسليمها اليه فابوا عليه وأظهروا
وصيته المستورة . وكان ابراهيم بن المرزبان متزوجاً بابنة ولكن بن خرشيد

وهو من أكابر الديلم وكان ولكن هذا محبوسا من جهة المرزبان باردويل فلما مات المرزبان خاطبته زوجته في أبيها وحملته على ان يمضي بنفسه ويخرجه من محبسه فركب وأخرجه من غير استئذان عمه وهسودان فاستوحش وهسودان وفكر في مخالطة أخيه له في الوصية وفي اقدام ابن أخيه ابراهيم عليه وإخراجه ولكن من محبسه بغير اذنه فساء ظنه وخرج من أردبيل كالحارب الى الطرم فاستولى جستان على ممالك أبيه وأطاعه أخواه ابراهيم وناصر وقلد وزارته أبا عبد الله النعيمي وتوافق اليه قواد أبيه الا جستان بن شرمزن فانه تأخر عنه وفكر في التغلب على ناحية أرمينية وكان واليا بها . وأخذ وهسودان في التضريب بين أولاد أخيه وتفرق كلمتهم واطماع أعدائهم فيهم والتشفي بما عومل به حتى اضطرب عليهم عسكرهم وطلابوهم بما لا يتسعون له حتى تمكن منهم وقتل بعضهم وحرص على من لم يمكنه قتله حتى بلغ ما أراد واشتفى وزاد^(٢٢٢)

وفي هذه السنة كثر ببغداد أورام الحلق والامشرا وكثر الموت بهذين الضربين^(١) وموت الفجأة وكل من اقتصد انصبت الى ذراعه مادة حادة عظيمة يتبعها جى حادة فيحتاج الى بط و ما سلم أحد ممن اقتصد . وكانت شتوة هذه السنة دفيئة غادمة الامطار وحكى أهل البحر ان البحر نقص في هذه السنة ثمانين باعا وانه ظهر لهم جبال وجزائر لم يعرفوها ولا سمعوا بها قط وكانت زيادة دجلة في هذه السنة يسيرا نحو عشرة أذرع وكان بالري ونواحيها زلازل عظام مات فيها من الناس ما يعظم مقداره ويكثر عدده^(٢)

(١) لعله «المرضين» (٢) قال صاحب التكملة : وفي هذه السنة خرج أبو الحسين ابن مقله الى كربلاء لزيارة فيه فاجلج فمات في طريقه وأعيد الى داره ودفن في مربعة أبي

﴿ ودخلت سنة سبع وأربعين وثلاثمائة ﴾

وفيهما كثرت الزلازل ببغداد وحلوان وبلدان الجبل وعظم أمرها بالجبل خاصة فخرت الابنية وقتلت الخلق^(١)

وفيهما شغب الاتراك والديلم بالموصل على ناصر الدولة وزحفوا الى داره وأرادوا الفتك به فحاربهم بفلمانه وبالعامة وظفر بهم وقتل بعضهم في الوقعة وقبض على جماعة وهرب الباقون الى بغداد

وفيهما ورد الامير أبو منصور بويه بن ركن الدولة الى بغداد يخاطب ابنة معز الدولة ومعه أبو علي ابن أبي الفضل القاشاني وزيراً ومعه أبو القاسم اسمعيل بن عباد يكتب له على سبيل^(٢٢٣) الترسل . فلما كان ليلة السبت لليلتين خلتا من جمادى الأولى زُفَّت بنت معز الدولة الى أبي منصور بويه ثم حملها الى إصبهان

وفيهما خرج معز الدولة نحو الموصل يوم الخميس لاربع عشرة خلت من جمادى الآخرة وعبر من باب الشماسية الى قطربل وضرب مضاربه هناك وعزم على قصد الموصل لمحاربة ناصر الدولة وأولاده لما كان منهم في قصد

عبيد الله . وزاد صاحب تاريخ الاسلام . وله تسع وثلاثون سنة (١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : وكان بالري ونواحيها زلازل عظيمة وخسف بلد الطائمان في ذى الحجة ولم يفلت من أهائها الا نحو ثلاثين رجلاً وخسف بخسين ومائة قرية من قرى الري وانصل الامر الى حلوان فخسف بأكثرها وقذف الارض عظام الموتى ونفجرت منها المياه وتقطع بالري جبل وعلقت قرية بين السماء والارض بين فيها نصف نهار ثم خسف بها وانخرقت الارض خروفا عظيمة وخرج منها مياه منتنة ودخان عظيم هذا نقل ابن الجوزي قاله أعلم . وقال أيضاً . وفي سنة ٣٤٧ عادت الزلازل بحلوان وقم والحبال فالتفت خلقاً عظيماً وهدمت الحصون وجاء جراد طبق الدنيا فأتى على جميع الغلات والاشجار

ممالكه والطمع فيها بعد الصلح والموادعة وتردّدت الرسل فامر معز الدولة ان تُكتب عنه توبيخات وتهجينات عنيفة شديدة وأمر ان تُقرأ وتُستوفى أجوبتها

﴿ ذكر هذه التوبيخات ﴾

قال فيها : أنت ذاكر ماجرى عليك من تكين الشيرزادي فانه أخرجك من نعمتك وكاد يأتي على مهجتك فلجأت الى بعد عداوة سبقت امنك لي ومنازعة نازعتها عن بلاد لم يكن في يدك منها شيء فاطرحت لاحقاد واعتفرت الذنوب وآثرتك على تكين وهو اذ ذاك يبذل لي الخدمة والطاعة وحمل المال واقامة الخطبة ولا يلتمس مني الا ترك الدخول يدك وبينه والانصراف عن النصرة لك عليه فأثرتك . وأثقت كاتبني وعسكري باموال أنفقتها وهؤن تكلفتها^(٢٢) حتى أخذت بناصيته وسلمته اليك فشفيت صدرك منه وعدت الى وطنك . ثم حصلت في يد وزيرني الصيمري حصول المستجير الذليل فوفي لك ولو شاء لأسرك واشتمل على بلادك وفلاحك . وظننت انك تعرف لي حق هذه النعمة وتطالب نفسك عليها بالمجازاة فايبت الا غدرآبي وتقييحا في معاملتي . وليتك لما لم تعمل عمل الاصدقاء لا وفاء عملت عمل الاعداء الحزماء فكأيتني تمرض نفسك على في النابذة العظيمة التي نابتنى في أوثق الناس عندي وتبذل لي معاوتك فكنت تنفذ عسكري الى تكريت على انه مدد لي فان لاح لك استظهار مني تحمدت على وتوددت الي وان لاح لك استظهار على أظهرت ما في نفسك حيث تكون فيه أعذر وأقل ملامة . ثم اتبع هذا القول بالتواعد والتعهد بالمسير الى أعماله واستيصاله

﴿ الجواب عن هذه الرسالة ﴾

انك قد صدقت في جميع ما عدت واني معترف به ووالله ما كان غن رأى ولا أمرت به ولسكنى شيخ لي أولاد أحداث يخالفونني في تديرم فيركبون الهوى في أمورهم ولا رأى لمن لا يطاع . وتمت الموافقة بينه وبينه على تعجيل ألفي ألف درهم فجعلها له ^(٢٢٥) والتزم مثلها في كل سنة فظهر معز الدولة الرضاء ضرورة لانه كان غير واثق برجاله ولان أعماله اختلفت بتلك الفترة فعاد الى داره . ثم أخر ناصر الدولة المال الثاني لان الاول كان في سنة ست فخرج معز الدولة اليه وسار ناصر الدولة الى نصيبين ودخل معز الدولة الموصل وسار الى نصيبين وخلف سبكتكين بالموصل . وأتخذ سرية الى سنجار لانه بلغه ان أبا المرجي وهبة الله ابني ناصر الدولة بها وبلغهما خبر السرية فانصرفا وقد كان أعجلهما الامر فتركا خيمهما وجميع معسكرهما بحالهما ولم يمكنهما حمل شيء فاسرع الديلم الذين كانوا في السرية الى الفارة والنهب .

﴿ ذكر عجلة واضاعة حزم ﴾

ان الديلم نزلوا في خيم أبي المرجي وأخيه فعادا وكبسا المعسكر واستأسرا جماعة وقتلا جماعة وكان ممن قتل ابن ملك الديلمي المعروف بسياچشم قتله هبة الله ووقع في الاسر شيرزاد وشيرمردي وعدد كثير

﴿ ذكر السبب في هذه النكبة وضعف ﴾

﴿ معز الدولة بعد الاستعلاء ﴾

كان من عادة ناصر الدولة اذا تنحي من بين يدي معز الدولة الايترك في البلد لا كاتباً ^(٢٢٦) ولا دليلاً ولا أحداً ممن يعرف تقع السلطان وضره ويحشرهم

الى قلاعه مع حساباته ودواوينه ثم يأمر الصماليك والعرب أن يتصرفوا
 البلد وينعموا العالفة ومن يخرج لطلب العلف والطعام الا أن يكون معهم
 عسكر قوى فاذا رأوا عسكراً قويا لم يظهر وا ولم يتعرضوا وكان غرضه في
 ذلك أن يضيق المير والعلوفات فينصرف عنه معز الدولة ففعل ذلك في هذا
 الوقت . وبلغ معز الدولة كثرة الغلات بنصيبين وكانت للسلطان فقصدها
 وخلف حاجبه سبكتكين بالموصل فلما صار ببرقعيد بلغه أن أبا المرجى وهبة الله
 ابني ناصر الدولة مقيمان بسنجار فعمل على كبسهما ونذب لذلك جماعة من
 القواد الكبار وجعل الرئيس عليهم تكيين الجامدار وكان غلاماً أمرد وضىء
 الوجه منهمكا في الشرب لا يعرف الصحو ولا تقدمت له حنكة فاشار الوزير
 المهلبى الأيخرجه في مثل هذا الوجه وان يعدل الى أحد مشايخ القواد فلم يقبل
 منه وأنفذه في خمسمائة رجل فاشرفوا على أبى المرجى وهبة الله فارهقوها عن
 تقويض الخيم واستصحاب شىء من رجالهما وافتتا على ظهور دوابهما وتركوا
 جميع ما لهم^(٢٢٧) فاتهبه العسكر . ثم تعجل اصحاب معز الدولة الى الخيم وتركوا
 الحزم فنزلوها وانتقروا فمظف عليهم أولئك وصارت الكبسة لهم فقتلوا
 وأسروا وغنموا ما شاؤا . وبقي معز الدولة في عدد يسير ببرقعيد في طريقه
 الى نصيبين فكتب الى بغداد يستدعى العساكر فتعجلوا وتلاحقوا اليه فلما
 قويت عدته سار من برقعيد الى نصيبين وسار ناصر الدولة من نصيبين الى
 ميافارقين وفض جيشه عنه بأسره وصرفهم فصار جميعهم الى معز الدولة في
 الأمان واستأمن أبو زهير اخو ناصر الدولة الى معز الدولة ورحل ناصر
 الدولة من ميافارقين الى حلب مستجيراً بأخيه سيف الدولة فلقاه أخوه
 باجل تلق وقبلة احسن قبول وخدمه بنفسه حتى تولى نزع خفيه يده . وكان

خامد بن النمس توجه من قبل معز الدولة الى الرحبة فهزم من كان بها من جيش ناصر الدولة

وكان طريف الخادم وهزارمرد وهما غلاما ناصر الدولة يتطرفان الموصل في الجانب الشرقي منها كل يوم ويلتقطان عمال معز الدولة ويأخذان العلافه من عسكر الحاجب ويعنعان ورود^(٢٢٨) شيء الى الموصل حتى صارت محاصرة واخذا من الثنار من عمال معز الدولة رجلا يعرف بعلي بن الصقر وحمله الى القلعة ثم كبسا الحديدته وكان فيها محرز حاجب الوزير ابي محمد المهلبى وأبو العلاء ابن شاذان يتقلد عملتها فقبضا عليهما ثم اطلقا محرزا وحملأ أبا العلاء الى القلعة

وكان معز الدولة راسل كافور الخادم بمصر يأمره بحمل مال الى الحضرة فحبس كافور الرسول حبسا جميلا وطاوله وبث جواسيسه لتعرف الاخبار فلما عرف انصراف معز الدولة عن ذلك الوجه الى بغداد رد الرسول خائبا : وورد عمرو النقيب من قبل ناصر الدولة الى نصيين وسهر في الصلح وطال الخطب بينه وبين معز الدولة فلم يتم الصلح فلما رأى عمرو الصورة استأمن الى معز الدولة وأقام بحضرته ولم يعد الى ناصر الدولة . ثم ترددت رسائل بين معز الدولة وبين سيف الدولة وتوسط بين أخيه وبينه حتى تقرر ما بينهما ورجع معز الدولة من نصيين قاصداً الموصل

﴿ ذكر اتفاق صعب غير محتسب ﴾

لما صار معز الدولة بين المونسية وأذمة في اليوم الخامس عشر من شباط^(٢٢٩) هبت ريح باردة مغربية ووقع دمع فلف في ساعات يسيرة

من النهار عدد عظيم من عمكره ولحق معز الدولة غشية وكاد يلف من كثرة ما عليه من الوبر والخز . فقلع أهل العسكر سقوف آذرمة وأبوابها وأوقدوها فاطلق معز الدولة لاهلها ثلاثة آلاف درهم لبيتاعوا بها مكان ما أخذ من اتقاضها

﴿ ذكر تدبير سيء ورأى ظاهر الفساد رآه معز الدولة ﴾
 ﴿ بعد فراغه من روزبهان ادى الى تخريب المملكة ﴾
 (وسوء عاقبة الاولاد والرعية)

دبر معز الدولة عند فراغه من حرب روزبهان ان يطرد الديلم الروزبهانية بمسك من لم يفارقه منهم وان كانوا متهمين عنده وكان وعدهم للعشرة ثلاثة في اصول اموالهم وظن انه ان وفي للسكل لم يتسع له مع ان الفتح لا تراك وكان مائلا اليهم بالهوى قبل الاستحقاق فكيف بعد هذا الاثر العظيم افابتدا يجازى الاتراك بالاحسان ففقد منهم جماعة واستحجب جماعة وتقب جماعة ورفع كل طبقة الى ما هو اعلى منها ونفى الديلم الروزبهانية ليتوفر عليهم ما لهم ويصير ذلك بازاء ما يلزمه لاصحابه الديلم من الزيادات . فاخرجهم الي الاهواز وكتب الي وزيره المهلبى بجميعهم^(٢٣٠) من جميع النواحي والاعمال والتوكيل بهم والمسير معهم الي آخر الحدود ليتفرقوا حيث شاءوا . فدفع الوزير من ذلك الى خطة صعبة وحال مخاطرة عظيمة لان القوم كانوا ذوي عدد وعدة الا انه لطف واحسن التدبير حتى اخرجهم زمرة بعد زمرة . ثم حمل معز الدولة الاتراك على التحسب على الديلم وتعييرهم بشق العضا وخلع الطاعة وتقريرهم بهذا ونحوه وان عدد الاتراك مع قلته وفوا بهم حتى قهروهم وادخلوهم . ثم رسم للاتراك رسوما صار سببا لضراوتهم وطلب الاموال

والتغلب على الاعمال والتسحب على العمال وذلك انه أمر بتسبيب ما يستحقونه على واسط والبصرة والاهواز واخرجهم طبقة بعد طبقة على النوبة لاستيفاء أموالهم ولمن وراءهم من رفقاتهم المقيمين وان يقام لهم نزل ياخذونه راتباً في كل يوم الي ان يستوفي ماله ومبلغه عشرة دراهم لكل غلام في كل يوم وعشرون درهما لمن كان نقيبا وأراد ان ينفعهم عاجلا لا مؤبداً . وانفتح عليه من ذلك باب من الفساد كان اضر عليه من زيادة أوزارها في أصول استحقاقاتهم وذلك انهم اثروا أن تتأخر أموالهم المسببة لتكثر أيام مقامهم^(٢٣١) وصيروا الهول أموالهم بضائع يتجرون فيها واذا راج لهم من مال تسبيباتهم لم يفسبوا شيئاً منه الى الاصل وقد بقي لهم درهم واحد ويستروح العمال الى اطلاق الشيء بعد الشيء لثلا يرهقوا بالمال جملة فرمما أقاموا سنتين وثلاثة . وحلت التجارات في صدورهم وإجازة ما يحصل لهم في الطريق بغير ضريبة ولا مؤونة ثم تجاوزوه الى الدخول في التلاجى فملكوا البلاد واستطالوا على العمال وحاموا على التجار ومن اعتصم بهم فضغفت أيدي العمال واستعبدوا الناس واستمر ذلك وازداد الى اليوم

(ودخلت سنة ثمان وأربعين وثلثمائة)

وفيها وافى أبو محمد الفياضى كاتب سيف الدولة الى الموصل في المحرم وتقرر الامر على أن عقدت الموصل وديار ربيعة والرحبة على سيف الدولة بالفي الف درهم وتسعمائة الف في السنة وذلك لان معز الدولة لم يستجب الى عقدها على ناصر الدولة وعلى أن يقدم من ذلك الف الف درهم ويطلق الاساري الذين أسروا بسنجار . فلما تقرر هذا انحدر معز الدولة وتأخر الوزير المهلبى والحاجب سبكتكين بالموصل والجيش بأسره معهما^(٢٣٢) الى أن يحمل

مال التمجيل ثم وردا مع الجيش ومع أبي محمد الفياضى كاتب سيف الدولة
﴿ ذكر انحدار معز الدولة والسبب فيه بعد ﴾
(تمكنه من ديار ربيعة ومضر)

كان السبب في اصعاده الاضاقة الشديدة التى لحقت به بعد الامور التى
ذكرناها وتأخر أموال المحول عنه فلم ناصر الدولة بذلك فانهزم من بين يديه
وقال لاصحابه : اذهبوا حيث شئتم فانى لأأقف للحرب . فاستأمن اصحابه الى
معز الدولة كما كتبنا فيما تقدم فازدادت اضافة معز الدولة ولم يمكنه ضبط
النواحى ولا الحماية وتقاعد الناس باداء الخراج احتجاجا بأنهم لا يصلون الى
غلاتهم وطلبوا الحماية واضطر معز الدولة الى الانحدار ولكنه أنهف وأقام
على كرهه ومشقة فلما ورد عليه رسالة سيف الدولة استراح اليها وأجابه بالشكر
الجميل وشككا اليه أخاه وقلة وفائه والغدر به مرة بعد مرة وقال له : ان
ضممت أنت أجبت . فضمنه وانحدر معز الدولة

﴿ وفى هذه السنة انقطعت المحول من واسط الى البصرة والاهواز ﴾

(ذكر السبب في ذلك)

السبب في ذلك ما كنا ذكرناه من استيلاء الاتراك واستنظامتهم العمال
ومضايقتهم ايام حتى اضطروهم الى بذل المرافق^(٢٣٣) الكثيرة لهم فاقبضوا
الاملاك وحاموا على قوم على سبيل التلاجيء فتغلبوا على حقوق بيت المال
وصار العمال يعملون على الغلمان الاتراك في أخذ حقوقهم على التناء فيتجنزونها
كما يتجنزون تسبيباتهم وتشبه بهم الديلم واصطالح الفريقان على هذا السبيل
فكسروا على السلطان حقوقه . واجتمع العمال بذلك فكسروا أصول العقود
وسألوا ازالة ما دهمهم فلم يمكن ذلك وصارا بمنزلة الداء الذى لا يرجى حسمه

لان الديلم كانوا مستوحشين ومنفرقين والأتراك متطاولين مدلين فلو قمعوا لصارت كلمتهم مع الديلم واحدة . فجرى الرسم بأن ينقل ما رفعه العمال من فاضل ما عليهم الى السنة التي بعدها وحصل الوزير وكل من دبر فيه تدبير متعرضا لسفك دمه وذهاب نفسه الا ان هذا الفساد كان في أيام معز الدولة كالطفل الناشيء لهيبته وبقية حشمته ثم ظهر الافراط بعد على أولاده ولما أتى عليه الزمان بعد وفاته

وفيهما خلع السلطان على الامير أبي منصور بختيار بن معز الدولة وعقد له لواء وقلده إمرة الامراء ولقبه عز الدولة ^(١)

وفيهما أنفذ لواء وعهد الي أبي علي ^(٢٣٤) [محمد] بن الياس وكان السفير في ذلك كله القاضي أبو بكر أحمد بن سيار الصيمري وفيها مات أبو الحسن محمد ابن أحمد المافروخي وكان يكتب لمعز الدولة وكتب له بعده أبو محمد علي بن عبد العزيز المافروخي مدة شهر ثم استعفى وانصرف وتقلد مكانه أبو بكر ابن أبي سعيد

وفيهما كانت وقعة بين علي بن كامه ابن أخت ركن الدولة وبين يستون ابن وشمكير فكانت على يستون

وفيهما غرق الحاج الواردون من الموصل وكانوا في بضعة عشر زورقا

(١) زاد فيه صاحب كتاب العيون : واستكتب له ابا الحسن المافروخي الاصهاني وزوجه بانية أبي منصور لشكرورز بن سهلان فمات بعد الاجتماع والانتقال وقد كان زوجه بانية روزبهان فانتطعت بعصيان أبيها العلاقة بينه وبينها ثم خطب له ابنة أبي علي محمد ابن الياس صاحب كرمان وانفذ في ذلك أحمد بن سيار الصيمري القاضي فتمت الوصلة ولم تقع النفقة . وقال أيضا : وفي هذه السنة توفي لشكرورز بن سهلان بعلة القولنج وتبعث وفاته وفاة اخيه مسافر بن سهلان بنهاوند في هذه السنة وكان بين وفاتها وأمير قريش

كباراً فيها من الرجال والنساء نحو الف نسمة
وفيهما غزا الروم المسامين فأسروا وقتلوا وسبوا^(١) وانصرفوا وذلك
في طرسوس والرها

(ودخلت سنة تسع وأربعين وثلاثمائة)

وفيهما ورد الخبر بأن صاحب خراسان قتل رجلاً من قواده يسمى
بمختكين [وكان] من وجوه قواد الأتراك فاضطربت خراسان لاجله
وفيهما ورد الخبر بأن ابناً لعيسى بن المصطفى بالله ظهر بناحية أرمينية
وتلقب بالمستجير بالله يدعو إلى المرتضى من آل محمد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولبس الصوف وأمر بالمعروف [ونهى عن المنكر] . وكان هذا
الرجل مضى إلى بلد الجليل فاستنصر بجماعة من الديلم المعروفة^(٢٣٥) والمسودة
والمتسعين إلى مذهب السنة من مذاهب المسلمين فخرجوا معه وصاروا إلى
آذربيجان فغلب على عدة بلدان منها ما كان في يد سلار الديلمي . ثم ورد
الكتاب في شهر رمضان من جهة ابن سلار بأنه أوقع بهذا الرجل المتلقب
بالمستجير بالله فأسره وقتله

(ذكر السبب في خروجه وسرعة هلاكه)

كان السبب فيه أن جستان بن المرزبان ترك طريقة أبيه في سياسة
ال جيش وتوفر على النساء واللعب ثم أدخلهن في التدبير . وكان جستان بن
شرمزن تحصن بسور أرمية وكان وهسودان بالطرم ويضرب بين أولاد

(١) قال صاحب التكملة : أسروا (الروم) محمد بن ناصر الدولة من نواحي
حلب واسروا أبا الهيثم ابن القاضي أبي حصين ابن عبد الملك بن بكر بن الهيثم وغلمانه
من سواد حران

المرزبان كما حكينا فيما تقدم . وكان جستان بن المرزبان قبض على وزيره النعيمي واتفق بين النعيمي وبين كاتب جستان بن شرمزن وهو أبو الحسن عبيد الله ابن محمد بن حمدويه مصاهرة فلما قبض جستان بن المرزبان على النعيمي استوحش صهره أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه وحمل صاحبه على مكاتبة أخي جستان وكان يومئذ بأرمية وأطمعه في أموال عظيمة ووعد أنه يقوم بين يديه وينصره بجيشه الذين جمعهم ويقيم مقام أخيه فعمل ابراهيم على ذلك وأشار عليه نصحاءه بالآ^(٢٣٦) يفعل فخالقهم وركب هواه وسار الى أرمية واجتمع مع جستان بن شرمزن وكاتبه أبو الحسن عبيد الله بن حمدويه ووعدهما بكل ماسكنا اليه فصاروا الى المراغة واستولوا عليها . وقد كان جستان ابن المرزبان صار الى بردعة فلما عرف خبر أخيه ابراهيم وانحيازه الى جستان ابن شرمزن عاد الى أردبيل فراسل ابن شرمزن وكاتبهما ومناهما ووعدهما باطلاق النعيمي وبذل لهما كل ما اقترحاه فعاد الي موالاته وترك ابراهيم وانصرفا عنه الى أرمية واخلفاه في كل ما كانا بذلاه فلما رأى ابراهيم ذلك عاد الى أرمية وبقي جستان بن شرمزن وكاتبه يطعمان كل واحد من الاخوين أغنى ابراهيم وجستان ابني المرزبان أنهما معه حتى استكملا بناء سور أرمية وقلعة في داخلها منيعة واستكثرا من جمع الاقوات والآلات . وظهر للاخوين معانية ابن شرمزن في النفاق والعداوة فتراسلا وتصالحا وعملا على أن يجتمعا ويقصدا . واتفق ان هرب أبو عبد الله النعيمي من حبس جستان بن المرزبان وصار الى موقان وكاتب ابن عيسى بن المكتفي بالله الملقب بالمستجير بالله وأطمعه في الخلافة وأن يجمع له من الرجال من يستولي بهم على آذربيجان فاذا قوي بالمال والرجال^(٢٣٧) قصد العراق . فسار المستجير بالله في نحو

ثلاثمائة رجل من المسودة ولم يكن بعد تمكن ولا اجتمع له من الرجال ما اراد فلما أطمعه النعيمى صار اليه واجتمع معه وصار أيضا اليه جستان بن شرمزن في عسكره فقوى به وقلده أمر عسكره وباعه الناس . وسار اليه جستان و ابراهيم ابنا المرزبان في جموعهما فلما عبي جستان عسكره تقدم اليهم بأن يلزموا مصافهم ويحفظوا نظامهم ولا يحملوا حتى يأذن لهم وكان معهم الفضل بن أحمد الكردي القحطاني وهم صنف من الاكراد ومع جستان الصنف الآخر من الاكراد الذين يعرفون بالهدايبانية وتلقاهم الهدايبانية وابتدأوا بالحرب فانتقض على جستان بن شرمزن صفوفه فخرج من موضعه الذي كان فيه مع الديلم لينكر على الفضل بخالفته اياه ويرده الى موضعه فوجده قد أبعد فاتبعه فمashك أصحابه في انهزامة فاقنفوا اثره وصحت الهزيمة . وركب الهدايبانية وأصحاب جستان و ابراهيم اكتافهم واضطر جستان بن شرمزن الى الانصراف الى ارمية وظفر باسحق بن عيسى بن المكتفى بالله ولم يدر ما فعل به الا اني سمعت بقتله وسمعت بموته حتف أنه في الحبس

وتم لو هسودان تفريق كلمة بنى أخيه وذلك ^(٢٣٨) انه استزار ابراهيم فلما صار اليه أكرمه ووصله بجوائز كثيرة وحمله على دواب وكاتب ناصراً واستغواه حتي صار الى موقان مفارقا لأخيه ووجد الجند سبيلا الى اقامة سوقهم والمطالبة بالاموال فقارق أكثرهم جستان وصاروا الى ناصر فقوى وسار الى أردبيل فملكها والجا أخاه جستان الى القلعة المعروفة بالنير . ثم اجتمع الديلم والاكراد على ناصر يطالبونه بما لا يفي به وقعد به عمه وهسودان فعلم حينئذ ان وهسودان عمه كان يغويه وعرفا جميعا مغزاه فتراسلا وتصالحا وسلم ناصر الامر الى أخيه جستان فنزل من قلعته وصارا جميعا الى أردبيل

على اضافة شديدة لنفاد الاموال وكثرة المتغلبين على الاطراف فاضطرا الى الخروج الي عمهما وهسودان مع والدته جستان بعد أن توثقوا منه بالايمان الغليظة واليهود فلما حصلوا تحت قبضته حبسهم ونكت واستولى على العسكر وعقد الامارة لابنه اسمعيل بن وهسودان وسلم اليه أكبر قلاعه شميران وأخرج الاموال وأرضى الجند وجعل ابا القاسم شرمزن بن ميشكي صاحب جيشه واخرجه الى أردبيل . وكان ابراهيم قد صار الى أرمينية فتأهب^(٢٣٩) لمنازعة اسمعيل ومحاربتة ولاستنقاذ أخويه جستان وناصر من محبس عمهما وهسودان وكان وهسودان قد ضيق عليهما وأساء كل الاساءة اليهما فلما عرف وهسودان اجتماع ابراهيم على حرب اسمعيل واجتماع خلق من الديلم معه بادر بقتل جستان وناصر وأمهما وأتى على كل من يقرب منهم ويخاف ناحيتهم وكاتب جستان بن شرمزن والحسين بن محمد بن الرواد بقصد ابراهيم وأنفذ اليهما مدداً من جهته فاستجابا له وزحفا اليه وزحف اسمعيل فهرب ابراهيم الي أرمينية وكان جستان بن شرمزن قريباً منه فاستولى على عسكره وملك المراغة وأضافها الى أرمية

وفيها غزا سيف الدولة في جمع كثير فأثر في بلدان الروم آثاراً عظيمة وأحرق وفتح حصونا وحصل في يده سبي كثير وأسارى وانتهى في غزوه الى خرشنة فلما أراد الخروج أخذ الروم عليه المضايق فماتياً له ان يتخلص الا بمجهود عظيم هو ونحو ثلاثمائة غلام وهلاك باقي أصحابه أسرا وقتلا وارتجع منه السبي كله والأسارى والغنيمة وأخذ جميع خزائمه وسلاحه وكراعه وقتل من الوجوه الذين [كانوا] معه حامد بن النمى وموسى بن سيا كان والقاضى أبو حصين^(٢٤٠) وكان معه من المسلمين ثلاثون ألفاً وخرج أهل طرسوس

من طريق آخر فسلموا

﴿ ذكر السبب في سلامتهم ومصاب سيف الدولة ﴾

كان هذا الرجل أغنى سيف الدولة ممجبا يجب أن يستبد برأيه والا
تحدث نفسان انه عمل برأى غيره وكان أشار عليه أهل طرسوس بان يخرج
مهم لانهم علموا ان الروم قد ملكوا عليه الدرب الذي يريد الخروج منه
وشحنوه بالرجال فلم يقبل منهم ولج فأصيب المسلمون بأرواحهم وأصيب
هو بعماله وسواده وغلماؤه

وفيهما استأمن أبو الفتح المعروف بابي العربان أخو عمران بن شاهين
وصار الى واسط بجرمه وعياله وولده لانه خاف أخاه ودخل بغداد في
ذى القعدة ولقى معز الدولة

وفيهما أملك أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي ^(١) بآية الوزير

أبي محمد المهلبى

وفيهما مات ابو القاسم عبد الله بن أحمد بن البريدي ^(٢)

وفيهما اسلم من الاتراك نحو مائتى الف خرگاه

وفيهما انصرف حاج مصر بعد ان قضوا حاجهم فزلوا في واد بمكة فلما

كان بالليل حملهم الوادى وهم لا يشعرون ففرق اهل مصر وكانوا عددا

(١) قال صاحب التكملة: وفي هذه السنة انحدر أبو أحمد الشيرازى كاتب المستكنفى

بالله الى شيراز فقبله عضد الدولة واقطع ابنه أبا الفضل مائة الف درهم وحصن به

(٢) وقال فيه صاحب كتاب العيون : وأزله معز الدولة دار حسنة على دجلة

وأطلق له ضياعه القديمة التى كانت لآبيه فى السواد وأقطعه أقطاعا بعشرة الاف دينار

ورسمه بمئذنته ولم يزل مصونا مكرما مجتمع الشمل مع اخوته وولده متمتا بملاذه

متمتعا بملاذه وأوطاره الى أن توفي

كثيرا جدا وكتبهم الماء مع امتعتهم الى البحر ^(٢٤١)

﴿ ودخلت سنة خمسين وثلثمائة ﴾

فيها اشتدت علة معز الدولة وامتنع عليه البول فاشتد جزعه وقلقه واستدعى الوزير ابا محمد المهلبى فى الليل والحاجب سبكتكين فاصالح بينهما عن وحشة قديمة وبكى وندب على نفسه على عادة الديلم فلما كان آخر الليل بال دما بشدة ثم تبعه رمل وخف ألمه فلما كان من الغد وهو يوم الخميس لحس خلون من الحرم سلم داره وكراعه وغلماناه الى ابنه عز الدولة وفوض اليه الامور وجمع المهلبى الوزير والحاجب سبكتكين على الوصاة به وخرج فى عدة يسيرة من غلماناه وخاصته ليضى الى الاهواز

﴿ ذكر سبب هذه الحركة والخروج بعد ظهور ﴾

﴿ الصلاح والبرء من المرض ﴾

كان سبب ذلك استشعاره ان بغداد هى التى أحدثت له الاسقام وهى التى افسدت عليه صحته وتذكر ايام مقامه بالاهواز وهى ايام شبابه ووفور قوته وظن أن الاهواز هي التى كانت تجلب له الصحة وانها توافقه فوصى الحاجب سبكتكين والوزير المهلبى بابنه عز الدولة وبالجيش وغيره مما كان فى نفسه وانحدر الى كلواذى . فلما صار بها أشار المهلبى بان يقيم ويتأمل أمره ويفكر فيه ولا يعجل فأقام بكلواذى وأخذ ^(٢٤٢) فى تقدير بناء قصر ثم انتقل الى الشيعي وقدر هناك البناء ثم انتقل منه الى قطربل لانها أعلى بغداد والهواء والماء هناك اصفى واعذب وعمل على ان يبنى من حد قطربل الى باب حرب قصر اتم صاح من علقته وابو محمد المهلبى فى كل ذلك يملله ويصرف رأيه لعله بكثرة المؤن والنفقات التى تلزمه وبكراهة الجند والحاشية لانزعاجهم

من اوطانهم ومألفهم ولكرامية تخريب بغداد بانتقال الملك عنها فلم يزل به حتى صرف رأيه . ولما علم انه لم يكن من البناء بد [فيجب] ان يكون متصلا ببغداد من اعاليها ليكون هواؤه وماؤه اصح وانظف انزله في البستان المعروف بالصيمري وهو في اعلى بغداد من الجانب الشرق بقصر فرج واخذ في هدم ما يليه من العقارات وابتاعها من اهلها الى حدود ربيعة الدور وكلف ابا القاسم ابن مكرم و ابا القاسم ابن جستان العدلين ابتاع العقارات المجاورة له . واصلاح ميدانا على طول دجلة وبني الاصطبلات على نهر مهدي وقلع الابواب الحديد التي على المدينة (مدينة ابي جعفر المنصور) والتي بالرصافة وعلى شارع نهر الملي ونقلها الى داره ونهض قصور الخلافة بسر من رأي وسور الجبس المعروف بالحديد وبني به داره وبالأجر الذي استعمله وطبخه في الاتنين ووثق البناء واختيرت له الآلات ^(٢٤٣) والجص والنورة وبالغ في الاحكام وجلب له البناءون الحذاق المشهورون من جميع البلدان الكبار من الاهواز والموصل واصبهان وبلدان الجبل وغيرها . ونزل [سفلا في الارض] لبعض الاساسات ستا وثلاثين ذراعا ورفعها الى وجه الارض بالنورة والاجر الى ان ارتفع فوق الارض باذرع . ولزمه على هذا البناء الى ان مات ثلاثة عشر الف الف درهم صادر فيها أسبابه سوي ما لم يشتره من الآلات التي ذكرناها والتي لم نذكرها . وكان مقبلا طول المدة في بستان الصيمري ثم انتقل الى الدار التي بناها في يوم الاثنين ثمان بقين من ذي القعدة سنة ٣٥٠ قبل أن يستم بناؤها ^(١)

(١) وفي تاريخ الاسلام : فقد درست هذه الدار من قبل سنة ٦٠٠ ولم يبق لها أثر

وبقي مكانها دحلة يأوي اليها الوحوش وشيء من الاساس يعتبر به من براه

وفيها مات أبو بكر أحمد ابن كامل القاضي رحمه الله ومنه سمعت كتاب التاريخ لابي جعفر الطبري وكان صاحب أبي جعفر قد سمع منه شيئا كثيرا ولكني ما سمعت منه عن أبي جعفر غير هذا الكتاب بعضه قراءة عليه وبعضه اجازة لي وكان ينزل في شارع عبد الصمد ولي معه اجتماع كثير. وفيها مات قاضي القضاة أبو السائب عتبة بن عبيد الله ^(١) وقبضت أملاكه وصور محمد الحاجب غلامه وضربه الوزير أبو محمد المهلبى بحضرتي ضرب التلف لما كان بلغه [عنه] من التخرم والتهتك في أيام ^(٢٤٤) أبي السائب ولم يكن به الا التشفي منه فنثر كعابه ضربا . وكان هذا الرجل عاهرا يتعرض لحرم الناس وكان مرسوما بحجة قاضي القضاة فكان لا يمتنع عليه من لها خصومة أو حاجة عند قاضي القضاة وكان جميلا مقبول الضرورة ويتصنع مع ذلك ويتهم بفواحش مع صاحبه

وفيها مات أبو نصر ابراهيم بن علي بن عيسى كاتب الخليفة فجأة وتقلد كتابة الخليفة عن خاص أمره أبو الحسن سعيد بن عمرو بن سنجلا وفيها قبض معز الدولة على أبي علي الخازن ^(٢) وأبي محمد وأبي الفرج

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمته . عتبة بن عبيد الله بن موسى بن عبيد الله الهمداني القاضي ابو السائب كان أبوه تاجرا يؤم بمسجد همدان فاشتغل هو بالعلم وغلب عليه في الابتداء التصوف والرشد وسافر فلقي الحنيد والعلماء وغني بفهم القرآن وكتب الحديث وتفقه للشافعي ثم دخل مراغة واتصل بابي القاسم ابن أبي الساج وتولى قضاء مراغة ثم تقلد قضاء اذربيجان كلها ثم تقلد قضاء همدان ثم سكن بغداد واتصل بالدولة وعظم شأنه الي ان ولي قضاء القضاة بالعراق سنة ٣٨٨ وتوفي في ربيع الاول وله بيت وثمانون سنة وقد سمع في الكهولة وحدث عن عبد الرحمن بن ابي حاتم الرازي وهو اول من ولي قضاء القضاة بالعراق من الشافعية (٢) هو الحسن بن ابراهيم النصراني .
 اراجع ارشاد الاريب ٣ : ١٨٢

محمد بن العباس صاحب الديوان وعلى أبي الفضل العباس بن الحسين
الشيرازي وأبي سهل ديزويه صاحب ديوان الجيش وحملهم الى دار الوزير
المهلبى وسلمهم اليه

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

احتيج الى النفقة على البناء وكان الوزير المهلبى رحمه الله يقصد أبا على
الخازن لشيء كان بلغه عنه قديما وكذلك أبا مخلد وأبا الفرج فذكر لمعز
الدولة انه يلزم مالا ويلزم بكل واحد من هؤلاء مما ادخره واحتجته ولا
يحتاج اليه مالا يقيم به أمر البناء . وكان معز الدولة شديد الثقة بأبي على الخازن
وكان أبو على كثير التمويه متفائرا يظهر من الفقر والاقتصاد أكثر مما
يحتمل . ثم قال معز الدولة للوزير أبي محمد : ما تريد من هذا البائس (٢٤٥)
الذي قد قنع منا بالقوت اليسير ؟ فقال له الوزير : أنا أستخرج منه وحده
ما يحتاج اليه للبناء . وتكلم على غيره بقريب من ذلك فسلم الجميع اليه
فحضرت مناظرة الوزير أبي محمد للجماعة .

أما أبو مخلد فإنه لما خوطب والتمس منه مال قال : اني خدمت الامير
معز الدولة ولا أملك الا طنفسة وكساء ودواة وأنا اليوم نظير أكبر ملك
من ملوك الاطراف مالا وضياعا وأنا غلمانا روقة وفرشا فالى ان أعود الى
رأس مالي فانا على الربح . فآزره الوزير خمسمائة الف وجزاه الخير وصرفه
الى منزله بمد ان أخذ خطه بها فلما خرج التفت الوزير اليها وقال : هذا رجل
مقبل كنت أظنه يمان ويخاطبني بحسب دالته وموضعه من الامير فقد
اتقاني بما قال وحى نفسه وعرضه وماله وهكذا يصنع الاقبال بصاحبه .
وخطب أبا على الخازن فسلك سبيله المعروف وزعم انه لا يستيت ولم

يستجيب الى شيء بته فُئحي من بين يدي الوزير ووُكِّل به في ناحية من الدار .
وأما أبو سهل ديزويه فتمارض وشد رأسه بخرقه فأحضر كرواًزا
ووضعه عند رأسه وقال : أنا غريب . فاضحك الناس من نفسه وأعرض
الوزير عنه ذلك اليوم

، وأما أبو الفضل فلحقته عناية الوزير لما بينهما من الوصلة ^(٢٤٦) فأخذ
خطه بثلاثمائة الف درهم وصرفه الى منزله وكذلك فعل بابي الفرج صاحب
الديوان أجراه مجرى أبي الفضل وأخذ خطه بثلاثمائة الف فلما كان بعد
أيام راسله ديزويه وسأله أن يعفو عنه ويجريه مجرى أبي الفضل فقعل ذلك به .
وبقي أبو علي الخازن على لجأه لا يلتزم شيئاً ثم أنعم بعد التهديد بشيء
وراسل أخت معز الدولة يستقرض منها ما يشتري به نفسه من مكروه
الوزير وظن ان ذلك يبلغ الامير فيكون سبب اطلاقه فخطب معز الدولة
الوزير فيه وقال : ألم أقل لك انه لا يملك شيئاً . فقال : أيها الامير لا تلتفت
الى مخاريقه وخدائمه ودعني أستخرج منه مالا عظيماً . فسكت عنه وراسل
أبو علي الخازن كل من عرفه فاستقرض منه حتى شاع خبره في الدولة بالفقر
وان الوزير يقصده فلما كان في بعض الليالي لسعه في ظهره شيء أدماه وتألم
منه وكان موضعه الذي وُكِّل به فيه من دار الوزير موضع غنم فيما تقدم فظنه
الناس لسع طبوع وقالوا : ليس شيء من الهوام يُخرج بلسعته الدم الا هذا
الحيوان أو الافعى . فاتفق ان مات أبو علي الخازن بعد أيام قلائل في اعتقاله
وقامت على الوزير أبي محمد المهلب القيامة وخاف ان يتهم به ومع ^(٢٤٧) ذلك فلم
يكن ارتفع من جهته الا شيء نزر قليل ثم عرف انه قد وصل اليه من القروض
ضعاف ما أداه في مصادرتة فتمجب من جلادته وتوقع عتب الامير معز

الدولة في بابهِ ووطن نفسه على [كل] مكروه . ثم رأى ان يتسدى معز الدولة ويستأذنه في البحث والتتير عن أسبابه وأظهر انه على ثقة من تلك الاموال التي وعده بها من جهته حتى سکن من معز الدولة وأخذ أذنه في ذلك (ولم يكن يثق بشيء مما ضمنه من جهته ولكنه برّد عن نفسه في الحال) . ثم أخذ في التفتيش فأثار له أموالاً كثيرة بعضها جرى بحضرتي فكان من ذلك ان قبض على غلامه وأسبابه وخلا بواحد واحد منهم فارهبه وأرغبه وسأله هل يتهم موضعاً من داره بدفين أو يتهم مُعاملاً له بوديمة فقال له : ان هذا الرجل كان أدهى من أن يعمل شيئاً مما تطلبه وتبحث عنه بحضرة أحد ولست أتهم أحداً الا أنه طرد غلاماً له مزيّناً من حجرة مرسومة به وجلس في حجرته للخلوة أياماً . فمهر الوزير بنفسه الى دار أبي على الخازن والتمس حجرة المزین وكان غلاماً حبشياً أونوبياً جالس فيها خفي موضع فيها فظفر بمال لم أعرف مبلغه ^(١) وكان في جملة المدفون آلة شبيهة ^(٢٤٨) بميزان أعنى بيت الميزان من خشب الساج له طبق كطبق الميزان وليس فيه موضع كفة ولا موضع السنج بل هو محفور من ترايعه شبيهاً بحوض وغليه طبقة مهندما عليه وهو خال لا شيء فيه فمجب منه ثم قلب ذلك الطبق ووجد عليه كتابة فحمل تلك الآلة الى منزله وحمل المال الى خزانة معز الدولة .

فمهدى به يقاب تلك الآلة ويتأمل تلك الكتابة وكانت بخطه خط رديء فاذا هي أسماء قوم ورموز لا يفهم منها شيء وكانت تلك الاسماء

(١) وردت هذه الحكاية في ارشاد الاربيب ٣ : ١٨٣ ويقال فيه ان الوزير

استخرج عدة قساقم فيها ثيف وتسعون ألف دينار .

مفردة لا يقترن بها شيء يستدل به على صاحبه . فما شك الوزير ان تلك
الاسماء أسماء قوم مودعين وان تلك الرموز مبلغ ما عندهم من المال فاستعمل
دهاءه فيه وقال : أجد هذا الاسم وهو « على » مكررا فان استخرجناه
أخرج لنا باقى الاسماء . فقيل له : كم من رجل اسمه على كان يواصل هذا
الرجل . فقال : لا تفعلوا فان المعاملين الذين هذا اسم لهم قليلون فمن كان
منهم يصلح للوديعة أقل منهم . ثم تجاوز ذلك الى اسم أظنه « أحمد » فقال :
هذا اسم صيرفي في دار أبي على (وهو في درب عوف) فاحضرونيه .
فأحضر وقال له الوزير : قد وجدنا مبتا باسمك وبخط أبي على بمبلغ ما عندك
فاتخذ الساعة صاحبك ليحضره . فاضطرب الرجل وأنكر ان يكون ^(٢٤٩)
له عنده مال فبطش به ولحقه أذى ومكروه ثم أمر به خبسه وقيده بقيد ثقيل
فيه ثلاثون منا فتفسخ فيه الرجل ودخل اليه المستخرج وهدده فاعترف .
وكان باسمه سبعة أوكي ولم يكن فينا أحد يعرف معنى « اوكي » فقال
الوزير : فطالبوه بسبع بدر دنانير استظهارا . ففعل ذلك فوافق تخمينه صحة
الامر وأدى خمسين الف دينار . ثم لم يزل يتتبع تلك الاسماء وقد صحت له
الرموز فاستخرج نحو مائتي الف دينار من هذه الوجوه سوى دفائنه .
وقامت حرمة الوزير أبي محمد عند معز الدولة وانبسط لسانه وجاهه وصار
مقبول القول عنده بعد ان ظن ان الذي فاته من خازنه شيء لا عوض له
منه امانة وثقة ودينا . وتقلد مكان أبي على الخازن أبو محمد على بن العباس بن
فسانجس للنصف من شعبان واقطع اقطاع أبي على

وفيها تقلد القاضي أبو العباس عبد الله بن الحسن بن أبي الشوارب
القضاء في جاني بغداد ومدينة أبي جعفر المنصور وقضاء القضاء وخلف عليه

من دار السلطان من حيث امتنع الخليفة من ان يصل اليه وركب بالخلع من دار معز الدولة ^(١) وبين يديه الدبادب والدرك والبوقات وفي موكبها العلمان الاتراك والجيش ^(٢) وكان توصل الى تقلد ذلك بان خدم ارسالان الجامدار فتي معز الدولة ووافقه على ان يحمل الى خزانة الامير في كل سنة مائتي الف درهم وكتب عليه بها كتاب وجمعت على نجوم معروفة ولم يأذن الخليفة ان يصل اليه هذا القاضي في يوم موكب ولا غيره . وكان فعل القاضي ما فعله من سماجته وقبح ذكره سببا لان ضمنت الحسبة ببغداد وضمت الشرطة بمشرين ألف درهم في كل شهر من شهور الالهة وهذا القاضي مع قبح فعله قبيح الصورة مشوها .
وفيهما وفي أبو القاسم أخو عمران مستأمننا .

وفيهما ورد الخبر بان عبد الملك بن نوح صاحب خراسان تقطر ^(٣) به فرسه فمات واقتنت خراسان ونصب مكانه أخ له يسمى منصورا وفيها حمل الى ابراهيم السلالر من دار السلطان خلع وعقد له على آذربيجان ^(٤) .

﴿ ودخلت سنة احدى وخمسين وثلاثمائة ﴾

وفيهما نقل الوزير أبو محمد الحسن بن محمد المهلب سنة خمسين الخراجية الى سنة احدى وخمسين وثلاثمائة ^(٥)

(١) وفي الاصل : الخليفة . والصواب في تاريخ الاسلام (٢) امله « تقطر » كما في تاريخ الاسلام (٣) وقال صاحب النكلة : وفي شعبان ابتدى ببناء المفيض بنهر الرفيل تولى البناء أبو بكر ابن الحايي (٤) قال صاحب تاريخ الاسلام : فقلت السنة من حيث الغلات وكتب الصابي (وهو أبو اسحق ولي ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ كذا في ارشاد الاربيب ٢ : ٨٠) كتابا عن المطبع في المعنى فنه : ان السنة الشمسية

وفيهما دخل الامير ركن الدولة سارية من بلد طبرستان وانصرف عنها
 وشمكير الى جرجان واستأن من أصحابه الى ركن الدولة ثلاثة آلاف رجل
 وفيها ورد الروم عين زربة [في مائة وستين ألفا وهي] في سفح جبل
^(٢٥١) والجبل مطل عليها فلما جاءه الدمستق في هذا الجمع العظيم أنفذ قطعة من
 جيشه الى الجبل ونزل هو على بابها فملك جيشه الجبل فلما رأى أهل عين
 زربة ان الجبل قد ملك عليهم وان جيشا آخر قد ورد الى باب المدينة وان
 مع الدمستق دبابات كثيرة وانه قد أخذ في ثقب السور طلبوا منه الامان
 فأمهم وفتحوا له باب المدينة فدخلها . فوجد خيله الذين في الجبل قد نزلوا
 الى المدينة فندم على اعطائهم الامان فنأدى في البلد من أول الليل بان يخرج
 جميع أهله الى المسجد الجامع وان من تأخر في منزله قُتل فخرج من أمكنه
 الخروج فلما أصبح أنفذ رجاله في المدينة وكانوا ستين ألف رجل وكل من
 وجدوه في منزله قتلوه فقتلوا علما من الرجال والنساء والاطفال
 وأمر بجمع ما في البلد من السلاح فجُمع منه أمر عظيم وكان في جملة أربعون
 ألف رمح وقُطع ما في البلد من النخل فقطع نحو خمسين ألف نخلة . ونأدى

ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع بالقرب وان الهلاية ثلاثمائة وأربعة وخمسون
 يوما وكسر وما زالت الامم السالفة تكبس زيادات السنين على اختلاف مذاهبهم وفي
 كتاب الله شهادة بذلك قال الله تعالى « ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا »
 فكانت هذه الزيادة إزاء ذلك فما الفرس قاتلهم أجزوا معاملتهم على السنة المعتدلة التي
 شهورها اثني عشر شهرا وأيامها ثلاثمائة وستون يوما ولقبوا الشهر اثني عشر لقباً
 وسموا الايام باسمي وأفردوا الايام الخمسة الزائدة وسموا المشرقة وكبسوا الربع في كل
 مائة وعشرين شهرا فلما انتقض ملكهم بطل ذلك وذكر كلاما طويلا حاصله
 تهجيل الحراج وحساب أيام الديكيس .

فيمين حصل في المسجد الجامع من الناس بان يخرجوا عن البلد الى حيث شاؤوا وان من أمسى ولم يخرج قتل فخرج الناس مبادرين وتزاحموا في الابواب فمات بالضغط جماعة من الرجال والنساء والصبيان ومروا على وجوههم^(٢٥٢) حفاة عراة لا يدرون الى أين يتوجهون فماتوا في الطرقات ومن وُجد في المدينة آخر النهار قتل وأخذ كل ما خلفه الناس من أمتعتهم وأموالهم وهدم السوران اللذان على المدينة وهدمت المنازل. وبقي الدمستق مقيما في بلدان الاسلام أحد وعشرون يوما وفتح حول عين زربة أربعة وخمسين حصانا منها بالسيف ومنها بالامان

فكان في بعض الحصون التي فتحت بالامان حصن أمر أهله بالخروج منه فخرجوا فتعرض بعض الارمن للنساء اللواتي خرجن منه فلحق رجالهن غيرة عليهن فجردوا سيوفهم فاعتناظ الدمستق منهم وأمر بقتل الجميع وكانوا أربعةائة رجل وقتل النساء والصبيان ولم يترك الا جارية حديثة أو من يصلح ان يسترق

فلما أدركه الصوم انصرف على ان يعود بعد الفطر وزعم انه يخلف جيشه بقيسارية. وكان ابن الزيات صاحب طرسوس خرج في أربعة آلاف رجل من الطرسوسيين فاوقع به الدمستق وقتل جميع من كان معه وقتل أخاه وكان ابن الزيات قد قطع الخطبة لسيف الدولة وأتقذ اليه رسلا فلما وقف ابن الزيات على ذلك لبس سلاحه واعتم^(٢٥٣) وخرج الى روشن داره وكانت داره على شاطئ نهر فرمى بنفسه من داره الى النهر فغرقها

وفيهما دخل ركن الدولة جرجان وذلك في المحرم وفيها ورد الخبر بان صاحب خراسان أتقذ جيشا كشيئا الى غلام له

شدّ عنه يقال له الفتكين وان الفتكين أوقع بالجيش وهزمه واستأسر وجوه القواد وفيهم خال صاحب خراسان وفيها لقب الخليفة الامير أبا شجاع فناخسره بن ركن الدولة عضد الدولة وكتب به كتاب .

وفيها أسر الروم أبا فراس ابن أبي العلاء ابن حمدان من منبج وكان متقلدا لها

وفيها ورد الخبر بان الدمستق ورد الى حلب وملكها وكان الدمستق وافاها ومعه ابن أخت الملك ولم يعلم سيف الدولة ولا أحد بخبره لانها كانت كبة فلما علم سيف الدولة به أعجله الامر فخرج نحوه وحاربه قليلا فقتل أكثر من معه وقتل جميع ولد داود بن حمدان وابن الحسين بن حمدان فانهزم سيف الدولة في نفر يسير وظفر الدمستق بداره وهي خارج مدينة حلب فوجد لسيف الدولة من الورق ثمانية وتسعون بدره فأخذها ووجد له الف وأربعمائة بقل فتسلمها ووجد له من خزائن السلاح مالا يحصى كثرة فقبض جميعها وأحرق الدار وملك الرض . وقتله أهل حلب من وراء السور فقتل من الروم جماعة بالحجارة وسقطت ثلثة^(٢٥٤) من السور على قوم من أهل حلب فقتلهم وطعم الروم في تلك الثلثة فأكبوا عليها ودفنهم أهل البلد عنها فلما جنّهم الليل اجتمع المسلمون عليها فبنوها وأصبحوا وقد فرغوا وعلموا عليها وكبروا وبعد الروم قليلا الى جبل هنا يعرف بجبل جوشن . وذمب رجالة الشرطة بحلب الى منازل الناس وخانات التجار ينهبونها وقيل للناس « الحقوا بمنازلكم فانها قد نهبت » فزولوا عن السور وأخلوه ومضوا الى منازلهم مبادرين ليدفعوا عنها فلما رأى الروم السور خاليا وطالت المدة

وتجاسر الروم صعدوا وأشرفوا على البلد ورأوا الفتنة فيه والنهب
فزلوا وفتحوا الابواب ودخلوا فوضعوا السيف في الناس فقتلوا كل من
لحقهم ولم يرفعوا السيف الى ان كلوا وضجروا . وكان في البلد من أسارى
الروم الف ومائتا رجل فخلصوا وحملوا السلاح على المسلمين وكان سيف
الدولة قد أعد من الروم سبعمائة رجل ليفادى بهم فأخذهم الدمستق وسبي
من البلد من المسلمين والمسلمات بضعة عشر الف صبي وصبية وأخذ من
خزائن سيف الدولة وأمتعة التجار ما لا يحصى ولا يوصف كثرة فلما لم يبق
بمه شيء يحمل عليه أحرق الباقي بالنار وعمد^(٢٥٥) الى الحباب التي يحرز فيها
الزيت فصب فيها الماء حتى فاض الزيت على وجه الارض وأخرب المساجد
وأقلم فيها تسعة أيام .

وكان بذل لاهل البلد قبل أن يفتحها الامان على أن يسلموا اليه ثلاثة
آلاف صبي وصبية ويحملوا اليه مالا وأمتعة حدها وينصرف عنهم فلم يستجيبوا
له الى ذاك . وذكر ان عددة رجاله كانت مائتي الف رجل وازعدة أصحاب
الجواشن فيهم ثلاثون الف رجل وفيهم ثلاثون الف صانع للهدم ولتطريق
الناج أربعة آلاف بفل عليها حسكر الحديد يطرحه حول عسكره^(١) بالليل
وخركاها عليها ابود مغرية فمن صعد قلعة حارب تخلص بحشاشته . فلما كان
بمئة تسعة أيام أراد الدمستق ان ينصرف بما فاز به وحصل في يده فقتله ابن
أخت الملك : هذا بلد قد حصل في أيدينا وليس بازاثا من يدفعنا عنه ومن كان
فيه من الملوية وبنى هاشم والوزراء والكتاب ومن لهم أموال مقيمون في
القلعة فباي سبب ننصرف عنه قبل فتح القلعة ؟ فقال له الدمستق : قد وصلنا الى

مالم نكن نقدره ولا يقدرها الملك وقتلنا وسبينا وأسروا وأحرقنا وهدمنا
 وخلصنا أسراةنا وأخذنا من أردنا أن نفاذى به بلا فدية وغنمنا غنيمه ماسمع
 بمثلها^(٢٥٦) ومن حصل في القلعة فهم عراة واذا نزلوا هلكوا لانهم لا يجدون
 قوتا والرأي ان تنصرف عنهم فان طلب النهايات والغايات ردى . فأقام ابن
 أخت الملك على أمره ولح وقال : لا أنصرف أو افتح القلعة . فلما لح قال له
 الدمستق : فانزل عليها وحاصرها فان الصورة والضرورة تقود من فيها الى
 فتحها . فقال : لا أفتحها الا بالسيف . فقال له : شأنك وما تريد فاني أنا مقيم
 في عسكرى على باب المدينة . فما كان من غد ترجل وأخذ سيفاً ودرقة
 وصعد راجلا والمسلك الى باب القلعة ضيق لا يحمل أن يسلكه أكثر من
 واحد فصعد وتبعه أصحابه واحدا واحدا . وقد كان حصل في القلعة الجماعة
 من الديلم فتركوه حتى اذا قرب فتحوا الباب وأرسلوا عليه حجرا فوقع عليه
 وانقلب ثم وثب وهو مدوخ فرماه واحد من الديلم بخشب فانفذ صدره
 وركب رأسه فأخذه أصحابه وانصرفوا الى الدمستق فلما رآه مقتولا أحضر
 من كان أسر من المسلمين فضرب أعناقهم باجمعهم . وسار الى بلد الروم بما
 معه ولم يعرض لسواد حلب والقرى التى حولها وقال لاهلها : هذا البلد قد
 صار لنا فلا تقصروا في العمارة فانا بعد قليل نعود اليكم^{(٢٥٧) (١)}

(١) وفي تاريخ الاسلام : واقعة حلب من تاريخ على بن محمد الشمشاطى (وترجمته
 في ارشاد الارب ٥ : ٣٧٥) قال : في ذى القعدة أقبات الروم نخرجوا من الدروب
 نخرج سيف الدولة من حلب فتقدم الى عزاز في أربعة الاف فارس وراجل ثم يقن
 أن لا طاقة له ببقاء الروم لكثرتهم فرد الى حلب وخيم بظاهرها ليكون المصاف هناك
 ثم جاءه الخبر بان الروم مالوا نحو العمق فجهاز فتاه نجا في ثلاثة آلاف لقصدتهم ثم
 لم يصبر سيف الدولة فسار بعد الظهر بنفسه . ونادى في الرعيه : من لحق بالامير فله

﴿ ودخلت سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة ﴾

وفيها ورد الخبر بان قوما من رجالة الارمن صاروا الى الرها فاستاقوا

ديار . فلما سار فرسخا ليه بعض العرب فاخبره ان الروم لم يبرحوا من جبرين وانهم على ان يصبحوا حلب فرد الى حلب ونزل على نهر قويق ثم تحول من الغد فنزل على باب اليهود وبذل خزائن السلاح للرعية . واشرف العدو في ثلاثين الف فارس فوقم القتال في اماكن شتى فلما كان العصر وافى ساقفة العدو في اربعين الف راجل بالرمح وفيهم ابن الشمسقيق وامتد الجيوش على النهر واحاطوا بسيف الدولة فخل عليهم فلما ساراهم لوي راعي فرسه واهد ناحية بالس . وساق وراءه ابن الشمسقيق في عشرين الفا فانهك في اصحابه وانهمزمت الرعية الذين كانوا على النهر عند ما انصرف سلطانهم واطاهم السيف وازدحموا في الابواب وتلق طائفة من السور بالجبال فقتل منهم فوق الثلاثة وقتل من الكبار ابو طالب بن داود بن حمدان وابنه وداود بن علي واسر كاتب سيف الدولة الفياض وابو نصر الي ابن حسين بن حمدان وكان عسكر الملاحين ثمانين الف فارس والسواد فلا يحصى .

ثم تقدم من الغد متصرف حاجب الدمستق الى السور فقال : اخرجوا الينا شيخين نعلمون عليهم . فخرج شيخان الى الدمستق فقرهما وقال : اني احييت ان احقن دماكم فتخيروا اما ان تستروا البلد او تخرجوا عنه باهلكم . وانما كان ذلك جيلة منه فاستاذناه في مشاوره الناس فلما كان من الغد اتى الحاجب فقال : لنخرج الينا عشرة منكم نعرف ما عمل عليه اهل البلد . وكان رأى اهل البلد على الخروج بالامان فخرج العشرة وطلبوا الامان وتدخل الروم فقال الدمستق : صح ما بلفي عنكم . قالوا . وما هو ؟ قال : بلفي انكم قد اقمتم مقاتلتكم في الازقة محتفين فاذا خرج الحرم والصبيان ودخل اصحابنا للهب اغتالوهم . فقالوا : ليس في البلد من يقاتل . قال : فاحلفوا . فحلفوا له وانما اراد ان يرف بصورة البلد فينشد تقدم بجيوسه الى قبالة السور ولجا الناس الى القلعة . واصبت الروم سلام على باب اربعين وعند باب اليهود وصدوا فلم يروا مقاتلة فنزلوا البلد ووضعوا السيف وفتحوا الابواب وقضي الامر وعم القتل والسبي والحريق طول النهار ومن الغد وثق السيف بعملها ستة ايام الى يوم الاحد ثلاث بقين من ذى القعدة فزحف الدمستق وابن الشمسقيق على القلعة ودام القتال الى الظهر فقتل ابن الشمسقيق من عظمائهم ونحو مائة وخمسين من الروم وانصرف الدمستق الى مخيمه ونودي : من

خمس آلاف رأس من الغنم وخسمائة رأس من البقر والدواب واستأسروا
نقرا من المسلمين وانصرفوا موفورين

وفيها قلد القاضي أبو بشر عمر بن أكرم القضاء بمدينة السلام على أن
يتولى ذلك بلا رزق وأعفى عما كان يحمله أبو العباس ابن أبي الشوارب^(١)
وخلع عليه وأمر بالايمض شيئا من أحكام وسجلات ابن أبي الشوارب ثم
قلد قضاء القضاة .

ومنها خرج الوزير أبو محمد المهلب ومعه الجيش لفتح عمان وذلك يوم
الاربعاء لست خلون من جمادي الآخرة فاتحدر وبلغ الى هلتى^(٢) من فم
البحر واعتل فسكنت أسمع من طيبه فيروزبانه مسموم لا محالة وكنت
أسأله عن سمه فلا يصرح باسمه الى ان كان بعد ذلك بمدة وانقضت
تلك الايام فذاكرته بذلك فقال : كان خرج معه فرج الخادم وكان أستاذ

كان معه أسير فليقتله . فقتلوا خلفا كثيرا ثم عاد الى القلعة فاذا طلائع قد أقبلت نحو
قنميرين وكانت نجدة لهم فتوهم الامستق لها نجدة لسيف الدولة فترحل خائفا .
وقيه أيضا ان في هذه السنة وقع بالعراق بارض الحامدة برد وزن البعض منه رحل
ونصف بالعراق .

وقال صاحب التكملة : وقيه خلع معز الدولة على أبي الفرج محمد بن العباس (وهو
ابن فساجس) وقلده كتابة عز الدولة مضافا الى ما اليه من الدواوين

(١) هو عبد الله ابن الحسن وقال فيه صاحب التكملة . وفي رجب عزل ابن أبي
الشوارب عن القضاء وقد ذكر انه ضمنه فكان النظار يحيلون عليه بمشاهدة الساسة والنفاطين
وكانوا يجيئون به ويشدون نعالهم على بابه ويدخلون يطالبونه كما يفعلون بضامن المأخوذ .
فأتى أبو عبد الله ابن الداعي العلوي معز الدولة وقال له : رأيت في المنام جدي عليا
رضي الله عنه وهو يقول لك « أحب أن تقطعني ما على القضاء » وتأمر بإزالته . قل :
قد فعلت . وهكذا رواية ابن الصائفي في كتاب القضاء لابن عمر السكندى ص ٥٤٥

(٢) وفي معجم البلدان لياقوت الطوسي ٤ : ٩٧٩ : ههنا

داره والمستولي على خاص أمره ومعه جماعة من الخدم يطيعونه وكان قد فارق نعمة ضخمة وخرج من خيش وثلج وتنعم الى حر شديد وشقاء كثير وتوجه الى عمان فواطأ الخدم على سبه وقتله والراحة من ذلك السفر وظنوا أنهم يـلـمـعـون ويعودون^(٢٤٨) الى نعمهم . وكان فيروز الطيب لما أحس بذلك استأذن في العود الي بغداد وزعم انه لا يركب البحر فأرغب في مال كثير فامتنع ثم أهرب بالحبس فصبر وقال : لا أخرج البتة . فأذن له وانصرف . فلما كان في النصف من شعبان ثقل ورد الى الابله زائل العقل مسبوفاً فيئس منه وعمات له آلة شبه المحفة يحمله أربعون رجلاً يتناوبون عليه وينام فيها ورد على طريق البر فلما كان يوم السبت لثلاث بقين من شعبان وقت العصر مات رحمه الله زراوطا .

وكان معز الدولة لما سمع بخبر عاهة أنقذ أبا علي حمولى اليه لتعرف خبره وتقدم اليه أن وصل اليه وقد توفي ان يحتاط على تركته واسبابه ففعل ذلك وقبض على كتابه وأسبابه وحمل جميعه الى الحضرة . وورد تابوته مدينة السلام يوم الاربعاء لخمس خلون من شهر رمضان^(١) وقبض على عياله وولده

(١) قال صاحب التكملة انه دفن بالتوبخية بمتابر قريش . وروى أيضا عن أبي على التنوخي الحكاية التي وردت في ارشاد الاربيب ٣ : ١٩٣ وقال أيضا : وكان المهلبى قد اصطنع أبا العلاء عيسى بن الحسن بن أبرونا النصراني الكاتب واستكتبه على خاصه وأطاعه على أموال وذخائر دفنها فأخذ أبو العلاء في جملة المأخوذين وعوقب أشد عقوبة وضرب أرح ضرب وهو لا يقر بشيء ولا يعترف بذخيرة . فعدل أبو الفضل (وهو العباس بن الحسين الشيرازي) وأبو الفرج (وهو محمد بن العباس بن الحسين بن فسانجس) الى تجني (وهى أم أبي الفنائم الفضل بن الوزبر المهلبى) وأمرأ سبضرب ابنها أبي الفنائم بين يديها فبكي من عرفها من الذي يتم عليها . وقالت لهم : ان مولاي المهلبى فعل هذا بي حين استدعي الآت العقوبة لزوجة أبي على الطبري لما

ومن دخل يوما اليه مثلاً وصودروا حتى المسكرين والملاحين الذين كانوا يخدمون حاشيته وجرى من ذلك ما لا جرى مثله الا على عدو مكائف واستفظم الناس ذلك واستقبحوه لمعز الدولة . وكانت مدة وزارته ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر ومات بموته عن الكتاب الكرم والفضل رحمه الله .^(٢٥٩) ولما مات الوزير أبو محمد المهلب رحمه الله نظر أبو الفضل وأبو الفرج في الامور من غير تسمية لواحد منهما بالوزارة .

وفيها ورد الخبر بان الطرسوسيين غزوا ودخلوا من درب من دروب الروم الى بلد الروم ودخل نجا غلام سيف الدولة من درب آخر فغم أهل

قبض عليها بعد وفاته . ثم قالت : أحضروني أبا العلاء ابن أبرونا . فاحضره وحمل في سبينة بين أربع فراشين فطرح بين يديها فجعلت تسأله عن شيء شيء وهو يخبرها بمكانه حتى كان في جملة ذلك ثلاثون ألف دينار فقال له من حضر : وبك ألت من الأدميين ! قتل هذا القتل ويفضي حالك الى التلف وأنت لا تعترف ! فقال : يا سبحان الله ! كون ابن أبرونا الطيب الفصاح على الطريق بدائق ونصف دائق بأخذني الوزير أبو محمد ويصطعني ويجملني كاتب سره وأعرف بخدائمه وأطلع الناس على ذخيرة دخرها لولده ! والله ما كنت لأفعل هذا ولو هلك . فاستحسن فعله وكان ذلك سببا لاطلاقه وتقدم بذلك عند أبي الفضل وأبي الفرج وابن بنية وتوفي سنة ٣٦٩ في أيام عضد الدولة . وروى أيضا عن التوخي : قال المهلب : لما عزم معز الدولة على إقاضي الى عمان طرقتني امر عظيم فبتُ ببلية مابت في عمري مثلها لاني فقري ولا في صغر حالي وما زلت أطلب شيئا يسلي به عما ذهني فلم أجد الا أني ذكرت اني كنت حصلت في أيام صباهي بسيراف لما خرجت اليها هاربا فعرفت هناك قوما أولوني جيلا وحصلت لهم على أياد فقكرت وقلت « املي إذا قصدت تلك البلدان أجدهم أو بعضهم أو أعقابهم فأكافئهم على تلك الايادي » فلما ذكرت هذا تسليت عن المصيبة بالخروج وسهل على ووطنت نفسي عليه .

وفي سبب خروج الوزير الى عمان ابراهيم ما رواه ياقوت في كتاب إرشاد الارب

طرسوس غنيمة يسيرة وأقام سيف الدولة على درب آخر ولم يدخل لانه كان عايلا من فالح لحقه قبل ذلك بستين فلما خرج نجبا والطرسوسيون عاد سيف الدولة الى حلب وهو عليل ولحقته غشية ظن معها انه قد تلف . وجاء أبو الحسين ابن دنحا الى هبة الله ابن ناصر الدولة ليسلم عليه ويهنئه بعيد الفطر وكان هبة الله راكبا فاستجر أبا الحسين ابن دنحا الحديث الى ازاء صخر ثم رماه بخشب كان في يده فوقع في لبتة ومضى يركض يريد الحرب فلحقه هبة الله وانما فعل ذلك لغيره لحقته من تعرض ابن دنحا للغلام من غلامه . وبلغ هبة الله أن عمه لم يمت وأنه أفاق من غشيته نخافه واستوحش مما فعله بابن دنحا فجند في السير الى حران .

وابن دنحا هذا هو الذي كان استأمن الى معز الدولة ثم انصرف عنه الى سيف الدولة لانه لم يصل^(٢٦٠) ينفذ الى ما كان يرجوه وما جسر أن يعود الى ناصر الدولة فساقه الحين الى ما ذكر . فتبع نجبا غلام سيف الدولة هبة الله فلم يلحقه ولحق سواده فأخذه وانصرف به الى سيف الدولة ودخل هبة الله حران وأوهم أهله أن عمه قد مات فانه قد كتب الى أبيه ناصر الدولة يستجده لينجده بالرجال ويقيم بجران ويدفع كل من نازعه عليها وطالب أهل حران بأن يخلفوا له أن يكونوا معه حربا لمن حاربه وسالما لمن سالمه وظن أهل حران أن الذي خبرهم به صحيح خلفوا له على ما أرادوا واستثنوا في يمينهم الا أن يكون الذي يحاربه عمه سيف الدولة فأنهم لا يحاربونه ورضى بذلك منهم . فلما كان بعد أيام وافى نجا أخو نجبا غلام سيف الدولة فاعلق هبة الله وأهل حران ابواب حران في وجوههم وعلم نجا انه لا يمكنه فيهم حيلة فظهر انه لم يرد (ابواب) حران وانما اراد قصد ارزن وميافارقين

فانصرف عن حران اليها وكتب الى أخيه نجبا (يمرفه ما جرى ويفريه بأهل
 حران فسار نجبا الى حران فلما قرب منها هرب هبة الله الى أبيه واسلم أهل
 حران فنزل نجبا) خارج حران وخرج اليه وجوه أهلها واشرافها وهم سبعون
 شيخا يسلموا عليه فوكل بهم وتمدد بهم بالقتل وطالبهم عن البلد بالف الف
 درهم ارش ما عملوه من غلق الابواب في وجه اخيه ولم يسمع لهم عذرا
 وجرت ^(٢٦١) لهم معه خطوب الى ان تنع منهم بثلاثمائة الف درهم وعشرين
 الف درهم ووجه معهم بالفرسان والرجالة والزمهم الاجمال الثقيلة ورسم ان
 يستخرج له المال في يوم واحد وبعد الجهد الى أن يكون المدة خمسة أيام
 وقسط المال على أهل البلد وأدخل فيه الملى والذى والسوقة والنساء الارامل
 وغيرهم ووضع عليهم العُصِيَّ والضرب في دورهم بحضرة حرمهم وعيالاتهم
 فاخرجوا أمتعتهم وباعوا ما يساوى ديناراً بدرهم ولم يجدوا من يشتري لان
 أهل البلد كلهم كانوا يديعون فاشترى اصحاب نجبا الامتعة والحلى بحكمهم وبما
 أرادوا . ولزم أهل البلد من الاجمال امر عظيم وخرب بذلك البلد وافقر
 أهله وانصرف عنهم نجبا الى ميفارقين بعد ان استوفى جميع المال وترك البلد
 شاغرا بلا سلطان قتلاط عليهم العيارون . وأظهر نجبا الخلاف على مولاه
 سيف الدولة والخروج عن طاعته ولم يزرع في هذه السنة أحد بديار مصر
 كبير شيء للجور الذي كانوا فيه . ^(١)

(١) وزاد صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة هذه السنة : يوم عاشورا قال ثابت (بن سنان) :
 أئتم معز الدولة الاس بفلق الاسواق ومنع الهرايين والطباخين من الطبخ ونصبوا القباب
 في الاسواق وعلقوا عليها المسوح وأخرجوا نساء منشرات الشعور مضجبات يطلعن في
 الشوارع ويقمن المسائم على الحسين عليه السلام وهذا أول يوم نبح عليه بفقد
 وقال أيضا : وفي ثامن عشر ذي الحجة عمل عيد غدير خم وضربت السلاط

﴿ ودخلت سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ﴾

وفيها ورد الخبر من حران بأنه اجتاز بهم الغازي الوارد من خراسان في نحو خمسة^(٢٦٢) آلاف رجل ماضين الى حلب الى سيف الدولة وهذا الرجل وافي من خراسان على طريق اذريجان ثم الى أرمينية ثم الى ميفارقين ثم الى حران ثم الى حلب ثم ورد بان هذا الغازي اجتمع مع نجا غلام سيف الدولة . وكان ببلاد أرمينية وملازجرد رجل يعرف بابي الورد قد استولي عليها فطمع نجا فيه ولم يلتفت الى حديث الغزو ولا الى الخراساني وقصد

وأصبح الناس الى مقابر قبرين لصلاة هناك والى مشهد الشيعة واستنصرت الروم على الاسلام بكاتبة حلب فضعف أمر سيف الدولة بعد تلك الملاحم الكبار التي طر فيها لب العدو ومزقهم فله الامر وما شاء الله كان . ففيها عبرت الروم الفرات لقصد الجزيرة وأغلق أهل الموصل الاسواق واجتمعوا في المسجد الجامع لذلك ومضوا الى ماعر الدولة فضمن لهم الغزو . ووردت الكتب من بغداد أن الرعية أغلقت الاسواق وذهبوا الى باب الخليفة ومعهم كتاب بشرح مصيبة حلب وضجوا فخرج اليهم الحاجب وأوصل الكتاب الى الخليفة فقرأه ثم خرج اليهم فعرفهم أن الخليفة بكى وأنه يقول : قد غمى ماجرى وأنتم تعلمون أن سبى معز الدولة وأنا أرسله في هذا فقالوا : لا تقع الا بخروجك أنت وان تكتب الى سائر الافاق وتجمع الجيوش والافانزل لنولى غيرك . فغاضه كلامهم ثم وجه الى دار معز الدولة فركب ومعه الاتراك فصرفهم صرفا قبيحا ثم لطف الله وجاءت الاخبار بموت طاغية الروم وان الخلف وقع بينهم في من يملكونه . فطمع عسكر طرسوس ودخلوا أرض الروم في عدة وافرة وأوقعوا بالروم ونصروا عليهم وعادوا بغنائم لم ير من دهر مثلها فلما ردوا الى الدرب اذاهم ببن الملايني على الدرب فاقتلوا طول النهار ونهرو المسلمون . وبلغ سيف الدولة أيضا اختلاف الروم فبادر ودوخ الاعمال وأحرق وحصل من السبي أكثر من الفين ومن المواشي مائة ألف رأس وفرح المؤمنون بالنصر والاستظهار على العدو . ثم بعد شهر أو شهرين توجه سيف الدولة غازيا فسار على حران وعطف على ملطية فلما يديه سييا وغنائم ثم خرج الى آمد

أبا الورد^(١) فأوقع به وملك قلاعه وبلده وحصل في يده من أمواله ما يكثر قدره فاقام في القلعة وحصل في يده من بلدان أرمينية وملازجرد وخرلاط وموش . ومضى الغازي الخراساني الى سيف الدولة فلما اجتمع معه تفر الى المصيصة وورد الخبر^(٢) بنزول الروم على المصيصة في جيش ضخم وفيه الدمستق وانه اقام عليها سبعة أيام وتقب في سورها نيفا وستين نقبا ولم يصل اليها ودفعه أهلها عنها ثم انصرف لما ضاقت به المير وغلا السمر وبعد ان اقام في بلاد الاسلام خمسة عشر يوماً . وأحرق رستاق المصيصة وأذنة وطرسوس وذلك لمعاونتهم أهل مصيصة فظفر بهم الروم وقتل منهم خمسة آلاف رجل وقتل أهل أذنة من الروم عددا قليلا وكذلك أهل طرسوس . ولما مضى سيف الدولة^(٣) والخراسانية الى المصيصة وجد جيش الروم قد انصرف عنها وتفرقت جموع الخراساني لشدة الغلاء في الثغور وبحلب ورجع أكثرهم الى بغداد وعادوا منها الى خراسان . وقبل انصراف الدمستق عن المصيصة^(٤)

(١) وقال الفارقي في تاريخ ميفارقين : وصل الخير بان أبا الورد صاحب اخلاط وما يليها وقع من السور وهلك وملك البلاد جميعها نجاة غلام سيف الدولة وقتاه . وقال أيضا في هذه السنة حضر نجاة ميفارقين لياخذها ويسلمها الي معز الدولة وأمدّه بالعساكر فلما جد في ذلك وصله الخبر ان سيبا لابي الورد وثب على ملازجرد وأخذها فانفصل عن ميفارقين فطلب اخلاط وتلك الولاية فخرج أهل ميفارقين قنيت عسكره .

(٢) زاد صاحب تاريخ الاسلام : أن الروم خرجوا يريدون أذنة والمصيصة فاستجد أهل أذنة بأهل طرسوس فجاءوهم في خمسة عشر ألف فارس وراجل فالتقوا واشتد القتال وركب المسلمون أفضية الروم وأتبعوهم فخرج للروم كمين اقتطع أربعة الاف راجل فقاتلوا عن أنفسهم وتجزؤا الى تل فقاتلوهم يومين ثم كثر عليهم جموع الروم فاستأصلوهم ثم نزلوا المصيصة الخ . وفيها ملك المسلمون حصن اليمانية بحيلة وهو على ثلاث فراسخ من آمد . (٣) وفي الأصل : الضيعة .

وجه الى أهلها بانى منصرف عنكم لا لمجز عنكم وعن فتح مدينتكم ولكن لضيق العلوقة وانا عائد اليكم بمد هذا الوقت فمن أراد منكم الانتقال الى بلد آخر قبل رجوعى فلينتقل ومن وجدته بمد عودى قتلته .

وفيها اجتمع الاكراد على قافلة الحاج الصادرة الى خراسان فلكوها واجتاحوها فوق حلوان ورجع الحاج الى حلوان

وورد الخبر بان الغلاء اشتد بانطاكية وجميع الثغور حتى لم يقدر احد على الخبز وأكل الناس الرطبة والحشيش وانتقل قوم من الثغور الى الرملة ودمشق وغيرها نحو خمسين ألف انسان هربا من الغلاء فان الدمستق قد جمع الجوع للخروج الى بلدان الاسلام وان السلطان بجران مقيم بمد الذى جري على أهلها من نجا على ظلمهم وطرح الامتعة عليهم والجور فى معاملتهم وان الغلاء بها وبالرقة شديد جدا .

وفيها استهدى المجرىون من سيف الدولة^(٢٦٤) حديدا فقلع سيف الدولة أبواب الرقة وهى من حديد وسد مكنها وأخذ حديدا بديار مصر حتى أخذ سنجات الباعة والبقالين ثم كتبوا اليه : انا قد استغنينا عن الحديد . فأخذ القاضى أبو حصين الابواب فكسرها وعمل منها أبوابا لداره . ثم كتب المجرىون يلتمسون الحديد فأخذ الابواب التى عملها أبو حصين وسائر ما قدر عليه من الحديد وحمله فى الفرات الى هيت ثم منها اليهم فى البرية .

وفيها ورد أبو الحسين الباهلى برسالة ناصر الدولة ليقدر ما يذنه وبين معز الدولة فقرر على أن يحمل ناصر الدولة عن سنة ٣٥٢ الف الف درهم يقدم منها ثمانمائة الف درهم وعن سنتى ثلاث وأربع الف درهم يقدم منها مائتى الف درهم والباقي فى نجوم . ولما تقرر الامر بذل ناصر الدولة

زيادة عشرة آلاف دينار على أن يمقد لابنه أبي تغاب فضل الله الغضنفر فلم يستجب معز الدولة الى ذلك فلما كان مستهل جمادى الآخرة . وردت الخمسمائة الالف درهم التي وقع الاتفاق عليها مع الباهلي وقبضت وصحت في الخزانة . وأظهر معز الدولة الاصعاد الى الموصل وأخذ يستعد له فسأله الباهلي التوف ^(٢٦٥) عن المسير الى أن يمضى برسالة الى ناصر الدولة ويمود فقبل له : تمضى وتلمس رد مالزم من النفقة على التأهب للسفر . فمضى وأخرج معز الدولة مضاربه الى باب الشماسية وخرج الحاجب سبكتكين وجماعة من القواد على المقدمة الى الموصل وتبعه معز الدولة . ومد الجسر الذي يبعد الى السن وعقد هناك وعبر عليه مع الجيش الى الجانب الغربي وسار على الظهر الى الموصل

وكان الباهلي قد عاد بجواب الرسالة وبذل ان يحمل ثلاثمائة الف درهم عوضا عما لزمه من النفقة على السفر فلم يقبل منه وانصرف الباهلي من تكريت وتمم معز الدولة المسير . ولما بلغ ناصر الدولة أن معز الدولة قد قرب من الموصل ولم يكن له عزم على لقائه رحل من الموصل الى نصيبين ورحل معز الدولة من الموصل الى بلد في آخر النهار وخاف بالموصل أبا العلاء صاعد بن ثابت ليحمل الفسلات ويستخرج الاموال وخلف بكتوزون وسبكتكين العجمي ووهرى وجماعة من الاتراك والديلم لضبط البلد . ولما بلغ ناصر الدولة مسير معز الدولة نحوه سار من نصيبين الى ميفارقين (يوم السبت للنصف من شعبان وسار خلفه الحاجب الكبير فلما قرب من ميفارقين) رحل ناصر الدولة عنها ورجع الحاجب الى نصيبين وعرف معز الدولة أن العدو قد رحل لما قرب منه ^(٢٦٦) وانه لا يدري اين قصد فرحل معز الدولة

لوقت من نصيبين يريد الموصل خوفا من مخالفة ناصر الدولة اليها وخلف
الحاجب وجماعة من القواد بنصيبين . وكان صار أبو تغلب ابن ناصر الدولة
واخوته الى الموصل ووقع بينهم وبين من خلفهم معز الدولة بها حرب شديدة
وكانت على أولاد ناصر الدولة وانصرفوا الى الموصل وأحرقوا زبازب معز
الدولة التي كانت ببلد وزواريق العسكر التي كانت بالموصل وبلغ ذلك
معز الدولة فسكرنت نفسه الى ظهور أصحابه بالموصل على بني حمدان . فلما
كان بعد ذلك اجتمع ناصر الدولة مع أولاده وقصدوا الموصل فأوقعوا
ببكتوزون وسبكتكين العجمي وعسكر معز الدولة الذي كان خلقه بالموصل
واستأمن الديلم الى ناصر الدولة فأخذ ترأسهم وأحرقها ووهب لكل واحد
منهم عشرة دراهم وصرفهم وأسر بكتوزون وسبكتكين وسائر الأتراك
ووهرى وصاعداً واحمد الطويل غلام موسي فيأذه وكان قد أصعد من
الاهواز ليتظلم الى معز الدولة من وضعية لحقته في ضمان كان في يده ^(١) وأخذ
بنو حمدان ما كان لمعز الدولة بالموصل من كراع وسلاح وثياب خز ومائتي
الف درهم كانت (حات اليه من بئداد ومائتي الف درهم كانت) للحاجب
وحمل جميع ذلك مع الاسارى ^(٢٦٧) الى القلعة . وبلغ ناصر الدولة وأولاده
مسير معز الدولة من نصيبين فلم يقيموا ومضوا الى سنجار وحصار معز الدولة
الى برقيمد ولم يكن عنده ما جرى على أصحابه بالموصل وبلغه برقيمد ان
ناصر الدولة قد صار بالجزيرة فعدل من برقيمد الى الجزيرة . فبلغه اقبال
حمدان بن ناصر الدولة اليه فوقف له فاذا هو مستأمن اليه مع علوان القشيري
وسار معز الدولة الى الجزيرة فلم يجد بها ناصر الدولة فسار الى الموصل

(١) وفي النسخة : وكان قد ضمن الاهواز واصعد منها ليفسخ ضمانه

وبلغه في طريقه ماجرى على أصحابه بالموصل فكتب الى الحاجب وهو
 بنصيبين أن يصير الى بلد وعبر هو الى بلد واتخذ سواده الى تكريت .
 ووافاه الحاجب وأبو الهيجاء حرب بن أبي العلاء ابن حمدان مستأمنًا وسار
 يريد نصيبين ووافاه أبو جعفر العلوي النصيبيني برسالة ناصر الدولة يلتمس
 الصالح فلم يجبه . وكان أبو تغلب قد صار الى الموصل ونزل في الدير الاعلى
 ولم يهج في ايام مقامه أسباب معز الدولة ولا عرض لهم واطهر جيلا
 ومضى حمدان الى الرحبة وكان بها الفتكين خاربه هناك وأقبل معز الدولة
 الى الموصل فرحل أبو تغلب من الدير الاعلى وجاء معز الدولة فنزل مكانه
 واستأمن^(٢٦٨) اليه هزارمرء الصغير من غلمان أبي تغلب وجاء المسيب
 والمهيا بكشمرد أسيراً فخلع على المسيب والمهيا وطوقا وسُورا . وراسل
 أبو تغلب معز الدولة بصاحبه أبي الحسن على بن عمرو بن ميمون وجرت
 له خطوب استقرت على ان ضمن أبو تغلب ما كان في يد أبيه ناصر الدولة
 من الموصل وديار ربيعة والرحبة على ان يحمل عن بقايا سنة ٣٥٣ ستمائة الف
 درهم وعن أربع سنين مستأنفة آخرها سنة ٥٧ لكل سنة ستة آلاف الف
 ومائتي الف درهم وان يجعل حمل الستمائة الف مع الاسارى الذين في
 يده الى الحديثة اذا حصل الامير معز الدولة بها وضمن ان يرد من جملة
 ما حصل في أيديهم من المال والامتنعة التي أخذت في وقت الايقاع
 بكتوزون ما حصل في يده بقسطه وواعد بطلب الباقي وحمله وتقرر ذلك
 وأشهد معز الدولة على نفسه القواد والمدول وقاضي البلد بامضاء ذلك
 وكتب الى الفتكين بالانصراف من الرحبة وكتب على بن عمرو خطه
 بضمان ما تقرر عليه الامر ورهن نفسه على امضاء أبي تغلب ذلك وسار معز

الدولة الى الحديثه وورد صاحب أبي تغلب بالمال ثم وافاه بكتوزون^(٢٦٩) وسبكتكين المعجمي وسار الي بغداد .

وفيهما ورد الخبر بالموصل بان أبا عبد الله محمد بن الحسين المعروف بابن الداعي الحسيني^(١) خرج من بغداد سرا الى بلد الديلم وخلف والدته وابنه وعياله في داره ببغداد ظاهرين

(١) ووالده الحسن بن القاسم هو امام الزيدية الذي قام بالرى وقتل سنة ٣١٦ (صلة عريب ص ١٣٧) وأما أبو عبد الله فقال صاحب التكملة انه كان لزم الكرخي والخليل وقرأ عليه الفقه وقرأ الكلام على أبي عبد الله البصري ومنشاه بطبرستان وكان يجيب في الفتاوى أحسن جواب والزمه معز الدولة النظر في نقابة الطالبين ببغداد سنة تسع وأربعين ففعل مخبرا وعمر وقوفهم . وسأله معز الدولة عن طليحة والزبير فقال : هما من أهل الجنة لان النبي صلعم بشرهما بالجنة . وكان المهلبى يخافه فوضع عليه موضوعات منها انه كان يأخذ البيعة على الديلم وبلغ من اجلال معز الدولة له انه دخل عليه وهو مريض فقبل يده استشفاه بها . ولما غاب معز الدولة في هذه السفرة الى نصيبين تخلف ابته عز الدولة ببغداد فدخل ابن الداعي فخطبه بعض أصحاب عز الدولة في معنى علوى خطابا أوما عليه فامتعض أبو عبد الله من ذلك وخرج مغضبا وكان ينزل بدار على دجلة بباب الشعير فرتب قوما معهم بالجانب الشرقي وأظهر انه مريض وخرج مختفيا ومعه ابنه الاكبر وخلف اولاده وعياله وزوجته ببغداد ونعمته وكما تحويه داره ولم يستصحب غير جبة صوف بيضاء وسيفا ومصحفا وسلك طريق شهرزور ومضي الى هوسم . وسمه علوى هناك قام بعده وكانت وفاته سنة ٣٥٩ . وفي الاصل هو أبو عبد الله محمد بن الحسين وكذا في الكامل لابن الاثير والصواب انه ابن الحسن .

وأما الكرخي فهو أبو الحسن شيخ الحنفية بالعراق اسمه عبيد الله بن الحسين بن دلال وعن الخطيب : انه لما أصاب أبا الحسن الكرخي الفالج في آخر عمره حضره وحضر أصحابه أبو بكر الدامغانى وأبو على الشاشى وأبو عبد الله البصري وقالوا : هذا مرض يحتاج الى ثقة وعلاج والشيخ مقل ولا ينبغي ان نبذله للناس . فكتبوا الى سيف الدولة ابن حمدان فأحس أبو الحسن بما هم فيه فبكى وقال : اللهم لا تجعل رزقي الا من حيث عودتي . فبات قبل ان يحمل اليه شيء ثم ورد من سيف الدولة عشرة

وصار سيف الدولة الى مياقارين واحتال أصحابه على القلعة التي كانت حصلت له من أنى الورد وهرب نجا فحصل لسيف الدولة القلاع وأسارى [الروم] وأخ لنجا .

وأقام الدمستق على المصيصة وهادى سيف الدولة بينال ودواب وثياب ديباج رومية وصياغات ذهب وقالبه سيف الدولة بهدايا فصار سبباً لمقام الدمستق في بلدان الاسلام ثلاثة أشهر لا ينازعه أحد ولا يمكنه فتح المصيصة وانصرف عنها لان البلد لم يحمله ووقع في أصحابه الوبأ فاضطر الى الانصراف بعد ان حُمِلَ اليه مال من المصيصة

وفيها ظهر بالكوفة رجل ذكر انه علوي وكان ببرقما فوقمت بينه وبين أبي الحسن محمد بن عمر العلوي وقائع فلما دخل معز الدولة بغداد هرب المبرقع .

وورد الخبر بان نجا صار الى مولاه سيف الدولة فأعاده الى مرتبته (٢٧٠)

آلاف درهم فتصدق بها . توفي سنة ٣٤٠

وأما أبو عبد الله البصرى فهو محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي المتكلم صاحب أبي الحسن الاشعري وهو بصرى قدم بغداد ودرس بها علم الكلام وصنف التصانيف وعليه درس الفاضل أبو بكر ابن الطيب الباقلاني هذا الفن (وفي ترجمة الباقلاني انه أخذ عنه علم النظر) وقل الخطيب : ذكر لنا غير واحد انه كان مخين الستر حسن الدين توفي في حدود سنة ٣٧٠ - ٣٦٠ كذا في تاريخ الاسلام .

وأما أبو علي الشاشي ففيه أيضا انه الحسن بن صاحب بن حميد وانه طواف جوال أرتخه الخطيب وافته بالحقظ الحلبي وتوفي سنة ٣١٤ وهو مذكور في كتاب الانساب للسمعاني ص ٣٢٥

وفيه أيضا (ص ٢١٩) ان أبا بكر الدامغاني هو أحمد بن منصور الانصارى أحد الفقهاء الكبار من أصحاب الرأى فدرس ببغداد على أبي الحسن الكرخى ولما فلج الكرخى جعل الفتوى اليه دون أصحابه فاقام ببغداد دهرا طويلا .

﴿ ودخلت سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ﴾

وفيهما فتك غلمان سيف الدولة بحضرته على نجا بالسيوف فقتلوه^(١) ولحق سيف الدولة في الوقت غشية مكث فيها نحو الساعة فامسرت زوجته وهي بنت أبي الملاء سعيد بن حمدان ان يُجر برجل نجا ففعل ذلك الى ان أخرج من قصرها وفيه كان جرى على نجا ما جرى وطُرح في مجرى ماء ينضب اليه المياه والافذار وبقي فيه الى الغد وقت العصر ثم أخرج وكفّن ودُفن وفيها وصل أبو أحمد خلف بن أبي جعفر ابن بانو الى الخليفة أوصله معز الدولة فقلده سجستان وخلع عليه وعقد له لواء .

وورد الخبر بان الاتراك نزلوا على بلد الخزر واستنصروا أهل خوارزم فامتنعوا من نصرتهم وقالوا : أنتم يهود فان أحببتم ان نعاونكم فاسلموا . فاسلموا الا مملكتهم

وورد الخبر بان أبا عبد الله ابن الداعي لما وصل الى بلد الديلم اجتمع اليه منهم عشرة آلاف رجل وان ابن الناصر العلوي هرب من بين يديه . ثم أوقع بقائد كبير من قواد وشمكير وانه تلقب بالمهدي لدين الله^(٢)

(١) وقال صاحب تاريخ ميفارقين . حضر نجا في مجلس سيف الدولة وعنده جماعة على الشراب فكلم سيف الدولة في شيء وحاجة وخرج عليه بكلام قبيح فوثب عليه غلام لسيف الدولة يسمى نجا حاضره على رأسه بسيف فقتله فحمل الى ميفارقين ودفن بها وندم سيف الدولة على قتله وسار وملك اخلاط وتلك الولاية بأسرها .

(٢) الناصر لدين الله هو أبو الحسن أحمد بن الهادي الى الحق يحيى امام الزيدية استعان به وجوه خولان على أخيه المرتضى (أبى القاسم محمد بن يحيى) في سنة ٣٠١ . وقام الناصر فيهم وتوفي سنة ٣٢٥ وله أولاد منهم الحسن وجعفر ويحيى كذا في كتاب الحقائق الوردية . وفي كتاب عمدة الطالب (طبع بمبئي ص ١٥٧) ان ابنه الحسن قام بالامر بعد أبيه . وكان يلقب المنتجب لدين الله ونازعه أخوه يحيى على الامامية ويقاب

وورد الخبر بان تقفور ملك الروم بنى بقدسارية مدينة^(٢٧١) وهي تقرب من [بلاد] الاسلام فاقام بها ونقل اليها عياله ليقرب عليه ما يريد من بلدان الاسلام^(٢٧٢) وان أهل المصيصة وطرسوس أنفذوا اليه رسولا يسألونه أن يقبل منهم إتاوة يؤدونها اليه على ان ينفذ اليهم صاحبها ليقم فيهم فعمل على اجابتهم الى ذلك . فورد عليه الخبر بأن أهل هذه البلدان قد ضعفوا جداً وانه لا ناصر لهم ولا دافع له عنها وانه لم تبق أقوات وانه قد آل الامر بأهل طرسوس الى أكل الكلاب [و] الميتة وانه يخرج منها في كل يوم ثلثمائة جنازة فانصرف رأيهم عما كان عمل عليه وأحضر رسولهم وضرب له مثلاً وقال « مثلكم مثل الحية في الشتاء اذا لحقها البرد وذبلت وضعفت حتى يقدر من رآها انها قد ماتت فان أخذها انسان وأحسن اليها وأدفاها اتعشت ولدغته وأنتم انما يختم بالطاعة لما ضعفتم وان تركتكم حتى تستقيم أحوالكم تأذيت بكم . وأخذ الكتاب الذي أورده فاحرقه على رأسه فاحترقت لحيته وقال : امض اليهم وعرفهم انه ليس عندي الا السيف . فانصرف وجمع الملك جيوشه وعمل على ان ينفذ^(٢٧٣) جيشاً الى

بالمصور كان فيه خير أنفذ رجلاً الى بغداد أيام كان أبو عبد الله ابن الداعي بها وذلك في أيام معز الدولة وقال له : اختر حاله فان رأيته أفضل مني وأولى مني بالامامة فاكتب الي بذلك لابياعه له وأدعو اليه . وفي الحقائق انه لما قام ابن الداعي في سنة ٣٥٣ حاربه أبو محمد الحسن بن محمد بن الثائر المعروف باميركا وانه أنفذ اليه من جرجان نصر ابن محمد الاستدار لحاربه فالتقوا بشالوس ثم وقع تخليط عسكر ابن الداعي بسوء تدبير من كان اعتمده وخيانة بعض أقاربه له بخديعة عليه فلم يتمكن من الامتداد الى طبرستان وعاد الى هوسم فاقام بها على ضجر شديد من سوء أدب كثير من أولئك الديلم بالجيل وكان ينادي بتلوهم ونفاقهم وقلة وفائهم بما كانوا بذلوا له أيام مقامه ببغداد وتوفي سنة ٣٦٠ (٢) وفي تاريخ الاسلام : وسكنها لغير كل وقت وترك أباه بالقسطنطينية

الشام وجيشاً الى الثغور وجيشاً الى ميفارقين وكان سيف الدولة بميفارقين [قد] تخصّص البطارقة الذين في يد نجا وكان بميفارقين نحو الف كُتِرَ حنطة فزقها وفرقها لثلاث تأخذها الروم

ثم ان ملك الروم أنفذ الى المصيصة قائدا من قواده فأقام عليها يحارب أهلها ثم جاء الملك بنفسه فأقام عليها وفتحها عنوة بالسيف ووضع السيف في أهلها فقتل منهم مقتلة عظيمة ثم رفع السيف وأمر أن يُساق من بقي في المدينة من الرجال والنساء والصبيان الى بلد الروم وكانوا نحو مائتي الف انسان ثم سار عنها الى طرسوس فحاصرها فاذعن أهلها بالطاعة فاعطاهم الملك الامان وفتحوا له أبوابها فدخلها ولقي أهلها بالجميل ودعا رؤساءهم الى طعامه فأكلوا معه وأمرهم بالانتقال عنها وان يحمل كل واحد من ماله وسلاحه ما أطاق حملة ويُخفّ الباقي ففعلوا وساروا وسير معهم ثلاثة نفر من البطارقة يحمونهم ففرض لهم قوم من الارمن فاقوع الملك بهم وعاقهم وقطع انافهم لمخالفتهم أمره . ولم يزل طول طريقهم يتعرّف أخبارهم بكتبه ورسله الى ان عرف سلامتهم وحصولهم بانطاكية وحمل بعضهم في البحر في شلنديّات له الى حيث ارادوا .

ثم جعل الملك المسجد الجامع بطرسوس اصطبلًا لدوابه ونقل ما كان فيه من قناديل الى بلده وأحرق المنبر وقلد البلد بطريقا من بطارقته في خمسة آلاف رجل وقلد المصيصة بطريقا آخر وتقدم بعمارة طرسوس وتحصينها وجلب الميرة اليها من كل جهة فعمرت ورخص السعر بها حتى صار الخبز بهار طلين بدائق فتراجع أهلها اليها ودخلوا في طاعة الملك وتنصر بعضهم وعمل الملك على ان يجعلها حصنا ومقلا له لحصانها وليقرب عليه ما يريد

من بلدان الاسلام .^(١)

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : وقيل رجع جماعة من أهل المصيصة اليها وتصوروا وكان السبب في فتح المصيصة انهم هدموا سورها بالقبوب فأشار عليهم رجل بحيث أن يخرجوا الاسارى ليعطف عليهم الملك نفقور فأخرجوهم فعرفه الاسارى بعدم الاقوات وأطعموه في قبحها فزحف عليها ولقد قاتل أهلها في الشوارع حتى أبادوا من الروم أربعة الاف ثم غلبوهم بالكثرة وقتلوهم وأخذوا من أعيانهم مائة ضربوا رقابهم بازاء طرسوس فأخرج أهل طرسوس من عندهم من الاسرى فضربوا أعناقهم على باب البلد وكانوا ثلاثة الاف . وقال أيضا . ان في هذه السنة اشدت الحصار على مدينة طرسوس وتكاثر عليهم جموع الروم وضعت عزائمهم بأخذ المصيصة وبما هم فيه من الفلة والغلاء . وعجز سيف الدولة عن نجدهم وانقطعت المواد عنهم وطال الحصار وخذلوا فراسلوا قفقور ملك الروم في أن يسلموا اليه البلد بالامان على أنفسهم وأموالهم واستوتقوا منه بايمان وشرائط . ودخل طائفة من وكلاء الروم فاشتروا منهم من البز الفاخر والاولائي المخروطة واشتروا من الروم دواب كثيرة فحملهم لانه لم يبق عندهم دابة الا أكلوها وخرجوا بحريتهم وسلاحهم وأموالهم .

فوافى تبج التملى من مصر في البحر في مراكب فاتصل بملك الروم خبره فقال لأهل طرسوس . غدرتم . فقالوا : لا والله ولوجأت جيوش الاسلام كلها . فبعث الى التملى : يا هذا لا تفسد على القوم أمرهم فانصرف . ثم عمل قفقور دعوة لكبار أهل البلد وخامع عليهم وأعطاهم جملة وخفرهم بجيش حتى حصلوا ببغراس وحصل منهم خمسة الاف بانطاكية فأكرمهم أهلها . ثم دخل الروم مدينة طرسوس فأحرقوا المنبر وجعلوا المسجد اصطبلًا

وأما سيف الدولة فانه سار الى أرزن وأرمينية وحاصر بدليس وخلط وبها أخو نجا غلامه عصيا عليه فتملك المواضع ورد الى ميافارقين . وعمد أهل انطاكية فطردوا نائب سيف الدولة عنهم وقالوا . نذارى بيت المال ملك الروم أو نبرج عن أنطاكية فلا مقام لنا بعد طرسوس . ثم اتهم أمرؤا عابهم رشيقا النسيجي الذي كان على طرسوس فكتب ملك الروم على حمل الخراج اليه عن أنطاكية فقرر الامر على حمل أربعمائة الف درهم في السنة وجعل على كل رأس من المسلمين والنصارى ثلاثين درهما والامر لله . وفي هذه السنة ورد الخبر بإجابة قفقور الى ما طلبه منه سيف الدولة من الهدنة

وكان معز الدولة قد أنفذ كردك النقيب الى عمان فلقى أميرها نافما ووافقه على الدخول في طاعة الامير معز الدولة واقامة الخطبة له وكتب اسمه على الدنانير والدرهم واستجاب نافع الى ذلك وكتب اسم معز الدولة على الدرهم والدنانير . فلما انصرف كردك عنه وقف أهل البلد على ما عمله نافع من ذلك فوثبوا به وأخرجوه من البلد وأدخلوا أصحاب المجريين القرامطة وسلموا البلد اليهم فهم يقيمون فيه ^(٢٧٤) نهارهم ويروحون الى معسكرهم في آخر النهار وكتبوا الى أصحابهم بهجر يعرفونهم الخبر ليرد عليهم الامر بما يعملون به .

وورد الخبر بان تقفور ملك الروم عاد الى قسطنطينية وان الدمستق وهو ابن الشمسقيق كتب اليه يستأذنه في قصد سيف الدولة الى ميفارقين فكتب اليه بالتوقف الى أن يلحق به بقسطنطينية فضى اليه وكان سيف الدولة

والفداء على أن يخرج بدل أبي الفوارس محمد بن ناصر الدولة ومن معه من بني عمه جماعة من البطارقة وان يفادي بفلان سيف الدولة عدة من الروم وان يتناح ما يفضل من الاسرى ببلد الروم كل واحد ثمانين دينارا فأحضر سيف الدولة أمان الى راس وذلك مائة وستون الف دينار فعانها الرسول وجاءت كتب الطرسوسيين الى سيف الدولة ليأخذ منهم الاسارى فانهم عجزوا عن أقواتهم للفلاء . ثم جاء من بلد الروم كتاب أبي فراس ابن حمدان من الاسر بتصحيح أمر الفداء وتقذ شرائط ملك الروم وفيه خط ملك الروم بالاحمر وخطوط بطارقه على ان يأخذوا عندهم ستة من بني حمدان ويأخذ سيف الدولة عنده ستة من البطارقة

ووردت الاخبار أن ملك الروم أرسل الى أهل طرسوس يهدهم على أن يخرجوا سور المدينة وان يبنوا يعة كانت لهم تخربت فلم يجيوا فسار حتى نزل عليهم وحاصره وبذلوا له ثلاثمائة الف دينار واطلاق ما عندهم من الاسارى فابي الا أن يخرجوا بالامان بما قدروا على حمله أو ان يكونوا في طاعته ويخرجوا سورهم فامتنعوا وأخذت الروم ثغر المصيصة فقتلوا كل الرجال فلم يقات منهم الا تسعة نفر فما شاء الله كان

لقد رشيقا النسيمي وهو من وجوه أهل طرسوس فلما حصل سيف الدولة
 بديار بكر وسلم رشيق هذا طرسوس في جملة من سلمها الي ملك الروم خرج
 الى انطاكية . فالتصق به انسان صغير القدر يعرف بابن الاهوازي كان يتضمن
 الارجاء بانطاكية وكان قد اجتمع عنده مال فاعوى رشيقا وسلم اليه ما اجتمع
 عنده من المال وأطمعه في أن سيف الدولة لا يعود الى الشام وخرج معه الى
 حلب . وجرت بينه وبين قرغويه حروب كثيرة وصعد قرغويه الى قلعة حلب
 فتحصن فيها قاتل سيف الدولة خادما له أسود ويعرف ببشارة ليكون مع
 قرغويه في القلعة فنزل هذا الخادم في بعض الأيام وانضم اليه قطعة من
 الاعراب كانوا قد وافوه وجماعة من الجند والعلماء فلما^(٢٧٥) أحس بهم رشيق
 انهزم وسقط عن دابته فنزل اليه رجل من الاعراب من بني معاوية عرفه
 فحز رأسه وصار به الى قرغويه وبشارة وانهزم أصحاب رشيق وتركوا كل
 ما لهم في ظاهر حلب وهرب ابن الاهوازي الى أنطاكية وكان أخوه
 مقيما بها . فنصب رجلا من الديلم اسمه دزبر وسماه الامير واعتضد برجل
 علوى أفضسى ووعدته العلوى ان تم له الامر ان يجعله الرئيس والمدير وتسمى
 بالاستاذ فظلم الناس بانطاكية وجمع الاموال وقصده قرغويه الى انطاكية
 وجرت بينهما وقعة فكانت على الاهوازي أكثر الليل وقطعة من النهار
 ثم صارت له على قرغويه لان أهل البلد عاونوه

وقد كان سيف الدولة كتب الى قرغويه الا يخرج الى أنطاكية
 فانهزم قرغويه وعاد الى حلب وانصرف سيف الدولة من الفداء ودخل
 حلب وأقام بها ليلة وخرج من غد فواقع دزبر وأسر دزبر وابن الاهوازي
 في ضيعة في طريق بالس يعرف بتسمين فانهزم أصحاب دزبر وأسر دزبر

ومضى ابن الاهوازي فطرح نفسه في بيوت بني كلاب فوجه اليهم سيف الدولة يطالبهم به ووهب لهم ثلاثين الف درهم فسلموه اليه^(٢٧٦) وقتل دزبر واعتقل ابن الاهوازي مدة . ثم خرج ملك الروم الى الشام واشتغل سيف الدولة به وأمر باحضار ابن الاهوازي^(١) فقتل بحضرته .

وفي هذه السنة أفتد أبو تغلب ابن ناصر الدولة الى الامير معز الدولة شيئا كثيرا من المال والثياب التي كانت أخذت بالموصل وقت القبض على بكتوزون فاما المال فانه قبله وأما الثياب فانه ردها عليهم وقال : لعل فيها شيئا استحسنتموها وقد وهبتها لكم . وكانت لها قيمة عظيمة ولكنه ترفع عن ارتجاعها

❦ ودخلت سنة خمس وخمسين وثلثمائة ❦

وفيها ورد الخبر بأن بنى سليم قطعوا الطريق على قافلة المغرب ومصر والشام الحاجة الى مكة في سنة ٣٥٤ وكانت قافلة عظيمة وكانت فيها من الحاج والتجار والمنتقلين من الشام الى العراق هربا من الروم ومن الامتعة التي لهم نحو عشرين الف حمل منها دق مصر الف وخمسمائة حمل ومن أمتعة العرب اثني عشر الف حمل وكان في الاعمال الامتعة من العين والورق ما يكثر مقداره جدا . وكان فيها لرجل يعرف بالخواتيمى قاضى طرسوس مائة وعشرون الف دينار عينا وان بنى سليم أخذوا الجمال مع الامتعة فبقى الناس رجالة^(٢) منقطا بهم^(٢٧٧) كما أصاب الناس في الهير سنة القرمطى^(٣) فغن الناس من عاد الى مصر ومنهم وهم الاكثر تلف .

(١) وفي تاريخ الاسلام هو محمد بن احمد بن الاهوازي (٢) وفي الاصل : رجالمهم

(٣) قد ذكر فيما تقدم ١ : ١٢٠

وورد الخبر بأن أبا عبد الله العلوي ابن الداعي لبس الصوف وأظهر
النسك والصوم وتقلد المصحف وواقع ابن وشمكير فهزمه وأسر جماعة من
أصحابه وقواده وعمل على المسير الى طبرستان وكتب الى العراق كتابا يدعوه
فيه الى الجهاد

وفيهما لقب الحبشي بن معز الدواة بسند الدواة وكتب به كتاب عن الخليفة

﴿ ذكر ما جرى في عمان ﴾

كنا حكيما من أمر عمان ماجرى في أمرها الى وقت دخول القرامطة
اليها باختيار أهلها وكان مع القرامطة كاتب يعرف بعلي بن أحمد وكان هو
الذي ينظر في أمر البلد والجيش . وكان قاضي البلد رجلا له عشيرة وعز
منيع فرأى مع وجوه البلد بعد نفى نافع من البلد ان ينصبوا في الامرة رجلا
يعرف بابن طغان وكان من صفار القواد بعمان وأدناهم مرتبة فخاف من القواد
الذين فوقه في المرتبة والمحل ان يغلبوه على أمره فقبض على ثمانين قائدا منهم
وقتل بعضهم وغرق بعضهم . وقدم الى البلد ابنا أخت لرجل ممن غرق وسألا
عن حاله فمر فانه غرق فامسكا وأقاما مدة فلما ^(٣٧٨) كان يوم من أيام السلام
دخلوا في جملة المسلمين على ابن طغان فلما تقوض المجلس فتكابه وقتلاه . فاجمع
رأى الناس على عقد الامر لعبد الوهاب بن أحمد بن مروان قرابة القاضي
فوجهوا يلتمسون فاستتر فألزموا القاضي احضاره والزامه تقلد امارة البلد
ففعل القاضي ذلك وراسله فظهر وتقلد الامر وبويع له واستكتب له علي بن
أحمد الكاتب الذي كان وافي مع المهجريين ووافق علي بن أحمد الجيش على
أن يطلق لهم رزقين صلة فأخرجت الاموال وابتدأ علي بن أحمد ينثق في الناس

رزقتين فلما انتهى الى الزنج وهم ستة آلاف رجل لهم بأس وقوة وقال^(١) لهم : ان الامير عبد الوهاب أمرني أن أطلق لكم أنتم رزقة واحدة فقط . واضطربوا من هذا فقال لهم : امضوا اليه وخاطبوه . فمضوا فلما بعدوا منه قليلا استردهم الى مجلسه وقال لهم : انكم اذا مضيتم لم يوصلكم اليه ولم يزدكم على رزقة واحدة فهل لكم أن تبايعوني وأطلق لكم رزقتين وتكون الامارة لي ؟ فقالوا : نعم . فاطلق لهم رزقتين فاضطرب البيضان من ذلك ووقع بينهم وبين الزنج مناوشة فقتل من البيضان جماعة فسكنوا وصارت كلمتهم وكلمة الزنج واحدة وبايعوا على بن أحمد^(٢٧٩) ثم راسلوا عبد الوهاب بن احمد ابن مروان : بانا قد عقدنا الامر لغيرك فاخرج عن البلد . فخرج وحصل الامر لعل بن احمد .

وفيهما خرج الامير مع الدولة الى واسط لمحاربة عمران بن شاهين وأتخذ جيشا الى عمان وكان خروجه من بغداد يوم الثلاثاء الحادى عشر من رجب ورحل الى واسط وهو محموم فلما كان يوم الجمعة لليلتين بقيتا من رجب وافى نافع الاسود مولى يوسف بن وجيه مستأمنا اليه قبله . ونظر مع الدولة فيما يحتاج اليه من أمر عمان مما سذكروه وانحدر من واسط الى الابله ونزل في شاطئها في شاطئ عمان في دار البريديين وأخذ في الاستعداد لاقاد جيش الى عمان وبني الشذات والمراكب قبل ذلك وطالب الديلم بالخروج الى عمان فاستجابوا الاقوما وهم بضمة عشر رجلا فاهم امتنعوا فامر بطردهم فانقاد الديلم والأتراك الى ما أراد وندب أبا الفرج محمد بن العباس للخروج مع الجيش الى عمان لرياستهم وتدير الحرب

وولاية البلد اذا فتحه

فلما كان يوم الخميس للنصف من شوال نفذ الجيش في المراكب والشذات وهي مائة قطعة ومعهم المعروف بابي عبد الله جبّ ونافع الاسود فلما صاروا بسيراف^(٢٨٠) انضم اليه جيش عضد الدولة في مراكب وشذات وكان أعدهم هناك نجدة لعمه فلما وصل أبو الفرج الى عمان مع الجيش دخلها وملكها وقتل بها مقتلة عظيمة وأحرق مراكب أهل عمان وهي تسعة وسبعون مركبا . فلما عمران بن شاهين فانه أُنقذ معز الدولة اليه أبا الفضل العباس بن الحسين الشيرازي مع جيش فابتدأ أبو الفضل يسد الانهار عن البطائح وأصعد معز الدولة الى واسط ومنها الى بغداد وخلف بواسط عسكره وغلماه والحاجب الكبير على ان يعود الى واسط بعد عشرين يوما فيستتم ما شرع فيه من أمر عمران فلما وصل الى بغداد مات فدفعت الضرورة الى مصالحة عمران كما سنشرحه من أخباره في سنة ٣٥٦ وفي هذه السنة انهزم ابراهيم السلار من بين يدي أبي القاسم ابن ميشكى بأذربيجان وورد حضرة ركن الدولة بدابته وسوطه ولم يفلت معه أحد فأكرمه ركن الدولة للوصلة التي كان عقدها المرزبان وكان ركن الدولة قد رزق من أخت ابراهيم ابنه أبا العباس وبالغ ركن الدولة في اعظام ابراهيم وأجزل له العطاء وحمل اليه من كل صنف يكون عند الملوك وفي خزائهم . وكنت حاضرا بالرى فرأيت^(٢٨١) للنظر الى الهدايا المحمولة الى ابراهيم فوقفت مع جماعة النظارة قريبا من دار الامارة وابتدأت الهدايا تحمل من ثخوت الثياب والرزم والاسفاط من جميع أصناف الثياب فكانت مع مائة رجل يحملونها على رؤوسهم ثم ابتدأت هدايا الطيب [وكانت على

صواني فضة وآلاتها من الادراج وغيرها وكانت على أيدي ثلاثين رجلا ثم ابتدأت بدر الاموال [فكانت على صدور الرجال مع صرار الذهب أما أكياس الدراهم فكانت مع خمسين رجلا وأما صرر الدنانير فكانت من حرير أحمر مع عشرين رجلا ليفرق بينهما وكانت أكياس الورق بيضاء ثم ابتدأت خزائن الفرش على البغال فلم أحصها وتبعها جنائب الدواب بمراكب ذهب وفضة وجلال ثم تبعها الجمال مزينة موقرة بالآلات الفرش الثقيل والخليم والخركاها والشرع والسراقات فكانت كثيرة حسنة لم أر مثلها هدية في وقت واحد يسمح بها

﴿ ذكر السبب في هزيمة ابراهيم من آذربيجان على تلك الصورة ﴾

﴿ القبيحة ووروده الى حضرة ركن الدولة ﴾

لما انهزم ابراهيم من بين يدي اسماعيل بن وهسودان وأبي القاسم ابن ميشكى الى أرمينية ابتداء في أهبة أخرى واستعداد آخر فبالغ واجتهد وكاتب ملوك أطرافه من الارمن وغيرهم وجمع الاكراد واستصاح ناحية جستان بن شرمزن ورغب الناس^(٢٨٢) في الولايات والاقطاعات وبذل خطه لهم بها . واتفق ان توفي اسماعيل بن وهسودان فسار ابراهيم الى أردبيل وملكها وانصرف ابن ميشكى مع جماعة الى طاعة وهسودان فزحف ابراهيم الى الطرم منازعاً عمه وطالبا بثار اخويه جستان وناصر فاحجم وهسودان عن لقائه والثبات له وشجعه أبو القاسم ابن ميشكى فابى عليه ورأى أن يسير الى بلاد الديلم فسار معه أبو القاسم بن ميشكى ودخل ابراهيم الى أعماله فحبط أسبابه ودوخ دياره وبحث عن أمواله وبالع في الاضرار به مدة ثم عاد الى آذربيجان . وجمع وهسودان وابن

ميشكى الرجال من سائر بلدان الديلم فاحتفلا واحتشدا ورجعا الى الطرم وسار أبو القاسم ابن ميشكى الى آذربيجان وقصد قواه وهسودان بالملل والرجال فزل اليهم ابراهيم وجرت بينهما حروب كانت على ابراهيم فانهزم على تلك الحال وتبعه الطلب من قبل عمه وهسودان فتقطع الناس عنه حتى بلغ الري الى حضرة ركن الدولة على حاله لا ئذا به .

وفي هذه السنة تم الفداء بين سيف الدولة والروم وتسلم سيف الدولة أبا فراس الحمارث بن سعيد بن حمدان وأبا الهيثم ابن القاضي أبي حصين^(١)

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : وفي هذه السنة قدم أبو الفوارس محمد بن ناصر الدولة من الاسر الى ميافارقين أخذه أخت الملك لتفادي به أخاها فجاء ستة آلاف فنقذ سيف الدولة أخاها في ثلاثمائة الى حصن الهناخ فلما شاهد بعضهم بعض سرح المسلمون أسيرهم في خمسة فوارس وسرح الروم أسيرهم أبا الفوارس في خمسة فالتقى في وسط الطريق وتماثقا ثم صار كل واحد الى أصحابه وترجلوا له وقبلوا الارض ثم احتفل سيف الدولة لابن أخيه وحمل له الخيل والممالك والعدد التامة فمن ذلك مائة ملك بمناظفهم وسيوفهم وخيولهم . وطال مقام سيف الدولة بميافارقين فاتفق في سنة وثلاثة أشهر نيفا وعشرين ألف درهم ومائتين وستين ألف دينار وتم الفداء في رجب نخلص من الاسر من بن أمير الى راجل ثلاثة آلاف ومائتان وسبعون نفسا وتقدر أربعة أعوام . وأرسل أبا القاسم الحسين بن علي المغربي لتقدير ذلك ومعه هدية بعشرة آلاف دينار منها ثلاثمائة مثقال مسك واتفق سيف الدولة على الفداء ثلاثمائة ألف دينار

وقال ايضا : وفيها سار طاغية الروم بجيوشه الى بلد الشام فمات وأفسد وأقام به نحو خمسين يوما فبعث سيف الدولة يستنجد اخاه ناصر الدولة يقول : ان تقفور قد عسكر بالدرب ومنع رسولنا ابن المغربي أن يكتب بشيء . فقال : لا اجيب سيف الدولة الا من انطاكية ليذهب من الشام فانه لنا ويمضي الى بلده ويهادن عنه . وان اهل انطاكية راسلوا نفقور وبذلوا له الطاعة وان يحملوا اليه مالا وانه التمس منهم يد مجي بن زكريا عليهما السلام والكرسي وان يدخل يعمة انطاكية ليصلى فيها ويسير الى بيت المقدس

وفيهما لقب الخليفة أبا منصور بويه بن ركن الدولة بمؤيد الدولة
وكتب^(٢٨٣) بذلك الى الامصار

وكان الذي جر خروجه واحتقه احراق بيعة القدس في هذا العام وكان البترك كتب الى
كافور صاحب مصر يشكو قصور يده عن استيفاء حقوق البيعة فكانت متولى القدس
بالشد على يده فجاءه من الناس مالم يطق دفعه فقتلوا البترك وحرقوا البيعة وأخذوا زيتنها
فراسل كافور طاغية الروم بان يرد البيعة الى أفضل ما كانت فقال : بل انا ابنها بالسيف
واما ناصر الدولة فكتب الى اخيه : ان احب سيرة اليه سار وان احب حفظه ديار بكر
سار اليها . وبث سراياه واصعد سيف الدولة والناس الى قلعة حلب وشحنها وانجفل الناس
وعظم الخطب واخليت نصيبين . ثم نزل عظيم الروم بجيوشه على منبج وأحرق الرض
وخرج اليه اهلها فاقروهم ولم يوذهم ثم سار الى وادي بطنان وسار سيف الدولة متأخرا
الى قسرين ورجاله والاعراب قد ضيقوا الخناق على الروم فلا يتركون لهم علوفة تخرج
الا أوقعوا بها . وأخذت الروم أربع ضياع بما حوت فراسل سيف الدولة ملك
الروم وبذل له مالا يعطيه اياه في ثلاثة أقساط فقال : لا أحييه الا أن يعطيني نصف الشام
فان طريقى الى ناحية الموصل على الشام . فقال سيف الدولة : لا أعطيه ولا حجرا واحدا .
ثم جالت الروم بأعمال حلب وتأخر سيف الدولة الى ناحية شيرز وانكت العربان في
الروم غير مرة وكسبوا ما لا يوصف ونزل عظيم الروم على أنطاكية يحاصرها ثمانية أيام ليلا
ونهارا وبذل الامان لاهلها فابوا فقال : أنتم كاتبتموني ووعدتموني بالطاعة . فاجابوا : انما
كاتبنا الملك حيث كان سيف الدولة بارمينة بعيدا عنا وظننا أنه لا حاجة له في البلد وكان
السيف بين أظهرنا فلما عاد سيف الدولة لم يوبه على ضبط أدياننا وبلدنا شيئا . فناجزهم
الحرب من جوانبها فخاربه أشد حرب وكان عسكره معوزا من العلوفة ثم بعث نائب
أنطاكية محمد بن موسى الى قرغويه متولى نيابة حلب بتفاصيل الامور ونبات الناس على
القتال « وأنا ليلي ونهاري في الحرب لا أستقر ساعة وان اليمين قد ترحل عنا ونزل الجسر »
وفيهما أوقع تقي السيفي بسريرة الروم فاصطلموها ثم خرج الطاغية من الدروب وذهب
ثم جاء الخبر بأن نائب أنطاكية محمد بن موسى الصلحي أخذ الاموال التي في خزائن
أنطاكية معدة وخرج بها كأنه متوجه الى سيف الدولة فدخل بلد الروم مرتدا فقبل
انه كان عزم على تسليم أنطاكية للملك فلم يمكنه لاجتماع أهل البلد على ضبطه فخشي أن
يتم خبره الى سيف الدولة فهرب بالاموال

وفيها ورد جيش من خراسان عظيم

﴿ ذكر خبر الغزاة الواردين من خراسان وما دبروه بالري ﴾

(على الديلم وما انعكس عليهم من الامر بعد استعلائهم)

ورد الخبر على ركن الدولة بالري بخروج قوم من خراسان يحزرون عشرين الفا ويظهرون انهم غزاة واستراب بهم صاحب الحد وهو اسفوزن بن ابراهيم وذلك انهم عاثوا لما دخلوا الحد وخاطبهم وراسل رؤسائهم فلم يجد عندهم نكيرا ولم ير سيرتهم سيرة الغزاة ولم يكن لهم رئيس واحد بل كان لاهل كل بلد من بلادهم رئيس منهم فلما ورد كتاب اسفوزن بصورتهم أشار الاستاذ الرئيس حقا على ركن الدولة الا يأذن لهم في دخولهم مجتمعين وان يرأسهم في أن تصير منهم عدة في نحو الف رجل الى الري فاذا خرجت هذه العدة منها ورد ماها حتى يتابعوا على ذلك فلا تكون منهم معرفة ولا يحدثوا أنفسهم بسوء أدب فامتنع ركن الدولة من قبول رأيه « ولا يتحدث الملوك اني احترزت من لقيف خراسان وخشيت نايتهم » فقال له وزيره أعني الاستاذ الرئيس حقا : فان لم تفعل هذا فمكاتب عساكرك فاتهم متفرقون عنك بالجليل واصبهان وغيرها حتى تتوافى اليك فان مملك بالري ^(٢٨٤) عدة يسيرة وأنت غير مستظهر بالرجال ولا آمن أن يكون لهؤلاء القوم مواطاة مع صاحب خراسان وعددهم كثير وهم مستعدون بعة الغزو ونحن على غير أهبة ولا استعداد . فابى عليه في هذا الرأي ولم يحفل بالقوم وكاتب صاحب الحد بان يأذن لهم ويفرج عن وجوههم ولا يُصَيِّرَ للشرب مبدأ .

فسار القوم بأجمعهم ومعهم فيل عظيم من بين الفيلة حتى نزلوا بالري

واجتمع رؤسائهم الى مجلس الاستاذ الرئيس يخاطبونه في مسألة الامير ركن الدولة أن يطلق لهم مالا يستعينون به علي أمرهم فوعدهم بذلك وظن ان القليل يسعهم على رسم النزاة فاذا هم يطعمون في شيء كثير وقالوا : نحتاج الى مال خراج هذه البلدان كلها التي في أيديكم فانكم انما جيتتموها لبيت مال المسلمين لنائبه ان نائبهم ولا نائبة اعظم من طمع الروم والارمن فينا واستيلائهم على ثغورنا وضعف المسلمين عن مقاومتهم . وسألوا مع ذلك أن يخرج معهم جيش ينضمون اليهم وأخذوا في هذا النحو من الكلام وتبسطوا في الاقتراح ورفع الاصوات وكان معهم فقهاء خراسان وشيوخها مثل المعروف بالثقال^(١) وغيره . فبين الاستاذ الرئيس^(٢٨٥) خبث سرائرهم وتيقن ما كان ظنه بهم من الشر وطلب الفتنة ولكنه كان يداريهم ويرفق بهم . فلما لم يجدوا سبيلا من طريق القول اليه والشغب به عدلوا الى مشافهة الديلم فكانوا يكفرونهم ويلعنونهم وكان ذلك في شهر رمضان وكانوا يخرجون ليلا ومعهم آلاتهم من السيوف والحراب والقسي والسهام ويزعمون انهم يأمرسون بالمروء فيسلبون العامة مناديلهم وعماطهم واذا تمكنوا من تفتيشه وأخذ جميع ما معه لم يقصروا فيه والناس مع ذلك يدارونهم . فاتفق ان وقعت بينهم وبين بعض اصحاب ابراهيم بن بابي خصومة لم يحتملها منهم فتأدى الى القتال فقتل ذلك الرجل الديلمي واجتمع رفقاؤه للقتال فاجتمع من الغزاة نحو الف رجل على باب

(١) هو محمد بن علي بن اسمعيل الامام أبو بكر الشاشي الفقيه الشافعي توفي سنة ٣٦٥ وقيل انه ولد سنة ١٩١ وهو الذي أجاب عن الخليفة المطيع لله للقصيدة التي وردت من قفور عظيم الروم على المسلمين ساءتهم وشقت عليهم لما كان فيها من التشريب وضروب الوعيد والتهديد ونسخة القصيدتين . وجودة في كتابخانه

ابراهيم بن بابي فخرج اليهم محامياً على اصحابه وقاومهم مدة الى أن راسله ركن الدولة بالكف وراسلهم بمثل ذلك فابوا فتسرع الديلم ومن كان قريبا لنصرة الديلم فاشتبكت الحرب وحجز بينهم الليل ورجع الخراسانية الى معسكرهم يضربون بطبولهم الليل كله ويتواعدون للقتال . فلما أصبحوا باكروا الحرب ودخلوا المدينة من ناحية اجران وفيها دار الاستاذ^(٢٨٦) الرئيس (وبرز للقائهم وبين يديه حاجبه روين وكان شهما شجاعا فحمل عليهم في غلمان دار الاستاذ الرئيس) فعاربهم وكسرهم حتى رجعوا الى الدرب الذي دخلوا منه ثم كثروا عليه ولم يول عنهم حتى طعنه بعضهم بحربة دخت في كم درعه وافضت الى ساعده فخرقته وكثر الناس عليه وحامى عليه الا تراك الذين يمنعه حتى رد الى منزله وقد نزفه الدم وضمف وانكسر الاستاذ الرئيس ومضى كل من معه وثبت بنفسه على عادته . فتعلق به السار وكان حاضرا معه وقال له : ايها الاستاذ ارجع الى الامير ولا تفجعه بنفسك فانه لم يبق حواليك أحد . وأخذ بلجامه وردده وسمعه يقول : عَصْبَهَا بِي وَاَنْتَ بَرِيءٌ مِنْ عَارِهَا . فرجعا الى دار الامارة واشتغل الخراسانية بنهب داره واصطبلاته وخزائنه وكانت موفورة جامعة الى أن اتى الليل وانصرفوا وكان الي خزانة كتبه فسلمت من بين خزائنه ولم يتعرض لها . فلما انصرف الى منزله ليلا لم يجد فيه ما يجلس عليه ولا كوزا واحدا يشرب فيه ماء فانفذ اليه ابن حمزة العلوي فرشاً وآلة . واشتغل قلبه بدفائره ولم يكن شيء اعزّ عليه منها وكانت كثيرة فيها كل علم وكل نوع من انواع الحكم والآداب يحمل على مائة وقرية وزيادة فلما رأى سألني عنها فقالت : هي بحالها لم تمسها يد . فسرّني عنه وقال : اشهد^(٢٨٧) انك ميمون النقية اما سائر الخزان فيوجد منها عوض وهذه

الخزانة هي التي لا عوض منها . ورايته قد اسفر وجهه وقال : باكر بها في غد الى الموضع الفلاني . ففعلت وسلمت باجمعها من بين جميع ماله واجتمع الخراسانية من غد ذلك اليوم وكانوا قد كسروا ركن الدولة في آخر نهار امسه وقويت نفوسهم وكانوا قصدوا باب روين الحاجب لينتهبوا داره وكان طريقا فيها غير مستقل فامر غلمانه بطرح الحطب المعد للشتاء خلف الباب واشعاله بالنار ففعل ذلك فلم يصلوا الى الدار من نحو الباب وراموا أن يتسوروا سورها فرماهم الغلمان بالسهم فتراجموا عنها . وعملوا على مباكرتها من الغد فلما أصبحوا راساهم ركن الدولة وداراهم وعرض على أن ينقلوا من مملكتهم فلم تكن فيهم حيلة وكان الامر قد ابرم معهم بخراسان وكانوا ينظرون مددا يلحقهم . وأشار على ركن الدولة نصحاءؤه بالمسير الى اصبهان مع أولاده وحرمه ويترك هؤلاء والرى حتى يجتمع اليه عساكره ويقصدهم بعديد وعباد فابى عليهم وخاطر بنفسه ودولته فانه كان في خمسمائة من قواده وخواصه ونحو ثلاثمائة من الغلمان وباقي^(٢٨٨) عسكره كما ذكرنا متفرقون في ولاياتهم فلما كان من غد ذلك اليوم وهو يوم الاربعاء لثلث نصف من شهر رمضان تفرق الخراسانية^(١) على أبواب المدينة وهجموا من كل وجه فامتلات منهم الشوارع والمحال ونادوا في البلد بما يسكن الناس والزعية وقصدوا دار الامارة وفيها الامير وأولاده وخزائنه . وكان الاستاذ الرئيس أمر بتحميل ما أمكن والمبادرة بالحرم وصغار الاولاد الى طريق اصبهان لينظروا ما يكون من أمر الحرب وهم على ظهور الدواب مستعدين للتوجه الى حيث شاءوا فاغتص الميسدان الذي في الدار بالبغال التي عليها صناديق

الخزائن والعماريات فلم يكن للامير ركن الدولة مخلص من بينها وكان قد ركب في غلمان داره والاستاذ الرئيس معه وجماعة من قواده وحاشيته فلم يجدوا طريقا الى الخروج لتزاحم من ذكرت فوضع بينهم الدبايس وكسرت عدة من الصناديق والبغال حتى أفرج للفرسان على ضغط شديد وزحمة منكرة فخلصوا الى الطريق وكنت مع القوم . وكان الخراسانية قد دنوا من الباب ومعهم السلايم وعندهم ان ركن الدولة يتحصن في داره فخرج ركن الدولة من نحو الميدان وخرج حجابيه من الابواب الأخر وصدمو القوم^(٢٨٩) وصدقهم الديلم في المضايق حتى ردوهم الى الصحراء من الناحية المعروفة بالشجرة بعد أن أشرقنا على ذهاب النفس وزوال الدولة فلما حصلوا في السعة صافوا رجالهم للحرب

﴿ ذكر مكيدة لركن الدولة في الوقت نفذت له ﴾

كان ديلم ركن الدولة ضعفت نفوسهم لما رأوا كثرة الرجال من أعدائهم وقلة عددهم وأقبلوا يقولون : أتينا من ورائنا . فاشفق ركن الدولة إشفاقا شديدا وقال لأصحابه : طيخوا نفساً فإن الذين وراءنا هم أصحابنا . وبشرهم بورود علي بن كامه وتقدم الى الركابية والمجرين أن يبادروا الي نحو طريق علي بن كامه الذي يقبل منه وأمرهم أن يركضوا هناك ويشيروا الغبرة بما استطاعوا ففعل القوم ذلك وارتفع الهيج وكبر الناس وقالوا : هذا علي بن كامه . ونشط الناس ركن الدولة وقال لهم : احملا حملة قبل وروده . فحمل الديلم بنشاط واستبشار بورود المدد فكانت اياها وركب الخراسانية بعضهم بعضا فدرس ركن الدولة الى بعض رؤساء الخراسانية بالانحياز اليه فأمنه وبذل له ففعل وتحطم ذلك العسكر وقتلوا كل مقتلة وطلبوا الامان فامنهم

على أن يتخلى لهم الطريق فأجابهم الى ذلك . وكان قد حصل منهم عدد^(٢٩٠) كثير بالبلد يذبحون كل من وجدوه على زى الديلم فاذا ذبحوه كبروا كما يفعل في بلد الكفر بالكفر فبينما هم كذلك اذ انكفأ اليهم الديلم ظافرين فهموا بهم وقتلوا بعضهم حتى نادى فيهم ركن الدولة بالامان وأمر الديلم بالكف فلما كان بالليل تحملوا وانصرفوا على سمت قزوين هائمين على وجوههم لا يلوى بعضهم على بعض

ثم وردت بعدهم خيل أخرى نحو ألفي رجل بالعدة والسلاح ولم يلحقوا أصحابهم الا مفلولين هاربين فراسلهم ركن الدولة بان يتوقفوا ولا يرحلوا وأشفق أن يكون لهم بقزوين أو في بعض الممالك عبث واجتماع آخر فلم يفعلوا وتعللوا بالرحيل في اثر أصحابهم فاسرع في طلبهم وركض خلفهم حتى أدركهم فصافوا الحرب فقتل منهم عددا كثيرا ورد الباقين الى الري بعد أن طلبوا الامان . ثم أذن لهم في الخروج واطلق أسارهم وأقر لهم بنفقات فخرجوا . وقد ذهبت حشمتهم وزالت هيبتهم عن صدور الناس ولو أنهم خرجوا بالماء الذي كان لهم لبلغوا من الروم كل مبلغ ولما كثرت غزاة الساميين معهم ولله أمر هو بالغه

فسمعت الاستاذ الرئيس رحمه الله بعد ذلك يقول : لم أر قوما أشد من هؤلاء وما فرق جمعهم الا كثرة رؤسائهم^(٢٩١) وتحاسدهم وقد كانت لهم فرص لو اتهموا بمضاهيهم لهم أمرهم . منها يومهم الذي دخلوا فيه الري فانهم اجتازوا باجمعهم وفي مواكبهم على باب الامير وهو غار وليس بيا به كبير أحد فلو هجموا عليه ما حال بينهم وبينه أحد . ومنها ليلة دخلوا البلد لو أقاموا وقصدوا دار الامارة ما تحرك في وجوههم أحد وكانت ليلة مقبرة

وهي ليلة النصف وهي كنهار غدها اشراقا وضاءة ولكن القوم عملوا على دخول البلديوم عيد الفطر والناس مشغولون (بالصلاة) بمصلاهم غارون وأتظروا أيضا المدد الذي وعدوا به وكانت الاخبار والرسل تأتيهم بقرهم منهم فعملوا على ذلك . وأبت المقادير الا يصنع الله لركن الدولة وذلك بحسن نيته ودعاء رعيته له ونظر الله تعالى للناس ^(١)

وكان لبراهيم السلار في هذه الايام مواقف حسنة وآثار جميلة وأصاب بطنه حربة لم تصل الى أحشائه لكثرة شحمه لانه كان سمينا

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : وفي هذه السنة قدم الغزاة الخراسانية مياقارن فلقاهم أبوالمعالى ابن سيف الدولة وبالع في إكرامهم بالاطعمة والعوفات ورئيسهم أبو بكر محمد بن عيسى . وقال أيضا في رجة سنة ٣٥٦ ان فيها دخلت الخراسانية فزوا بلد ابن مسلمة وخرجوا بالسلامة والغنائم . وفيها رجع غزاة خراسانية الى بلادهم ودخل سيف الدولة حلب ومعه قوم من الخراسانية ومعهم فيل فمات الفيل بعد أيام فاتهموا أن انصارى سمته . وغزت الخراسانية مع لؤلؤ الجراحى من انطاكية الى ناحية المصيصة فلقاهم ثلاثة الاف فارس من الروم فنصر الله وقتلوا الفا من الروم وأسروا خلقا وردوا بالغنائم الى انطاكية ثم عادوا غزوانا . ودخل النعمان محمد بن عيسى رئيس الخراسانية ومعه ابن شاكر الطرسوسى فظفروا وغنموا وردوا بالغنائم وتأخر في الساقية محمد بن عيسى ابن شاكر في نحو ثمانمائة فارس فدهمهم جوع الروم فقال ابن عيسى : ما استحل أن أوليهم الدبر بعد أن قربوا . وسار ابن شاكر يكشفهم فاذاهم فيما يقال في ثلاثين الفا فرجع وقال : لا طاقة لك هؤلاء . فلم يقبل والتفاهم وقتلوا أشد قتال وأنكروا في الروم نكبة عظيمة واستشهد عامة المسلمين وبقي محمد بن عيسى في مائة وخسين فارسا فقال له ابن شاكر : لاتلق بيدك الى التهلكة . فقال له فقيه معه : إن وليت الدبر لحفوك وقتلوك وأنت فار . فقاتل حتى قتل أكثر أصحابه ثم أسر محمد بن عيسى وابن شاكر . ثم ورد الخبر بأن ابن عيسى اشترى نفسه بمائة الف درهم ومائة وعشرين عليجا كانوا بانطاكية وبرطل فصوص فيروزج وأنه بعد ذلك غزا العدو وظفر رحمه الله تعالى وغفر له .

بطينا ولسكنها صارت فقفا فكان يشدها بمصائب ورفائف الى أن توفي بمد ذلك بسنين .

وفي هذه السنة اخرج ركن الدولة الاستاذ الرئيس مع ابراهيم السلار مدداله في نخب الرجال من الديلم والعرب^(٢٩٢) واصناف العسكر حتى فتح بلاد آذربيجان وأصلح الاستاذ الرئيس له قلوب أصحاب الاطراف وطوائف الاكراد وقاد جستان بن شرمزن الى طاعته فلما فرغ من جميع ذلك ووطأ له النواحي ومكنه منها خرج عائداً الى حضرة ركن الدولة (بالرى)

﴿ ذكر تدبير جيد ورأى صواب رآه الاستاذ الرئيس ابن العميد ﴾

(ولم يقبل وعاقبة ذلك)

لما صار الاستاذ الرئيس حقا الى آذربيجان رأي زكاء أرضها وكثرة ريعها وسعة مياهها واحتمالها للعمارة وحسب ما يرجى من ارتفاعها فوجده مالا عظيما مثل ارتفاع ممالك ركن الدولة أو قريبا منه ونظر الى ما تحصل لابراهيم السلار منه فوجده شيئا نزرأ قليلا جدا وذلك لسوء تدبير ابراهيم واهماله الامور واشتغاله باللعب والنساء والسكر الدائم وطمع ضروب المعاملين فيه ولا سيما الاكراد الذين قد استأكلوا تلك النواحي . ثم قد عرف بالتزبد وقلة الوفاء فليس يوثق بيمينه ولا عهوده فعلم الاستاذ الرئيس أنه اذا فارق الناحية عادت الصورة مع ابراهيم الى ما كانت ولم يلبث ان يطمع فيه ويخرج من المدينة ثم من الناحية كلها أو يقتل فيضيع سعى^(٢٩٣) ركن الدولة وسعيه . فكتب الى ركن الدولة بصورة الناحية وصورة ابراهيم فيها وعرفه بمقدار ما يصل اليه منها وأشار عليه أن يدبر الناحية لنفسه ليرفع له (منها خمسون الف الف درهم ويموض ابراهيم مما يحصل له وكان مقداره ما

يرتفع له) من هذه الجملة بعد ما يخرج في أقطاعات الديلم والا كراد وبعد ما يستولى عليه قوم متمززون لا يمكن من استيفاء الحقوق عليهم وبعد ما يضيع بالاهمال وترك العمارة أقل من الف الف درهم فرأى أن يعوض ابراهيم من ارتفاع الرى أو اصبهان أو همدان هذا المقدار ويجلس آمنا فارغ البال ويشتمل بما يورثه من صحبة المغنين والمساخر ويتسلم الاستاذ الرئيس اذريجان فيرفع منها لركن الدولة ما ذكرت مبلغه وكان يرجو أكثر منه واسكنه استظهر عليه . فابى عليه ركن الدولة وفكر فى شيء يفكر فيه مثله من أصحاب الهمم الكبار وقال : يتحدث الناس انى افتتحت البلاد لرجل لجأ الى تم طمعت فيه ! وأمر الاستاذ الرئيس بالانصراف اليه مع عسكره وتسليم البلاد الى ابراهيم

فأذكر يوما كنت جالسا فيه بين يدي الاستاذ الرئيس وهو يتحدثني بالاشدة التى قاساها هو وعسكره في سفرته وقلة جدواها وثمرتها وانما هو أتمرت نعمة باقية عند ابراهيم لكان محتملا لها وراغباً فيما ينشر ^(٢٩٤) من الاحدوثة الجميلة عنه بعدها ثم قال : ولكنى سأضرب لك مثلاً لما نحن فيه وتأمله الآن لتذكره فيما بعد . اما شهدت من يغزل الابرسم ويفتله بالمغازل الكثيرة المعلقة بالصنارات على شبيه الصوالجة من الزجاج . قلت : بلى . قال : اما تعلم أن الصانع انما يتعب حتى ينصب هذه الالة وينظمها ثم يكفيه بعد ذلك أن يتبع أذئاب تلك المغازل ويتعاهدها بالقتل ؟ فنحن قد أحكمنا الالة والمغازل دائرة والابرسم ممدود والقتل مستمر به فاذا فارقنا الموضع ابتدأت القوة التى فى الدوران تضعف وليس لها من يعدها بحركة فيتبدى فى الإسترخاء وتضعف سرعة دوران المغازل ثم مبتدىء فى

الاتكاث وتنقلب راجعة بعكس ما كانت تدور ثم لا تجد أيضاً من يتماهد بها
فيتساقط أولاً أولاً حتى لا يبقى منها شيء . فكان هذا المثل كان وحياً فانه
ما أخطأ شيئاً من صورة ابراهيم بعد خروجه وانتهى أمره بعد ذلك النظم
الذي نظم له الى أن طمع في ملكه حتى انسلخ منه شيئاً بعد شيء الى أن أسير
وحبس في بعض تلك القلاع كما سنحكيه فيما بعد ان شاء الله ^(٢٩٥)

﴿ ودخلت سنة ست وخمسين وثلاثمائة ﴾

وفيها قصد معز الدولة عمران بن شاهين صاحب البطائح وكان قد
صمم على مناجزته وأبى أن يقبل منه صلحاً ومالاً أو يرضى منه إلا بحضور
بساطه . فاتفق أن اعتل من ذرب لحقه وأحس بالضعف فعاد الى واسط
وخلف على عسكره سبكتكين الحاجب وظن انه يتماثل فيماتود واشتدت به
العلة وكان لا يثبت في معدته طعام وأحس بالموت ورجع الى بغداد . وعهد
الى ابنه بختيار عز الدولة وأظهر التوبة وأحضر وجوه المتكلمين والفقهاء
وسألهم عن حقيقة التوبة وهل تصح له فافتوه بصحتها ولقنوه ما يجب ان
يقول ويفعل ^(١) وتصدق باكثر ماله وأعتق ممالিকে ورد شيئاً كثيراً من
المظالم ^(٢) وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ٣٥٦ ^(٣) وكانت له أخبار

(١) قال صاحب التكملة : وأحضر أبا عبد الله البصري وتاب على يده وكان مع
أبي عبد الله صاحبه أبو القاسم الواسطي فكانا اذا حضر وقت الصلاة خرجا من الدار
وصليا في مسجد على بابها فسألهما عن السبب في خروجهما فقال أبو عبد الله : الصلاة
في الدار المنصوبة عنها لا تصح . وسأله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعن الصحابة
رضوان الله عنهم فذكر أبو عبد الله سابقهم وان علياً زوج عمر ابنته أم كلثوم رضي الله
عنهم فاستعظم ذلك وقال : ما سمعت هذا قط . (٢) وفي الاصل : الممالك

(٣) قال صاحب التكملة : ومولد معز الدولة سنة ٣٠٣

وأحوال منها انفاذه جيش الماء والديلم الى عمان حتى فُتحت له ولم يكن فيها مايسنفاد منه تجربة فطويتها

وكان اتفق عند موته اتفاق حسن لمر الدولة فرأينا اثباته ليكون معدودا في جملة أمثالها من الاتفاقات المجيبة

﴿ ذكر اتفاق حسن ^(٢٩٦) ﴾

لما مات معز الدولة أُلح المطر ببغداد ثلاثة أيام بلياليها الحاحا شديدا منع الناس من الحركة ولم يتمكن الديلم من اطلاع رؤسهم ومنع سائر الناس من البروز وتردد النقباء الى رؤسائهم فارضى كل احد بما سكن اليه وانجلت السماء عن سكون الجند ورضاء الكافة . فكتب عز الدولة سبكتكين وسائر العسكري بمصالحة عمران بن شاهين والانصراف عنه الى بغداد فعمل ونفّس خناق عمران . وصوّل صاحب الموصل واستقرت الامور بيده

وفيها وردت الاخبار باقبال جيش قوى من خراسان مع ابن سمجور ليجتمع مع وشمكير

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

لما اعتل أبو علي [محمد] بن الياس وفلج بكرمان وخالفه أولاده وقصده عضد الدولة رحل الى خراسان ولقي صاحب خراسان وبرى بعض البرء وصار نديما له يماشره ويؤانسه فسوّل له قصد ممالك الديلم وأطمعه فيها وزعم ان أصحاب جيوشه ليس يتاصحونه ويقبلون الهدايا والرشي . فوافق ذلك ما كان يشكوه اليه وشمكير حالا بعد حال فاتصلت المكاتبه بين وشمكير [وبين] صاحب خراسان وكذلك الحسن بن

الفيروزان الى ان وقعت المعاهدة والموافقة على^(٢٩٧) ان يدبر جميع الجيوش وشمكير . وأخذ صاحب خراسان الى وشمكير والى الحسن بن الفيروزان هدايا كثيرة من دواب وغلان وآلات وسرب اليهما امداد الجيوش مع صاحب جيشه محمد بن ابراهيم بن سمسجور وعلى ان يكون الرئيس على الجميع وشمكير . فورد من ذلك على ركن الدولة ما لم يكن في الحساب وعلم ان الامر قد بلغ الناية وليس الا الفصيل فكاتب عضد الدولة يستمدّه الرجال والمعونة وكاتب عز الدولة بمثل ذلك . فاما عضد الدولة فامدّه بخيل عليها أبو جعفر ابن روزمان وشخص بنفسه الى اصطخر ليسير الى خراسان وسير أحد حجّابه في جيش المقدّمة الى طريث وأظهر في عسكره ان جيش خراسان قد ساروا باجمعهم مع لقيف البلدان وغزاتهم الى الري وخراسان خالية وليس دون ملكها شيء واتصل ذلك بالقوم فاجتمعوا قليلا . واتفق سقوط وشمكير بضربة الخنزير وموته فانتقض ذلك الامر كله .

﴿ ذكر هذا الاتفاق العجيب ﴾

اتفق ان استعرض وشمكير خيله وما قيد اليه من جهة صاحب خراسان فكان في جلته فارس أدهم حسن الصورة فاعجبه وأمر بأسراجه وعزم على ركوبه والتصيّد في ذلك اليوم . فدخل اليه منجمه فهاد عن الركوب بخالفه فلما أصبح عارضه خنزير قد أفلت من أصحابه وقد رُمي بحربة^(٢٩٨) فثبتت فيه فحمل الخنزير على وشمكير وهو كالغافل فضربه وفرسه فشبّ الفرس وسقط وشمكير على دماغه فخرج من أنفه وأذنيه دم وحمل ميتاً وذلك يوم السبت في أول يوم المحرم سنة ٣٥٧ .

وقد كان بختيار عز الدولة اجتهد في اخراج سبكتكين مع جيش
كشيف على الرسم فامتنع سبكتكين عليه فلو حشه بذلك واضطرب بختيار
لانه لم يجد من يطيعه في الخروج الى ان انتدب الفتيكين وقد كان يتلو
سبكتكين في المرتبة وأحب أن يظهر في تلك الحالة فضلا وحسن طاعة
للمنافسة التي كانت بينه وبين سبكتكين فضم اليه جيشا وورد الري وقد
استغنى عنه فماد

﴿ ذكر سوء تدبير بختيار لمملكته ولنفسه حتى فسد جنده ﴾
﴿ وطعموا فيه ثم طمع أعداؤه أيضا فيه ﴾
(وأفضى أمره الى الهلاك)

كان أبوه معز الدولة حين أيقن بالتلف وصاه بطاعة ركن الدولة
واستشارته في كل ما يمرض له من مهم . وكذلك بطاعته لابن عمه عضد
الدولة لانه أسن منه وأقوم بالسياسة . ووصاه بأقرار كاتبيه أبي الفضل
العباس بن الحسين وأبي الفرج محمد بن العباس فانهما أ كفي من غيرهما
وأعرف بوجوه الخدمة . ووصاه بمداواة الديلم وإزاحة عيالهم عند أوقات
استحقاقهم لئلا يخرقوا هيئته بالشغب وطلب الفتن . ووصاه بالاحسان
الى الاتراك فانهم جرة عسكره واذا ^(٢٩٩) رابته من الديلم ريب أمكنه ان
يقمهم به . ووصاه بعد الاحسان الى الاتراك بكبار الحاشية وصغارهم
وان يجريهم على عادتهم ورسومهم . فخالف هذه الوصايا كلها واشتغل باللهو
واللعب ومعاشرة المساخر والمغنين والنساء وأوحش كاتبيه وضرب بينهما
حتى استوحشا جميعا منه وطمع في اقطاعات كبار حاشيته وفي شبكتكين
خاصة وهو صاحب جيشه وكان معز الدولة وصاه بالآ يقطع أمراً دونه

وكان ذا ارب وسياسة وله رئاسة في العسكر قديمة متمكنة يهابه الجميع
ويطيعونه واحتجب عن عسكره بما ذكرته من الشغل باللعب والعسكر
الدائم . وابتدأ بمناوأة عضد الدولة وذلك انه منع صاحبه المقيم ببغداد من
شري الدواب وآلات خدمته التي كان يستدعيها وجرت عادته بالتمكن منها
وترك استشارة عمه ركن الدولة في كل ما عرض له . فكان من عاقبة ذلك
ان سبكتكين صاحب جيشه لما أحسَّ بطمعه فيه وفي نعمته انقبض عنه
فصار لا يركب اليه ولا يثق به واقتصر على التراسل على أيدي المتوسطين
وكان لسبكتكين أصحاب أخبار في العسكر وفي دار بختيار خاصة وله عيون
وجواسيس من خاصة حاشيته وبطائه فكان لا يخفى عليه شيء من حركاته
(٣٠٠) فضلا عن تدابير . فاما كاتباه أبو الفضل العباس بن الحسين وأبو
الفرج محمد بن العباس فانهما لما عرفا قصده في افساد نية بعضهما لبعض
(فقد كان بينهما قبل ذلك منافسة في المرتبة وتحاسد في النعمة) أخذوا
جميعا أهبة التحرز منه وأخذ هو في الحيلة عليهما حتى أزال باحدهما نعمة
الآخر . ثم قبض عليه باصاغر الحاشية وأداني الحشم ومكّن منهما الاوغاد
والسفلة فاضطربت أحوال المملكة واضطر الى الاستعانة بمن رفعه من
السُّقَّاط ومن لا يكمل للنظر في قرية ولا يصاح للتوسط بين نفسين فضلا
عن العسكر المضطرب فاحتلت أصول أمره وفروعها

وأما كبار الديلم ووجوههم فانه نقام عن مملكته طمعا في اقطاعاتهم
وأموالهم وأموال المتصلين بهم فتبسَّط أصاغرهم واستلنوا جانبهُ وتحالفوا
عليه وطالبوه بزيادة في رسومهم واضطر الى النزول على حكمهم ثم عجز عن
ارضائهم . وأما الاتراك فانهم نظروا الى ما تمَّ للديلم من التحكُّم فعملوا مثل

علمهم من الاشتطاط والتسحب والمواجهة بالمخاطبة الغليظة واضطر الى التديير عليهم والراحة منهم . وابتدأ بسبكتكين وكان متحرزاً متيقظاً فاستم له عليه شيء من تدييراته فتحزب الاتراك وصاروا يداً واحدة . وتحركت الاحقاد والحفاظ^(٣٠١) التي كانت في نفوس الديلم على معز الدولة فبرزوا الى الصحراء مع الاسلحة والجن وساموه ان يثبت من أسقطه معز الدولة وان يعطيهم أرزاقهم ويمجّل لهم رزقه منسوبة الى البيعة غير محسوبة . فجمع بختيار الاتراك الى داره مع أسلحتهم ليعتصم بهم وترك الديلم في الصحراء ثلاثة أيام فناظهم ذلك وازدادوا تباعداً في الاشتطاط عليه وفي الاشتداد بالمطالبة الى ان نزل على بعض حكمهم وأعطاهم ثلث رزقه غير محتسب به

وخير أصحاب الاقطاعات بين الاقامة في أيديهم والتمسك بنواحيهم وبين تعويضهم منها وأثبت من الديلم الساقطين كل من كان صريحاً في الديلم أو صريحاً في الجبل دون من اختلط بهم ممن ليس منهم . فلما تم لهم ودخلوا البلد اجتمع الاتراك أيضاً على الشغب فخرجوا الى الصحراء واستدعوا الاصاغر من غلمان الحجر في دار بختيار حتى برزوا معهم وتحالفوا وتماهدوا ان تكون كلمتهم متفقة وان ينصر كبيرهم صغيرهم وقويهم ضعيفهم وقد كانت اجتمعت لهم أموال مسببة من تلك الزيادات المضافة الى الاصول التي زادها معز الدولة فطالبوا بتوفيتهم ذلك كله وان يسلك فيهم سبيل أيه في الاستحجاب والتقويد والتقيب والزيادة^(٣٠٢) في المنازل والاراتب . ثم اتفق الديلم والاتراك على الأيعارض كل فريق منهم صاحبه في طلب الحظ لنفسه وتماهدوا على ذلك فقادته الضرورة الى ان ضمن لهم

جميع ما التمسوه وازاحته العلل فيه ولم يتسع لذلك ولا لبعضه فاضطر الى مناظرة وزرائه على الاحتيال لهذا المال والنظر في جمعه من أين كان وكيف كان

وكان أبو الفضل العباس أشد جسارة واقداما من أبي الفرج فضمن ذلك لهم واستعان بكاتب الفارسية شيرزاد بن سُرخاب وكان متسكنا من اختيار قريبا منه يسمع كلامه ويتدبر برأيه وضمن له مرفقا على ذلك ومالا بحمله اليه في كل سنة فسعى له شيرزاد في الوزارة ووعد بها وقيل له « اذا ظهرت كفايتك فيما ضمنتها من ارضاء الجند وغيره كانت الوزارة مقصورة عليك » فاخذ في مصادرة الخاشية وألزمهم أموالا علم انهم يفون بها ولا يُجحف بهم وافتتح الخراج واجتهد حتى وفي الديلم ما ضمن لهم وفرة الا تراك في النواحي لتتجز تسبيباتهم فتم لهم أيضا ما التمسوه وذلك لجمام الامر وانه كان مبدأ فوجد أموال الخاشية جامة والنواحي في بقايا العمارة فشى أمره في هذه السنة .

واتصل خبره بابي الفرج محمد بن العباس وهو يومئذ بعمان وكان خرج اليها في حياة ^(٣٠٣) معز الدولة وكانت له بها وقائع بين العمانيين حتى استوسقوا له فلما عرف وفاة معز الدولة وطمع أبي الفضل في الوزارة وسعى شيرزاد له فيها لم يلبث ان سلم الناحية الى رجل من أهل عمان يعرف بابن نهان وأظهر ان الامر ورد عليه بالافراج عن البلد وتسليمه الى صاحب عضد الدولة وأقبل مسرعا الى العراق فلما قرب منها استقبله أصحاب أخيه أبي محمد علي بن العباس الخازن وكتبه وكتبه يشيرون عليه بالمبادرة وترك التأخر عن الحضرة قبل ان يتم لابني الفضل العباس بن الحسين تقلد الوزارة

فورد وصار الناس حزينين وطلب كل واحد منهما عثرات صاحبه وخطب الوزارة لنفسه . ثم تمكن أبو الفضل بمعاونة شيرزاد الى ان تمت له الوزارة ﴿ ذكر رأى صواب لبني حمدان رآه ناصر الدولة فخولف ﴾

لما سمع أولاد ناصر الدولة باضطراب بختيار وسوء سياسته وشغله عن تدبير الملك باللعب والسكر الدائم وشغب جنده وانخراق هيئته هموا باخراج الاموال والانحدار الى بغداد ومقارعة بختيار عن سرير الملك فقال لهم أبوه ناصر الدولة : لا تعجلوا فان معز الدولة قد خلف لابنه خيرة من المال يسيرة وسيفرقها على جنده هؤلاء وسيجذب أيضا كتابه وعماله أيضا من نواحيه ومن مصادرات أسبابه ما أمكنهم ولستم بمستظهرين عليه ولا ^(٣٠٤) متمكنين من دولته الا بعد ان تفي حيله وتخلو يده فاذا كان ذلك الوقت فانهذبوا اليه وكأروه بالمال وافسدوا عليه قلوب الرجال فانكم تملكونه لا محالة . وكان الرأي ما قال فان معز الدولة كان أتلف ماله على البناء الذي أحسنه وعلى الاتراك الذين اصطنعهم وكان مقدار ما خلفه أربعمائة ألف دينار فاخرجها بختيار شيئا بعد شيء عند الضرورات وعند اجتداد المطالبات . وكان كتابه يستقرضون منه لهذه المهمات على ان يردوا العوض عنه ثم لا يتمكنون من الوفاء حتى استغرقت النفقات والنوائب جميع ذلك بعد مديدة يسيرة .

واختلفت كلمة بني حمدان فشغلوا عن مشورة أبيهم وكان مبدأ الشر بينهم ان أبا تغلب قبض على أبيه ناصر الدولة لما رآه قد كبر ولم يبق فيه بقية غير سوء الخلق والتفكير على أولاده وعلى حاشيته فلما قبض عليه أصعبه الى قلبه ووكّل به من يخدمه ويزيح عنه في حاجاته . فامتنع بعض اخوته

وانتشر النظام الذي كان يجمعهم فشن عليهم حفظ ما في أيديهم عن طلب ما ليس لهم . واحتاج أبو تغلب الى مداراة السلطان وتجديد عقد الضمان والتماس الخلع والمهد والعقد ليحتج بذلك على الجند ويستظهر به على اخوته^(٣٠٥) المخالفين والموافقين فانفذ كاتبه أبا الحسن على بن عمرو بن ميمون حتي أخذ له من السلطان ذلك وبذل لبختيار الف الف ومائتي ألف درهم في كل سنة على الرسم وانصرف الى صاحبه بقضاء حاجاته قرير العين بما تم على يده غير مفكر في شيء مما كان يهيم به .

وفي هذه السنة تلاحق مشايخ الملوك بالموت وتتابعوا وكان مدخل القران التاسع فهلك معز الدولة أحمد بن بويه وقبض أبو تغلب على أبيه ناصر الدولة وهلك سيف الدولة^(١) وهلك نقفور ملك الروم وهلك كافور صاحب مصر^(٢) وهلك وشمكير بن زيار وهلك الحسن بن الفيرزان وهلك

(١) زاد صاحب التكملة : وحكى ان سيف الدولة لما ورد الى بغداد وقت توزون اجتاز وهو راكب فرسه ويده رمح ويدين يديه عبد له صغير وقصد الفرجة وان لا يعرف فاجتاز بشوارع دار الرقيق على دور بني خاقان وفيها فتيان فدخل وسمع وشرب معهم وهم لا يعرفونه وخدموه . ثم استدعى عند خروجه الدواة فكتب رقعة وتركها فيها ثم انصرف ففتحوا الدواة فاذا في الرقعة « الف دينار » على بعض الصيارف فتعجبوا وحملوا الرقعة وهم يظنونها ساذجة فاعطاهم الصيرفي الدنانير في الحال والوقت فسألوه عن الرجل فقال : ذاك سيف الدولة بن حمدان . (٢) وزاد فيه أيضا : قال أبو جعفر مسلم بن طاهر العلوي : ما رأيت أكرم من كافور كنت أسيره يوما وهو في موكب خفيف مؤيد متزها ويدين يديه غلمانا وعدة جنائب بمراكب ذهب ومراكب فضة وخلفه بال الموكب والفرس كما تكون الملوك فسقطت مقرعته من يده ولم ترها ركايته فزلت من دابتي وأخذتها من الارض ودفعها اليه فقال : يا أبا جعفر أعوذ بالله من بلوغ الغاية ما ظننت ان الزمان يبلغني الى ان تفعل هذا . ثم ودعني فلما سرت انتفت

أبو علي محمد بن الياس وجماعة أمثالهم وبقي ركن الدولة من بينهم وعُمر إلى أن استوفى أجله^(١).

﴿ودخلت سنة سبع وخمسين وثلاثمائة﴾

ذكر ما دبر كل واحد من الكاتبين في خطبة الوزارة

وسعي كل واحد منهما على صاحبه

قد ذكرنا ما كان من أبي الفضل العباس بن الحسين من تمشيته للامور في السنة التي مد يده فيها الى الحاشية وما وجده في النواحي وما تأول به على المال حتى أرضى الجند . فاستطال على بختيار وانطلق لسانه وزعم أنه قد أظهر الكفاية التي وعده بها وذكر ان دخل المملكة يعجز عن خرجها وأنه ان قلد الوزارة جبر هذا المعجز وقام بالامر كما قام به^(٣٠٦) في تلك السنة وضمن لشيرزاد اذا تم له الوزارة مالا . وشخص الى الكوفة لتقرير أمور المقطعين بسقى الفرات فاجتهد له شيرزاد في الوزارة حتى أنعم له وبلغ أبا الفرج ذلك فشرع عن ساقه في فسخ نية بختيار وزعم أن الذي ذكره أبو الفضل^(٣) من عجز الدخل عن الخرج لا حقيقة له وأن الاموال التي استخرجها ومشى بها الامور إنما كانت من مصادرات الناس ومن بقايا في النواحي وأنه لم

فاذا خلفي البغال كلها والجنايب قفلت : ما هذا ؟ فقالوا : أمر الاستاذ ان يحمل هذا اليك فادخلته دارى وكانت قيمته زيادة على خمسة عشر ألف دينار (١) قال صاحب التكملة : وفي شعبان هذه السنة خلع على القاضي أبي محمد ابن معروف وولى القضاء بالجانب الغربي وخالع على ابن سيّار وقد القضاء بالجانب الشرقي . وقل أيضا في ترجمة سنة ٣٥٩ : وفي شهر ربيع الاول صرف القاضي أبو بكر ابن سيّار عن القضاء في حريم دار الخلافة وتولاه أبو محمد ابن معروف . وفي رجب سنة ٣٦٠ قلد ابن معروف قضاء القضاء . وكان وفاة ابن سيّار سنة ٣٦٨ (٢) في الاصل أبا الفرج

يؤثر أثرا ولافتح فتحا ولا أستحق من المراتب ما لا يستحق مثله واتصل ذلك بأبي الفضل فوافى من الكوفة ركضا وجرت بينهما مناظرات استقرت على أن يعمل كل واحد منهما عملا لاصول الارتفاعات وما ينضاف اليها وعملا لاصول النفقات الراتبية وما ينضاف اليها من الحوادث لتعرف الصورة فيما اختلفا فيه ولازما الديوان مع كتابهما حتى ارتفعت هذه الاعمال . فاما أبو الفرج محمد بن العباس فانه أورد في عمله أصول العقود على عبرها وأبوأبا ينكسر بعضها ثم خفف النفقات الحادثة وحذف الاستظهار لها حتى لم يظهر العجز وقام الدخل بالخرج . وأما أبو الفضل فانه وضع من الاصول ما نسبته الى المنكسر وما ينظر به للضماء واعتد بالزاجى دون التاوى^(٣٠٧) واستظهر في تقدير النفقات الحادثة وزاد في مبالغه حتى أوجب في عمله عجزا في الدخل عن الخرج . ثم حكى في عمله انه يقيم وجوها لهذا العجز وانه ان بقيت منه بقية نقلها في كل سنة الى التى تليها على الرسم الجارى في ذلك . وتقابلا على حسابهما وتناظرا على الخلاف بينهما ووقف الكلام بين المتوسطين وفيهم شیرزاد على ابطال الوزارة والتراضى بالاشتراك في الكتابة . ثم جد شیرزاد سرا في أوقات خلواته ببختيار فى السعى لابی الفضل وبذل عنه لبختيار مالا على سبيل الهدية وأعلمه أن فيه اقدا ما وبسالة يحتاج اليهما فى الوقت وانه ذو مال ويسار يزيد على مال أبى الفرج اضعا فا وانه ذو حيلة وتأول وبطش وأبو الفرج صاحب نقشف وتوقف وتعمد وأن الامر بمنله لا يمشى فلم يزل بهذا واشباهه حتى أمضى ببختيار العزيمة

وقلد أبا الفضل الوزارة وخلع عليه القباء والسيف والمنطقة المحلين بالذهب وحمله على فرس بمركب ذهب وأقطعه اقطعا بخمسين الف دينار على رسم

الوزراء وضم اليه عددا كثيرا من الديلم على رسوم الوزراء . فصار اليه أبو الفرج مسلما وأظهر الامتناع من العمل وكره^(٣٠٨) أبو الفضل ذلك لانه أحب أن يجرى على رسمه في تقلد الديوان ليشغله عن تتبعه والطعن عليه وأيضا ليراه بمين من يمدو ويروح اليه وينخط عن رتبة المساواة التي كان فيها الى رتبة الاتباع . وكره أبو الفرج جميع ذلك فخطوب فيه وأعلم أنه (ان) لم يصبر على هذه الحال والقناعة بها انقطعت العلاقات بينه وبين صاحبه بختيار ونصب للديوان غيره ثم يكون مطرحا بعرض النكبة وربما تأدى الامر الى أكثر من ذلك من تسلط أعزائه عليه وانبساط أيديهم فيه وفي أعزته فاستجاب الى عمل الديوان واستوقف بتقليده اياه وخلع عليه الدراعة على رسم الكتابة . وكان مما وفره أبو الفضل في وزارته أقطاعات استرجعها من قوم مثل أبي الفتح أخى عمران بن شاهين ومثل أبى عبد الله الايسر المعروف بالجلب ثم تجرد للاهواز ومحاسبة آذرويه وكتابه

واتفق في وزارته ان أظهر الحبشى بن معز الدولة عصيان أخيه وطمع في البصرة والتفرد بها

﴿ ذكر السبب في عصيان الحبشى وتمكن أبى الفضل منه ﴾

(وحصول أمواله وذخائره وأسبابه له)

لما توفى معز الدولة احتوي على الحبشى ابنه بالبصرة جماعة من حاشيته وجند البلد وأطعموه في البصرة وأقاموا في نفسه أن المال الذى يرتفع من البصرة ينصرف معظمه الى الجيش^(٣٠٩) المقيمين بها وباقية مصروف الى تقاقه وليس يبقى بعد ذلك الا ما لا يستكثر أن يجعل حظه من ميراث أبيه ويفضى عنه . ثم أوهموه مع ذلك أن أخاه بختيارا لا يمكن من الوصول

اليه مع حصانها لوم بذلك فابتدأ يستبد بالاموال والامور ويستولى على المال ويحتفيهم . وكان مغيظا على عامل البصرة الحسين بن الحسن المكنى أبا طاهر فعمل على القبض عليه والتنشفي منه وازالة الحشمة فيه ونفى الخبر الى العامل فهرب الى الحضره . وكتب الحبتي في أثره الى بختيار يذمه ويطن عليه وينسبه الى الخرق والجهل وانه لم يخف شيئا أنكره ولكن قصد التشنيع وذكر في الكتاب أنه قد تقدم بحفظ الاعمال والاموال الى أن يعود فيجري على رسمه في التدبير لها . ثم سأل في هذا الكتاب أن تسلم اليه المدينة ويخلي بينه وبين تديره وأن يواقف على ارتفاعه ويحتسب له بنفقاته التي تخصه وباموال الجند المقيمين بحضرته وان بقيت بقية سبب عليه ليزيح العلة فيها فاجابه بختيار بالتصديق لقوله ووعد أنه يعمل بحجته . ثم زاد تبسط الحبشي حتى كان يشرق الامر ويظهر الخلاف وكتب اليه بختيار بالتأنيس والاستمالة والاعتابة اللطيفة^(٣١٠) وأعلمه أن وزيره العباس بن الحسين شاخص الى الاهواز وانه سيراسله منها ويبلغ محابه في الامور التي التمسها . وندب وزيره العباس للشخص وأمره بالحيلة عليه حتى ينتزع البصرة من يده اما مكرآ وخديعةً واما حربا ومكاشفة فاستخلف أبا العلاء صاعد بن ثابت النصراني بالحضره وانحدر وأخذ معه أبا الفرج محمد بن العباس صاحب الديوان وأبأسهل ديزويه العارض وجرد معه عسكريا وأزاح علقته في السلاح والجنن والآلات سرا . فلما وصل الى واسط أقام بها شهرا ونظر في أمورها ومصالح أعمالها ومظالم أهلها وأظهر أنه راحل الى الاهواز وكتب الى ليلي بن موسى فيأذه وكان بالاهواز يأمره بالاستعداد لقصد البصرة والمسير الى بيان وقدم حديدياته وسفنه على أن فيها أثقاله وكانت مملوءة بالسلاح وأمر أصحابه

المنحدرين فيها بأن يتجاوزوا الابلّة ولا يدخلوها ويقصدوا بيان ويظهروا
أنهم يحملون ما معهم الى الاهواز على طريق حصن مهدي وحدى الطيارات
والزبازب تفاريق . وكتب الى أحمد بن محمد المعروف بالطويل بأن يصير
الى بيان وكان يتقلد حصن مهدي وأن يحفظ هذه الآلات واطلمه على
التدبير . وكتب الى الحبشي بن معز الدولة ^(٣١١) من واسط بأنه يفعل كل
ما يورثه ويهواه ويتعهد عليه بأن مصيره عاجلا الى الاهواز ليستدعي كاتبه
اليها ويوافقه على ارتفاع البصرة ويسلمها اليه وأوماً في اخر الكتاب الى
التماس صلح ^(١) منه على ذلك ويقول في جملة تعريضاته « أنه قد التزم عن الوزارة
غراما ثقيلا » ويستلّه معونة بما يحمله اليه فسكن الحبشي الى قوله ووعدّه
وحمل اليه عاجلا مائتي الف درهم ولم يشك أنه قد اشترى بها منه البصرة فلما
وصلت اليه أتهذاها الى بختيار . ورحل كأنه يريد الاهواز الى الخويزة ونهر
العباس ثم عدل عنها الى نهر البصرة وكان للحبشي رسل قد أقدمم باطيار
ليكتبوه بخبره فأرسلت الاطيار اليه بخبره فنثار الحبشي وهاج ولم يملك
نفسه وأظهر المنابذة والخلاف . واستوحش من كان بالبصرة مقيما من الغلمان
الأتراك في تسبيباتهم فهربوا الى بيان فصادفوا بها عسكرا قويا مع ليلى بن
موسى فياذه وأحمد الطويل فانضموا اليهما وكانت قد حصلت الزبازب
عندهم والملاحوز والجن والآلات والسلاح . وأخرج الحبشي عسكره
الى الابلّة ورتب غلمانا وأثبت من عشائر العرب قوما رتبهم على أفواه
الانهار وقلد حاجبها تركيا يقال له بكتيجور ^(٣١٢) رياسة عسكر الماء وجعل
اسفهلار الديلم في عسكر الظهر صعلوك بن با طاهر ^(٢) أحد وجوه قواد

(١) يعني مرفق كذا في التكملة وفي النسخة التي في اكسفر د (٢) كذا في الاصل

البصريين . فلما ورد الوزير أبو الفضل عسكر أبي جعفر وجه الى ليل بن موسى فياذه والى أحمد الطويل ومن معهما يأمرهم ان يشحنوا تلك الزبازب والطيارات بالرجال والسلاح ويصعد اليه على تعية من جانب دجلة الشرقي المعروف بالقرات ولا يعبروا في طريقهم الى الابله ولا يقتالوا أصحاب الحبشى ولا يهيجوهم الى أن يصلوا اليه فيضيف اليهم من معه من الخواص والعلمان وتد كانوا مستقلين بنفوسهم ومن حصل عندهم من الاتراك الذين هربوا اليهم من البصرة وأقام ليله يتظرهم وتعذرت الميرة عليه وانقطعت المائدة عن عسكره وتحير في أمره حتى لو تأخر الفتح يوما لما أمكنه المقام ولاحتاج الى الرحيل فتكون هزيمة عليه . فلما كان الغد أصعد ليل بن موسى والجماعة على أهبة وتعية وعملوا على امتثال الامر وترك التعرض لمن في طريقهم من أصحاب الحبشى فلما جازوا الابله خرج أولئك نحوهم وبدأوهم بالحرب فعدل حينئذ ليل بن موسى ومن معهم اليهم وواقعوهم وغرقوا عدة من زبازبهم واستأمنت عدة أخرى وهرب بكتيجور صاحب الحبشى ناجيا^(٣١٣) بحشاشته واشتملوا على بقية عسكر الماء . ثم طمعوا في الظهر فتقدموا الى الديلم هناك وقاتلوهم ساعة ثم نهيا لطائفة ان يصعدوا الى شاطئ الابله وصاروا في ظهورهم فاضطربوا وانهزموا وقتل منهم نفر وانهزم قوم واستأمن آخرون وملكت الابله .

وأفند ليل غلاما له في بعض الزبازب الى الوزير أبي الفضل مبشرا بالفتح فالتمس السفن والزبازب وعبر الى قرية فوق الابله وعسكر بها وكتب الى الحبشي يشير عليه بالخروج الى الاهواز فالتمس منه الامان والتوثقة فأمنه على النفس والولد والحرم وتوقف عن ذكر المال والحال فتنبه الحبشي

على ذلك وترددت فيه الرسل فلم يسكن ولم يخرج . فعفي الوزير أبو الفضل
عسكره وزبازبه وزحف الى البصرة وملك منها الموضع المعروف بالسيلجة^(١)
ولم يزل ينفذ اليه رسولا بعد رسول من شجعمان الاتراك والديلم ويأمرهم
أن يقيموا عنده ويتوكلوا به ولا ينصرفوا بالجواب الى ان أحاط به منهم
بضعة عشر رجلا بالسلاح ثم أنفذ أبا سهل ديزويه العارض في طائفة وافرة
من العسكر فدخلوا اليه وأخرجوه اخراجا بين الجميل والقبيح وحمل معه
أهله وولده وما خف من ماله وجواهر كانت له فلم يوصله الوزير^(٣١٤) اليه
وامر بأن يسلم الى أحمد الطويل ليصير به الى حصن مهدي ففعل ذلك وأقام
هناك معتقلا أياما ثم حمل الى الاهواز وبقي مدة أخرى ثم الي رامهرمز
واعتقل بها اعتقلا جميلا ثم أزيل التوكيل عنه وحمل الى عمه ركن الدولة
بحدث يطول ولا فائدة في ذكره ثم حصل عند عضد الدولة فأقطعه اقطاعا
يسعه ومن معه وأمره أن يحصل بسابور وهي كورة من كور فارس نزهة
كثيرة العيون والاشجار والصيد فأقام بها الى أن توفي في آخر سنة ٣٦٩

وملك الوزير أبو الفضل البصرة عنوة وأنفذ اليه بختيار خلعا جليلا
فلبسها وركب فيها ونصبت له القباب فانبسط يده وقوى سلطانه وصادر
أصحاب الحبشى وكتابه وحاشيته ومعاليه وارتجع منه ما كان حمله معه من المال
والجواهر واستخرج من الاموال شيئا كثيرا وظفر بخزائنه كلها فكان في
جملتها خزانة كتبه وفيها خمسة عشر الف مجلد سوى الاجزاء والمشرس^(٢) غير

(١) في نسخة ١ كسفر « بالسباحية » (٢) كذا في الاصل وعند ابن الاثير .
وفي القاموس المهرس قال صاحب تاج العروس يقال مصحف مشرر ومشرس المشرر
المشدود بعضه الى بعض المضموم طرفاه فان لم يضم طرفاه فهو مشرر بسنين

المجلد ووجد له من خزان الاسلحة والفرش والثياب الفاخرة والآلات شيئا يستكثر لمثله فحمل ذلك كله الى بخنيار وقلد بخنيار ابنه المرزبان البصرة وسنه ثمان سنين^(٣١٥) واستكتب له أبا الغنائم المفضل بن أبي محمد المهدي وهو خال ولد الوزير أبي الفضل .

وفي هذه السنة ظهرت دعوة بين الخاص والعام يدعى فيها الى محمد بن عبدالله القائم من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انه الرجل الذي ورد بذكره الخبر وانه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويجهاد أعداء المسلمين ويجدد ما عفا من رسوم الدين فتطلعت اليه نفوس العامة وجعل دعائه يأخذون البيعة على الرجل بعد الرجل فن كان من أهل السنة قيل له انه عباسي ومن كان من أهل التشيع قيل له انه علوي وكتبت عنه رسالة على عدة نسخ وطرحت في المساجد والمحافل يدعو فيها الى مثل ما حكيناها عنه فحصلت نسخة منها عند الوزير أبي الفضل في أول وزارته فتقدم باذكاء العيون على الطائفة الخائضة في هذا الباب والقبض على من يوجد منها ثم انحدر قبل ان يظفر بأحد منهم وتقدم الى خليفته أبي العلاء صاعد بن ثابت بالجد في طلبهم . فلما نظر في ذلك وجد جماعة من وجوه الكتاب وأماثل الناس قد دخلوا في هذا الامر وبايعوا الدعاة اليه وكذلك وجدوا خلقا كثيرا من الديلم والأتراك والعرب^(٣١٦) قد بايعوه وكان فيهم سبكتكين العجمي أحد اكابر القواد قواد معز الدولة ممن قاد الجيوش وتقلد الاعمال وكان شجاعا مطاعا جوادا نازلا عند الاتراك بمنزلة من لا يخالف في الرضاء والسخط وكان يتشيع وقيل له ان الرجل علوي وانه يقلدك امرأة الامراء فاستجاب واستفحل أمر القوم

﴿ ذكر السبب في اضمحلال أمره حتى ظفر به وبأسبابه ﴾
(ودعائه وجميع من دخل معه في بيعته)

كان هذا الرجل محمد بن المستكفي طراً الى مصر فقبله كافور الاخيدي الخادم واحسن اليه واجري عليه رزقا سنيا فكتب جماعة من أصحابه بالدعاء اليه فجري أمره كما حكيناه ^(١) فلما كثر المستجيبون له وهم لا يعرفونه وتقوا بإمكان سبكتكين العجمي كاتبه بالحضور وكتب اليه سبكتكين : اني اقوم لك بالامر . فورد هيت وهو لا يشك ان الامر مستقر له ومستتب على ارادته . وخرج سبكتكين العجمي وكان يتقلد حماية طريق الفرات الى الانبار وأظهر للسلطان انه ينظر في مصالح عمله فتلقاه وترجل له وأكرمه ثم أدخله البلد مستترا واتخذ اليه فرشا فاخرا وثيابا نفيسة وطعاما كثيرا وشرابا . وعمل على ايقاع حريق وفتنة في ليلة النيروز المعتضدى لتشاغل الناس بذلك ويهجم على بختيار ويوقع ^(٢١٧) به وواطأه على ذلك خلق من الجند فظهر له قبل النيروز انه عباسي وليس بعلوي فتغيرت نيته وتصوره بصورة المحتال وواجه بمض أولئك الدعاة بذلك وأعلمه انه كذاب مموه وتناقل عن نصرته وأظهر الندم . وخاف محمد بن المستكفي أن يقبض عليه وأحس أصحابه ودعائه بذلك فاستوحشوا وتفرقوا فبعضهم هرب الى ناحية السواد وبعضهم أمعن في الهرب وعرف السلطان خبرهم فكتب العمال بالنيقظ

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : فلاذ به جماعة وأطمعوه في الامر فقالوا : ان رسول الله صلعم قال « المهدي من بعدى يواطى اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبي » وان أنت قدمت بغداد بايمك الديلم . ومن بايموه أبوا الفاسم اسمعيل بن محمد المعروف بزنجي وترتب له وزيراً .

في طلبهم واذكاء العيون عليهم فظفر ببعضهم فامر بتقريره بالسوط فاقر على جماعة أخذوا ولم يزل التبع يقع حتى حصل محمد بن المستكفي وأخوه ، فاوصله بخييار اليه واستشرحه لامر فشرحه بعد أن آمنه على نفسه . فالتمس المطيع لله من بخييار أن يسلمه اليه مع أخيه فأبي عليه ودافع عنه وقال : قد آتمته . فبذل المطيع لله لهما الامان على النفس فلما حصل الجميع في يده تقدم بجذع أنف محمد بن المستكفي وقطع أنف أخيه وجبسهما مدة ثم هربا وخفي خبرهما ووقع الاستتصاء على كل من دخل في بيعته فصوروا وأذبوا ضروب انتأديب ^(١) ولم يقع الاقدام على سبكتكين المعجمي ولا على أحد من وجوه الجملة وانما خوطب سبكتكين خطابا خفيفا فجنع في الجواب الى الانكار وأغضى عنه وعن الجند ^(٣١٨)

وفي هذه السنة صفت كرمان لمضد الدولة وملكها وفتح قلعة بردسير وهي خزاة أبي علي ابن الياس التي جمع فيها ذخائره على مر السنين من الاموال والجواهر والامتعة الفاخرة

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان أبو علي ابن الياس لما عاود كرمان بعد ابراهيم بن كاسك جرى مجرى بعض المتصليكين وآمن ناحية عماد الدولة على بن بويه لما ذكرناه فيما تقدم فشارك اللصوص وصعاليك القفص والبلوص فحصل عنده على طول السنين

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : ثم جدع أنفه وقطع شفته العليا وشحمة أذنيه وسجن بدار الخلافة وكان معه أخوه علي وانهما هربا من الدار في يوم عيب و اختاطا بالناس ومضيا الى ما وراء النهر وروى بهراة شيئا عن المنابي من شعره وله شعر وادب ومات بخراسان خاملا بعد .

من جهتهم مال عظيم في القلعة التي وصفناها . ولما مات علي بن بويه عماد الدولة وترعرع عضد الدولة فناخسره كان في نفسه من هذه القلعة مالا يظهره فلما استوحش اليسع بن محمد بن الياس من أبيه صار الى عضد الدولة وأقام عنده حتى أصالح له نية أبيه وعاد اليه فوعده بولاية العهد ورياسة العسكر . ولما كان في هذه السنة وقع القفص على قافلة عظيمة وغنموا أموالا عظيمة للتجار فخرج اليهم محمد بن الياس يطلب نصيبه من غنيمتهم فأصابه في الطريق علة الفالج ورُدَّ الى منزله واستمرت به العلة فجمع أكابر أولاده وهم ثلاثة اليسع وسليمان والياس فخطبهم بما ظن انه يجمع كلمتهم واعتذر^(٢١٩) الى اليسع من النبوة التي سبقت منه حتى فارقه ثم جمع اليه تديرعسكره وولاية عهده ومن بعده الياس فاما سليمان فانه أشار عليه بان يرجع الى بلده وهو الصغد وأظهر له تذكرة فيها ثبت دفاؤه وودائمه هناك وأراد بذلك إبعاده عن اليسع لمداوة كانت بينهما فأظهرت الجماعة قبول أمره والانهاء الى رأيه . وشخص سليمان نحو الصغد بما قسمه له فلما صار بظاهر المدينة عدل عن ذلك سمت وقصد القفص وطلب منهم ذلك القسم الذي كان أبوه شخص لتسلمها فتم له الوصول اليه وأخذ منهم مالا جليلا واستضم الى نفسه جماعة منهم ليقوى بهم ثم عاد الى السيرجان وكان يتولاها من جهة أبيه . فلما بلغ أباه ما صنع غضب من مخالفته إياه واغتاظ منه فامر اليسع بطلبه وقواه بالرجال وقد كان العسكر مطيعين له وأمره أن يضطره الى الخروج الى الصغد أو معاودة حضرته ليقبض عليه ووصاه ان يخرج نحو الصغد أن يخلى له الطريق ولا يتبعه . فخرج اليسع الى السيرجان وتحصن سليمان منه واقتلا أياما ثم استظهر اليسع فحمل سليمان جميع ما كان حصل له وخرج من باب من أبواب المدينة قاصدا

(٣٢٠) خراسان فتركه اليسع امتثالاً لأمر أبيه وعاقب جماعة من أهلها الذين كانوا عاونوا سليمان عليه ثم صفح عنهم

﴿ ذكر اضطراب أمر اليسع مع أبيه حتى استبدل به وما آل ﴾
(إليه امره حتى أخرج أباه إلى خراسان مكرها)

كان في جملة محمد بن الياس رجل يعرف بعبد الله بن مهدي ويلقب بدسويه شديد الغلبة عليه والتمكن منه وبينه وبين اليسع وحشة متأكدة. نخافه على نفسه فاجتمع مع اسراييل المتطرب وكان أيضا مكينا عنده ومهندس. كان معه يقال له المرزبان على إفساد نية أبي علي ابن الياس على ابنه اليسع وشككوه فيه وحر كوا ما كان في نفسه قديما منه وأشاروا عليه بأن ينقض ما عقده له من تدبير جيشه ويجعله لحاجب من حجابيه يقال له ترمش ليكون الامر غير خارج عن يده مادام حيا وليكن غلامه صاحب جيشه فيتصرف معهم على رأيه فقبل منهم هذا الرأي وكتب إلى اليسع بأن ينكفي إليه واستدعاه إلى القلعة وكان لا يصعد بها الا وحده دون كل أحد على رسم القلاع. فلما حصل عنده وليس فيها الا هو وهؤلاء الثلاثة ونفر من ثقات أصحابه وجماعة حرمه وجواريه قبض عليه وقيدته وفوض أمر الجيش إلى ترمش الحاجب فلم يجتمعوا عليه ولا رضوا به. فمشت والدته (٣٢١) اليسع إلى والدته الياس وقالت لها : ان صاحبنا كان عقد لولدنا عقدا هو الصواب لكنه قد اختل عقله وعزب رأيه بهذه العلة وغلب عليه هؤلاء الثلاثة وتم لهم على ابني ما سيتم مثله على ابنك وحينئذ تخرج هذه المملكة عن آل الياس وتنتقل اليهم والي من نصبوه (يعني ترمش الحاجب) والصواب أن تساءلني على

تخليص ولدى ليكون الامر جاريا مجراه الاول . فساعدها وقبلت رأيها .
وكان ابن الياس ربما أغمى عليه في غلته فاتفقت المرأتان على أن جمعا
الجواري، وكان عددهن كثيراً وقصدن عبد الله بن مهدي بسوية ليوقمن به
فاتفق له ان أفلت وهرب واستقذن اليسع وعالجن قيده فلم يكمن لكسره
وخشين فوت الامر فاتخذت له أمه حبالا مدينة من ثياب ديباج حتى تدلي
من القلعة الي الارض لانها لم تتمكن من اخراجه من باب القلعة فلما حصل
في الارض رآه بعض الجند فكسر قيده وأعطاه دابته فركب وتوسط العسكر
فاستبشروا به وعادوا الى طاعته وخدمته . وهرب ترمش الحاجب وجمع
اليسع الجيش ليسير بهم الي تحت القلعة ويحاصرها ويتغلب عليها وكان الشيخ
في جميع ذلك ^(٣٢٢) مغمى عليه لا يعقل شيأ مما جرى فلما أفاق من غمرته
وعرف الصورة راسل اليسع واطلع عليه وسأله أن يكف عنه ويؤمنه على
نفسه وحرمة ومن معه حتي يسلم اليه القلعة مع جميع أعمال كرمان ويرحل
الي خراسان ويكون عونا له هناك . حتى احتاج اليه . فأجابته ابنه الي ذلك ومكنه
من جميع ما أراد فاحتمل مائة وقر من المال والثياب والجوهر وفاخر المتاع
واستصحب ثلاثمائة غلام من غلمانه وما احتاج اليه من الآلات والكرع
وشعث القلعة وأحرق بقية ما كان فيه من الآلات والكسوة ورحل فلم
يؤاخذه اليسع بما فعل بل احتمله ووفي له بالامان الذي بذله له وتركه حتى تخذ
الي مقصده . وتسلم اليسع القلعة وظفر بأولئك النفر الثلاثة وسامهم الي كاتبه
ومدبر أمره أبي نصر محمد بن اسمعيل البمي وأمره بمطالبتهم فاستخرج
مهم مالا عظيما . وتلف اسرايل الطيب ثم وجد للمعروف يسويه كتابا
كتبه الي خراسان فيه الاغراء به والذم له وكان قد عفا عنه فأعاده الي العقوبة

حتى هلك فيها

وابتداً فناخسره عضد الدولة في تخييب رجال ابن الياس فاستأمن اليه أكثر الديلم والأتراك وكان حينئذ أبو علي ابن الياس بخراسان يطمع صاحبها في مملكة^(٢٢٢) الديلم فكان من عاقبته ما شرحناه من موت وشمكير وغير ذلك . وتفرغ عضد الدولة لقصد كرمان ودس الي كل من له رأى أو نجدة من خبيّه وأصلح قلبه له ثم توجه اليها فافتتحها ودخلها في شهر رمضان سنة ٣٥٧ واستولى على جميع أعمالها وملك قلعة بردسير وهي عظمة فيها عدة قلاع متصلة بعضها ببعض وانهزم اليهم الي خراسان وصادف وصول اليهم الي خراسان . موت والده فاحتوى صاحب خراسان على ماسلم معه من بقية ماله وكراعه . ولما تمّ عضد الدولة فتح كرمان واتصل خبره بصاحب سجستان كاتبه وترددت بينهما الرسل حتى صالحه وخطب له وهو أبو أحمد خلف بن أبي جعفر المعروف بابن بانويه . وأتقذ الي عضد الدولة من الحضرة ببغداد عهد الخليفة وخلفه من الطوق والسوارين والعقد على أعمال كرمان كلها . فقلد عضد الدولة هذه الاعمال أكبر أولاده أبا الفوارس شيرزيل واستخلف له عليها كوركير بن جستان وكان وجه قواد عسكره وانصرف الي شيراز^(١)

(١) وزاد في ترجمة هذه السنة صاحب تاريخ الاسلام : وفي ذى القعدة أقبل عظيم الروم نفقور بجيوش الي الشام فخرج من الدرب ونازل انطاكية فلم يلتفتوا اليه فهدمهم وقال : ارحل وأخرب الشام كله وأعود اليكم من الساحل . ورحل في اليوم الثالث ونازل معرة مصرين فأخذها وغدر بهم وأسر منهم أربعة آلاف ومائتي نسمة ثم نزل على معرة النعمان فأحرق جامعها وكان الناس قد هربوا في كل وجه الي الحصون والبراري والحيال المتبعة ثم سار الي كفر طاب وشيزر ثم الي حماة وحمص فخرج من يقي بها

﴿ ودخلت سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ﴾^(٣٢٤)

وفيها استأمن حمدان بن ناصر الدولة الى بختيار ودخل الى مدينة السلام

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان ناصر الدولة قلد حمدان ابنه الرحبة وسوغه ارتفاعها وكان أبو

فأمنهم ودخلها فصلى في البيعة وأخذ منها رأس يحيى بن زكريا وأحرق الجامع ثم سار الى عرقة فافتتحها ثم سار الى طرابلس فاخذ ريفها وأقام في الشام أكثر من شهرين ورجع فارضاه أهل انطاكية بحال عظيم . وقال أيضا : ووصل ملك الروم لعنه الله الى حمص وملها بالامان وخافهم صاحب حلب أبو المعالي ابن سيف الدولة فتأخر عن حلب الى بالس وأقام بها الامير قرعويه ثم ذهب أبو المعالي الى ميفارقين لما تفرق عنه جنده وصاروا الى ابن عمه صاحب الموصل أبي تغلب فبالغ في اكرامهم ثم رد أبو المعالي الى حلب فلم يمكن من دخولها واستضعفوه وتشاكروا بحجب جارية فرد الى سروج فلم يفتحوها له ثم الى حران فلم يفتحوا له أيضا واستنصر بابن عمه أبي تغلب فكتب اليه يمرض عليه المقام بنصيبين ثم صار الى ميفارقين في ثلثائة فارس . قتل ما يده ووافت الروم الى ناحية ميفارقين وارزن يمينون ويقتلون وأقاموا ببلد الاسلام خمسة عشر يوما ورجعوا بما لا يحصى .

وكان الحج في هذا العام ضعيفا الى الغاية لما لحقهم من العطش والقتل مات من حجاج خراسان فوق الخمسة آلاف وقيل بل ثلاثة آلاف بالعطش فلما حصلوا بمكة خرج عليهم الطالحيون والبكريون فوضعوا في الحجييج السيف وأخذوا الركب بما حوى ولم يحج من مصر ولا الشام أحد . وكان حجاج المغرب خلفا فرجع معهم خلق من التجار فأخذوا فيقال انه أخذ لتجار فيها متاع بنحو مائتي الف دينار فانا لله وانا اليه راجعون .

وفي آخر العام جاءت الفرامطة من البرية وتوئبوا على دمشق فملكوها وساروا الى الرملة فالتقاهم الحسن بن عبيد الله الاخشيدى فهزمهم ثم قاتلوا أهل الرملة أشد قتال واستباحها بعد يومين ثم ان أهلها دافعوا عن نفوسهم بمائة الف وعشرين الف دينار وسبوا من أعمال الرملة عشرة آلاف نسمة وعزموا على قصد مصر لملكها فجاء العبيديون فاخذوها وقامت دولة الرض في الاقاليم المغرب ومصر والعراق وغير ذلك

تغلب وأخوه أبو البركات وأختهما المسماة جميلة بني زوجته فاطمة بنت أحمد الكردي وكانت مالكة أمر أبيهم فاستولي أبو تغلب على مالها وأموال ناصر الدولة وقلاعه وكانت هي مدبرة جميع ذلك وتطابقت الجماعة على الشيخ وغلبوه على جميع ذلك ولم يكن له بهم طاقة لتناهيه في الكبر والضعف فابتدأ يدبر القبض عليهم وكاتب ابنه حمدان ليستظهر به ويعتمده فيما هم به فظفروا بكتابه هذا ولم ينفذوه وزاد ما بينهم شروقا وانفراجا حتى خافوه ودخل معهم في الخوف كاتبه وأكابر غلمانه الذين تابعوا أبا تغلب فاجتمعوا وقبضوا عليه ليلا وحملوه الى القلعة . واتصل ذلك بحمدان فامتعض لآبائه وكان عدوا مبائنا لآخوته هؤلاء وهو أشجع أولاد ناصر الدولة وأفرسهم وكان قد سار عند وفاة عمه سيف الدولة من الرحبة الى الرقة فملكها ثم سار من الرقة الى نصيبين . واستفز على أبي تغلب من أطاعه ^(٢٢٥) من أهله وآخوته وجندهم وطالبهم بالافراج عن أبيه وردّه الى منزله وأمره فتوجه اليه أبو تغلب فانهزم حمدان من بين يديه قبل اللقاء وتحصن بالرقة ومنها في الرفقة ونازله أبو تغلب عليها طويلا ثم اصطلحا على ذحل وعاد كل واحد منهما الى موضعه

وعاش ناصر الدولة شهورا ومات في سنة ٥٨ واستعمل أبو تغلب وعماله كل قبيح مع حمدان في ضياعه وأملأه وطرد عنها وكلاؤه ^(١) وانخرقت

(١) زاد صاحب التكملة : وكتب اليه حمدان بحاف بطلاق ابنة سميد بن حمدان وبكل يمين انه ان أحوجه اليه استعان عليه بالديلم فان اتصف والا استعان بالقرامطة فان بلغ غرضا والا استعان بملك الروم فكان جواب ذلك من أبي تغلب ان قبض ضياعه وطرد وكلاؤه وأخذ أخاه الخ

الحشمة بينهما فانفذ اليه أخاه أبا البركات في جيش كثيف فلما قرب منه استأمن اليه معظم أصحاب حمدان فخرج عن البلد منهزماً واحتمل حرمة وعياله وغلماؤه ومن تبعه وورد هيت مستأمناً الى بختيار وكتب اليه يستأذنه في الدخول فاجابه بالاذن والقبول وخرج فلقاه ومعه سبكتكين الحاجب وجماعة جيشه وأنزله في دار حسناء^(١) وفرشها فرشاً فاخراً وحمل اليه هدايا من مال وافر وثياب فاخرة وطيب وفرش وبغال ودواب بمراكب ذهب وفضة وتكفل بالتوسط بينه وبين أخيه أبي تغلب وأنفذ اليه أبا أحمد الحسين بن موسى الموسوي نقيب الطالبين برسالة في الصلح فتم بينهما وحلف لكل واحد صاحبه وشخص حمدان الى الرحبة^(٢٢٦) وحمل اليه بختيار هدية مثل الاولى وزيادة مع جمال وآلات السفر فرحل وشيعه بختيار مع جيشه^(٢) ثم عاد

(١) وفي التكملة : وأنزله في دار ابن رزق الكاتب النصراني وحمل اليه مائة وخمسين الف درهم وثلاثمائة ثوب أصنافاً من ديباج وعتابي ودبقي .

(٢) وقال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٥٧ : وفيها مات ناصر الدولة وقتل أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان وكان قد طعم في تلك الشام وجاء اليه خلق من غلمان سيف الدولة وأطمعوه فصادر أهل حمص وغيرهم وقتل قاضهم أبا عمار وأخذ من داره ستمائة الف درهم . فلما أحس بان أبا المعالي ابن سيف الدولة يقصده صار فزلاً على بني كلاب وخلع عليهم وأعظم الأموال ونفذ حرمة معهم الى البرية ثم سار أبو المعالي وقرغويه الحاجب الى سلمية فاستأمن الى أبي المعالي جماعة من بني عقيل وتأخر أبو فراس وقال : قد أخليت لهم البلد . ثم سار الي قرغويه وأحاط به فقاتل أشد قتال وما زال يقاتل وهم يقيمونه الي ناحية جبل سنير فتقنطر به فرسه بعد العصر فقتلوه وله شعر رائق .

ومات الخادم كافور صاحب مصر ورد أمرها الى الملك أبي الفوارس أحمد بن علي ابن طنج الاخشيدى فوقع الخلاف بين الكافورية وبينه ونحاروا وعظم البلاء فقتل بينهم خلق ثم هزمت الاخشيدية الكافورية وطردهم عن مصر فصاروا الي الرملة وفيهم ابن

مستأمننا دفعة ثانية على ما سذكركه

وفي هذه السنة ورد الخبر بدخول جوهر صاحب أبي تميم العلوي صاحب المغرب مصر فاشتمل عليها وتقطع جيش كافور وجماعة الاخشيدية وتمزقوا ﴿ وفيها نفي شيرزاد بن سرخاب كاتب الفارسية عن مدينة السلام ﴾

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان شيرزاد مستوليا على بختيار كما حكيناه وأسرف في التجبر وحلف بختيار على ان لا ينفذ عزمه ولا يقرر أمرا الا بعد مشاورته ورضاه وتحقق بالجنديّة وادّعى الشجاعة وأعاره الناس من ذلك ما لم يكن عنده تقرباً اليه وكثر تعلقه بالاموال والتلاجي^(١) وشره الي اكتساب الارباح من غير وجوهها ولم ينقبض عن شيء هم به ولم يمكن أحد ان يعتصم منه . ومنع بختيار من عطاياه التي كان يبذلها للديلم والأتراك وقوى عزيمته على الثبات والتماسك

محمد بن رائق وأبو منحل وقتك وقتك الهندي قدما على صاحب الرملة الحسن بن عبيد الله بن طنج فلم يقبل عليهم وقال : لا أحارب ابن عمي . ثم ضاق قنقاهم فتوجهوا الي دمشق ومتولهم قاتك الاخشيدى فم ينهم قتال وبلاء . وقال في رجة هذه السنة : وفيها ولي أمرة دمشق الحسن بن عبيد الله بن طنج الاخشيدى فاقام شهرا ورحل في شعبان واستتاب بها شمون الكافورى ثم سار الى الرملة فالتقى البيديين في ذى الحجة بالرملة فانهزم جيشه وأخذ أسيرا وحمل الى المغرب الي المعز . وأما ابن سيف الدولة فان جند حلب عصوه فجاء من مباحق رقين ونازل حلب وبقى القتال عليها مدة . واستولي على انطاكية الرعيلى رجل شاطر فجاءت الروم فنزلوا على انطاكية وأخذوها في ليلته وهرب الرعيلى من باب البحر هو وخمسة آلاف انسان فنجوا الى الشام وكان أخذها في ذى الحجة وأسر أهلها وقتل جماعة من أكارها

(١) التلجئة هي أن ياجيء الضيف ضيفه الى قوي ليحامي عليها قاله صاحب

مفاتيح العلوم

وخاض معه في إيقاع حيلة على سبكتكين الحاجب وقيل انه واطأ بعض
الديلم على الفتك به اذا حضر الدار ليتسع بامواله ونعمته . وعزم على قتله
الجيش والتسمية ^(٣٢٧) بالاسفهلار فبلغ ذلك سبكتكين وامتنع ان يلقي
بختيار او يدخل داره الا في الاحايين البعيدة على تحرز واستظهار . وثقل
أمر شیرزاد على الجند لان بختيار كان عودهم الا يردم عن شيء . يلمسونه
من واجب ومحال وقيل وكثير فمنعه شیرزاد من ذلك وناصبه الكتاب
أيضا العداوة للخوف من شره وانقباض أيديهم عن يلنجي اليه وكثر الدعاء
عليه من أفناء الناس . واجتمع الاتراك على عداوته وصاروا ينسبون كل حال
يكرهونها وينكرونها اليه وأخذ الوزير أبو الفضل يتحرز منه لما فسد بينه
وبينه ويستميل الاتراك ويوسع عليهم فمشی بعضهم الى بعض وتوافقوا على
الفتك به ثم رأوا ان يستأذوا سبكتكين الحاجب فقصده جماعة لذلك . ونمی
الخبر الى بختيار فتقدم اليه بالمصير الى سبكتكين واستصلاحه وطرح النفس
عليه ومسلته كف القوم وضم اليه الوزير أبا الفضل ليعاونه وبينهما اذ ذاك
مناققة لم ينهت سترها فقصدا سبكتكين ووجدا طائفة كثيرة من الاتراك
عنده يستأمرونه في قتل شیرزاد فلم يأذن لهم ولكن أمرهم بتخويفه حتى
يهرب والا يقرآود بالحضرة فامسكوا عن قتله ^(٣٢٨) بعد ان هموا به .
وكان يجري أمره مجرى صالح بن وصيف بسر من رأى أيام المهتدي بالله ^(١)
فلما وصل شیرزاد وأبو الفضل الوزير اليه وخاطباه وتضرعا اليه
صدقهما عن الصورة واعلمهما انه لولا خطره على الاتراك لقتل شیرزاد ولما
تركوه ان يصل اليه وأشار عليه بالرحيل من ساعته الى حيث شاء . فخرج

وهو يائس من صلاح حاله وخائف على مهجته فصادف الاتراك مجتمعين في دار سبكتكين يمجون في أمره ويتوعدونه وينظون له ويشتمونه فانسرع الخروج الى حضرة بختيار وعرفه ما جرى ثم التفت الى الوزير فاسمعه غليظ ما يكره وقال له : هذا من عملك وتديرك . خلف له بالطلاق على براءته مما ظنه به فأجابه بيمين الطلاق انه كاذب في جموده .

ثم خلا بختيار بشيرزاد فخره شيرزاد من الوزير أبي الفضل وعقد معه عهداً وعهد اليه عهداً في صرفه عن الوزارة والقبض عليه واستصفاء نعمته ونتم أسبابه ووافقه على ان يحرس عليه بعد خروجه داره وأهله وولده وضياعه وان يوقع عليه اسم ابنه سلار بن بختيار لتنجسم عنها اطماع الديلم والجند الى ان يستصلح نيات الاتراك ونيات سائر العسكر ^(٣٢٩) ثم يعود الى حاله ويجري على رسمه في الخدمة وانحدر في الوقت الى الاهواز ثم صار منها الى ارجان وبها يومئذ الاستاذ الرئيس أبو الفضل ابن العميد . وكان حاجبه روين قريباً لشيرزاد وكان قد توفي ففجع به جداً ووجد به وجداً شديداً فلما وصل اليه شيرزاد رأي فيه شها منه وتخيل فيه شمائله فعمط عليه وتحفّى له وأكرمه وحمل اليه مالا وكسوة وكتب له الى ركن الدولة كتباً مؤكدة ووعدته بتوسط أمره وأشار عليه ان يخرج الى حضرة ركن الدولة بكتبه ويقيم بيابه الى ان يرد بنفسه فيتوسط أمره فاتفق ان يخرج الى الري وتوفي بها .

وكان من سوء ملكة بختيار وقلة وفائه انه تانى يوم خروجه قبض اقطاعه وضياعه وأملاكه وجواريه ودوره ونكب كاتبه وأسبابه واستنار أمواله وودائعهم ونقل ابنه سلار الى داره وسلم اليه اقطاعه لا على الاصل

الذي قرره معه شيرزاد بل على ان يصير له ذلك خاصة يتوفر عليه . وحكى
أيضا ان نفي شيرزاد كان في سنة ٣٥٩ ثم انه بعد شهرين من نفي شيرزاد
قبض على وزيره أبي الفضل العباس بن الحسين وكتبه وأسبابه واستصفى
اموالهم وقلد الوزارة^(٣٣٠) ابا الفرج محمد بن العباس وقلد الدواوين أبا قرّة
الحسين بن محمد القنّائي .

﴿ ودخلت سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ﴾

﴿ ذكر السبب في القبض عليه ﴾

كان أبو الفضل الوزير استخدم أبا قرّة وهو رجل من دير قنّى حسن
الذكاء قد نشأ بين كتاب واسط وعمّالها وتخرّج معهم واختص باحمد
ابن على القنّائي فتمهر ولم يزل يتدرّج في التصرف حتى تقلد واسط رئاسة
من قبل السلطان فاقتى أموالا جليّة وصارت له نعمة ضخمة وكان شديد
الجرأة على السلطان يقدم على أمواله اقداما لا يقدم عليها غيره هذا مع اعتداء
الى وجوه الحيل عليه ومعرفة بوجوه الارتفاق والارفاق فانه كان يرفق
الوزراء والعمال باليسير ويتوصل به الى الارتفاق الكثير . فاضطر أبو
الفضل في وزارته لبختيار عند الحاجة والاضافة الى معاملته وكان يشتري منه
غلات القضم بالتمن الزائد ويحتسب له بالمال غلات ضمانه يسعها في وقت
البيدر فربما قام عليه السكر بثلاثة اكرار هذا الى أمثال ذلك في معاملات
الخطّة وغيرها وعظمت نعمته وتمكن من رعيته بواسطة فانبسطت يده
عليهم^(٣٣١) فتأول عليهم وقوى باموالهم . وكان الواحد منهم اذا تظلم منه لم
ينصف وردّ اليه أمره فيسطط المكروه عليه فصارت رعيته تشكره على
طريق الخوف منه .

ولما غاب أبو الفضل الوزير الى الموصل أيام معز الدولة . صكته واستخلفه ببغداد ووصل بينه وبين شیرزاد كاتب الفارسية ليعزه ويمنع منه مراغمة أبي الفرج محمد بن العباس . فكان أبو قرّة يُهدى الى شیرزاد ويلاطفه ويكثر وجوه المرافق والمباراة له لئلا يمنع من الاستيفاء عليه وتأكدت الحال بينهما حتى انقطع اليه ولم يتمكن أحد من الرجلين منه أغنى أبا الفرج وأبا الفضل وكانا يومئذ كاتبين لا يتسمى أحد منهما بالوزارة طول أيام معز الدولة . وكان أبو قرّة يرفع حسابه على ما يريد ولا يتمكن أحد من الكتاب ان يستوفيها عليه فيقرر باكثر ارتفاع ضمانه سوى الأرباح التي ذكرناها وسوي ما يستغله من أملاكه وسوي ما يستخرجه من المصادر والمصانع . وكان شیرزاد يطالب الوزير أبا الفضل بما كان وافقه عليه اذا تم له الوزارة وكان أبو الفضل يعتدّ عليه بما يصل اليه من جهة أبي قرّة وقال له : هذا الرجل عالمي وانما ضمته اليك لينوب عني ^(٣٣٢) عند غيبتى عن مدينة السلام وقد حصل لك من جهته ما ينبغي ان احتسب به عليك وتعتدّ له . ويستجيبه شیرزاد بأنه لا يحتسب له الا بما يصل اليه من صلب ماله وخاص اقطاعه وارتفاقاته ولم يزل ذلك يتردد بينهما حتى استوحش كل واحد من صاحبه واستوحش أبو قرّة أيضا واختص زيادة اختصاص بشيرزاد . فطمع في المنازل العالية لما يرجع اليه من الكفاية في نفسه ثم للحال المتأثرة والديمار العظيم واضطر الوزير الى مغالطته عن نفسه وايناسه والاستعانة به على شیرزاد وهو كان سبب اتصاله به . فلما تم على شیرزاد ماتم من النفي هم الوزير بالقبض عليه ثم أمهله ودبر أمره على ان تدرك غلاته وخشى في الحال ان مدّ يده اليه ان تنقطع مادة ما كان يقيمه من قضيم

السكرع ووافق بختيار على انه يستخرج منه عند حضور الوقت مائتي ألف دينار.

وكان بختيار لا يضبط لسانه ولا يكتم شيئاً من اسرار نفسه ولو فيما جرى عليه ذهاب النفس والملك فاخرج حديثه وسره فبلغ أبا قرّة ما جرى وكان يخشى عداوة أبي الفرج فصار يخشى عداوة الوزير ولم يكن له وزر^(١) غير شیرزاد^(٢) وكان قد نفى فاضطرب واحتال حتى توصل الى سبكتكين الحاجب وبذل له على يد أبي بكر الاصبغاني صاحبه وثقته ذلك المال الذي كان يرتفق به شیرزاد بن سرخاب فنصره سبكتكين نصرة زادت على نصرة شیرزاد فصار في ظل أحسن من الظل الاول وتمذر على الوزير ان يلاً عينه منه فضلاً (عن) أن يمده يده اليه . فحينئذ اجتمعت على أبي الفضل الوزير أمور منها الاضاعة وانقباض يده عن استيفاء الحقوق ومنها مطالبة بختيار له بالقرض^(٣) التي كان اقترضها ولم يتسع لردّها عليه ومنها عداوة سبكتكين له وخوفه من حيله ومكايده ومنها حسده له على ظاهره حاله وما جمع من الغلمان والحجاب والمروءة الظاهرة ومنها استمالته وجوه الاتراك ومكائده اياه في الاحسان اليهم ومنها عداوة بختكين آذرويه وكتبه سهل ابن بشر اياه لقصده اياها بالاهواز واستقصائه عليهما ومصادرتة اياها ومنها عداوة صاحب الديوان أبي الفرج وأخيه على بن العباس على قديم الايام ومنها انقلاب أبي قرّة عايه للاسباب التي ذكرناها نفلاً من كل صديق

(١) يعني ملجأ ومن ايات اليتيمة (٤ : ٣٣٢)

شر السباع العوادي دونه وزر والناس شرهم ما دونه وزر

(٢) لعله القروض

ومعين واصطلحت هذه الطائفة عليه . ثم اضطر ^(٣٣٤) أبو الفرج محمد بن العباس الى مصادقة أبي قرّة ليتعاقد على أبي الفضل لا لمودة حقيقة فاتفقا على ان يخاطبا سبكتين الحاجب في مراسلة بختيار وموافقته على القبض على أبي الفضل وضمنه أبو الفرج محمد بن العباس تسعة آلاف الف درهم يستخرجها منه ومن خلفائه وكتبابه وجميع المتصلين به على ان يتقلد الوزارة ويتقلد أبو قرّة الديوان ففعل ذلك وقبض على أبي الفضل كما سبق اقول فيه . فلم يلبث محمد بن العباس أبو الفرج في وزارته الا يسيرا حتى اضطربت أموره ولم يف بما ضمنه لبختيار وتمكن أبو قرّة من السعي عليه وردّ أبي الفضل الى وزارته وضمن لبختيار تصحيح سبعة آلاف الف من جهته بضمان سبكتين عنه

﴿ شرح الحال في ذلك وسبب تمكن أبي الفضل بعد نكبه ﴾

(حتي أعيد الى الوزارة ومكن من أبي الفرج)

لما خلع على أبي الفرج الخلع التي تخلع على الوزراء ومكن من أبي الفضل وسلم اليه مع جميع أسبابه والمتصلين به اتسع بما راج له من جهاتهم وحبس أبا الفضل في داره وضيق عليه وبحث عن أمواله وأموال أهله وحرمه بغاية ما أمكنه فلما وقف عليه الامير طالبه بالمال وناظره فاستقر ما بينهما على ان النزم ثلاثة آلاف الف درهم يحتسب منها ^(٣٣٥) بما صح من خاص أمواله وأثمان غلانه وآلاته وكراعه ويوفي ما يتي واشترط أن يوسع عليه ويسهل الاذن لمن يدخل اليه ليستسعفهم ويقرض منهم . فأحجم أبو الفرج محمد ابن العباس عن التنفيس عنه خوفا من تفاذ حيلته عليه وأعادته الى الحبس والتضييق وانفسخ ما قرره معه وعطف على أسبابه ففتي المصادرات عليهم

وعسفهم وأرهقهم وجازفهم ومات في حبسه صهر لابي الفضيل العباس بن الحسين يقال له ابراهيم بن محمد الدهكى فاتهم به وانه قتله بالمذاب والمطالبة . وخلع على أبي قرة لتقلد الديوان بعد ان أرفق بختيار بمال على ذلك وأقرت واسط في يده فصار ضامنا لها خاصة مستوفيا على غيره من الضمماء وتلقب بالرئيس لان أبا الفرج كان أيام تقلده الديوان متلقبا بهذا اللقب فانكر أبو الفرج ذلك على أبي قرة وأمر الناس أن يخاطبوه بالوزير الرئيس تحصينا لهذا اللقب عن أبي قرة

﴿ ذكر فساد الحال بين الوزير وبين أبي قرة وماتم له من ﴾

(عزله وتولية أبي الفضل)

وابتدا أبو قرة يطالب بجميع مراتب أبي الفرج التي كانت له قبل الوزارة وزعم انها من ^(٢٣٦) حقوق صاحب الديوان ويجب أن يستوفيهها فاضطربت الحال بينه وبين الوزير أبي الفرج ولم يزل يتزيد حتى ترامت الى نهاية الفساد وضمن أبو قرة عن هذا اللقب مالا ثانيا حتى أمضى له وخرج الامر بان يخاطب به . وكان معز الدولة اطلق لابي الفرج وأبي الفضل عند اخراجه اياهما الى جهتي عمان والبطيحة للحرب عليهما أن يضربا على أبوابهما بالدبابد في أسفارهما عند حضور أوقات الصلوات فصار ذلك رسما لهما استمرا عليه ولم يقطعاه عند انصرافهما من وجهه الحرب فلما تقلد أبو قرة الديوان أجراه مجرى حقوق العمل التي تستوفى واحب أن يضرب على بابه بالدبابد فسأل بختيار ذلك فأجابه اليه ومنعه أبو الفرج الوزير منه وأنكر ثم بذل فيه أبو قرة مالا فخرج أمر بختيار بان يطلق له ذلك . ثم خرج الوزير أبو الفرج وأبو قرة في التنافس الى أبعد غاية وفي العداوة الى أقصى نهاية وكان

صاحبهما لاهيا عنهما واتصلت المنازعة بينهما في أمثال هذه الاشياء ولم تحفظ مرتبة الوزارة وفضلها على غيرها حتى لم تتميز من سواها

فتقدم الوزير أبو الفرج الى كتابه بعمل لابي قرة ومؤامرة تشتمل على ما يجب عليه في مردود حساباته التي عملها في سنى ضمانه واثارة جميع ما غبن فيه السلطان ومرافقه القديمة ^(٣٣٧) والحديثة فعملت هذه المؤامرة واشتملت على ستة آلاف الف درهم ونسبت هذه الاموال الى جهاتها وعرضت على بختيار وأطمع في وجوبها وأن حاله تقي بها فامر بمطالبته . واعتصم بسبكتكين الحاجب فحامي عليه واغتاظ بختيار من تعززه عليه ووجد خصومه الطريق الي اغرائه به وأقلموا في نفسه أنه سيحمل سبكتكين على خلع طاعته وازالته عن مملكته فانفذ بختيار اليه نقييا ووكله به في دار سبكتكين ثم أئذ ثانيا يستدعيه وضعف سبكتكين عن مقاومة صاحبه بختيار ومنابدته وكان شاع عنه انه انما يحامي على أبي قرة لمرفق يأخذه منه فترك الاغراق في نصرته وسلمه الي بختيار على موجدة في نفسه وحمية في قلبه ووعد أبا قرة انه سيتكلم فيه ويستنقذه . فلما صار عند بختيار سلمه الي الوزير أبي الفرج وأمره باستخراج المال فضعف الوزير عن منابذة سبكتكين فيه ولم يقدم على عسفه ولم يسكن الي اطلاقه فحصل معتقلا اعتقالا جميلا ووقفت الامور التي كان ينظر فيها من اقامة القضيض للكراع ومهمات التسييبات عليه . وندم سبكتكين على تقليد أبي الفرج الوزارة ومساعدته على نكبة أبي الفضل وتذكر ما كان يعامله به من المجاملة والنفاق ورأي ^(٣٣٨) انه على علاته كان أصلح له من أبي الفرج وضعف قلب أبي الفرج بفساد رأيه .

وكان أخوه أبو محمد على بن العباس الخازن مستوليا على بختيار مالكا لقياده لا يفارق مجلسه عند الانس والمنادمة فاشفق أن يجري عليه من سبكتكين ما جرى على شيرزاد منه فاتفقا على إرضاء سبكتكين باطلاق أبي قرة وتقرير أمره على مال قليل لا يؤثر في حاله وان يصير الى واسط على رسمه الاول ويعتزل الديوان فلما أفرج عنه أقام القضيـم ونفذ الامور المتعلقة به وانحدر الى واسط بعد أن واطأ سبكتكين على السعي لابي الفضل في الوزارة وانفاذه من محبسه والقبض على أبي الفرج وأبي محمد على بن العباس وأسبابهما وقد كان الوزير أبو الفرج عطل ديوان أبي قرة ونقل الاعمال عنه واستبد بمكاتبه العمال وكان له كاتب اهوازي يعرف بابن السكر قد اتسمت حاله فشرع في تقلد هذا الديوان وبذل لبختيار مالا يصححه له في كل سنة من حقوق المحاسبات وأعلمه أن هذا الديوان زمام له على الوزراء وأن الوزير الآن مستبد بالجميع وفي ذلك ضياع الدخل والخرج وفساد الاصل والفرع . واتصل الخبر بأبي الفرج فغلظ عليه وعظم في نفسه وراسل بختيار بأنه لا يصبر^(٣٣١) على أن يتقلد كاتبه هذا الديوان على مراغمته فاجابه بأنه لا بد من صاحب ديوان يكون معه « فاختر أنت من تحب » فهان عليه رد أبي قرة الى نفسه وكان أخفّ على قلبه وأيسر محملا من نظر ابن السكر فيه فكتب بالاصعاد فوررد وجددت له الخلع وقلد الديوان . وكانت المراسلات بينه وبين أبي الفضل متصلة وذلك ان أبا الفضل كان واسع الصدر فافضل على الموكلين به . من غلمان الوزير أبي الفرج ووسع عليهم وأكثـر في برهم والاحسان اليهم فلم يمنعه من مكاتبته من يريد مكاتبته وواصلوا اليه كتب من كاتبه فاحتال ضروب الحيل وتم له أكثر ما حاوله فلما ورد أبو قرة

بعداد تمكن من اتمام أمره والسعى له .

واشتدت الاضاقة بابي الفرج ووقفت عليه أموره ومطالبه لان واسط انفلقت عليه بابي قره والبصرة والاهواز اتفلقتا عليه بالآراك الذين استبدوا باموالهما في تسيبائهم ولم ينهض بما ضمنه عن أبى الفضل لانه اقتصر على أخذ ظاهره وخاف أن يطلقه ليضطرب فيحتال عليه ويسعى في الوزارة (وهو لا يعلم انه قد سعى وفرغ) واجتمعت عليه مطالبات كثيرة وصارت حاله في انحراف بختيار عنه وعداوة سبكتكين الحاجب له ^(٣٤٠) ولاخيه وتعصب الجند عليهما كحال أبى الفضل لما قبض عليه

﴿ ذكر ما احتال به في هذه الحال وما عرض له ﴾

﴿ من سوء الاتفاق ﴾

لما أحس باضطراب أمره خاف أن يعاجله بختيار بالقبض عليه فأجال على أموال وقفت عليه بالاهواز وانه يريد الشخصوص اليها فنه بختيار من الخروج الابد اقامة الوجوه للنفقات التي بحضرته لثلاث توجهه عليه المطالبات بعد خروجه ويقع اخلال بالاقامات فاحتاج أن يستخلف أخاه بحضرته حتي ضمن له ذلك . ووافق على وجوه ظن انها راجية وأضاف اليه ابن اخته المعروف بابي القاسم على بن الحسين المشرف على أنه ناظر في الدواوين والحسابات وشخص الي واسط . وشخص أبو قره على أثره بعد أن قرر أمر أبى الفضل وفرغ منه ولكن تعلق طمع بختيار بالمواعيد التي وعده بها أبو الفرج والضمانات التي ضمنها أخوه فلما حصل بواسط ضايقه أبو قره في الأمور وعارضه في التدبير وكان مستوليا على البلد بالضمان ثم على سائر الأعمال بحق النظر في الديوان ثم بالعناية التي كانت له من سبكتكين فخفف

الوزير أبو الفرج المقام بواسط وبرز عنها يريد الاهواز . فحدث عند تديره وعمله^(٣٤١) على المسير ان توفي رجل كان متغلبا على أسافل واسط وهي أعمال نهر الصلة ونهر الفضل وكان يعرف هذا الرجل باحمد بن خاقان وهو جار محمد بن عمران بن شاهين واستولى على هذه النواحي وكان يقاطع عنها السلطان كما يريد ولا يمكن الاستيفاء عليه وله حال قوية ونعمة عظيمة فقدر محمد بن العباس الوزير ان يصل الي أمواله فانتقل الى هذا الوجه وسبقه ابن له يقال له خاقان فاحتمل غلات أبيه وأمواله ودخل الى مضائق البطيحة . ووجد أبو قره فرصته فاخذ في مراسلته وتقويته وتشجيعه واعلمه انه معه وعونه ثم عمل اعمالا أوجب بها لنفسه بحق الضمان الذي له في واسط . على هذا المتوفي شيئا كثيرا من الغلة والمال ثم قال للوزير أبي الفرج محمد بن العباس انه لا حق له في شيء مما يصل اليه من أموال هذا المتوفي الا بعد ان يستوفي منه هذه البقايا أو يحتسب بها له من مال ضمانه . فسار الوزير أبو الفرج الى بلاد لم يجد فيها شيئا ولو وجده لنازعه فيه أبو قره وحصل منازل خاقان بحيث لا يمكنه الدخول اليه ولم يصادف في تلك الأعمال انسانا يكلمه ولا حبة من غلة ولا أترأ من مال فجنى الى مراسلة خاقان والتماس مصالحته فامتنع عليه ونازله أياما كثيرة حتى مل^(٣٤٢) وساءت حاله وحال من معه وانقطعت عنهم المواد فاضطر الى الرحيل ورضى بمال يسير لم يتمكن من استيفائه وحصل من هذا اليسير شيء يسير ووقعت المنازعة فيه بينه وبين أبي قره حتى اتفقا على اقتسامه وبادر بالخروج الى الاهواز .

وكاتب أبو قره بمختيار يعلله انه ليس له وجه درهم واحد وانه خرج « مستروحا الى البعد عنك لتدفع عنه النكبة التي خافها من جهتك » وكتب

الى بختكين آزاد رويه يحذره منه فكتب بختكين الى بختيار بانه لم يبق عليه شيء وان تسبيبات الاتراك وانزالهم تستغرق الواجب وزيادة كثيرة وان محمد بن العباس الوزير انما يصير الي أعماله ليتأول عليه بالمحالات ويعمل له المؤامرات ويمد يده الى أموال السنة المقبلة . ووافق ذلك ان أخاه أبا محمد على بن العباس الخازن صحح البعض من تلك الوجوه التي أقيمت بالحضرة ووقف عليه الباقي لضعف يده واسكثرة الاراجيف باخيه وبه وبان بختيار قد تمت الموافقة بينه وبين أبي الفضل على اعادته الى الوزارة وأخذ خطه في أبي الفرج وأبي محمد أخيه وأسبابهما بسبعة آلاف الف درهم وانه يطلق الاستحقاقات ويدبر النفقات . فكتب بختيار الى بختكين بالقبض على أبي الفرج ومن معه في يوم وصولهم ^(٣٤٣) الى الاهواز وكتب الى أبي قرة بمثل ذلك وبالاحتياط عليهم حتى لا يفوت أحد منهم وقبض بختيار على أبي محمد الخازن أخيه وكان جالسا معه يشرب على رسم كان له في منادته وأطلق أبو الفضل العباس بن الحسين من محبسه وكان في دار أبي الفرج وخلع عليه للوزارة ^(١)

(١) قال صاحب التكملة . فلما ابو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي فولده بشيراز سنة ٣٠٣ وورد مع معز الدولة بغداد وناب عن المهلبى وصاهره على بنته زينة وكان ذلك سبب تقدمه ثم فسد ما بينهما . وكان واسع المروءة والصدر وداره على الصراة ودجلة وهى التى كانت بستانا لقيب النقيب الكامل وانتقلت الى الفضلوى وافق عليها ابو الفضل زائدا على مائة الف دينار ثم احترقت فامر عضد الدولة ببسطها بستانا . وعمل دعوة لمز الدلة وجعل فى وسط السباط قصرا من السكر فيها مخايت واغانى يغنون ويرقصون ولا يشاهدون وقطع دجلة من فوق الجسر الى دار الخلافة بالقولوس الغلاظ وطرح الورى فيها حتى ملأها وغطا دجلة . ولم تنزل بغداد قيان حتى احضرها وذلك فى سنة ٣٥٤ فلما كان فى سنة ٥٥ قال له معز الدولة : يا ابا الفضل تلك الدعوة فريدة

وفي هذه السنة خرج الاستاذ الرئيس أبو الفصل ابن العيد الى الجبل
في خيل عظيمة لتدبير أمرها وتقرير أمر حسنويه بن الحسين الكردي

﴿ ذكر السبب في ذلك ^(١) ﴾

كان حسنويه بن الحسين الكردي قد قوى واستفحل أمره لما وقع
من الشغل عنه بالفتوح الكبار ولانه كان اذا وقع حرب بين الخراسانية
وبين ركن الدولة أظهر عصبية الديلم وصار في جملتهم وخدم خدمة يستحق
بها الاحسان الا أنه مع ما أقطع وأغضى عنه من الاعمال التي يتسط فيها
والاضافات التي يستولي عليها ربما تعرض لاطراف الجبل وطالب أصحاب
الضياع وأرباب النعم بالخفارة والرسوم التي يبدعها فيضطر الناس الى اجابته
ولا يناقشه السلطان فكان يزيد أمره على الايام وتتشاغل الولاة عنه الى أن
وقع بينه وبين سهلان بن مسافر خلاف ومشاحة تلاحا فيها الى ان قصده
ابن مسافر بالحرب ^(٢٤٤) فهزمه حسنويه وكان يظن ابن مسافر انه لا يكشفه
ولا يبلغ الحرب بينهما الى ما بلغت اليه فلم تقف الحرب حيث ظن وانتهى

بلا اخت . فقال : بل هي في كل سنة . وعمل دعوة اتفق فيها الف الف درهم
ووهب فيها جوارى وغلمانا وآراكا وضياعات واستعد بعد عملها عند الشوائين الف حمل
مشوي وحمل الى ابي الفضل اصحابه ما امكنهم من الهدايا

واما ابو الفرج محمد بن العباس بن فسانجس فوله بشيراز سنة ٣٠٣ وورد مع معز
الدولة في ذي الحجة سنة ٢٣٨ وابوه من اصحاب النعم الوافرة بفارس صادرة عماد الدولة
على سبائة الف دينار وقال : اني كسبت معه خمسين الف درهم . وجاء مع معز الدولة
الى بغداد وولاه الزمام على المهلبى وتوفي سنة ٣٤٢ وتكفل المهلبى بامر ابنه حتى رد
اليه الديوان

(١) روي هذه الحكاية ياقوت الحموي في كتابه ارشاد الاربيب (٥ : ٣٦٨) عن

ابي على مسكويه

الامر بينهما الى ان اجتمع الديلم وأصحاب السلطان بمد الهزيمة الى موضع شبيه بالحصار ونزل الاكراد حوالهم ومنعهم من الميرة وتفرقوا بازاءهم . ثم زاد الامر وبلغ الى أن أمر حسنويه الاكراد ان يحمل كل فارس منهم على رأس رحه ما أطلق من الشوك والعرفج ويقرب من معسكر سهلان ما استطاع ويطرحة هناك ففعلوا ذلك وهم لا يدرون ما يريد بذلك فلما اجتمع حول عسكر سهلان شيء كثير في أيام كثيرة تقدم بطرح النار فيه من عدة مواضع فالتهب وكان الوقت صيفا وحيت الشمس عليهم مع حر النهار فاخذ بكظمهم واشرفوا على التلف فصاحوا وطلبوا الامان ففرق بهم وأمسك عما هم به . وبلغ ذلك ركن الدولة فلم يحتمل هذا كله له وتقدم الى وزيره أبي الفضل محمد بن الحسين العميد وهو الاستاذ الرئيس بقصده واستئصال شاقته وأمره بالاستقصاء والمبالغة . فانتخب الاستاذ الرئيس الرجال وخرج في عدة وزينة وخرج ركن الدولة مشيعاً له وخلع على القواد ووقف حتي اجتاز به العسكر قائد بعد قائد وكوكبة بعد كوكبة ورضى العدة والقوة^(٣٤٥) فودع حينئذ الوزير ابن العميد وعاد الى الري .

وسار الوزير ومعه ابنه أبو الفتح وكان شاباً قد خلف أباه بمحضرة ركن الدولة وعرف تدير المملكة وسياسة الجند فهو بذكائه وحدة ذهنه وسرعة حركته قد نفق نفاقاً شديداً على ركن الدولة وهو مع ذلك لقلّة حنكته ونزق شبابه وتهوره في الامور يقدم على ما لا يقدم عليه أبوه ويجب ان يسير في خواص الديلم ويمشون بين يديه ويختلط بهم اختلاط من يستميل بقلوبهم ويخلع عليهم خلماً كثيرة ويحمل رؤساءهم وقوادهم على الخيول المرّة بالمراكب الثقيل ويريد بجميع ذلك ان يسلموا له الرئاسة حتي لا يأنف

أحد من تقبيل الأرض بين يديه والمشي قدماه اذا ركب وكان جميع ذلك مما لا يؤثره الاستاذ الرئيس ولا يرضاه لسيرته وكان يعظه وينهاه عن هذه السيرة ويعلمه ان ذلك لو كان مما يترخص فيه لكان هو بنفسه قد سبق اليه .

ولقد سمعته في كثير من خلواته يشرح له صورة الديلم في الحسد والجشع وانه ما ملئكم أحد قط الا بترك الزينة وبذل مالا ييطرهم ولا يخرجهم الى التجاسد ولا يتكبر عليهم ولا يكون الا في مرتبة أوسطهم حالا وان من دعاهم واحتشد لهم وحمل على حالة فوق طاقته لم يمنعهم ذلك من حسده على نعمته ^(٢٤٦) والسعي على ازالتها وترقب أوقات الغرة في آمن ما يكون الانسان على نفسه منهم فيفتكون به ذلك الوقت . وكان يورد عليه مثل هذا الكلام حتى يظن انه قد ملأ قلبه رعبا وانه سيكف عن السيرة التي شرع فيها فما هو الا ان يفارق مجلسه ذاك حتى يعاود سيرته تلك فاشفق الاستاذ الرئيس في سفرته هذه ان يتركه بحضرة صاحبه فيلج في هذه الاخلاق ويفتر بما يراه من احتمال ركن الدولة حتى ينتهي الى ما لا يتلافاه فسيده معه واستخلف بحضرة ركن الدولة أبا علي محمد بن أحمد المعروف بابن البيع وكان فاضلا أدبيا ركيذا حسن الصورة مقبول الجملة حسن المنخر خلقا وأدبا .

فلما كان في بعض الطريق وكان يركب العماريات ولا يستقل على ظهور الدواب لا فراط علة النقرس وغيرها عليه النفث حوله فلم ير في موكبه احدا وسأل عن الخبر فلم يجد حاجبا يخبره ولا من جرت العادة بمسايرته غيري فسألني عن الخبر فقلت له : ان الجماعة باسره مالت مع أبي الفتح الى الصيد فامسك حتى نزل في معسكره ثم سأل عن جرت العادة باستدعائه للطعام

وكان يحضره كل يوم عشرة من القواد على مائدته التي تخصه وعدة من القواد على أطباق توضع لهم وذلك على نوبة معروفة يسعى فيها نقباؤهم فلما كان في ذلك اليوم^(٣٤٧) لم يحضره أحد واستقصي في السؤال ف قيل « ان أبا الفتح أضافهم في الصحراء ، فاشتط من ذلك وساءه ان يجري مثل هذا ولا يستأذن فيه . وقد كان أنكر خلوة موكبه وهو في وجه حرب ولم يأمن ان يستمر هذا التشتت من المعسكر فتم عليه حيله فدعا كبر حجابيه ووصاه بان يحجب عنه ابنه أبا الفتح وان يوصى النقباء بمنع الديلم من مسابرة ومخالطته وظن ان هذا المبالغ من الانكار سيفض منه وينهى العسكر من اتباعه على هواه فلم يؤثر كلامه هذا كبير أثر . وعاد الفتى الى عادته واتبعه العسكر ومالوا معه الى اللعب والصيد والاكل والشرب وكان لا يخليهم من الخلع والالطاف فشق ذلك على الاستاذ الرئيس جدا ولم يحب ان يخرج هية نفسه باظهار ما في قلبه ولا ان يبالي في الانكار وهو في مثل ذلك الوجه فيفسد عسكره ويطمع فيه عدوه فدارى أمره وتجرع غيظه وأداه ذلك الى زيادة في مرضه حتى هلك بهمذان وهو يقول في مجلس خلواته : ما يهلك آل العميد ولا يمحوا آثارهم من الارض الا هذا الصبي (يعني ابنه) ويقول في مرضه : ما قتلتني الا جرع الغيظ التي تجرعتها منه .

ومما حصلته عنه في وجهه هذا وقد سأله عن عاقبة أمر حسنويه معيه وهل الي استتصاله سبيل فقال : اما بهذه^(٣٤٨) السرعة وفي هذا الزمان فلا ولكننا سنعود عنه ونحن كما كنا وزيادة شيء ويعود حسنويه وهو كما كان ونقصان شيء ثم يدبر أمره على الايام . فلما حصل بهمذان اشتدت عطشه فتوفي بهارحمه الله واتصب ابنه أبو الفتح مكان أبيه وكان العسكر كما

ذكرت ماثلا اليه فزاد في بسطهم وتأنيسهم ووعدهم ومنامهم وبذل لهم طعامه
ومنادمته وأكثر من الخلع عليهم وراسل حسنويه وأرغبه وأرهبه وحضه
على الطاعة وأوما إلى مصالحته على مال يحمله يقوم بما أثنق على ذلك العسكر
وتتوفر بعد ذلك بقيته على خزانة السلطان ويضمن اصلاح حاله اذا فعل
[ذلك] مع ركن الدولة . وكان يشق على سهلان بن مسافر لما في نفسه من
حسنويه ولانه يجب الانتقام منه ويكره ان ينصرف مثل ذلك العسكر عنه
ولم يؤثر في أمره أثر ايسمع به وليه وعدوه الا ان أبا الفتح كان يرى ان
مقاربة حسنويه والعود الى صاحبه يبابه لم يثلم عسكره ولا خاطر بهم وان
يلحق مكانه من الوزارة قبل ان يطمع فيه [غيره] أولى وأشبه بالصواب
(وقد كان أبو علي محمد بن أحمد خليفة أبيه قد تمكن من ركن الدولة وقبل
ذلك ما عرفه بالكفاية والساد) فسفر المتوسطون بينه وبين حسنويه الى
ان تقرر أمره على خمسين^(١) ألف دينار ينكسر بعضها وجبي كورة الجبل
وجمع من الدواب والبغال وسائر التحف ما بلغ مقداره مائة ألف دينار
ووردت عليه كتب ركن الدولة بما قوى نفسه وشد منته وأحمد جميع
ما كان دبره وأمر بالعود الى الحضرة بالرى

وكانت وفاة الاستاذ الرئيس بهمدان في صفر ليلة الخميس السادس منه
سنة ستين وثلثمائة فقُمد به الفضل اجمع وعدمت المحاسن التي ما اجتمعت
لغيره في الاسلام^(١)

(١) قال صاحب التكملة : قال ابن الصابي : قيل ان لما تلقى به ابن العميد على ركن
الدولة ان ركن الدولة أراد أن يحدث بناء بالرى واختار له موضعا وكانت فيه شجرة
فات استدارة عظيمة وعروق نازلة متشعبة فقد رلفلها واخراج عروقها جملة كثيرة ولم

﴿ ذكر جملة من فضائل أبي الفضل ابن العميد وسيرته ﴾

كان هذا الرجل قد أدى من الفضائل والحاسن ما بهر به أهل زمانه حتى أذعن له العدو وسلم الحسود ولم يزاحمه أحد في المعاني التي اجتمعت له وصار كالشمس التي لا تخفى على أحد وكالبحر الذي يتحدث عنه بلا حرج ولم أر أحدا قط زادت مشاهدته على الخبر عنه غيره . فمن ذلك انه كان أكتب أهل عصره وأجمعهم لآلات الكتابة حفظا للغة والغريب وتوسعا في النحو والعروض واهتداء الى الاشتقاق والاستعارات وحفظا للدواوين من شعراء الجاهلية والاسلام . ولقد حدثني أبو الحسن علي بن القاسم رحمه الله قال : كنت أروى أبي أبا القاسم القصائد الغريبة من دواوين القدماء لان الأستاذ الرئيس كان ^(٣٥٠) يستنشده اذا رآه وكان لا يخلو اذا انشده من رد عليه في تصحيف أو لحن مما يذهب علينا فكان ذلك يشق عليّ وأحب ان تصح له قصيدة لا يعرفها الأستاذ الرئيس أو لا يرد عليه فيها شيئا فأعاني ذلك حتى وقع الى ديوان الكميت وهو مكثر جدا فاخترت له ثلاث

يقع في نفسه أنها تستأصل استئصالا قاطنا فقال ابن العميد : أنا أ كفي الأمير هذه الكلفة وأقطع هذه الشجرة بعروقها بأهون شيء وفي أقرب امد وأقل عدد . فاستبعد ذلك ركن الدولة وقال من طريق الأزرار : افعل . فاستدعاجبالا واوتادا وسلك هذا المسلك المعروف في جر الثقل فلما رتب ما رتب ونصب ما نصبه اقام نورا قليلا حتى مدوا ومنع ان يفد احد على جربان كثيرة من الشجرة بحسب ما قدره من وشوح اصولها ووشوح عروقها . ووقف ركن الدولة في موكنه ينظر فذراعهم الارزوع الارض وانفتاحها وانقلاب قطعة كبيرة منها وسقوط الشجرة مناسبة بجميع عروقها فوجب ركن الدولة من ذلك واستظرفه واستعظمه ونظر الى ابي الفضل بعين الجلالة . وهذا امر لا ينظم عند من يعرف الحيلة فيه والطريق المقصود إليه .

قصائد غريبة ظننت أنها ما وقعت الى الاستاذ الرئيس وحفظته اياها وتوخيت الحضور معه فلما وقع بصره عليه قال : هات أبا القاسم أنشدني شيئاً مما حفظته بعدى . فابتدأ ينشده فلما استمر في قصيدة من هذه القصائد قال له : قف فقد تركت من هذه القصيدة عدة أبيات . ثم أنشده أياها فجلت خجلة لم أخجل مثلها . ثم استزاد فأنشده القصيدة الاخرى فأسقط فيها كما أسقط في الاولى واستدركه عليه أيضا . قال : فعلمت ان الرجل بحر لا ينزف ولا يؤتى ما عنده . فهذا ما حدثني به هذا الرجل وكان أدبياً كاتباً .

وأما ما شاهدته منذ مدة صحبتي اياه وكانت سبع سنين لازمته فيها ليلاً ونهاراً انه ما أنشد شعر قط لم يحفظ ديوان صاحبه ولا غرب عليه بشعر قديم ولا محدث ممن يستحق ان يحفظ شعره ولقد سمعته ينشد دواوين قوم مجهولين أتعجب من تعاطيه حفظ مثلها حتى سأله يوماً وقلت : أيها الاستاذ كيف تفرغ^(٢٥١) زمانك لحفظ شعر هذا الرجل . فقال : وكانك تظن أنى أتكلف حفظ مثل هذا انما ينحفظ لى اذا مر بسمي مرة . وقد صدق رحمه الله فاني كنت أنشده لنفسى الابيات التى تبلغ عدتها ثلاثين وأربعين فيعيدها بعد ذلك مستحسنًا وربما سألتى عنها ويستنشدنى شيئاً منها فلا أقوم باعادة ثلاثة أبيات منتظمة على نسق حتى يذكرنيها ويعيدها . وحدثني غير مرة انه كان في حدائته يخاطر رفقاءه والادباء الذين يعاشرهم على حفظ الف بيت في يوم واحد وكان رحمه الله أثقل وزناً وأكثر قدراً من أن يزيد فقلت له : كيف كان يتأتى لك ذلك . فقال . كانت لى شريطة وهى أن يقترح على من شعر لم أسمع به الف بيت في يوم واحد يكتب

واحفظ منه عشرين عشرين وثلاثين ثلاثين أعيدها وأبرأ من عهدتها . فقلت
وما معنى البراءة عن عهدتها . قال : لا أكلف اعادتها بعد ذلك . قال :
فكنت أنشدها مرة أو مرتين وأسلمها ثم اشتغل بغيرها حتي أفرغ من
الجميع في اليوم الواحد .

وأما كتابته فمعروفة من رسائله المدونة ومن كان مترسلا لم يحف
عليه علو طبقته فيها وكذلك شعره الذي جد فيه وهزل فانه في أعلى
درجات الشعر وأرفع منازل . فأما تأويل القرآن وحفظ مشكله ومتشابهه
والمعرفة باختلاف فقهاء الامصار فكان منه في أرفع درجة ^(٢٥٢) وأعلى
رتبة ثم اذا ترك هذه العلوم وأخذ في الهندسة والتعاليم فلم يكن يدايه
فيها أحد . فأما المنطق وعلوم الفلسفة والالهيات منها خاصة فما جسر أحد
في زمانه ان يدعيها بحضرة الا أن يكون مستفيدا أو قاصدا قصد التعلم دون
المذاكرة . وقد رأيت بحضرة أبا الحسن العامري ^(١) رحمه الله وكان ورد
من خراسان وقصد بغداد وعاد وعنده انه فيلسوف تام وقد شرح كتب
أرسطاطاليس وشاخ فيها فلما اطلع على علوم الاستاذ الرئيس وعرف اتساعه
فيها وتوقد خاطره وحسن حفظه للمسطور برك بين يديه واسنانف القراءة
عليه وكان يعد نفسه في منزلة من يصلح أن يتعلم منه فقرأ عليه عدة كتب
مستغلة ففتحها عليه ودرسه اياها

وكان الاستاذ الرئيس رضي الله عنه قليل الكلام نزر الحديث الا اذا
سئل ووجد من يفهم عنه فانه حيثئذ ينشط فيسمع منه ما لا يوجد عند غيره

(١) هو محمد بن يوسف وفي ارشاد الارب (١ : ٤١١) انه توفي سنة ٣٨١

فليراجع ايضا (٣ : ١٢٤)

مع عبارة فصيحة وألفاظ متخيرة ومعان دقيقة لا يتجسس فيها ولا يتلعم .
ثم رأيت بحضرته جماعة ممن يتوسل اليه بضروب من الآداب والعلوم فما
أحد منهم كان يمتنع من تعظيمه في ذلك الفن الذي قصده به وإطلاق القول
بأنه لم ير مثله ولا ظن أنه يخلق . وكان رحمه الله لحسن عشرته وطهارته ^(٣٥٣)
أخلاقه ونزاهة نفسه إذا دخل اليه أديب أو عالم متفرد بفن سكت له
وأصغى اليه واستحسن كل ما يسمعه منه استحسنان من لا يعرف منه الا
قدر ما يفهم به ما يورد عليه حتى إذا طاوله وأتت الشهور والسنون على
محاضراته واتفق له أن يسأله عن شيء أو يجري بحضرته نبذ منه فرغ اليه
في اتسامه تدفق حينئذ بجره وجاش خاطره وبهت من كان عند نفسه انه
بارع في ذلك الفن والمعني وما أكثر من خجل عنده من المعجبين بأنفسهم
ولكن بعد أن يمد لهم في الميدان ويرخي من أعنتهم ويمسك عنهم مدة حتى
ينفذ ما عندهم ويجزل لهم العطاء عليه . فهذه كانت مرتبته في العلوم والآداب
المعروفة ثم كان يختص بفرائب من العلوم الغامضة التي لا يدعيها أحد كعلوم الحيل
التي يحتاج فيها الى أواخر علوم الهندسة والطبيعة والحركات الغريبة وجر الثقيل
ومعرفة مراكز الاثقال واخراج كثير مما امتنع على القدماء من القوة الى
الفعل وعمل آلات غريبة لفتح القلاع والحيل على الحصون وحيل في
الحروب مثل ذلك واتخاذ أسلحة عجبية وسهام تنفذ أمداً بعيداً وتؤثر آثاراً
عظيمة ومراي تحرق على مسافة بعيدة جداً ولطف كف لم يسمع بمثله
ومعرفة بدقائق علم ^(٣٥٤) التصاوير وتعاط له بديع ولقد رأيت يتناول من
مجلسه الذي يخلو فيه بثقائه وأهل أنسته التفاحة وما يجري مجراها فيعبث بها
ساعة ثم يدحرجها وعليه صورة وجهه قد خطها بظفره لو تعمد لها غيره

بالالات المدة وفي الايام الكثيرة ما استوفى دقائقها ولا تأتى له مثلها
فاذا حضر المارك وباشر الحروب فانما هو أسد في الشجاعة لا يصطلي
بناره ولا يدخل في غباره ولا يناويه قرن ولا يبارزه بطل مع نبات جأش
وحضور رأى وعلم بمواعن القرض وبصر بسياسة العساكر والجوش
ومعرفة بمكايد الحروب

فاما اضطلاع بتدبير الممالك وعمارة البلاد واستغزار الاموال فقد
دلت عليه رسائله ولا سيما رسالته الى أبى محمد ابن هندو^(١) التى يخبر فيها
باضطراب أمر فارس وسوء سياسة من تقدمه لها وما يجب ان يتلافى به حتى
تعود الى أحسن أحوالها فان هذه رسالة يتعلم منها صناعة الوزراء وكيف
تتلافى الممالك بعد تناهي فسادها وما منه من بسط العدل في ممالكه
وعمارة ما يدبره منها الا ان صاحبه ركن الدولة مع فضله على أقرانه من
الديلم كان على طريقة الجند المتغلبين بتغنم ما يتعجل له ولا يري النظر في
عواقب أمره وعواقب أمور رعيته وكان يفسح لجنده وعسكره على طريق
مداراتهم ما لا يمكن أحدا^(٢٥٥) تلافيه وردم عنه وكان مضطرا الى فعل ذلك
لانه لم يكن من أهل بيت الملك ولا كانت له بين الديلم حشمة من يمثل
جميع أمره وانما يرأس عليهم بساحة كثيرة كانت فيه ومساهمة في أشياء
لا يحتملها أمير عن أمور وهذه سيرة اذا عودها الجند لم يمكن ان يفظموا
عنها بل تزداد على الايام وتمادى حتى ينتهى الى ما انتهى اليه جند عصرنا
من تسحبهم على الملوك واقتراحهم ما لا يفي به دخل الملكة وخروجهم في
سوء الادب الى ما يخرج اليه السباع التى تضراً ولا تقبل الادب

(١) هو على بن الحسين وكنيته أبو الفرج وترجمته في ارشاد الاربيب ٥ : ١٦٨

ثم كان الاستاذ الرئيس ابن العميد رحمه الله مع هذه السيرة قد دارى جنده ورعيته وصاحبه مداراة لو ادعى له فيها المعجزة لاشتبه على قوم وذلك انه لما استوزر لركن الدولة كان تقدمه قوم عجزة وباشروا مع عجزم أموراً مضطربة وجندا متحكمين والدنيا في أيديهم يملكونها كيف شاؤوا لا ينضم أحد منها وانما أميرهم يسمى بالامرة ما دام يستجيب لهم الى اقتراحاتهم ومتى خالفهم استبدلوا به . وكان ركن الدولة وقبله عماد الدولة يوسفان عليهم في الاقطاعات ويبدلان لهم من الرغائب ما لا يبقى لهم معها حجة ولا موضع طلبه وهم مع ذلك يتحكمون ويسيطون أيديهم ويطمعون فيما لا مطمع فيه وكان قصارى الوزير والمدير ان يقيم^(٣٥٦) كل يوم وجها لنفقة الامير يومه ذلك من مصادرة العامة أو قرض من الخاصة أو حيلة على من يتهم يسار كائنا من كان وربما تعذر عليهم قضيم الكراع يوما ويومين فلما نفقات الحشم وجراياتهم وما يقيم ارماتهم فكانت تتمحل وربما امتنع عليهم اقلها أيا ما ومع ذلك فان هؤلاء المدبرين كانوا لا يتمكنون من الفكر في وجوه الحيل لكثرة من يزدهم عليهم من الجند أغنى الديلم والأتراك وخاصة من يطالبهم بالمحالات فيهربون منهم ويتواعدون من الليل الى مواضع غامضة يجتمعون فيها وربما خرجوا الى الصحراء ويجمعون على ظهور دوابهم ويثنون أرجلهم على أعناقها بقدر ما يدبرون الرأي في وجه الحيلة وإقامة وظيفة ذلك اليوم فاذا تم لهم ذلك فهو عيدهم ونشاطهم وغاية كفايتهم في ضباعتهم . فلما تولى الاستاذ الرئيس ابن العميد رحمه الله وزارة الامير ركن الدولة استقلم الامر حتى رأيناه يركب الى ديوانه من دار السلطان ولا يلقاه غير خاص كتابه ثم يلتقى صاحبه فلا يدور بينهما الا عوارض المهم الذي لا يخلوا من مثله

ملك ووزير وضبط أعماله ونظم أموره ورتب أسباب خدمته حتى كان أكثر نهاره مشغولاً بالعلم وأهله . وبسط عدله وأقام هيئته في صدور الجند^(٣٥٧) والرعية حتى كان يكفيه رفع الطرف الى أحدهم على طريق الانكار فترعد الفرائض وتضطرب الاعضاء وتسترخي المفاسل وقد شاهدت من ذلك مواقف كثيرة لو شرحتها لاطلت هذا الفصل اطالة تخرج عن غرض الكتاب . ولولا ان صاحبه كان لا يستجيب الى عمارة نواحيه كما حكيت في أول هذا الجزء خوفاً من اخراج درهم واحد من الخزانة ويقنع بارتفاع ما يحصل للوقت ويرى ان دولته مقرونة بدولة الاكراد فلذلك لا يمنعم من العيث ولا يطلق يد حماة الاطراف في قصدهم ويرضى ان يقال له « قطعت القافلة وسيقت المواشي » فيقول « لان هؤلاء أيضاً [يعني الاكراد] يحتاجون الى القوت » ولقد قيل مرة ان الاكراد وقعوا على بغال له خرجت للملوفة فساقوها وذلك بالقرب من البلد وبحيث يلحقون ان طلبوا فقال في الجواب : كم كانت البغال . فقيل : ستة . فقال : وكم كانت عدة الاكراد . فقيل : سبعة . فقال : سبعة بينهم الخلاف كان يجب ان تكون البغال سبعة بمدد . فاذا كان هذا رأيه في الانكار على أهل العيث وذلك رأيه في توفير العمارات واستئجار الاموال فما حيلة وزيره ومدبره . فتأمل هذه الصورة وانظر الى سيرة ملك قد عود وزراءه هذه العادات ورضى منهم بما تقدمت حكايته من تمشية^(٣٥٨) أمره يوماً بيوم

نم آلت الحال الى النظام الذي ذكرته واطردت الامور اطرافها المشهور الذي دبره الاستاذ الرئيس ابن العميد رحمه الله أى كفاية كانت له وأي سياسة مشت بين يديه ولكنه رحمه الله لما حصل بفارس علم عضاً

الدولة وجوه التدابير السديدة وما تقوم به الممالك وصناعة الملك التي هي صناعة الصناعات ولقنه ذلك تلقينا فصادف منه متعلما لقما وتلميذا فهما حتى سُمع من عضد الدولة مرارا كثيرة ان أبا الفضل ابن العميد كان أستاذاً وكان لا يذكره في حياته الا بالاستاذ الرئيس وربما قال الاستاذ ولم يقل معه الرئيس ولا يحفظ عليه انه ذكره قط بعد موته الا بالاستاذ وكان يمتد له بجميع ما يتم من تدابير وسياسته ويرى ان جميع ذلك مستفاد منه ومأخوذ عن رأيه وعلمه . ولعلنا نذكر منه طرفا اذا انتهينا الى سيرة عضد الدولة وما تم له من خيازة الممالك وحفظ الاطراف وقمع الاعداء والحرص على العمارة مع الشدة على المريب واطفاء نائرة الاكراد والاعراب واعادة الملك الى رسومه القديمة ان أخر الله في الاجل . ولعل من يطلع على هذا الفصل من كتابنا ممن لم يشاهده يظن انا أعرفناه شهادة أو ادعينا له أكثر من قدر علمه ^(٣٥٩) ومبلغ فضله لا والذي أنطقنا بالحق وأخذ علينا الا نقول الا به .

﴿ودخلت سنة ستين وثلاثمائة﴾

وفي هذه السنة رأى بختيار ورثي له ان يعقد بين رؤساء الاتراك ورؤساء الديلم مصاهرات لتزول العداوات التي نشأت بينهم فابتدئ بعقد مصاهرة بين المرزبان بن عز الدولة وبين بختكين المعروف بأزادويه مولى معز الدولة وثنى بمصاهرة بين سالار بن عز الدولة وبين بكتجور مولى معز الدولة وفعل مثل ذلك بجماعة وأصلح بين الديلم والاتراك واستحلف كل فريق منهم ما لصاحبه خلفوا جميعا على موالاته عز الدولة بختيار بن معز الدولة وسبكتكين الحاجب وحلف بختيار لسبكتكين الحاجب

وسبكتكين لبختيار بعد وحشة كانت بينهما فزال الظاهر ولم يزل الباطن .
ثم غلبت علة الفالج على المطيع لله ^(١) فتقل لسانه وجانبه الايمن وذلك في
يوم السبت لليلة خلت من صفر سنة ٣٦٠ ثم تماثل وتماسك وعاش على هذه
الحال الى الوقت الذى سلم فيه الامر الى أمير المؤمنين الطائع لله

وفي هذه السنة ورد حاجب ^(٢) لابی تغلب ابن حمدان وهو
عدة الدولة فمقد مصاهرة بين أبي تغلب باحدى بناته وبين عز الدولة بختيار
على صداق مائة الف دينار وجدد على أبي تغلب عمده ^(٣) أعماله لاربعم
سنين حساب كل سنة ستة آلاف الف درهم ومائتا الف درهم وأنفذت
اليه الخلع

وفي هذه السنة كانت وزارة أبي الفضل العباس بن الحسين الثانية
لعز الدولة والقبض على أبي الفرج محمد بن العباس

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

قد كننا ذكرنا فيما تقدم ان عز الدولة كتب الى آذرويه بالقبض على أبي

(١) وفي الاصل : على سبكتكين . وهو غلط واضح قال صاحب تاريخ الاسلام : وفي
أول صفر لحق المطيع لله سكتة آل الامر فيها الى استرخاء جانبه الايمن وتقل لسانه

(٢) قال صاحب التكملة : وفي شهر ربيع الأول وصل أبو الحسن على بن عمرو
ابن مبيون وقد ثبتت وكالته عند القاضي أبي محمد ابن معروف من أبي تغلب وتزوج له
بنت عز الدولة وسنها ثلاث سنين على صداق مائة الف دينار وكفى الخليفة أبا تغلب
وجدد له ضمان الموصل وسائر أعماله بدينار ربعة ومضى في كل سنة بألف الف ومائتي
الف درهم ووصل ابن عمرو الي المطيع لله مع أبي عمر محمد بن فسانجس الخازن حتى
سلم اليه الخلع لصاحبه والسيف . وبالراجح ان الخازن المذكور هو أبو محمد علي كما
تقدم ذكره .

الفرج ومن معه في يوم وصولهم الى الاهواز وانه كتب أيضاً الى أبي قرة بمثل ذلك وانه قبض على أبي محمد الخازن أخى أبي الفرج في مجلسه وكان يحضره للمنادمة وأطلق أبو الفضل العباس بن الحسين من محبسه وخلع عليه للوزارة وذلك يوم الثلاثاء آخر ليلة بقيت من رجب سنة ٣٦٠ . فلما تمكن من الوزارة لم تكن له همة الا استصلاح سبكتكين وعول عليه وعلى كاتبه أبي عمرو ابن آدمي وصاحبه أبي بكر محمد بن عبد الله الاصبهاني وتقرب اليه في مظاهرة أبي قرة ومساعدته . وقلد أخاه الحسن بن محمد القنائي خزانة عز الدولة مضافا الى ما كان يتولاه من خلافة أخيه أبي قرة على الدواوين وقلد أبا أحمد ابن حفص ديوانا كانت تجري فيه نواحٍ اختصها بختيار لنفسه وسماه ديوان الخصاص وكتب الى أبي قرة يستدعيه من الاهواز الى الحضرة وأمر باتخاذ أبي الفرج محمد بن العباس^(٣٦١) الى البصرة موكلًا به . فورد أبو قرة بغداد ومعه أسباب أبي الفرج المقبوض عليهم فبلغ الوزير أبو الفضل في اكرامه كل مبلغ وعظمه وتجددت بينهما معاهدة ومحافة بامر عز الدولة وسبكتكين اياهما واتفقت كلمة الجماعة

ثم نظر الوزير أبو الفضل في أمره وزيادة خرجته على دخله وقلبه ظهر آلبطن فلم يروجها غير اطماع عز الدولة في أموال عمران فخرضه عليه وقرب عليه أمره واتفق ورود أبي قرة وقد تمت العزيمة . فشخص بختيار متقدما وسار في الجانب الغربي على الظهور والوزير أبو الفضل وأبو قرة انحدرا في الماء واجتمعت الجماعة بواسطة وذلك في شوال سنة ٣٦٠

وفي هذه السنة ارتفع امر ابن بقية مع عز الدولة وعلا شأنه حتى بلغ

الوزارة كما سنحكبه باذن الله

﴿ ذكر ارتفاع ابن بنية ﴾

كان هذا الرجل من القرية المعروفة باوانا وكان أبوه مزارعا وجدّه بنية واليه كان ينتسب ونشأ في أيام الفتنة وغلبه أهل الرستاق على طريق دجلة العليا ودخل في غمارهم وأنتسب الي بعض عيارهم وكان جرى رسمه بتقلد المآصير . واتفق له ان اتصل بصاحب مطبخ معز الدولة المعروف بممله وكان ضامنا لتكريت^(٣٦٢) وما يجري معها من المآصير العليا وأبواب المال فلما خدم ممله توجه معه وخف على قلبه فتدرج من حال الى حال حتى استعمله على هذه الاعمال كلها وفوضها اليه وكان فيه سماحة نفس وخفة مع اقدام وتهور استفادهما من الحال التي نشأ عليها . واتفق على ممله اتفاق سيء من علل اتصلت به واعراض من معز الدولة عنه فشرع أبو طاهر ابن بنية في ضمان أعماله وعنى به جماعة من الكتّاب لاجل ما كان يبذله لهم فعمدت الاعمال عليه الا انه لم ينفق على معز الدولة ولا وثق به على مطبخه فقلده غيره^(١) ووفى بمال ضمانه وأقبلت حاله تتزايد وصدره يتسع للبذل حتى غلب على الوزير أبي الفضل وقرب منه وتعلق منه بعناية . وتوفى معز الدولة فنفق على عز الدولة بختيار وبذل له مرفقا يوصله اليه مما ينظر فيه فقبل

(١) قال فيه صاحب النكمة : وكان يخدم في مطبخ معز الدولة حتى خدم أبا الفضل الشيرازي وكان واسع النفس وكانت وظيفته في كل يوم الف رطل نلجا وفي كل شهر أربعة الاف مناشما وكان يفعل كما تفعل وزراء الخلفاء من الجلوس في الدسوت الكاملة ويضع وراء مجلسه أساطين الشمع وبين يديه عدة أنوار فيها الموكيات والثلاثيات وفي كل مجلس من الدار توريقه ثلاثية وان كان المكان خاليا وفي أيدي الفراشين الموكيات بين يدي من يدخل ويخرج وفي الشتاء يترك بين يديه كواكب الفهم فيها جمر الفضا ويترك عليه اقطاع الشمع فكان يشتعل أحسن اشتعال

بختياره ذلك وردت اليه الوكالة وقلد المطبخ فبلغ بالمرنق الذي بذله لبختيار عشرة الاف درهم في كل شهر واشترط أن ينصره على الكتاب وأصحاب الدواوين ومنعهم من الاستقصاء عليه ويشد على يده في استيفاء أموال تسيبائه من الوكالة فوفى له وكان يحمل اليه هذا المرفق الذي ذكرته مشاهرة ثم أنس به في خلواته ومجالس لهوه وانسط اليه بانواع من المزاح^(٣٦٣) كان يستعملها في مجالسه مع ندمائه فلطف وقومه ودخل ماله كل مدخل . ثم صار يهاديه بالخيـل والبغال والجوارح والالطاف والجواري والعميد ودخل في جلالة العز فعرض جاهه عنده حتى صار يتوسط يده وبين كل رافع ظلامه وطالب حاجة فلما أفضت هذه الوزارة الثانية التي نحن في ذكرها الى أبي الفضل كان ابن بقية قد استولى غاية الاستيلاء وصار في مثل منزلة شيرزاد اختصاصا ومنزلة وغلبة على أمره واحتاج الوزير أبو الفضل اليه ليحفظ غيبه وانحدرت الجماعة الى واسط لحرب عمران

واستدعى الوزير أبو الفضل أبا الفرج محمد بن العباس الى واسط وكان معتقلا بالبصرة وأخذ خطه بمال عظيم لا ينهض به وأتقذه الى بغداد ليصححه هناك وكذلك فعل بأخيه أبي محمد فجري عليهما ببغداد أمر قبيح يجري مجرى التشفى من غير ضرب ولا مكروه في الجسم بل بضروب من الاستخفاف والاهانة والاسماع فقم لهما الهرب واستترا عند بعض أسباب سبكتكين . فعادت الوحشة بين أبي الفضل وبين سبكتكين واتهم بأنه يسفر له في العود الى الوزارة والجاته الحال الى مطالبة عز الدولة بختيار باليمن الغموس على ألا يستوزره أبداً ولا يستعين به في شيء من الاعمال ان لم يظهر بعد شهر من تاريخ اليمين^(٣٦٤) فحاف له عز الدولة بحضور القواد

والقضاة والشهود ووجوه الحاشية وكان في اليمين كل ما يكون في أيمان البيعة ولقنه بنفسه حرفا حرفا وبقي الامر كذلك وأبو الفرج مستتر الى أن عاد عز الدولة الى بغداد بعد سنتين وأخذ له ولاخيه امان فظهر ابعناية سبكتكين . وضمف أمر الوزير أبي الفضل وضعفت مئته وتآدى أمره الى النكبة التي هلك فيها ووفى بختيار باليمين وقلد أبا طاهر ابن ببيعة الوزارة فكف عن أبي الفرج لانه علم انه لا يستوزر ولا يشرع في شيء من فساد حاله ونفى أخاه أبا محمد الى واسط وأجرى عليه رزقا . ثم ان أبا محمد أضعده الى بغداد بغير أمره وذلك لارجاف ارجف عنده بالقبض على ابن ببيعة فاعتناظ لذلك وقبض عليه وتقاء الى البطيحة فحصل عند عمران مدة ثم أضعده سرا واستتر ببغداد في عرض الفتن التي كانت تجري ثم تمكن ابن ببيعة منه ومن أخيه وطالبهما ثم نفاه ونفى أبا الفرج الى سر من راي واعتقله بها

﴿ ذكر ما انتهى اليه أمر أبي قرة بعد حصوله بواسط ﴾
(وقوة أمره وعناية سبكتكين وأصحابه به)

لما انس أهل واسط بقرب عز الدولة منهم وطال مقامه بينهم تظلموا اليه سرا ولقيه نفر منهم فاعلموه انه قد أخرج بلادهم وأفقرهم وظلمهم وغشهم وصادرهم وملك عليهم ضياعهم وأنه استحل منهم ما حرمه الله وصححوا عنده سعة حاله وكثرة ماله وجلالة ضياعه فاستعظم بختيار ذلك وغازطه فعله وتمكنه من النعم الكثيرة حتى أزالها واستبد بها فصرفه عن واسط وتقدم الى ابن ببيعة أن ينظر فيها على سبيل الامانة . فاتهم أبو قرة الوزير أبا الفضل بأنه عن رأيه ومساعدته ولم يكن كما ظن فكتب الى

سبكتكين الحاجب يعرفه ماجرى ويحرضه على أبى الفضل ويعلمه أنه قد حث في يمينه وعقوده التي بينهما وعاد الى أسوأ فعله واعتقاده . ثم عطف أبو قررة على أبى طاهر ابن بقية فخاطبه بكل ما كره وتوعده وهدده بالنكبة وطالبه بالحسابات لما يجرى على يده دخلا وخرجا فاستطال عليه ابن بقية واتصف منه ونصره بختيار فانخزل أبو قررة . واتصل بسهل بن بشر النصرانى كاتب بختكين آذرويه وهو بالاهواز ماجرى على أبى قررة وضعف أمره وكانت بينهما عداوة قديمة فكتب الى بختيار يضمنه بمال عظيم وساعده ابن بقية فقبض على أبى قررة وأسبابه واستبيح ماله وقبضت ضياعه وغلاته فسارع الى التزام مصادرة ثقيلة عن نفسه واسبابه وبذل بعد ذلك أموالا عظيمة يثيرها من محاسبات الضمنا واستمال ابن بقية وعاهده على أن يكون كل ^(٣٦٦) واحد منهما ناصرا لصاحبه . ثم ان بختيار مال الى ما بذله أبو قررة فامر بأن يخلع عليه ولم يكره الوزير أبو الفضل ذلك لتزول التهمة التي سبقت الى سبكتكين فى أمره

﴿ ذكر السبب في انتقاض أمر أبى قررة بعد تماسكه ﴾
(وبعد اشرافه على الخلاص من النكبة)

كانت الخلع أحضرت ليايسها فكره المنجمون له الوقت وأشاروا عليه بالتوقف ليخار له يوم فورد للوقت غلام لسهل بن بشر على البريد برسالة منه ومن بختكين آذرويه صاحبه يستلآن تسليم أبى قررة اليه بزيادة بذلها وضمنه بها وصادف ذلك خوف الناس من عوده بعد سمائهم به وأنه عدو لهم يستأصلهم فسموا الى ابن بقية به حتى أشار على عز الدولة بتسليمه الى

سهل بن بشر وعرفه انه انما ضمن تلك الاموال حيلة في الخلاص والمواد الى التعزز عليه بسبكتكين فسلمه الى رسل سهل بن بشر وحمل من ليلته الى الاهواز وصور هناك وتشفى منه وتلف في أنواع المسكاره التي جرت عليه^(١) وقلد ديوانه أبو احمد ابن حفص^(٢) ثم أفضت الوزارة الى ابن بقية فضممت يده وقل نظره لاستيلاء ابن بقية على المملكة فلم يبق من هذا الديوان الا الاسم

وفي هذه السنة قتل حمدان أخاه أبا البركات

﴿ ذكر السبب في ذلك والاتفاق الحادث ﴾

﴿ عن قصد وغير قصد ^(٣٦٧) ﴾

كنا ذكرنا ورود حمدان ورجوعه الى الرحبة وتمام الصلاح بينه وبين أخيه أبي تغلب ولم يلبث الامر بينهما ان عاد الى فساد فاتفق أبو تغلب أخاه المسكني بابي البركات اليه حتى دفعه عن الرحبة فسلط طريق البرية يريد دمشق وملك أبو البركات الرحبة خلف بها طائفة من جيشه مع غلام من غلمانه وعامل من عماله ورحل منصرفا

وانتهى حمدان الى بعض طريق البرية ولحقه وأصحابه عطش ولم يمكنه الاتمام فرجع مخاطرا بنفسه ووصل الى باب الرحبة ليلا والقوم الذين فيها غافلون نيام وتهيا لنفر من غلمانه ان دخلوا البلد من ثلثة في السور غامضة كانوا

(١) قال صاحب التكملة : وفي هذه السنة قبض على أبي قرة بالجمادة وحمل الى

جنديسابور فمات تحت المطالبة وكان قد نقل القبة التي على قبر الوزير القاسم بن عبيد الله وهي قبة مشهورة بالشؤم ونصبها على مجلس في داره وكان القاسم قد تقوي في عملها فدفن تحتها حين تمت (٢) هو محمد . كذا في التكملة

يهدون اليها وفتحوا له باب الرحبة فدخلها واستتر وراء السور وضرب
بالبوق فبادر القوم الى الباب منقطعين متفرقين وليس يعلمون بحصول حمدان
من داخله فكان يوقع بهم أولا أولا وأسر عاملى الخراج والمعونة ووجد
في أيديهم غلات قد وردت في السفن فنعمها وغنم سوادهم وآلاتهم وسلاحهم
وكراعهم وصادرهم وأصعد على الفرات في الجانب الشامي الى قرقيسيا .
وانصل خبره بابي البركات وهو سائر الى الموصل فعطف عليه وحازاه من
الجانب الجزرى وتخطبا وتراسلا فلم يتم بينهما صالح ولا اتفاق ولم يمكن أبا
البركات^(٣٦٨) المقام لضيق الميرة على عسكره فرجع يريد الخابور . فاتفق أن
صار الى حمدان مائتا فارس من بنى نيمر مستأمنة وكانت عدته ثلثمائة غلام
فصار في خمسمائة فارس فتبعته نفسه العبور في أثر أخيه والتصمك على عسكر
وكان فيه جرأة واقدام نخاطر وعبر في جريدة خيل وسار حتى أنزله
بمنزل يقال له ماكسين وهو راحل مجتاز فنزل منه على فرسخين وبكر في
الغلس فزحف اليه فصادفه قد سبق بسواده وبعض جيشه وهو ماض على
غير استعداد لانه لم يقع في ظنه أن حمدان يقدم عليه مع التفاوت بين عدتيهما .
فلما قيل له انه قد وافى عطف اليه في طائفة من الرجال ليتلاحق به الباقون
فبت حمدان أولئك العرب في الاغارة على سواده ومنع العسكر ان ينتظم
شملة وحقق على أبي البركات في الحملة مع غلمانه فوجده متسرعا في أول
الناس فاجتمعا متصادمين وعرف كل واحد منهما صاحبه فتضاربا بالسيف
ولم تكن على أبي البركات جنة فضر به حمدان على رأسه فسقط الى الارض
وأخذه أسيراً وبه رمق . واستباح سواده واستأمن اليه جماعة من أصحابه
وأسر جماعة وقتل بعض الاسارى واستبقى البعض وانكفأ الى قرقيسيا

ليغالب أخاه من ضربته وظن أنه ينجو فلف بمد ثلاث^(٣٦١) فانقذه في تابوت الى الموصل واستحكمت العداوة بينه وبين أخيه أبي تغلب^(١)

واختلف باقي الاخوة وتحاذلوا وتنافسوا وكانوا متفرقين في أعمالهم فبلغ أبا تغلب أن محمداً من بينهم المكنى أبا الفوارس وكان يتولى نصيبين قد كاتب حمدان وعمل على اللحاق به والاجتماع معه عليه فاحتال عليه واستدعاه وأطمعه في الاحسان والزيادة فاغتر محمد وصار اليه فقبض عليه واعتقله في قلعة أردمشت وضيق عليه هناك وثقله بالحديد حتى أطلقته عضد الدولة لما ملك تلك الديار^(٢) وكنت مندوباً لنقل ما في تلك القلعة من الذخائر مأموناً على ما فيها فجرى ما سأذكره اذا انتهيت اليه .

واستوحش باقي أخوة أبي تغلب لما جرى على أخيه محمد وأقبل أبو تغلب يستميلهم فخدعهم واحداً واحداً فصاروا اليه بعد أحوال تتلب بهم سوى أبي طاهر ابراهيم فانه لم يسكن اليه ورحل الى بغداد مستأماً الى عز الدولة بختيار على طريق دجلة . وسار أبو تغلب الى قرقيسيا وأخذ منها أخاه أبا القاسم هبة الله سرية في جيش كشف الى الرحبة تقديراً أن يكبس أخاه ويأخذه اسيراً فما أحس به حتى أطل عليه فخرج هارباً واتبعه ابنه وطائفة

(١) قول صاحب التكملة : واعتذر حمدان بأنه دفع عن نفسه بقتله فقال أبو تغلب : والله لالحقته به ولو ذهب ملكي . ولما عرف هبة الله بن ناصر الدولة ما جرى على أبي الفوارس ثار به المرار وأنكر فعل أبي تغلب . وكتب الحسين بن ناصر الدولة الى أخيه أبي تغلب وهو صاحب الحديثة يقول : إن ابنه قد وفق الأمير في أفعاله ونحن وإن كنا أخوة فتحن عبيد ولو أمرني بالقبض عليه لفعلت . وقال أبو تغلب : هذا كتاب من يريد أن يسلم

(٢) وقصة إطلاقه من القلعة موجودة في الفرج بعد الشدة ١ : ١٣٦

من غلمانه ولحقه هبة الله فابقى عليه حتى نجا . ثم وقعت ^(٣٧٠) عليه سرية للقرامطة كانت سائرة الى الشام لقتال صاحب المغرب فارادوا الايقاع به فتعرف اليهم وكان متعلقا بينهم بدمام فكفوا له وبذلوا له من نفوسهم ما أحبه فسألهم أن يسبر معه نهر منهم الى طريق عانة ففعلوا وعدل الى مدينة السلام فاستقر الاخوان بها في ذى الحجة سنة ٣٦٠ وكتب بخنيار اليهما بالانحدار اليه الى واسط فانحدرا ووصلا اليه في صفر سنة ٣٦١ وتلقاهما واكرهما ^(١) وأمر بحمل انزال كثيرة اليهما وردتهما الى بغداد بعد أن حمل الى كل واحد عند رحيلهما هدايا كثيرة من الثياب والورق والطيب والدواب والبغال والمراكب . وسندكر ما انتهت اليه أحوالهما بعد ذلك ان شاء الله

﴿ ذكر تدبير دبره الوزير أبو الفضل على سبكتكين ﴾

(لما استوحش منه فلانعكس عليه)

قد قلنا ان أبا الفضل اتهم سبكتكين بأنه ستر أبا الفرج وأبا محمد وحامى عليهما وأنه يريد ان يسعى لآبى الفرج في الوزارة وكان سبكتكين اتهم أبا الفضل بأنه دبر على أبي قره حتى قتل بعد ذلك بالمذاب الطويل فشرع أبو الفضل في استصلاح سبكتكين بكل وجه وحيلة فلم يجد الى ذلك سبيلا فصبر حينئذ على عداوته وأخذ في التدبير عليه . فكان من ذلك ان اشار على بخنيار بان يستدعى آذاريويه من الاهواز ويزيد في حاله ومحله ويقيمه كالنفس لسبكتكين لينجذب الاتراك ^(٣٧١) الى هذا ويفلأهم عن ذلك فقبل بختيار بما أشار به عليه . وورد بختكين واسطا فعظم أتم تعظيم وفخم أمره أشد تفخيم

(١) زاد صاحب التكملة . وأنزل حمدان دار أبي قره وأنزل أبا طاهر ابراهيم في دار أبي العباس ابن عروة

وعقدت عليه واسط مضافة الى الاهواز فلم يتم ما قدر من انقضاء الاتراك عن سبكتكين وذلك أنهم تذبذبا على المقصد وعلوموا أنه انما دبر على تقريب شملهم وايقاع التنافر بينهم وكانوا قد تحالفوا على المعاضدة والا يتفرقوا. واشفق بختكين آذاذويه من أن يعتزلهم وينفرد عنهم فصار واحداً منهم فانعكس تدبير الوزير أبي الفضل واضطر الى العود الى بابه والنزول تحت حكمه وطلب سلمه بعسد مما تبات ومراسلات . ولما عاد بختيار الى بغداد زاد في منزلة سبكتكين وأمر بان يخاطب بالاسفهلار وتموهت الوحشة واندرجت على غير وثيقة . ولما عزم بختيار والوزير على الاصعاد عن واسط قدما أبا طاهر ابن بقية الى سبكتكين ليصاح ما تشعت بينه وبين الوزير أبي الفضل ويستعيد له جميل رأيه فجرى الامر أيضا في ذلك على تفاهق ووحشة في السر واندميل الجرح على فساد الى أن تم على الوزير الصرف والنكبة واتصل بقتله وابادته

وفي هذه السنة هلك أبو طاهر الحسين بن الحسن عامل البصر وكل من اتصل به وغفت آثارهم وزالت نعمهم ولم يبق منهم على وجه الارض
نافخ ضربة (٢٧٢)

﴿ ذكر السبب في اجتياح الزمان له ولهم ﴾

كان هذا الرجل فيه شهامة وكفاية وتهور مع ذلك ومخاطرة ولما حصل بختيار بواسط أكثر الناس من حديثه وما وصل اليه من الاموال حتى اتسمت فيه الظنون . وكان الوزير أبو الفضل يعلم ان ذلك باطل وليس يجب أن يفسد نظام أمور البصرة بصرفه والطمع في يسير ماله وكانت البصرة معتدلة الحال مستقيمة الامور . فأغرى بختيار بالمصير الى البصرة

وأقيم في نفسه انه يصل منها الى مال كثير ولم يكن وراءها فساد اليها ولم يجدها ما كان مولما به من المتصيدات ولا تمكنت البزاة والجوارح من الصيد لكثرة نخلها وشجرها ولاطفه هذا العامل بالهدايا والتحف ووافقه على صرفق يرفقه به ومشاهدة يقيمها له وتجاوز ذلك الى أن ضمن له ائارة مال من البصرة على طريق التأويلات على التجار والمعاملين وأراد بذلك الدفع عن نفسه . ووافى الوزير أبو الفضل البصرة بعد أن رتب عساكره على طفوف البطيحة لان المد وافي وكثر فلم يمكن طلب عمران بن شاهين واحتيج الى الانتظار الى وقت النقصان فامر به بختيار بالخلم على أبي طاهر الدامل وتقبل ما بذله له . ولم يستطع البصرة لعدم الصيد الذي ذكرته فعاد الى واسط ووصى الوزير بتقوية يد العامل وزيادة في بسطه ^(٢٧٣) والرفع منه فاضطر الوزير الى امثال مارسم له وهو لا يخاره ولا يستصوبه . فبسط أبوطاهر العامل يده في القبض على التجار والعوام وتأول عليهم بالمحال واستخرج منهم أموالا كثيرة وظن أنه قد تمسك من بختيار بمهد يثق به وأنه ممن يعتمد على قوله وذمامه وحدث نفسه بمنزلة أبي قرة وان يرتقى منها الى منزلة الوزارة فساء رأي الوزير أبي الفضل فيه وأخذ في التدبير عليه والسعي على دمه فكاتب الى بختيار يعرفه انه قد أخرب البصرة وأفسد نيات أهلها وانهم عيب لا يحملون ما يحمل له غيرهم ويزعم ان أموالهم الآن قد حصت والصواب يقتضى ارضاءهم بالقبض على هذا العامل والاستبدال به ومصادرتة على مال ينضاف الى مصادرتهم ثم دس الى عز الدولة من يغريه به ويمظم عليه جناياته ويظمه في ماله الى أن أمر بالقبض عليه فقبض الوزير عليه وعلى أخيه والمنصلين به حتى زوجته وعياله وأقاربه وأسبابه كلهم وعقد

البصرة على علي بن الحسين المعروف بأبي القاسم المشرف وسلمه اليه امداد
كان يعرفه بينهما وأخذ خطة بان يستخرج منه ومن أسبابه مالا عظيما
وأصعد عن البصرة لاستتمام منازل عمران بن شاهين . وكان هذا العامل
(أعني أبطاهر) من أهل الشر فكثير خصماؤه ^(٣٧٤) وطلاب الطوائل عنده
فسفه على بن الحسين وسلمه الى مستخرج كان قد وتره فنالته منه مكاره
عظيمة خاف معها ان يسلم فيكون بواره على يده فأتى على نفسه ثم ألحق به أخاه
وأقاربه وزوجته فأتلف الجماعة بأسرها وعنى آثارها . ثم عطف على بن
الحسين على ماملية ومخاطبيه وقوم تأول عليهم فصادروهم لصحة المال الذي
ضمنه فاصح له من جميع الجهات الا البعض وانكسر الباقي وانجحت آثار
أبي طاهر من الارض فلم يبق له بقية

﴿ ذكر سوء تدبير بختيار لامر عمران منذ انحدر من ﴾

﴿ بغداد الى أن خرج عائداً اليها وماتم لعمران ﴾

(من الطمع فيه والاستظهار عليه)

كان بختيار لما خرج عن بغداد لمحاربة عمران أظهر أنه يريد الخروج
الى التصيد بناحية النعمانية مغالطة لعمران وظن أنه يرهقه عن التحرز منه
والاستعداد له . وقد تعمل الملوك مثل هذا ولكن مع اتنام العزائم والصبر
على مطاولة العدو بالمكايد التي تشبه هذا الابتداء لا بان يكون مبدأ التدبير
صوابا يشبه الآراء الوثيقة ثم يتبعه باللعب والاشتغال عنه بالعبث وبترك
الاستظهار واهمال الجند حتى تحرق الهبة وتزول الحشمة ويظهر للعدو
عصيان الجند وقلة النظر في الحرب والتعويل على الجدد دون الجدد حتى يطلع

على الحيرة والتبльд ومكان^(٢٧٥) العورة والضرورة الداعية الى مقاربتة في طلب الصلح منه والجنوح الى السلم بعد النزاع الى الحرب فان بختيار عمل في المبدء ذلك العمل الواحد ثم اتبعه بجميع ما ذكرته وذلك انه استطاب التصيد الذى أظهره مكيدة لعدوه وأقام بالثمانية شهرا مع عساكره التى علم معها عمران ان قصده بهم اياه^(١) لاغيره . ثم أمر وزيره أبا الفضل ان ينحدر الى الجامدة وطفوف البطيحة وبني أمره معه على ان يسد أفواه الانهار ومجارى المياه الى البطيحة ويمدل بها الى غيره وان يبنى مسناة عظيمة يمكن سلوك الديلم عليها مشيا الى معقله وهذا ضد مابنى عليه أمره فى الابتداء ولا يشبه الحيلة التى تؤدى الى ارهاق العدو ومنعه من الفكر فان الهجوم والكبس والبيات يتم بالمعاجلة والركض الى الغاية دون التمهل والاخذ والتدابير البعيدة والاعمال الطويلة

فلما طالت المدة فى عمل هذه السدود وجرت فى اضعافها وقائع لحقت المدود وغلب الماء والسيل علاج السكور فاحتيج الى الامساك عنها والانصراف عن اتمامها الى حفظ ما عمل منها بالرجال حتى لا يفسدها العدو لاسيما وعمران متدرب بذلك قد اعتاد فى جميع حروبه ان يمسك عن عدوه حتى ينفق ماله ويكد رجاله فاذا أحس بالمد ومجيء السيول^(٢٧٦) احتال فى تخريب ما يبنى له من السكور وانما يكفيه ايقاع ثلثة يسيرة فى احد نواحي السد ثم يحمل الماء فيتولى كفايته فى الهدم والتخريب فربما أفسد فى ساعة من الليل أو النهار تعب سنة أو نحوها . وذلك ان هذه السدود تكون من قصب وتراب يُقام فى وجوه المياه الجارية عند ضعف

جرباها وغاية نقصانها فاذا وردت المياه القوية ومنعت من حدودها كفى منها اليسير من المعونة حتى تنبعث ويدفع بمضها بمضا وربما كان سبب انبثاق الماء نقب فأرة ثم يوسعه الماء وينتهي فيه الى حيث لاحيلة في سده . ولما عمل بخنيار ووزيره ما ذكرته من السدود وأتى المد كان قصاراهما حفظ ما عمل بالرجال حتى لا يتم لعمران حيلة في هدمه فعدل عمران عن هدم سكوره الى الانتقال الى معقل آخر من معاقل البطيحة ونقل غلاته وزواريقه وجميع أمتعته الى هناك فلما انحسر الماء وجاءت أيام الجفاف من السنة الثانية وجد مكان عمران خاليا منه ولم تكن له آلة يطلبه بها فطلب غلاته فلم يجد فيها شيئا فانصرف خائبا . وصجر العسكر من المقام على الشقاء ولم يصبروا على أذية البق وحر الهواء وانقطاع المواد التي اتقوها فشغبوا عليه وتناولوا الوزير بالسنتهم وهموا بالايقاع به وتحالف الديلم والأتراك^(٣٧٧) على النعصب واتفاق الكلمة وأبوا ان يقيموا أكثر مما أقاموا فاضطر بختيار الى طلب مصالحته على مال يلتمسه منه (وقد كان هابه في أول الامر فبذل له خمسة آلاف الف درهم) فلما طلب هذا المال بعد اضطراب الجند وطول المقام وانقطاع الحيلة امتنع عليه منها وبذل الف الف درهم بوساطة سهل بن بشر كاتب بختكين آذرويه وكانت بينه وبين عمران صداقة فنجّم عليه هذا المبلغ ثم تماسك عمران وامتنع من التوفقة بما وافق عليه واقتصر منه على اليمين أيضا فاضطر الوسائط الى ان يقولوا لبختيار انه قد حلف وما حلف . وانصرف بختيار عنه مع عسكره خائبين عليهم الزلة وحدث للعسكر زيادة على المعهود من سوء الخدمة وقلة الطاعة والاستطالة حتى وثبوا على سهل بن بشر مرة لاجل مال كان حمله معه

(٣٨ — تجارب (س))

فاحسوا به وطمعوا فيه ونهبوه واجتهد بختيار في ارتجاع شيء منه فما أمكنه ذلك . ثم وثبوا أيضا على محمد بن أحمد الجرجرائي (وكان ينظر في أمورهم ويخلف الوزير عليهم) لاشياء كانوا تقوموا عليه وأبوا ان يكون متوليا عليهم فارضاهم الوزير بصرفه عنهم ووجد السبيل الى مصادرتة فاستخرج منه عشرة آلاف دينار كانت سبب حقه حتى صار في جملة من سعى به ودبر في هلاكه ^(٣٧٨)

وقد كان قبل هذه السنة ندب عضد الدولة كوركير بن جستان لمحاربة سليمان بن محمد بن الياس وكان سليمان هذا بخراسان وأطمع صاحبها في كرمان والقفص والبلوص في طاعته فضم اليه صاحب خراسان جيشا وجاء الى كرمان فاستغوى هاتين الطائفتين وغيرهم من الامم المفارقة لطاعة السلطان الاكبر فصارت هذه الطوائف يدا واحدة في شق العصا . فلقبه كوركير بين جيرفت وبتمّ وجرت بينهما حرب أجلت عن قتل سليمان ^(١) وبكر والحسين ابني اليسع أخيه وعدد كثير من قواد خراسان والرجال المضمومين اليه وحملت رؤسهم الى شيراز وأقنذها عضد الدولة الى حضرة أبيه ركن الدولة

واجتمعت المنوجانية وسائر القفص والبلوص وفيهم أبو سعيد البلوصي وأولاده وغيرهم من الرؤساء على كلمة واحدة في الخلاف وتحالفوا على الثبات والاجتهاد فضم عضد الدولة الى كوركير عابد بن علي فسارا الى جيرفت فيمن معهما من المساكر فوقعت الوقعة يوم الاربعاء لعشر ليال خلون من صفر سنة ٣٦٠ وأجلت عن هزيمتهم وقتل خمسة آلاف رجل من

(١) قتله زبرزاد ودفن بدارزين . كذا في تاريخ هلال الصابي فيما بعد

أشدائهم ووجوههم وقتل ابنان لابي سعيد البلوصي وحصل المعروف باني
الفوارس المنوجاني في الاسر وابن أخيه^(٣٧٩) أبو الليث وجماعة يجرون مجراهم
ثم صمد عابد بن علي لقصّ آثارهم والتولّج الى مكانهم ليبيد غضرائهم
فتابع الايقاع بهم والاثخان فيهم وانتهى الى هرموز فلكها واستولى
على بلاد النيز ومكران وحصل في يده بعد من هلك في الحروب القبا أسير
من رجالهم ونسائهم وذرائعهم فلاذوا بطلب الامان وبذلوا تسليم المعادل
والجبال على ان يدخلوا في السلم وينزعوا شمار الحرب ويقتنعوا بالاقوات
التي تحل وتطيب ويتحلوا بسياء المسلمين وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة
ويصوموا شهر رمضان وتمسكوا بشروط الايمان فعدوا على أنفسهم
بذلك عقدا وثيقا. ثم عدل عابد بن علي الى طوائف آخر من الامم المخالفة
في حال تصاقبهم يعرفون بالخرمية والماشكية يخيفون السبل في البر
والبحر وكانوا ضاموا سليمان بن محمد بن الياس فاوقع بهم وقتل كثيرا
منهم وحصل في يده رئيسهم أبو علي بن كلاب فضرب عنقه وقبض على
خلق منهم فاقفاهم الى شيراز فنوطأت تلك الاعمال وصلحت مدة
من الزمان

ثم لم يلبث البلوص وكانوا أشد هذه الطوائف باسا وأوعدهم جانبا
وأشدهم كفرا ان اشتاقوا الى عاداتهم من اخافة السبل وسفك الدماء
الحرام ونقض^(٣٨٠) ما كانوا تمسكوا به من تلك المهود فلما فعلوا ذلك
اعتقد عضد الدولة الاحيلة في صلاحهم ويثس منهم فرأى الا يبقى عليهم
وعزم على السير بنفسه الى كرمان فسار في ذي القعدة سنة ٣٦٠ فلما انتهي
الى السيرجان وجد البلوص قد تبسطوا في الاعمال وسعوا فيها بالفساد

ونصبوا للرئاسة عليهم على بن محمد البارزى ولقي الناس منهم عتسا شديدا في جميع طرقات كرمان وسجستان وخراسان فجرد عابد بن على في عسكر كثيف من الديلم والجيل والاتراك والاعراب والاكرد والزط والرجال السيفية وأنفذه اليهم فلما أحسوا باطلاله عليهم أوغلوا في الحرب وملكوا طرقا ضيقة شاقة ظنوا ان العسكر لا يمكنه سلوكها ولا اتباعهم فيها ثم ان عابدا أنفذ أخاه في سرية قوية خلفهم وسار هو في باقى الجيش من طريق آخر الى بلادهم التى يأوونها الى جبال البارز ففتحها^(١) غنوة واستنزل عنها محمد بن على البارزى وظفر بصهره أبى دارم وقد كانوا أنفذوا طلائع لهم وعيونا يأتيتهم بالاخبار فنذر بهم وقبض على جماعتهم فلم يرجع اليهم مخبر منهم فمكانوا ساكنين غارين الى ان أطل الجيش في الموضع الذى ظنوا انهم آمنون فيه فلم يجدوا مهربا ولا معدلا عن المجاهدة فثبتوا سحابة^(٣٨١) يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول سنة ٣٦١ منذ طلوع الشمس الى غروبها ثم انجلت الواقعة عن قتل الرجال المقاتلة الا القليل وعن الاحاطة بحرمهم وذرائعهم وأملاكهم ونجا في الوقت رئيسهم المعروف بابن أبى الرجال البلوصى مع جماعة من الوجوه ثم ظفر بهم من بعد فقتلوا جميعا ودخل نفر يسير ممن بقي تحت الامان وتشبثوا بالعهد والدمام فنقلوا عن تلك الجبال وأسكن عضد الدولة مكانهم الا كرة المزارعين والمستورين من أجناس الرعية حتى طبقوا تلك المواضع بالعمارات وطهرت تلك الجبال من معرة أوائك المفسدين

ثم عاد عابد بن على الى الامة المعروفة بالجاشكية ومن يجرى مجراها

من الدعار وكانوا وراء جبال القفص مما يلي التيز ومكران والسواحل الى حدود عمان ولهم معرفة شديدة وفساد كثير وجنایات عظيمة على الناس وأنفذ عابد أخاه في عسكر قوى من الديلم والأتراك والعرب وغيرهم وحمل معه الزاد على الجمازات في البر وعلى الشذاآت والمراكب في البحر من سيراف الى مكلي هرmoz وسواحل كرمان فقطع عدة مضائق حتى وصل اليهم وهم غافلون لا يظنون ان أحدا يصل اليهم فوقع بهم وقتل وأسر واصطلم ولم يبق من طبقات^(٣٨٢) الدعار في تلك النواحي أحدا .

وفي هذه السفرة تنكر عضد اندولة لكوركير فقبض عليه وردّه الى سيراف واعتقله اعتقالا جميلا فيه بقية للصالح

❦ ودخلت سنة احدى وستين وثلثمائة ❦

وفيها تمكن الاستاذ الجليل أبو الفتح ابن أبي الفضل ابن العميد رحمهما الله من الوزارة^(١) بعد ما يبه وفوض اليه ركن الدولة تدبير ممالكه ومكنه من أعنة الخيل فصار وزيرا وصاحب جيش على رسم والده الآن والده باشر هذه الامور في كمال من أدواته وتعمام من آلاته على ما شرحناه فيما تقدم وكان لوفور عقله يدارى أمره مع صاحبه ومع عسكره ثم يسوس رعيته والممالك التي يراعيها ويدبر الجميع تدبيرا ملائما لوقته موافقا لزمانه فلا يظهر من الزينة وأبهة الوزارة الا بمقدار ما يقيم به مرتبته ولا يجاوز ذلك الى ما يحسد عليه وينافس ثم يتواضع تواضعا لا يخرج به الى غضاضة تلحقه في داهيه أو تحطه عن المنزلة العالية التي يرقى اليها وكانت سلامته طول مدته على أصناف الناس وطبقاتهم وقيام هيئته وتعمام سياسته متصلة تزيد على الايام ثناء وثباتا .

فاما ابنه أبو الفتح فكان فيه مع رجاحته وفضله وأدب الكتابة وتيقظه وفراسته^(٣٨٤) نزع الحداثة وسكر الشباب وجرأة القدرة فتطلعت نفسه الى اظهار الزينة الكثيرة واستخدام الديلم والاتراك والاحتشار في المراكب التي يركب فيها واتخاذ الدعوات لصاحبه وسائر عسكره التي يلتزم فيها الخلع والحملان على الدواب والمراكب والاسراف في الصلات والنفقات تشبها بوزراء عزالدولة بختيار الذين لا خبرة لهم بعواقب الامور ولا نظر لهم في مصالح الملك وانما همة أحدهم في تناول شهواته والوصول الى لذاته واثارة غيظ حسادهم باظهار الزينة التي فوق طاقته . وليس يعلم ان أول من ينكر ذلك في نفسه وان لم يبد له صاحبه فهو يحسده على مساواته له وعلى تمكنه مما يتمكن هو منه ثم مزاحمته له في الاستظهار والجمع وتبذير الاموال التي يرى انه أحق بها منه ثم خوفه من ميل الجند اليه واجماعهم على جوده وسخائه واعتدادهم بما يصل اليهم له دون صاحبهم وولى نعمهم . فكان أبو الفتح ابن العميد يسرف في ركوب هذه الاهواء ويجب أن يبلغ غاية ما يقدر عليه منها لجلب عليه ذلك ضروب الحسد من ضروب السلاطين وأصحاب السيوف والاقلام فكان صاحبه ركن الدولة قد شاخ وسئم ملاسة أمور الجند وأحب الراحة والدعة ففوض اليه الامور ورآه شابا^(٣٨٤) قد استقبل الدنيا استقبالا فهو يحب التعب الذي قاساه ركن الدولة ثم مله ويستلذ فيه الانتصاب للامر والنهي ومخاطبة الجند والركوب الى الصيد ومشى خواص الديلم وكبار الجند بين يديه ثم مشاربهم ومؤانسهم والاحسان اليهم بالخلع والحملان . فاول من أنكر عليه هذا الفعل عضد الدولة ومؤيد الدولة ابنا ركن الدولة وكتابهم ثم سائر مشايخ الدولة ورأوه يركب في موكب عظيم

ويفشي الدار والديوان فاذا خرج تبعه الجميع وملت دار الامارة حتى لا يوجد فيها الا المستخدمون من الاتباع والحاشية فقط . ثم رقي أمره في قيادة الجيش والتحق بها الى أن ندب للخروج الى العراق في جيش كثيف من الرى والاجماع مع عضد الدولة لنصرة بختيار بن معز الدولة في الخلاف الذى وقع بينه وبين الاتراك المستعصين عليه كما سنشرحه فيما بعد باذن الله . فأقام هناك ونظم أمور بختيار وتلقب بذى الكفایتين . من جهة الطامع لله وأخذ الخلع وواطأ بختيار على أمور خالف فيها عضد الدولة وأوحشه وتآدى أمره الى الهلاك . وانما ذكرنا هاهنا جملة من سوء تدبيره لنفسه ونحن نشرحها مفصلة في الامور التى حدثت في سنة ٣٦٥ ليعتبر بها المتبرون ^(٣٨٥) ويمجى مجرى تجارب الامم التى يتكرر مثاها فيتجزز منها . فاما الآن فانا نلشع في الامور التى حدثت في هذا الزمان الذى نحن في ذكره ونستقصى أخبار بختيار وما عمله في عوده من البصرة الى واسط ليتصل حديثه ولا ينقطع بدخول حديث غيره فيه

﴿ ذكر السبب في تجاسر العامة على السلطان والفتن ﴾

(الثائرة بهم حتى خربت بغداد)

وذاك ان الكتب وردت عليه بأن الروم غزوا نصيبين فلكوها وأحرقوها وقتلوا الرجال وسبوا الذرارى ثم ورد خلق من ديار ربيعة وديار بكر مدينة السلام واستنفروا المسلمين في المساجد الجامعة والاسواق وحكوا افتتاح الطريق للروم وانه لا مانع لهم من تورد ديارهم وهي متصلة بالعراق فلما تجتمع معهم خلق من أهل بغداد صاروا الى دار المطيع لله وحاولوا الهجوم عليها وقتلوا البعض من شبائيكها فاغلقت الابواب دونهم بعد ان كانوا

يصلون اليه ويأتون عليه فاسمعوه ما كره ونسبوه الى العجز عما أوجب الله على الأئمة وتجاوزوا ذلك الى ما يقبح ذكره . وكان بختيار في هذا الوقت بالكوفة مظهرا لزيارة المشهد وغرضه التصيد نخرج اليه وجوه أهل بغداد^(١) منكرين عليه اشتغاله عن مصالح المسلمين^(٢٨٦) وانصرافه عن تدبيرهم الى مجاهدة عمران وهو من أهل القبلة وامهاله الروم وهم أعداء الملة ثم تشاغله بالصيد والاهو عن جميع مهمات المملكة ووعدهم بالعود الى واسط ومصالحة عمران والانكفاء الى الثغور فسكنوا وانصرفوا . فلما عاد كاتب أبا تغلب وهو صاحب الموصل يعلمه فيه انه عامل على الغزو ويلزمه أن يعد له من الزاد والعلوفة ما يسمه وجنده في الطريق وأتخذ في ذلك بمض خرواصه فتضى ابن حمدان حقه ورده بالانعام والمصارعة الى ما سأل وهو يعلم انه لا يفي بوعده ولا وعيد وانه يقول ولا يفعل .

ثم أنفذ محمد بن بقرية برسالته الي سبكتكين الحاجب وهو ببغداد يستصاحبه لوزيره العباس بن الحسين ويستنهضه للغزو معه ويأمره بان يستنفر من يرغب في الجهاد فتقبل سبكتكين ذلك تقبل المناق في ثم ركب ببغداد

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : وفيهم الامام أبو بكر الرازي الفقيه وأبو الحسن على بن عيسى النجوى وأبو القاسم الداركي وابن الدقاق الفقيه . وعلى بن عيسى هو الربيعي المتوفى سنة ٤٢٠ عن نيف وتسعين سنة وترجمته في ارشاد الاربع ٥ : ٢٨٣ وأبو بكر الرازي هو أحمد بن على تلميذ أبي الحسن الكرخي واليه رئاسة الحنفية أريد لقضاء القضاة فامتنع توفي سنة ٣٧٠ وأبو القاسم الداركي هو عبدالعزيز بن عبد الله بن محمد الفقيه الامام انتهى اليه معرفة مذهب الشافعي وله وجوه في المذهب منها انه قال : لا يجوز السلم في الدقيق . وربما كان يجتهد في المسئلة والفتوي فيقال له في ذلك فيقول : ويحكم فلان عن فلان عن رسول الله صلعم بكذا وكذا والاخذ بالحديث أولى من الاخذ بقول الشافعي وأبي حنيفة ! توفي سنة ٣٧٥ كذا في تاريخ الاسلام

في الجيش واستنفر المسلمين فثار من العامة عدد كثير باصناف السلاح والسيوف والرماح والقسى حتى استعظم ما شاهده منهم ولم يوفق لترتيبهم وضمهم الى رئيس يقوم بهم بل جعلهم كالعدة لنفسه فصاروا وبالا عظيما وضروا على المحارمات بينهم وأظهروا ضروب العصبية وأثاروا الفتنة وأقدم بعضهم على بعض بالقتل واستباحة الاموال والهجوم^(٢٨٧) على الحرم والفروج وتفاقم الامر بينهم وبلغ كل المبلغ في الشر وعجز السلطان عن اصلاحهم واطفاء ما أثاره من نائرتهم حتى صار ذلك سببا لخراب بغداد وسند كر شرح هذه الاحوال عند دخول سنة ستة بمون الله

وصالح بختيار عمران كما حكينا أمره فيما تقدم وطمع في مال الصلح واستضعفه ورجع بختيار الى بغداد وهي خراب بكثرة الفتنة واستطالة العامة وحدوث الحروب فيها واغارة بعضها على بعض وكثرة رؤسائهم الناجمين فيهم حتى حصل في كل محلة عدة رؤساء من العيارين يحامون على محلتهم ويجبونهم الاموال ويحاربون من يليهم فهم لذلك متحاقدون يغزو بعضهم بعضا نهارا وليلا ويحرق بعضهم دور بعض وينير كل قوم على اخوانهم وجيرانهم . فاما الاتراك فمتسحبون مقترحون ما لا تمكن منه متجاوزون حدود العامة في سفك الدماء والطمع في الاموال والفروج حتى قتلوا صاحب شرطة كان لبختيار يقال خمار لشيء حقير^(١) كان حقه على بعض أصاغر الاتراك فلقبهم

(١) قال صاحب التكملة : وفي شعبان قتل العامة والاتراك خمار صاحب المعونة برأس الجسر من الجانب الشرقي وأحرقوا جسده لانه كان قد قتل رجلا من العوام وولى مكانه الحبشي . قتل أحد العيارين في سوق النحاسين فثارت العامة وقالته وأخذ أبو الفضل الشيرازي حاجبه صافي لمعاونة صاحب الشرطة وكان صافي يبغيض أهل الكرخ فاحترق النحاسين الى السماكين فذهب من الاموال ما عظم قدره وأحرق الرجال والنساء في

راكبا في موكبه فحملوا عليه وألجأوه الى الهرب والدخول الى دار بختكين المعروف بمجمدويه وكان رئيسا معظما في الاتراك فجمعوا عليه وأخرجوه وقتلوه قتلة الكلاب خفقا بالسيوف واللتوت^(٣٨٨) ثم سلموا جثته الى العامة فقصلوه آرابا حتى أخذ كبده بعض السفهاء وقلبه آخر وكل جارية منه وجد في يد سفيه ثم أحرقوا باقي جثته بالنار. وفتحوا السجون وأطلقوا أهل الدعارة منها وقلعوا أبوابها ونقضوا حيطانها وعجز بختيار عن تدبير أمرهم وخاف معرفة الاتراك فاستدعى الديلم الى داره فخصروه بالسلاح وتكلموا في أمر المقتول أغنى خمار وأنكروا تبسط الاتراك وتحركات الاحقاد بينهم وعمل الديلم على قصد دار سبكتكين الحاجب ومنازل الاتراك وأحسوا بهم فحجزوا واستعدوا وتعصبت العامة معهم فسكن بختيار تلك الثورة وأغضى عن قتل صاحبه خمار ثم عول على الحاجب سبكتكين في تسكين العامة لان هيئته كانت في نفوسهم أكبر وقلد سبكتكين الشرطة ببغداد حاجبا له فسكنت الفتنة مدة أيامه الا أنه تعصب للطائفة المنتسبة الى السنة على الشيعة فثار أهل التشيع وعادت الحروب والفتن كاعظم ما كانت . فكانت الاموال تنهب والقتل بين العامة يستمر في كل يوم حتى صار لا ينكر ولا يمكن حسمه وظهر نقصان الهيبة وعجز السلطان .

الدور والحمامات وأحصى ما احترق فكان سبعة عشر الفا وثلثمائة دكان وثلثمائة وعشرين داراً أجرة ذلك في الشهر ثلاثة وأربون الف دينار واحترق ثلاثة وثلاثون مسجدا . وكلم أبو أحمد الموسوى لابي الفضل الشيرازي بكلام كرهه فصرفه عن النقابة وولى أبا محمد الحسن بن أحمد الناصر العلوي . وركب أبو الفضل الى دار ابن حفص التي على باب البركة وأحضر التجار وطيب قلوبهم فقال له شيخ منهم : أيها الوزير أربتنا قدرتك ونحن نؤمل من الله تعالى أن يرينا قدرته فيك . فامسك أبو الفضل ولم يحيه وركب الى داره

وعطف بختيار على وزيره أبي الفضل العباس بن الحسين بمطالبة الاموال واعطاء الرجال وأرضاء طبقات^(٣٨٩) الجند وكان لا ينظر في دخل ولا خرج وانما يلزم وزيره تمشية الامور من حيث لا يعينه ولا ينصره ولا يمنع أحدا من جنده شيئا يلتمسه ولا يقبض يده ولا لسانه عن كل ما يفسد حاله وشانه ويجب أن تقضى أوقاته في الصيد والأكل والشرب والسمع والاهو واللعب بالهند وتطريش الكلاب والديكة والقبايح فاذا وقفت أموره قبض على وزيره واستبدل به فلا يلبث الامر أن يعود من الالتيث والانهلال الى أسوأ ما كان . فلما بلغ الامر بوزيره أبي الفضل هذا المبلغ ولم تبق له حيلة في درهم يأخذه من وجهه عدل الي طلب الاموال من الوجوه المذمومة التي تقبح الاحدونه بها وتحرم ولا تحمل في شيء من الاديان .

فبث بختيار على مطالبة المطيع لله بما ل يوهمه أنه من وراء ثروة ومال وانه يحتاج الى اخراجه في طريق الغزو وان ذلك واجب على الامام ﴿ ذكر الرسائل والجوابات التي دارت بين المطيع وبين ﴾
(بختيار وما آل اليه أمر أبي الفضل من الهلاك)

أجابه المطيع لله بان : الغزو يلزمني اذا كانت الدنيا في يدي والى تدبير الاموال والرجال وأما الان وليس لي منها الا القوت القاصر عن كفائي وهي في أيديكم وأيادي أصحاب الاطراف فما يلزمني غزو ولا حج ولا شيء مما تنظر الأئمة فيه وانما لسمي من هذا الاسم الذي يخطب به^(٣٩٠) على منابركم تسكنون به رعاياكم فان أحببتم أن اعتزلت عن هذا المقدار أيضا وتركتمكم والامر كله . وترددت المخاطبات في ذلك والمراسلات حتي

خرجت الى طرف من أطراف الوعيد واضطر الى التزام أربعمئة الف درهم باع بها ثيابه ولبعض أنقاض داره . وشاع الخبر ببغداد بين الخاص والعام وعند من ورد من حاج خراسان وغيرهم من الواردين عن الاقطار ان الخليفة صودر وكثرت الشناعات ^(١)

وعول أبو الفضل الوزير فيما يحتاج اليه من مال الجند والاقامات التي تلزمه للاتباع والحاشية على مصادرات الرعية والتجار والتأويل عليهم بالحال وابتدأ بأهل الذمة ثم ترقى الى أهل الملة فأخذ أموال اليهود ووجوه البلد من أهل الست وبث السعاة والفمازين وسماهم العمال وأجرى عليهم الارزاق وكثر الدعاء عليه في المساجد الجامعة وفي الكنائس والبيع وفي الحافل والمجالس وزادت العامة على ما ذكرت من حالها في الاغارة والاقدام على النهب والحرق وأسرفت في ذلك حتى بطلت الاسواق وانقطعت المعاش وتعذر على أكثر الناس الوصول الى ماء دجلة حتى شربوا ماء الابار وحصلوا في شبه الحصار . ورام الوزير أبو الفضل تسكينهم فتعذر عليه حتي أركب اليهم طائفة من الجيش فواقعهم ^(٢٩١) وكسروهم ونقصت الهيبة أكثر مما كانت عليه وركب أبو الفضل بنفسه لقتال العيارين وواقعهم فلم يقدر عليهم .

وكان في حجاب رجل يعرف بصافي ذميم الاخلاق ذنى النفس يتعصب لاهل السنة فضرب محلة السكرخ وهى مجمع الشيعة ومعظم التجار

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : فشدوا على المطيع لله حتي باع قماشه وحمل أربعمئة الف درهم فاققه ابن بويه في اغراضه وأهمل القزو وشاع في الالسنه أن الخليفة صودر كما شاع قبله ان القاهرة بالله كدى يوم جمعة فانظر الي تقلبات الدهر

بالنار فعظم الحريق وتلفت البضائع وصارت المضرّة على الرعيّة فيما دبره
سلطانها أعظم مما جناه سفهاؤها . وكان بين أبي أحمد الموسوي (وهو الحسين
ابن موسى ويتولى نقابة الطالبين) وبين أبي الفضل الوزير مناظرة فيما جرى
على الشيعة فظهر امتعاضا وخرج في المناظرة الى المهاترة فصرفه الوزير عن
النقابة بابي محمد بن الناصر^(١) وهو الحسن بن احمد العلوي وحصل أبو احمد
الموسوي من أعداء أبي الفضل المكاشفين له المثرين عليه وحصل أبو الفضل
فريدا لا ناصر له اما سبكتكين فيطلب عنده ثار أبي قرة وفي نفسه عليه ما كان
منه في استدعاء بختكين آذاذروه من الاهواز الى واسط ليقم مقامه ويحمله
ضدّ له وشيء آخر كان عظيما عنده قبيحا وهو أن سبكتكين كان يختص غلاما
تركيا من غلمانه فغضب عليه وأمر بديمه في السوق فنصب الوزير أبو الفضل
من اشتراه له بضعف قيمته وتحمّاه ونزل عنه منزلة من كان في نفسه منه عشق
ثم موله وأعطاه^(٢١٢) شيئا كثيرا حتى صار أجل وأيسر من غلمان سبكتكين
فلحقت سبكتكين من ذلك غيرة شديدة وفسد عليه غلمانه الذين في داره بما
وصل اليه هذا الغلام . فهذه اسباب عداوة سبكتكين وقد حكينا عداوة
الجرجرائي له وعداوة أبي احمد الموسوي النقيب له ثم عداوة محمد بن بقية له
وكان ابن بقية قدامك قيادة بختيار وكان سبب عداوته له ان أبانصر المعروف
بابن السراج (واسمه ابراهيم بن يوسف وهو من الاشرار المعروفين بالسعاية)
قد جمع بالملكسب الخيـث مالا عظيما وأعقد ضياعا جليلة فشعثها أبو الفضل
تشميئا يسيرا أخرجه به الى عداوته والسعي على دمه وكان يجتمع مع المعروف
بمحمد بن احمد الجرجرائي كاتب شرمزن (الذي قدمنا خبره وسبب عداوته

(١) يعني الناصر لدين الله أبو الحسن احمد بن الهادي الى الحق يحيى قد تقدم ذكره ص ٢٠٩

لابن الفضل) ويداخلان محمد بن بقية ويعرضانه للمكاسب الجليلة والفوائد العظيمة ولم يزالا به حتى غيرا رأيه في الوزير أبي الفضل وأوهماه انه ساع عليه وانه لن يبعد أن يضمه من بختيار بمال عظيم ثم تجاوزا ذلك الى أن أشارا عليه بتقلد الوزارة وان يسبقه الى القبض عليه والراحة منه

﴿ ذكر السبب في تقلد ابن بقية الوزارة ﴾

لم يكن ابن بقية يستقل ولا يكمل لحمل دواة بين يدي وزير ولا يطعم في شيء من هذه المراتب ^(٣١٣) ولكنه تقدم عند بختيار وقت خلافته لصاحب المطبخ في توفير وقته وخدمة في جملة ما تمسخر وكان مستخرجا عسوفاً شديد القسوة جاهلاً وفيه مع ذلك سماحة وسعة صدر وهو في هذه السيرة متشبه بأهل الشطارة والفتاك والدعار وليس يسلك طريقة أهل الكرم والرياسة ولما أشار عليه هذان بالدخول في الوزارة والقبض على أبي الفضل قبل أن يسبقه الى ذلك دهش وعلم أنه يهجز عما أشارا به عليه

﴿ ذكر كلام سديد لابن بقية في تلك الحال ﴾

انه أجابهما بان قال : لا صناعة لي ولا توجه فيما تدعوانني اليه ولي عند صاحبي منزلة كبيرة تحتاج الوزراء الى معها وأخاف أن أدخل فيما ليس من عملي وأتهجن ويقدم في منزلي واحط عنها من غير أن أتنفع بالوزارة . فشجماه وجسراه وضمن له محمد بن أحمد الجرجرائي أن يخفمه ويكفيه العمل كاه ثم صار الى بكتكين الحاجب وذكراه بأفعال الوزير أبي الفضل وحمله على الشروع في صرف أبي الفضل ونكبتة فقال لهما : اني لم أزل معتقدا لذلك وانما كان توقفي عنه طلبا لمن يقوم مقامه ويسد مسده اذ كان

محمد بن العباس ^(١) قريب العهد بالصرف ولم يكن مرضياً في وزارته ولا ^(٢١٤) ناهضاً بها وقد حفظت على الأمير بختيار إيمان البيعة بان لا يقلده وزارته . فخطابه في تقليد ابن بقية وضمانه أن ينهض ويغنى ويكفى وانهما يعضدانه ويشدان منه في التدبير والنظر في الامور فاستروح سبكتكين الى ذلك وجمع به التشني من أبي الفضل وفساد أمر بختيار وتجنثم احتمال النضاضة في توفية محمد بن بقية حقوق الوزارة بهـ ان لم يكن من يجوز أن يعده من أصاغر خدمه ولا يطمع في دخول داره وانما تجرع ذلك وطابت به نفسه لعظيم ما كان في قلبه من أبي الفضل فراسل بختيار في ذلك وقد كان بختيار ساء رأيه في أبي الفضل جداً فاستجاب اليه .

وقد كان أبو سهل ديزويه العارض مرموقاً بمال عظيم ولم يتمكن منه لمصاهرة كانت بينه وبين شیرزاد بن سرخاب فلما نفى شیرزاد احتيج اليه في تسكين الجند مديدة فندفعت نكبته ثم أن أبا الفضل هم في هذا الوقت بالقبض عليه فاحب ابن بقية أن يتولى أبو الفضل القبض عليه ثم يتسلمه هو ويستخرج أمواله . فجرى الامر على ذلك فقبض أبو الفضل على أبي سهل ديزويه في يوم الخميس وقبض ابن بقية على أبي الفضل يوم الاحد فكان بينهما ثلاثة أيام واستم القبض على جميع ^(٢١٥) كتابهما ومن يتصل بهما من أسبابهما وكان ذلك في سنة ٣٩٢

وفي سنة ٣٩١ وقع الصلح بين عضد الدولة وبين أبي صالح منصور بن نوح صاحب خراسان ووقعت المصاهرة فتزوج منصور بن نوح بابنة عضد الدولة ونفذ في ذلك عابد بن علي مع عشرة أنفس مختارين من

الاشراف والقضاة والشيوخ المذكورين وتكاف صاحب خراسان مؤونة عظيمة للرسل والشيوخ وحمل هدايا كثيرة لم تحمل مثلها قط الى عضد الدولة وكتب بينهما كتاب اتفاق بين الجهتين وكتب فيه شهود العراق الحاضرون وشهود خراسان خطوطهم

وفي سنة ٣٦٢ خلع المطيع لله على أبي اسحق ابراهيم بن ممر الدولة وكناه ولقبه عمدة الدولة^(١)

وفي هذه السنة جرت وقعة بين الدمستق وبين هبة الله بن ناصر الدولة بناحية ميافارقين^(٢) وكانت عدة الدمستق عظيمة كشيعة لكنه اتفق ان لقيه في مضيق لا تجول فيه العساكر وكان الدمستق في أول عسكره على غير أهبة تامة فانهزم الروم وأخذ الدمستق أسيرا وتمكن المسلمون منهم وأعر الله دينه وكثر القتل والاسر حتى أُنقذ الى بغداد الرأس والأيدي وكانت كثيرة فشهرت وكانت^(٣٩٦) هذه الوقعة في آخر يوم شهر رمضان سنة ٣٦٢ وحبس أبو تغلب الدمستق الى ان جرح به جراح عظيم فبطّ وتأدت الحال به الى الموت بعد ان كان أحسن ضيافته واجتهد في علاجه وقدّر ان يبلغ

(١) زاد صاحب التكملة : خلع عليه من دار الخلافة بالسيف والمنطقة ورسم بحجة المطيع لله على رسم أخيه عز الدولة في أيام أبيه (٢) وقال أيضا : ثم وصل الخبر بان الدمستق قصد آمد فخرج اليه والباها زار مرد مولى أبي الهيثم ابن حمدان وانضم اليه هبة الله بن ناصر الدولة وساعدهم أهل النغور فصرهم الله تعالى وكثر القتل والاسر لاصحاب الدمستق وأخذ مأسورا وذلك في ثاني شوال . وكان أكبر السبب في خذلان الله تعالى الروم ان هبة الله تعالى متقدمهم في مضيق وقد تقدم عسكره ولم يذهب وكانت الحال في أمره كما وصفنا . وكتب أبو تغلب كتابا الى المطيع لله يخبره بالحال وكتب الصابي الجواب عنه وهو مذكور في رسائله ومات الدمستق من جراح به

به من ملك الروم ما يريد .

وفي هذه السنة خلع ناني يوم قبضه على أبي الفضل وهو يوم الاثنين السابع من ذى الحجة سنة ٣٦٢ على محمد بن بقية وكان الى هذا اليوم يقدم الطعام اليه ويحمل الغضائر بيده ويتشع بمناديل الغمر ويدوق الالوان عند تقديمه اياها على رسم من يخدم في المطبخ خدمته فلما وزر عاد يريد الخدمة في ذلك فهاه بختيار . وتعجب الناس من وزارته فانه كان دنيا لا يقع عينه الا على من كان فوقه ولا يرى نفسه الا دون كل أحد فازدادت دولة بختيار به سقوطا واخلاقا وتضاحك صغار الناس به قريبا وبعدا . واستخلف حين وزر محمد بن أحمد الجرجرائي وناط الامور به وبالمعروف بابي نصر السراج واستقصى على أبي الفضل في المطالبة بالمال حتى تقرر أمره على مائة الف دينار فلما صح أكرها سلم الى أبي الحسن محمد بن عمر بن يحيى العلوي الكوفي على ان يخرج^(٢٩٧)ه الى الكوفة ويحبسه عنده فتسلمه وعاش عنده مديدة وتنف فلم يشك أحد انه مات مسموما^(١)

وقبل ذلك توفيت زينة بنت أبي محمد المهدي رحمه الله وقد كان أخوها أبو الغنائم تقدمها وأكثر أهلها وانقرضت الجماعة ثم تتبعهم جميع من اشترك في دم

(١) ذكر صاحب التكملة انه سقى ذراريه في سكنجبين فتقرحت مئاته ومات من ذلك فال أبو حيان : قيل له في وزارته الثانية : كنت قد وعدت من نفسك ان أعاد الله يدك الى البسطة ورد حالك الى السرور والغبطة انك نجم في المعاملات وتنسى المقلبة وتلقى وليك وعدوك بالاحسان الى هذا والكف عن هذا . فكان جوابه ما دل على هفوه لانه قال : أما سمعتم قول الله تعالى : ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه . فما لبث بعد هذا الكلام الا قليلا حتى أورد ولم يصدر ولم ينعش بعد ان عثر . وفي تاريخ الاسلام : وله تسع وخمسون سنة

أبى الفضل قتلا من غير ان طال بهم الاعمار وسندكر ذلك فى موضعه ان شاء الله ﴿ذكر ما دبر به ابن بقیة أمره حتى تماسك مديدة﴾

انه جد في مطالبة أبى الفضل وأسبابه من خلفائه وحجابه وعلمانه وكل من انتسب اليه والى ديزويه العارض حتى استصفى أهوالهم واتسع بما وصل اليه مديدة ومشت الامور بين يديه فتبجح بذلك وادعى حسن الاثر وتوصل الى ان كناه المطيع ولقبه الناصح نفع عليه الخلع السلطانية بامر بختيار واذنه . وكثر ذمه لابى الفضل والظمن عليه وادعى العدل والانصاف فلم تمض الا أيام حتى ارتكب من الظلم والنشم واثارة الفتن ما صارت أيام أبى الفضل بالقياس الى أيامه جارية مجرى أيام العمرين وكل ذلك لسوء نظر بختيار واهماله الامور واقباله على الشهوات واستتقاله مباشرة^(٣٩٨) التدبير حتى سقطت الهيبة وانبدسطت العامة وأغار بعضها على بعض وظهرت الاهواء المختلفة والنيات المتعادية وفشا القتل حتى كان لا يعدم في كل يوم عدة قتلى لا يعرف قاتلوهم وان عرفوا لم يتمكن منهم فانقطعت مواد الاموال وخربت النواحي المتباعدة بخراب دار المملكة وظهر في كل قرية رئيس منها مستول عليها وتباغوا بينهم وحصل السلطان صفر اليد والرعية هالكون والدور خراب والاقوات معدومة والجند متهارجون

﴿ذكر تدبير دبره الترك وأكابر الخاشية والجند حتى سكن أمرهم مديدة﴾
(ثم عادت الحال كاسوأ ما كانت)

شرع ابن بقیة فى اصلاح ما بين بختيار وسبكتكين وتوسطه الوجوه والاكابر فترددت المراسلات ووجوه^(١) الكتاب والقواد وأخذ لكل واحد

منهما على صاحبه يمين مؤكدة على التصافي والتآلف فلما تم الاتفاق بينهما ركب سبكتكين الى بختیار مع جماعة من الاتراك فلقيه وسلم عليه وانصرف. ولم يمد اليه ولا اجتمعا الا في الموكب وعلى سبيلهما الاولى في التحرز ونشأت بينهما ظنون سيئة وبلاغات منكرة ووجد الاعداء والمتسوقون^(١) طريقا سهلا في الشر فسلكوه فعادا الى التنافر^(٣٩١)

﴿ ذكر سبب قوى في عودهما الى الحال الاولى من العداوة ﴾
اجتاز ديلمى من سقط الجنود سكران في فنا دار سبكتكين الحاجب فيما يلي دجلة وهو نائم فرمى الديلمي أحد صوالة الروشن بزوبين كان معه فابته فيه على سبيل العبث فظن سبكتكين انه مدسوس عليه ليرمييه فتقدم باخذه فاخذ وسئل واستقصى عليه فلم يكن لذلك الظن أصل فامر بانقاذه الى بختیار وتعريفه ما كان منه فلما حصل بحضرته أمر بقتله فقتل وتحرك الديلم وانكروه واستشنعوا فله وشغبوا وحملوا السلاح ولزموا موضع الشغب ثلاثة أيام ثم استعطفوا فرجعوا الى منازلهم والقلوب نافرة
﴿ ودخلت سنة ثلاث وستين وثلثمائة ﴾

وفيها خرج بختیار الى الموصل طمعا في تناول بعض مافي تلك الاعمال والاتساع به وحرصا على التصيد في طريقه
(شرح هذه الاسباب وذكرها على التفصيل)

قد كان أبو الفضل قبل صرفه عن الوزارة الاخيرة اطمع بختیار في الموصل وقدر أن خروجه اليها يشغله عن نفسه وقصده ويدفعه عن نكبته وليتغلل بما يتناوله من تلك الاعمال غلة ومالا يستعين بها في القضم والاقوات

(١) يعنى السعاة قال أبو العلاء المعري في اللزومات (٢١:١) * ولا تقبلوا من كاذب متسوق *

فلما تقلد محمد بن بقیة الوزارة سلك هذه السبل في بعثه على الخروج وحرص ابن بقیة على الموصل (٤٠)

﴿ ذكر سبب ذلك ﴾

وردت كتب أبي تغلب على ابن بقیة مع علي بن عمرو كاتب أبي تغلب ووزيره بمخاطبة دون ما كانت تكتب به الوزراء قبل ذلك لانهطاط منزلته في نفوس الناس وأبت نفس أبي تغلب أن يوفيه جميع ذلك الحق فاغتاظ ابن بقیة من ذلك وذكر علي بن عمرو وصاحبه أبا تغلب بالقبیح وتوعدهما بالمسير فتلافاه بالمكاتبة المستوفاة فلم ينصرف ابن بقیة عن عزيمته . وأحب بختيار الخروج الى الموصل للامور التي ذكرناها وقد كان أبو المظفر حمدان وأبو طاهر ابراهيم ابنا ناصر الدولة حصلا ببغداد وطمع أبو تغلب في استصلاح أخيه ابراهيم ولم يطمع في حمدان لو كيد العداوة بينهما فكاتب ابراهيم وأرغبه ليقطعه عن مضامة حمدان وصادف ذلك تقصيرا من بختيار . ونظر ابراهيم فاذا أحوال اخوته الذين أقاموا مع أبي تغلب مستقيمة منتظمة وكاتبه « باني سائر اليك » واستدعى منه قرا من الفرسان والاعراب ليصحبوه فانفذهم الى قرب بغداد على سمت البرية فهرب اليهم وأخذ معه أخاد المسمى ذا القرنين (١)

وكان رهينة في يد معز الدولة تم في يد بختيار وهرب من محبسه ليلا وخرج مع أخيه فلما كان الصبح عرف بختيار الخبر فلم يكن له فيه حيلة وجعل ذلك سببا ظاهرا للخروج الى الموصل والباطن ما تقدم (١١) ذكره . وكان حمدان ابن ناصر الدولة من أشد الناس بعثا له على الشخصوص الى تلك البلاد وطمعا

(١) هو أبو المطاع وجيه الدولة ولى دمشق من قبل الحاكم صاحب مصر سنة

في التشفي من أبي تغلب فاستحلفه بختيار بنعموس الايمان بعد هرب ابراهيم على الاثبات معه والنصيحة له وتمت العزيمة فخرج بختيار وسبكتكين الحاجب ومحمد بن بقية الوزير وذلك في شهر ربيع الاول من سنة ثلث
 ﴿ ذكر الحال في هذه الخرجة وما آل اليه الامر ﴾

وقم التدبير علي أن يخرج سبكتكين في الجانب الشرقي على المقدمة ويتلوه بختيار سائرا على أثره ويدهما مرحلة واحدة فاذا صاروا بازاء تكريت عبر بختيار وسار في الجانب الغربي واستمر سبكتكين سائرا في الشرق ففعلا ذلك وسبق بختيار الى الموصل وقد رحل عنها أبو تغلب الى سنجار بمسكركه كله وأخلاها من كل ميرة وكل كاتب ومنصرف ثم توجه من سنجار الى مدينة السلام وهو من الجانب الغربي . وتأخر سبكتكين بالحديثة وأظهر التشاغل بعبور السفن فاتصل خبر أبي تغلب وخروجه الى بغداد ببختيار فكتب الى سبكتكين يرسم له العبور الى الجانب الغربي والمسير في أثر أبي تغلب وانفذ اليه شطر عسكره وحمدان بن ناصر الدولة وجمهور العسكر وانفذ محمد ابن بقية في الطيارات والزبازب راجعا الى بغداد بعد أن استخلف^(٤٠٢) بحضرته محمد بن احمد الجرجاني . فسبق أبو تغلب وانتهى الى قرية تعرف بالفارسية علي نهر الدجيل بينها وبين بغداد نحو ثلاثة فراسخ فعسكر بها وعامل من اجتاز به من أهل السواد بالجميل ولم يأخذ منهم شيئا الا بالثمن الوافر وأظهر العدل والانصاف . وصارت طلائمه ترد الى بغداد وخرج اليه جماعة من عوام الناس وأوباشهم مستقبلين له مظهرين السرور بمقدمه وبرز أبو اسحق ابن معز الدولة وكان يخلف أخاه بختيار الى باب الشماسية وانتقل المطيع لله والدة بختيار وجماعة الحرم والاولاد الى القصر الذي بناه معز الدولة بباب

الشماسية على طريق التحصن وعقد أبو اسحق جسرا في هذا الموضع على دجلة وعبر بطائفة من الجيش الذي كان معه واطهر أنه يريد الحرب والمدافعة من غير عزيمة صحيحة وإنما اراد التماسك الى أن يصل سبكتكين الحاجب . فتمجّل وصول محمد بن بقیة سابقا في آلات الماء فشده من أبي اسحق وافتن الجانب الغربي وعاد العوام الى حمل السلاح والحرب وطلب الطوائل واستتر التجار وتعطلت الاسواق وعبر أهل النباهة من الغربي الى الشرقي ونزل سبكتكين باوانا بازاء عكبرا . فعدل أبو تغلب من موضعه راجعا اليه فنزل في قرية بينهما نحو نصف فرسخ^(٤٠٣) وتضاف المسكران ووقع الطراد بين سرعان الخيل وطوائف من الاعراب ثم تكافأ وجنعا الى الصلح

﴿ ذكر مكيدة جرت في هذه الحرب واجتماع من ﴾
 ﴿ سبكتكين وأبي تغلب على بمختيار وحيلة بينهما ﴾
 (لم يتممها سبكتكين وضيع فرصته فيها)

كانت الموافقة في السر تجري بين أبي تغلب وسبكتكين على المواعدة واطهار الخلاف الى أن يتمكن سبكتكين من القبض على الخليفة ووالدة بمختيار وحرمه ومحمد بن بقیة واطهار العصيان عند ذلك ثم يمود الي بغداد ويعود أبو تغلب الى الموصل قاصدا بمختيار وهو في عدد قليل فيتمكن منه ويقلب دواته سریدا . ففكر سبكتكين في سوء السمعة ولم يقدم على حرم مولاه وعلى الخليفة وخاف عاقبة ذلك . وبادر محمد بن بقیة من بغداد الى سبكتكين فاجتمع معه وحضرهما رسل أبي تغلب وتقرر الصلح على المبلغ الاول وزيادة الف كراً من الخنطة في كل سنة وعلى أن يطلق أبو تغلب لبختيار ثلاثة آلاف

كر حنطة عوضا عن مؤونة سفره : وانكفأ أبو تغلب الى الموصل قاصدا
بختيار وهو في خوف من عسكره فايقن الناس ان أبا تغلب لم يقدم على القرب
من سبكتكين الا على ثقة من أنه لا يحاربه وان ذاك الطراد الذي وقع بين
أوائل المسكرين انما كان تمويها

ودخل سبكتكين وجميع^(٤٠٤) المسكر بغداد وأسلم بختيار وقامت
القيامة على محمد بن بقية من ذلك وطالب سبكتكين بمعاودة السير واللاحاق
بصاحبه بختيار فتناقل عن ذلك واحتج بان الرجال لا يستجيون للمودثم ففكر
في العواقب فانكفأ على مضض ورحل وقد ظهر للناس ما كان هم به الا أنه
ما فعل ولو هم وفعل لكانت فرصة عجيبة وكان لا يمتنع عليه شيء من التدبير
الذي ذكرناه . ثم جد سبكتكين وابن بقية وسائر الجند في المسير مصعدين
وقد كان بختيار حين عرف خبر رجوع ابي تغلب اليه جمع اليه أطرافه وردّ
قواده من النواحي التي كان فرقه فيها وخاف خوفا شديدا وعي مصافه في
الموضع المعروف بالدير الاعلى من ظاهر الموصل وقرب أبو تغلب ونزل
أسفل الحصبا على حالة الالهبة والتعبية ولم يبق بينهما في المسافة الا طول
قصبة الموصل فقط وأحجم كل واحد عن صاحبه وعن المناجزة الا أن أبا
تغلب كان الاظهر لكثرة عدده وتعصب أهل الموصل له وخاض الناس
بينهما في حقن الدماء وتعيم الصلح الذي تقدم ذكره فاشتط أبو تغلب في
الحكم والتمس النقصان والحطيطة وطالب بتسليم زوجته بنت بختيار اليه وان
يلتب لقب سلطانيا فأجابه بختيار الى ذلك كله تفاديا من اللقاء . وجرى كلام
في معنى حمدان وان يفرج عن ضيائه وأملا كه^(٤٠٥) بغلاتها وعن القلعة
المفردة له المسماة وهي قلعة ماردين . وكانت هذه القلعة مسماة الحمدان

ومفردة له منذ أيام أبيه وقد رتب أخاه من أمه مع ثقات له فيها فاحتال أبو تغلب على هذا الاخ حتى رغب في مال يتعجله وخان أخاه وسلمها . فامتنع أبو تغلب من ذلك كله ولم يدخل في شرائط الصلح شيئا منه وكان غائبا عن هذا الامر وحاصلا ببغداد مع سبكتكين الحاجب . فضعف بختيار عن الاستيفاء وكان غرضه المقاتلة وان يفرج له أبو تغلب فخرج الى موضع يقال له قرن الآئل على خمسة فراسخ من معسكره في عرض الموصل بعد ان حلف كل واحد منهما لصاحبه يمينا أخذها عليهما أبو أحمد الموسوي وجماعة من السفراء وانحدر بختيار الى الحديثة وأهل الموصل يتبعونه باليمن والدعاء عليه ويتبعون أصحابه ويتوثبون عليهم وذلك ان محمد بن أحمد الجرجرائي خليفة ابن بقية ظلمهم وعسفهم فكان انصرف بختيار عن هزيمة ظاهرة . فلما تحرك من موضعه وانحدر دخل أبو تغلب الموصل وظفر بجماعة كانوا مالوا الى بختيار من أصحابه وأهل الموصل فسمّل عيونهم . ووجد رجلا عقيليا يعرف بابن العجاج كان استأمن من عسكره الى بختيار ولم يخرج عن البلد تعويلا على ما جرى من الصلح فضرب رقبة .

ولما وصل سبكتكين ومحمد بن بقية وحمدان والجيش واجتمعوا مع بختيار اضطرب حمدان من خروجه عن الصلح وأنف محمد بن بقية من الحال التي انصرف عليها بختيار واتفقوا على ان يجعلوا ضرب رقبة هذا العقيلي وسمّل العمال^(٤٠٦) ووثوب أهل الموصل على حاشية بختيار واتباعه عذرا في الرجوع وحجة على أبي تغلب في الفسخ فعطفت الجماعة بجميع المسكر الى الموصل . فهرب أبو تغلب عنها الى ناحية يقال لها تل اغفر ورد كاتبه المعروف بابني الحسن على بن عمرو بن ميمون برسالة الى بختيار يماثبه

فيها على النقض وينسبه الى الغدر فقبض محمد بن بقية عليه واعتقله وامتنه واحتج عليه بما ذكرنا فجحد ان يكون ما جرى من القتل والسمل باصر أبي تغلب وأحال فيه على بعض غلمانه ثم تقرر الامر بعد خطوط جرت على اتمام الصلح وقومت الغلة وردت الى الورق ووضع عنه ما استخرجه بختيار من الموصل وأعمالها ونجم الباقي على تعجيل وتأجيل وشرط الافراج عن ضياع حمدان خاصة دون قلعة ماردين ودون ما أخذ منها ومن ارتفاع الضياع وان يسلم القوم الذين قتلوا انعقيلى وسملوا العمال لينفذ فيهم بختيار حكمه فانفذهم أبو تغلب اليه على ثقة بانه لا يسىء اليهم لعلمهم جميعا انهم مأمورون (فمعا عنهم بختيار) وعلى ان يلقب أبو تغلب ويؤلف اليه زوجته وجددت الايمان واليهود على الفريقين وانصرف بختيار وتشاغل في طريقه بالتصيد وكان وروده مدينة السلام لعشر خلون من رجب من هذه السنة وورد كاتب أبي تغلب فأنجز له بختيار المواعيد وسأل المطيع لله في تلقيه فلقب عذة الدولة وأتخذ اليه^(٤٠٧) خلع سلطانية ونقلت اليه زوجته ووقع البدار به ليصح المال

وفي هذه السنة هلك محمد بن أحمد الجرجاني وتلف في المصادرة

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان ابن بقية لا يبقى على أحد يتهمة أو يسبق الى قلبه منه شيء بل يعاجله قبل التأمل ويقتله من غير تثبت وكان أهلك قوما من أهل الكفاية والكتابة بالظن والتهمة وانهم سيصلحون لمكانه . ولما أفضت اليه الوزارة وكان المتولى للبصرة على بن الحسين الشيرازى المعروف بابي القاسم المشرف وكان يعاديه ويعتقد انه ذو كفاية فاراد القبض عليه واستصفاء ماله واتلافه

فتدافع ذلك الى ابن عاد من الموصل فعمل على ان ينفذ محمد بن أحمد الجرجرائي في ذلك طلبا لابعاده عن الحضرة ولان حاله كانت تمهدت عند بختيار لتقدمه على ابن بقية في الكتابة ولانه عقد بينه وبين قهرمانة بختيار التي يقال لها تحفة فكانت تجامى عليه وتتعصب له وكان مع ذلك يتكلم بالفارسية وابن بقية لا يعرف منها شيئا فتناول بهذه الاشياء على ابن بقية واستهان ببعض ما كان يأمره به ثم بلغه انه مهد لنفسه حالا عند بختيار أيام تفرده بخدمته بالموصل . فلما اجتمعت عليه هذه الاشياء أراد ابعاده عن الحضرة واخرجه في التبض على علي بن الحسين والنظر فيما كان ينظر فيه فلما خاطبه في ذلك نفر منه وأحس بتغير نيته له واجتهد^(١٠٨) في ان يفيقه فلم يفعل فانحدر وقد نبا كل واحد منهما عن صاحبه . ولوصبر على ان يكون عامل البصرة لما خرج به ابن بقية الى ماخرج ولكنه لما رآه يأبى الالتشب بالحضرة والتمسك بما كان ناظرا فيه دون ماسواه اتهمه وازداد شكافيه . وكان ابن بقية قدّم كتابه الى صاحب له ينوب عنه بالبصرة يقال له عبد العزيز بن محمد الكراعي وهو من الاوغاد الاصاغر الذين ارتفعوا بارتفاعه وأمره يعرّفه نيته في علي بن الحسين ويأمره بالقبض عليه فانحدر الجرجرائي على ان يصادره وينصب مكانه ضامنا له أو عاملا غيره ويعود فلما استقر بالبصرة وافق علي بن الحسين على مال التزمه وأضافه الى أصل ضمان البصرة وجدد ايقاع العهد عليه وردّه الى عمله من غير استئذان لمحمد بن بقية وكتب اليه بان الصواب أوجب ذلك عنده وانه مصعد الى الحضرة فاغناظ من فعله ورآه بصورة من يستهين به ويؤثر المقام بالحضرة فكتب الى عبد العزيز بن محمد الكراعي بالقبض عليه وعلى علي بن الحسين ففعل ذلك فاما

على بن الحسين فانه قرر أمره على بعض المقاربة ورده الى العمل بعد خطوب جرت فيه وأما الجرجرائي فانه أخذ خطه بمال ثقیل فصح له بالبصرة شيء يسير واشترط لنفسه ان يحمل الى بغداد ليصح المال اذ كان وطنه بها وفيها نعمته وانما كان غرضه ^(١) ^(٢) بالقهرمانه التي كانت تعزه فسابقه محمد بن بقیة اليها فاشترى بخمسين الف درهم منها فاسلمته وخت بينه وبينه وكتب بحمله وتقدم الى عامله بواسط وهو محمد بن أحمد المكنى أبا غالب الصريفي بان يتسلمه حتى يصل اليه ويتولى من أمره ما الله مسألته عنه . فقلسه أبو غالب ومكث في يده أياما وأظهر انه اعتل ومات وحساب الجماعة على الله الحكم العدل

وفي هذه السنة بدأت فتنه الاتراك بالاهواز ثم عمت جميع العراق

﴿ ذكر السبب في هذه الفتنة كيف نشأت ﴾

قد كانت الاضافة في المال والتسحب من الرجال زاد على بختيار حتى نبت به الديار وتعذر عليه الاستقرار فكان وزراؤه وكتابه يحتالون له فلا يجدون طريقا لمصلحة ولا يتجه لهم وجه الصواب وكلما أملوا أملا خابوا أو قصدوا عدواً نكبوا ونكصوا لان الابنية كانت توضع على أصول غير مستقرة وقواعد غير قوية فلا يبعد ان يتقوض فيعتاص عليهم المذاهب . فاعتقد بختيار ومحمد بن بقیة عند منصرفهم من الموصل بالخيلية ان يخرجوا الى الاهواز فيستقصيا على بختكين آذروه ويصرفاه عن الباء ويعملوا له أعمالا ويطالباه بمال ويمرأا عليه النكبة ثم يفرقا الاتراك عن سبكتكين ويخفقا عدد من يبقی منهم ببغداد ^(١) ويحتالوا عليه من البعاء ليستريحاً منه

وَيُحْصِي أَمْوَالَهُ وَأَقْطَاعَهُ وَنِعْمَتَهُ وَيَتَسَمَّى بِذَلِكَ . فَأَحْدَرَا إِلَى الْاَهْوَازِ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ ٦٣ فَلَمَّا صَارَ ابْنُ وَاسِطٍ أَنْقَذَ إِلَيْهِمَا بِخَيْتَيْنِ ثَلَاثُمِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ ثُمَّ نَزَلَ الْاَهْوَازَ فَحَمَلَ إِلَيْهِمَا مَا يَحْمِلُ إِلَى الْأَصْحَابِ وَخَدَمَهُمَا وَبَدَلَ مِنْ نَفْسِهِ الطَّاعَةَ فِي الْحَاسِبَةِ وَالْمُوَافَقَةَ . فَلَمْ تَمُضْ عَلَى ذَلِكَ أَيَّامٌ حَتَّى ثَارَتْ فِتْنَةٌ بَيْنَ الْأَتْرَاكِ وَالْدِيْلَمِ فِي سَبَبِ صَغِيرٍ قَدْ كَانَ يُجُوزُ أَنْ يَسْتَدْرِكَ قَبْلَ أَنْ يَسْتَفْجَلَ وَيَسْتَصْعَبَ فَانْغَمَاهُ وَجَعَلَهُ ذُرِيَّةً إِلَى اتِّمَامِ مَا كَانَا هُمَا بِهِ وَأَجْرِيَاهُ عَلَى تَخْلِيْطٍ وَفَسَادٍ مِنْ غَيْرِ تَحَرُّزٍ وَلَا احْتِيَاظٍ

﴿ ذَكَرَ الْخَطَأَ الْفَاحِشَ وَالتَّخْلِيْطَ الَّذِي اسْتَعْمَلَ ﴾

﴿ فِي التَّدْبِيرِ حَتَّى انْعَكَسَ وَعَادَ وَبَالَآ ﴾

أَنَّ بَخْتِيَارَ خَلَفَ بِنْفِدَادَ وَالِدَتِهِ وَأَخُوْتَهُ وَأَوْلَادَهُ وَحُرْمَهُ وَخَزَائِنَهُ وَأَكْثَرَ سِلَاحِهِ وَقِطْعَةً مِنْ خَيْلِهِ فِي قَبْضِهِ سَبَكْتَكَيْنِ عَدُوَّهُ الَّذِي هُوَ فِي طَرِيقِ التَّدْبِيرِ عَلَيْهِ وَمُكَاشَفَتِهِ بِالْعِدَاوَةِ ثُمَّ أَخَذَ يَتَطَلَّبُ عَوْرَةَ الْأَتْرَاكِ الَّذِينَ مَعَهُ وَيَنْتَهِزُ الْفُرْصَةَ الضَّعِيفَةَ فِيهِمْ لِيُفْسِدَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ وَيَنْبِذَهُ سَبَكْتَكَيْنِ عَلَى تَدْبِيرِهِ عَلَيْهِ . فَكَانَ مَبْدَأُ هَذَا الْفَسَادِ أَنَّ غَلَامًا مِنَ الْأَتْرَاكِ نَزَلَ بِسُوقِ الْاَهْوَازِ دَارًا تَجَاوَرُ بَعْضُ الدِّيْلَمِ وَكَانَ عَلَى بَابِهَا لَيْنٌ مُشْرِجٌ فَأَرَادَ أَنْ يَنْبِيَّ بِهِ مَعْنًا لِدَوَابِهِ وَاحْتِاجَ ذَلِكَ الدِّيْلَمِيِّ أَيْضًا إِلَى شَيْءٍ مِنْهُ فَوَجَّهَ غَلَامُهُ لِيَأْخُذَهُ فَمَنَعَهُ غَلَامُ التُّرْكِ فَلَمْ يَمْتَنِعْ وَخَرَجَا ^(١١١) إِلَى التَّنَازُعِ وَالتَّهَارُجِ فَخَرَجَ التُّرْكِ مِنْ دَارِهِ لِيَنْصُرَ صَاحِبَهُ وَبَنَعَ صَاحِبُ الدِّيْلَمِيِّ وَخَرَجَ أَيْضًا الدِّيْلَمِيُّ لِنَصْرَةِ غَلَامِهِ فَأَرَبَى عَلَى التُّرْكِ وَاسْتَطَالَ عَلَيْهِ فَرَكَبٌ فِي الْوَقْتِ وَاسْتَنْهَضَ الْأَتْرَاكِ فَتَارَوْا بِالْدِّيْلَمِ وَتَبَادَرُ الدِّيْلَمِ وَحَمَلُوا السِّلَاحَ وَاجْتَمَعُوا عَلَى بَابِ بَخْتِيَارَ وَبِالْبَابِ سَاحَةٌ وَاسِعَةٌ قَدْ ضُرِبَ فِيهَا وَجْهٌ مِنْ وَجُوهِ الْأَتْرَاكِ مُضَارِبُهُ

وذلك لعزة المنازل فأحاطوا به وهو سكران وسمع الصياح فنهض وركب وعمل على أن يلحق برفقائه فعارضه أحد الديلم وشمته فثنى عنانه اليه وهو بغير جبة فرماه الديلم فقتله فاستحكمت حينئذ الفتنة وطالبت الاترك بشار صاحبهم هذا وروا الديلم بنشاب كثير حتى قتلوا رجلا وجرحوا عدة وبرزوا بأسرهم عن البلد الى الصحراء وتبعهم غلمانهم وأتباعهم وقعد عنهم القواد والاكابر في منازلهم على طريق التوقف عن الفتنة والتمسك بالطاعة . واجتهد بختيار في تسكين النائرة فلم يمكنه ذلك بعد انتهائها فاستدعى قواد الديلم وشاورهم وقد كانوا يعرفون اعتقاده في سبكتكين الحاجب والاتراك فقالوا : هذا أمر قد انتشر وفي نفسك منه ما فيها والصواب أن تقبض على رؤساء الاترك المقيمين وتستولى على هذه البلاد التي كانت في يد بختكين وتنهض الى بغداد لتقطع عنها^(٤١٢) سبكتكين وتستريح منه ومن الاترك . وكانت عادة بختيار ان يسمع من كل مخاطب ويتحدث مع كل كاذب فتسرع الى قبول ما رآه ووجهه الى بختكين آذرويه وسهل بن بشر كاتبه وسبأشى الخوارزمي وبكتيجور وكان حما لسبكتكين الحاجب فأحضرهم من منازلهم وقبض عليهم وقيدهم وأدخل يده في اقطاعات سبكتكين بالاهواز وصرف أسبابه عنها وكتب الى البصرة بانتهاء في الاترك والايقاع بهم فنودى فيهم ونهبت منازلهم وهربوا عنها .

﴿ ذكر حيلة احتالها بختيار فلم تتم له ﴾

كان بين بختيار وبين والدته اتفاق على أن تظهر عند بعده عن بغداد الى الاهواز وخفية الاترك المقيمين بحضرة سبكتكين ان بختيار قد توفي ليصير سبكتكين اليها معزيا ومشاركا في المصيبة ووافق أخاه أبضا على مثل

ذلك فاذا حضر أو قما به وقبضا عليه فكذب اليهما ساعة قبض على رؤساء
الأتراك على الاطيار بالعمل على ذلك الاتفاق . فاشاعا ورود نعيه وظنا أن
سبكتكين لا يتأخر عنهما وكان أرزن وأرجح من أن يصير اليهما ولو صار
اليهما لما حضر الا على نهاية الاستظهار فان غلبت داره الممالك أربعمئة
سوى أتباعهم وسوي الديلم برسمه وسوى حجابيه ومن في جماعتهم .^(٤١٣)

وكان هذا الرأي من بختيار بعيدا من الصواب خليقا بالانتقاض فاقصر
سبكتكين على مراسلتهم بالمسئلة عن الخبر ومن أين صح وتوقف عن
الركوب الى أن وردت رسل أصحابه وكتبهم بشرح ما جرى على حقيقته
فجمع حينئذ الأتراك المقيمين ببغداد وأعلمهم ما عومل به رفقاؤهم وان
الستر قد انخرق وانهم قد أحلت وأبيحت فدتوه الى
أن يتأمر عليهم ليطيعوه فتوقف عن ذلك وراسل أبو اسحاق ابن معز الدولة
يعلمه ان الحال بينه وبين بختيار أخيه منفرجة انفراجا لا الثام له وان
أكثر الجيش نافر عنه وانه ليس يستحسن أن يعدل عن طاعة مواليه
وان عقوه وبيانوه وانه يعقد الامر له ويجمع الأتراك على متابته وينقل
الديلم عن بختيار اليه ويتكفل له بالامر حتى يستقر عليه

﴿ ذكر انتقاض هذا التدبير بعد استمراره حتى ثارت الفتنة العظمى ﴾
لما قبل أبو اسحاق ابن معز الدولة هذا الرأي ودخل تحت علم أن
بختيار اما أن يصير جالسا في بيته مزاح العلل فيما يحتاج اليه أو يصير الى
حضرة عمه ركن الدولة فذهب الى والدته وقص عليها القصة فمنعته
من هذه الحال واشفقت من أن يؤول^(١) الى هلاك احد ولديها . وصار اليها

من كان مقيما بمدينة السلام من الديلم فاطمعوها في الاستقلال بمحاربة سبكتكين^(٤١٤) ومن معه من الاتراك فجمعهم الى دارها بالسلاح واصبح سبكتكين وقد نقض عليه ابراهيم ذلك الاتفاق . فركب في يوم الجمعة اثمان خلون من ذى القعدة من سنة ثلث مع جميع الاتراك قاصدا الحرب وناصبا لها فبقى يومين يحاربهم تباعا فلما كان في الثالث احرق جوانب الدار بعد أن حاصرها ونفذ زاد من كان فيها واستسلم ابراهيم ووالدته وكذلك أبو طاهر ومن كان معه وسألوه أن يفرج لهم عن الطريق لينحدروا الى واسط ولا يفضح حرم مولاه واولاده فاستحيا وتذمم فاجتمعوا جميعا في حديدي وانحدروا وتفرق الديلم هارين في مرقعات الى بختيار وأقامت منهم شرذمة في طاعة سبكتكين

وكان المطيع لله أعد لنفسه حديديا استظهر به عند حدوث الفتنة فانحدر مع المنحدرين فانفذ سبكتكين عدة من الزبازب حتى ردوه الى داره ووكل به فيها توكيلا جيلا . واستولى على ما كان لبختيار بمدينة السلام من السلاح والدواب والآلات والمنازل فزل الاتراك في دور الديلم وتبعوا حرمهم وودائعهم وسائر اسبابهم . وثارَت العامة من أهل السنة ناصرة لسبكتكين فقود من رؤسائهم القواد وعرف العرفاء ونقب النقباء وخلص عليهم وحملهم على الدواب^(٤١٥) واستصحبهم وبسطهم وصار له منهم جند

﴿ ذكر خلع المطيع وتسليم الامر الى ولده ﴾

كان المطيع لله بمقبلة من الفالج يسترها وقد ثقل لسانه وتمذرت الحركة عليه فانكشف حاله لسبكتكين فدعا الى تسليم الامر الى ولده الطائع

لله ففعل وعهد اليه فبريء من الخلافة وخلعها واشهد على نفسه سنة ٦٣ يوم الاربعاء لثلاث عشرة خلت من ذى القعدة^(١)

﴿ ذكر اسباب الفتن الهاشمية بين العامة ﴾
(حتى أدت الى بوار بغداد)

لما انبسطت العامة الذين ذكرنا حالهم مع سبكتكين وهم الفرقة المعروفة بالسنة استضاءوا الشيعة وناصرهم الحرب وتحزب الفريقان وكانت عدة الشيعة قليلا فتحصنوا في أرباض الكرخ من الجانب الغربي واتصلت الحروب حتى سفكت الدماء واستبيحت المحارم وأحرق الكرخ حريقا ثانيا بعد الحريق الاول في وزارة أبي الفضل فافتقر التجار وغلهم العيارون على أموالهم وبضائعهم وحرّمهم ومنازلهم واحتاجوا أن يتخفروا منهم وأى فريق كانت الخفارة له قصد الفريق الآخر . وانتثر النظام وانخزل السلطان وصارت العصبية بين هذين الصنفين في أمر الدين والدنيا بعد أن كانت في أمر الدين خاصة وذلك أن الشيعة تاروا بشعار بختيار والديلم وأهل السنة تاروا بشعار سبكتكين والأتراك^(١٦)

﴿ شرح الخال فيما تأدى اليه أمر بختيار بالاهواز ﴾
(وما دبر به أمره)

أدخل يده في اقطاعات جماعة الأتراك وظفر بذخيرة كانت لبختكين آذاذويه بجند يسابور واجتمع الأتراك المشغبون بسواد الاهواز ثم صار بعضهم الى سبكتكين وتلافي بختيار بعضهم

(١) وفي تاريخ الاسلام . فقال أبو منصور بن عبد العزيز العكبري : كان المطيع لله بعد أن خلع بسمي الشيخ الماضل

﴿ ذكر السبب في ضرورة بختيار الى استصلاح ﴾
(الاتراك بعد استفسادهم)

استوحش غلمان دار بختيار منه واضطربوا عليه وقصده الاتراك الذين هربوا من البصرة وعابود على ما ارتكب منهم من غير ذنب وقال له الديلم : انه لا بد لنا في الحرب من فرسان وآتراك . فاضطرب بختيار في الرأي وترجع فيه ثم قرره على ان أطلق بختيار آزا ذرويه وجعله في موضع سبكتكين وسماه حاجب الحجاب وقدّر ان الاتراك يأمنون به ويعملون عن سبكتكين اليه وكتب الى البصرة بايقاع النداء بانهم آمنون والّا يعرض لهم وان يُرد ما أخذ منهم وأطلق سباشي الخوارزمي وأقر بكتيجور على حمله ^(١) الاعتقال لمصاهرتة سبكتكين . وبلغه خبر والدته واخوته وعياله في انحدارهم الى واسط فصار اليها .

وكتب الى الحضرتين بفارس والري يشكو ما نزل به ويسئل ان يكشف عنه وتابع المكاتبات وزاد في تأكيدها بحسب تزايد الفتنة وكتب الى أبي تغلب ابن حمدان فسأله انجاده بنفسه وعسكره وعمل على ان يعتصم بعمران بن شاهين فانفذ اليه خلما وفرسا بمركب ذهب وتوقعا باسقاط مابقى عليه من مال الصلاح الذي كان صالحه عليه ^(٤١٧) وخطب اليه احدى بناته وسأله ان ينفذ اليه عسكرا في الماء يستعين به على حرب الاتراك وترسل اليه في ذلك حاجب له يعرف بابراهيم بن اسمعيل فلما أدى اليه الرسالة قال له : يا هذا قد جئتنا في أمور غير متوجهة عندنا ولا لائقة باحوالنا .

(١) لعله حالة

﴿ جواب عمران بن شاهين عن رسالته واتباعه ﴾

﴿ اياه بكلام وافق قدرا جرى كما قال وقدّر ﴾

أما هذا الدين المتروك فالتحمة علينا به مع علمنا بأنه ساقط باطل لا يحسن لكننا نقبل ذلك . وأما الوصلة فانا رجل لا أداخل أحدا من خلق الله الا ان يكون الذكر من عدي والاثني من عنده وقد خطب الى الطالبين مع انهم موال فما أجبت أحدا منهم الى ذلك لان نفسي لا تسمح له وهو لاء أولاد أخى هم أكفأ بناتي ما واصلت أحدا منهم ولكن ان شاء ان تتصاهر على السبيل الاخرى فعات . واما الخلة والفرس فاست من يلبس اباسكم ولا أركب الخيل لان دوابي هذه السفن لكن أبا محمد ابني يقبل ذلك ولا يرده . وأما عسكري وانفاذه فليس تسكن رجالي الى مخالطكم لكثرة من قتلوا من رجالكم على مر السنين والوقائع . ثم قال للرسول : قل له : ينبغي ان تتوفر وترزن ولا تستعمل هذه الخفة والنزق فقد قصصني محاربا لي فرجعت عني منهزما وقصصت الالهواز فرجعت منهزما على هذه الحال والصورة من الفتنة ^(٤١٨) وأنا أعلم ان أمرك سيتأدى الي ان تجيئني وتلوذ بي وتحصل عندي وساذرك هذا وتعلم حينئذ اني أعاملك بالجميل وبخلاف ما عاملتني به أنت وأبوك قبلك . فتمجّب الناس من موافقة كلام عمران هذا المقدور الكائن فان الحال يختيار آلت الى المصير اليه والحصول عنده مستجيра به ويستدما على ما سذكروه ان شاء الله

﴿ جواب ركن الدولة عن رسالته اليه ﴾

فاما ركن الدولة فانه أجاب بجواب صدر عن نية صحيحة وشفقة عليه وهو ان قال : ان الفتى الذي اتفق عليه عظيم يحتاج الى رجال ومال

وسلاح وتدير وهيبة وطاعة وانه قد شاخ وثقلت عليه الحركة وانه بازاء
اشغال عاتقة وأمور قاطعة ولكنه قد عول في هذه الحال على ابنه عضد الدولة
اذ كانت تلك الادوات التي عدتها مجتمعة له وحاصلة عنده وانه سائر من
فارس اليه مع جيش كثيف ويخرج الى نصرته من عنده الوزير أبو الفتح
ابن أبي الفضل ابن العميد . واما بنى ركن الدولة هذه الرسالة على ما كان
يكتبه به ابنه عضد الدولة فانه كان يعرف أخبار العراق يوما يوما ويطمع ان
يملكها لما يرى من سوء تدبير بختيار لها ولاضطراب الامور ^(١١) هناك
بسوء تأني الوزراء وسقوط الهيبة وانتشار الحيل وفساد الرعية وكان مع
ذلك فاسد الرأي في بختيار مضطعنا أشياء كان تقدم ^(١٢) بينهما من مناقشة
جرت في وقت ومنافسة في مرتبة ومنع مما كان يلتمسه عضد الدولة منه
خاصة من دفاتر عزيزة كان يرضن بها بختيار وجوار صوانع محسنات كان
لا يسمح بها ومن خيل عراب كان يمنع من شرائها له ويجب ان يستبد بها
من البادية وكانت هذه الاشياء مجتمعة في نفس عضد الدولة فهو يجب ان
تستحكم الفتن ويستشري البلاء حتى يزول أمر بختيار ثم يقصد بنفسه
وخيله وأمواله ويدبر أمر تلك الممالك لنفسه ويضمها الى ممالكه . فراسل
أباه ركن الدولة : بانك قد كبرت عن لقاء الجروب ولا مال عندك وعندي
منه كيت وكيت في القلاع والخزائن . وعظم عليه ما جمعه ولعمري لقد
كانت عظيمة وكانت له مع ذلك هيبة في أصحابه وتدابير مصيبة ولكنه
أحب ان يبذلها في خاصة نفسه لا في معاونة ابن عمه الذي يتصوره
بصورة التجلف وتضييع الامور واهمالها وتقويض الوزارة وتدابير المملكة

الى من لا يُرجع منه الى روية صادقة ولا تدبير صائب ولا صناعة قوية ولا ذكر بين الناس جميل وهو ^(٢٠) مع ذلك يظهر له المنافسة ويمنعه من مطالبه وبغض من اقدار أصحابه الواردين عليه في مهماته . وكان يكاتب أباه ركن الدولة بمثل ذلك الظاهر الجميل الذي يجمع الشفقة عليه والمحاماة عنه وتفديته بنفسه ورجاله في نصرة ابن أخيه الذي هو ابن عمه وباطن رأيه ان ذلك الامر سيضطرب اضطرابا لا يتبقى معه بقية الاباستصلاحه لنفسه دون غيره ﴿ جواب عضد الدولة عن رسالته اليه ﴾

قد كان حبس أباه ركن الدولة عن الحركة بنفسه وأطمعه في النيابة عنه وكفأيته هذا الشغل فاجاب بختيار يشير عليه بان يقف حيث انتهى والا يزيد الامر فسادا ولا يبرح من واسط حتى يلحقه ويدبر نواحيه وأقبل يماطله بالمسير وزحف اليه الاتراك ومن انحاز اليهم من سائر أنواع الجنود فحوصروا وباع منه كل جهد . ولعمري لقد صبر لهم وطاولهم ولكن مصابة من يحتشمه عدوه ويبقى عليه وذلك أنه لما اشتد به الحصار وكان نازلا بين النخيل لا مجال لخيل الاتراك فيه وأصحابه ديلم ورجاله يستندون الى النخيل ويراوغون فيه ولا يخلو في خلال ذلك من مواقف يصل اليه فيها التركي المداخل المصالحات فاذا علم انه قد تمكن منه عدوه يذكره بالله وبالنعمة ^(٢١) وانه صنيعته وصنيعه أيه ويخطبه بما يرق له القلب وتستحي منه العين فينصرف عنه التركي بعد التمكن منه ويجب أن يجري قتله على يد غيره . فلم تزل هذه حاله من الصبر على الجوع والعري ونفاد السلاح والخوف من اقدام من لا يقبله ولا يحتشمه عليه ويكاتب عمه وابن عمه . وعضد الدولة يتوقف ويعمد بالمسير مدافعة الماطل المنتظر به الهلاك وركن الدولة يضيع من ذلك ويبعث ابنه

ويستبطئه الى ان لم يجد عضد الدولة من المسير بدا فسار من فارس وسار أبو الفتح ابن العميد من الري وكانت عدة أبي الفتح الوزير التي استصحبها يسيرة بالاضافة الى ما استظهر به عضد الدولة كثرة وقوة ومددا وذلك انه بالغ جدا ولم تبق بقية في الاحتشاد ولم تكن صورته في ذلك صورة من ينصر ابن عمه على طريق المعاونة والانجاد ثم الانصراف بل صورة من يجاهد ويدافع ويقيم بمد الظفر . ولم تخف على الناس هذه الحال منه لكثرة ما استصعبه من آلات خيم المقيم التي يريد ان يستقر بها ويتمكن في كل بلد بالآلات المعدة لها من الفرش الكثير والزينة التامة التي لا يستعملها المتوجه الى معاونة المنصرف بعد الفراغ من نصرة من توجه لنصرته .

فاما جواب أبي تغلب ابن حمدان عن رسالته ^(٢٢٢) فانه أجاب بالمسارعة والانعام وأنفذ أخاه أبا عبد الله الحسين بن ناصر الدولة الى تكريت في جمع من جيشه فاقام بها مدة طويلة انتظاراً بما يكون من انحدار الاتراك عن بغداد الى محاربة بختيار فيردها . ولما تمادى الامر وانحدر بعد ذلك سبكتكين كما سنحكيه سار أبو تغلب يجمع جيشه الى مدينة السلام ليجب على بختيار الحجة فيما بذل له خطه من ابطال ما تقرر بالموصل وعمل ببغداد ما سنصفه ان شاء الله

﴿ ذكر الرسائل التي تردت بين سبكتكين وبختيار ﴾

ثم أن سبكتكين راسل بختيار : بانك قد جنيت على نفسك جناية عظيمة بما ارتكبته ودبرته . وان كل ما عمله وتتصرف فيه خطأ وغلط وان الامر الآن قد خرج عن اليد فافرج لي عن واسط حتى تكون هي وبغداد في يدي بازاء أموال الاتراك التي قد حصلت على وتكون البصرة والاهواز

ونواحيها في يدك بازاء أموال الديلم واجعل أمرى وأمرك واحداً ولا تدخلن
 بيننا أحداً ولا تفتح للحرب باباً فلست من رجالها وأنا ناصح لك مشفق
 عليك حافظ وصية مولاي فيك التي ما حفظت مثلها في". فعرض بختيار هذه
 الرسالة على الديلم فانكروها وأكبروها واستخفوا بقائلها والتحمل^(٤٢٣) لها
 وردوه بالخفية والمناذرة فجد سبكتكين واستعد للحرب وقدم كتاباً من الخليفة
 إلى بختيار ينذره فيه وأجيب عنه بما ليس هذا موضعه ووصل جواب هذا
 الكتاب الى الطائع لله والى سبكتكين وقد انحدرنا عن بغداد وانتهيا الى
 دير العاقول ومع وصوله توفي المطيع لله وكان انحدر مع ابنه الطائع لله
 وحدث بسبكتكين علة الموت فمكث فيها بدير العاقول أربعة أيام وتوفي فحمل
 الى مدينة السلام.

وتماسك الاتراك وثبتوا واجتمعوا على الفتكين مولى معز الدولة وكان
 يتلو سبكتكين عند معز الدولة وله رئاسة في الاتراك وحشمة قديمة^(١) ولقاء
 في الحروب للاعداء فمقدوا له الرئاسة عليهم وعمل على اتمام الغزيمة في اللقاء
 وكان عبر بختيار الى جانب واسط الغربي وأخلى الشرقي وجمع السفن
 والزوارق اليه ولم يترك من آلات الماء شيئاً في الجانب الشرقي ونقل الشتاء
 وطبقات الناس اليه وضرب مصافه في منازل واسط وعمل على المناجزة
 الاتراك واقامهم بالديلم اما مناجزة ان ثبتوا له واما مصابرة الي أن يأتيه
 الغوث من الري وشيراز وكان استبشر بما اتفق على الاتراك من موت
 زعيمهم وقدر انهم يضطربون ويتشر أمرهم ثم عرف انتظام أمرهم فتوقف^(٢)
 عن الاصعاد . واجتمع الاتراك وزحفوا وعقدوا جسراً بسفن كانت معهم

من بغداد وكانت معهم أيضا زبازب كثيرة وجيش للماء وعلي مقدمتهم حمدان ابن ناصر الدولة فاستأمن حمدان الى بختيار بكل من معه وعبر من الجانب الشرقى الى الجانب الغربى فآكرمه بختيار ووصله

﴿ ذكر السبب في تسيرهم حمدان مقدمة والسبب ﴾
﴿ فى استئمانه الى بختيار ﴾

كان حمدان بن ناصر الدولة ببغداد عند حدوث هذه الفتنة فدعاه سبكتكين الى طاعته فاجابه وأخذ عليه العهود والمواثيق بالنصيحة والمواالة وانما سكن اليه للعداوة التى بينه وبين أبى تغلب ولان أبى تغلب حافظ على مودة بختيار وواصله ونصره وظاهره فانفذه سبكتكين على مقدمته . فلما توفي سبكتكين كتب اليه الفتكين يعرفه وفاته واتصابه فى موضعه ويستدعيه اليه ليستأنفا ايقاع التدبير ويتفقا على المسير . فاعتقد حمدان حين وقف على هذا الكتاب أن أمر الاتراك قد اختل نظامه بوفاة سبكتكين وعزم على المصير الى بختيار وكان عرف أيضا مسير عضد الدولة وخيول ركن الدولة فانفذ كتاب الفتكين الوارد عليه الى بختيار وأعلمه انه سيعود الى الفتكين ثم ينحدر اليه واشترط شروطا واقترح اقتراحات . فورد ذلك على بختيار وقد عبر الى الجانب الغربى ولما اجتمع حمدان مع الفتكين ردّه^(٢٥) على مقدمته كما كان فى أيام سبكتكين . فوافى بمن معه من غلمانه وأسبابه وعبر مستأمنا الى بختيار فلقاه وأكرمه وحمل اليه مالا كثيرا وثيابا فاخرة وعدة وافرة من الخيل والمراكب والبغال والجمال . وضعفت نفوس الاتراك فتوقفوا يوما ثم زحفوا بأسرهم ونزلوا على دون الفرسخ من واسط وعبروا

على جسرهم وتقدموا الى مصاف بختيار فكانوا يواقعونه بنواب و اتصل
ذلك نحو خمسين يوما . وتجاسر العوام من الجانبين على استعمال المشاة
الفاحشة والمساباة المقذعة واتفق على حمدان انه حمل على الاتراك في بعض
هذه الايام فرموه ووقع بعض سهامهم في صماخ فرسه فرمى به ونهض
ليركب غيره وعليه الحديد فلم يتمكن من ذلك وعرفه الاتراك فاكبوا عليه
بالدبابيس حتي أنخنوه وكاد يتلف ثم أخذوه أسيرا لافضل فيه فمولج وبرأ
الا انه لحقه عرج ظاهر من وركه الايمن وبقي على ذلك بقية عمره ثم من
عليه الفتكين وأطلقه وأخذ منه رهينة وأعادته الى حاله فشهد معه الحرب يوم
ديالي الي ان انهزم الاتراك وانحاز الى عضد الدولة

ولم نزل الحرب بين الديلم والاتراك متصلة بواسط والاستظهار
للأتراك^(٣٦) وأشرف الديلم على الانكسار والهرب دفعات وقتل من
الديلم خلق كثير لنقصان جنهم واستظهار الاتراك عليهم بالاسلحة واشتد
على بختيار الحصار وأحرق به وصار في مثل كفة الحابل وأحاط به الاتراك
من كل وجه وكانت صورته كما ذكرت فيما تقدم . واتصلت كتبه الى أبي
تغلب يسأله الانحسار والى عضد الدولة يسأله اللحاق ويُعلمه ان مملكته
قد خرجت من يده وانه أحق بها ممن غلب عليها حتى انه كتب اليه في
بعض كتبه البيت الذي كتب به عثمان الي أمير المؤمنين على صلوات
الله عليه :^(١)

فان كنت ما كولا فكن خيرا كل والا فادر كني ولما أمزق
نأما أبو تغلب فسار بجميع عسكره بعد ان كان قدم أخاه الحسين كما

كتبنا خبره فيما تقدم وصار الى مدينة السلام فالفها مفتنة باليارين^(١)
فقمهم وقتل جماعة منهم وحمل من بغداد الى الموصل أشياء كثيرة ظفر بها
من آلات فاخرة وأنقاض جليلة وذخائر وودائع
وأما عضد الدولة فانه سار بعد ما ذكرته من التوقف والابطاء واجتمع
مع أبي الفتح ابن العميد بالاهواز

﴿ ذكر السبب في رجوع الفتيكين الى بغداد ﴾

﴿ وهرب أبي تغلب عنها الى الموصل ﴾

لما سمع الفتيكين بخبر عضد الدولة وحصوله بالاهواز نخب قلبه

(١) وفي تاريخ الاسلام انه في المحرم أوقع العيارون حريقا بالخشابين مبداه من
باب الشمير فاحترق أكثر هذا السوق وهلك شيء كثير واستفحل أمر العيارين ببغداد
حتى ركبوا الخيل وتلقبوا بالقواد وغلبوا على الأمور وأخذوا الخفارة من الاسواق
والدروب . قال صاحب التكملة : وذكر أبو حيان في كتاب الامتاع والمؤانسة قال :
حصل ببغداد من العيارين قواد بمنعوا الماء ان يصل الى الكرخ وكان فيهم قائد يعرف
بالاسود الرند لانه كان يابى قطرة الرند ويستطعم من حضر وهو غريان لا يتواري
فلما فشا المرح رأى هذا الاسود من هو أضعف منه قد أخذ السيف فطلب الاسود سيفا
ونهب وأغار وظهر منه شيطان في مسك انسان وصبح وجهه وعذب لفظه وحسن
جسمه وأطاعه رجال فصار جانبه لا يرام وحريمه لا يضام وظهر من حسن خلقه مع شره
ولعته وسفكه الدم وهتكه الحرم وركوبه الفواحش وتورده على ربه القاهر ومالكه
القادر انه اشترى جارية بالف دينار فلما حصلت عنده حاول منها حاجته فمنته فقال :
ماتكرهين مني . فقالت : أكرهك كما أنت . فقال : ماتحبين . قالت : ان تبيعي . قال :
أو أقبل ملك خيرا من ذلك . وحملها الى مسجد ابن رغبان فاعتقها بين يدي القاضي
ووهب لها الف دينار . فنجب الناس من نفسه وهنته وسماحته وصبره على خلافها
وترك مكافاتها على كراهتها . ثم صار في جانب أبي أحمد الموسوي فحماء وسيره الى
الشام فهلك بها .

ورأى ان يحصل ببغداد ويجعلها^(٤٢٧) وراء ظهره وتكون حربته على ديالى . قال صاحب هذا الكتاب : كنت في جملة السائرين من الرى في صحبة أبى الفتح ابن العميد وما كان اشفاقنا ولا حذرنا كله الا من سبق الاتراك ايانا الى أسفل واسط الى الموضع المعروف بباذيين وان يجعلوا النهر وراءهم مع المدينة والميرة وان يتركونا حتى نقطع اليهم . فمأزة بنج وبنج ونلقاهم على اعياء وكلال وليس وراءنا عمارة ولا نجد ما ننزل عليه فان طاولونا أياما كان الهلاك وان ناجزونا حين ورودنا كانوا جامين مستريحين ونحن على حال تعب وضعف وكنا من كثرة العدد على ما وصفت فيما تقدم . فلم يوفق الاتراك لذلك وانصرفوا الى بغداد ورأوا من الصواب لهم ان يملكوا ببغداد ويجعلوها وراء ظهورهم وتكون حربهم على ديالى فكانت الخيرة لنا فيه ودخلنا واسط بغير مانع . وقد كان بختيار واخواه ومحمد بن بقية تلقوا عضد الدولة لما انصرف الاتراك عنهم وترجلوا له وأعظموه كما يستحق وسار عضد الدولة في الجانب الشرقى وتقدم الى بختيار ان يسير بازائه من الغربى ممتدين الى بغداد

فاما الفتكين فانه لما توسط في مسيره الى بغداد أنفذ سرية في أربعمائة غلام من الاتراك لكبس أبى تغلب فارهقوه وشغب مع ذلك جنده عليه فهرب^(٤٢٨) الى الموصل هربا قبيحا وتقطع عسكره . وحصل الفتكين ببغداد في حصار شديد قد أحدقت به الخيول من كل وجه وذلك ان بختيار كاتب ضبة بن محمد الاسدي وهو رجل من أهل عين التمر كثير العشائر وقد جرت عادته بالتبسط بان يشن الغارات على أطراف بغداد ويمنع من جلب الميرة اليها ففعل ووجد الطريق الى بغيته فنهب السواد وقطع السبل . ثم أنفذ

في الجانب الشرقى ابن أخ لمحمد بن بقیة وزیرہ يعرف بابی الحمراء وهو لقب غلب علیه مع طائفة من بنى شیبان لیطرف بغداد ويحاصرها من ذلك الوجه وكانت خيول عضد الدولة والري وبختيار متوجهين اليه سائرين لحروبه وكان أبو تغلب من ناحية الموصل يمنع الميرة وينفذ اليه سراياه ورجاله فاشتد الحصار به وعزت الميرة وانحسرت موادها ونارت الرعية فهبت الموجود في المدينة وامتنع الناس بالفتنة ان يتسوقوا أو يعمشوا وأعت الفتكين الحيلة في التماس ما يحتاج اليه وصار يتبع المواطن التي يظن فيها قوتا أو بذرا أو عدة يتناول ذلك حتى انتهى به الامر الى ان ركب نفسه الى منزل بعض الاشراف فكبسه وأخذ مافيه

وسار عضد الدولة كما حكينا في الجانب الشرقى وبختيار بازائه في الغربى فلما صار بدیر^(٢٩) العاقول عبى عسكره تعبیه اللقاء وجعل موكب خاصته في القلب وفي ميمنته أبا الفتح ابن العميد وجيش الري وفي ميسرته أبا اسحق ابراهيم بن معز الدولة ومحمد بن بقیة وطائفة من عسكر بختيار ونزل المدائن على هذه الحالة من الترتيب . وورد خبر الفتكين بانه برز الى دىالى ونزل عليه مستعدا للحرب وعقد عليه جسورا ليعبر عليها واعتقد ان يلقى العساكر في فضاء بين دىالى والمدائن وظن انه يتمكن بالجولان فيه مما يريدہ وذلك في^(١) ﴿ سنة أربع وستين وثلاثمائة ﴾

(١) زاد صاحب التكملة . طولب أبو محمد ابن معروف ان يستحل يسم دار ولد أبى الحسن محمد بن أبى عمرو الشربانى حاجب الخليفة وكان أبوه قد مات والبائع لها وكيل نصبه المطيع لله فامتنع وأغلق بابه واستعفى من القضا (وفي تاريخ الاسلام انه عزل بحكومة ابغى فيها وجه الله) فقد مكانه القاضي أبو الحسن محمد بن صالح بن أم شیبان الهاشمي بعد ان امتنع وأجاب على أن لا يقبل رزقا ولا خلعة ولا شفاعة وان يدفع

وعبر الفتكين تلك الجسور ولم يقع في الظن انه يعبر ديالى ولا انه يترك التحصن به والقتال من ورائه فسار عضد الدولة على تعبئة وهيئة حتى انتهى الى قرية هناك وتراءت مواكب الفتكين وقد عبأها كراديس واعترض نهر صغير في هذه القرية فوقع التشاغل به الى ان عبرته العساكر وصاروا مع تلك الكراديس في أرض واحدة

﴿ ذكر عجلة وقعت وحرص ظهر من جيش ﴾

﴿ بختيار الذين كانوا في ميسرة عضد الدولة ﴾

(فكانوا يكسرون العسكر)

تقدم الجيش البختيارى المرتب في الميسرة مع أبى اسحق وابن بقية زحفا بغير أمر وفارق المصاف وخرج عن النظام حرصا على اظهار فضل وغناء وتشوقا الى اللقاء فراسلهم عضد^(٣٠) الدولة ونهاهم فلم ينتهوا على ما اعتادوه من الاستبداد حتى لحجوا واستجروهم الاتراك حتى صاروا بانبعد من العسكر فعطف الاتراك عليهم وقتلوا خلقا منهم وتابعوا الحملات عليهم وأكثروا النكابة فيهم فحينئذ عرفوا الخطأ الذى ركبه وأنفذ عضد الدولة طائفة من الرجال اليهم فلم يغنوا عنهم وحصلوا في مثل حالهم فلما رأى ذلك زحف على نظامه وهيأته حتى اتصلوا بهم بعد ان أشرفوا على الهلاك فلما

الى كاتبه من بيت مال السلطان ثلثمائة درهم (في كل شهر) ولحاجبه مائة وخمسون درهما وللأقاضي في الفروض على باب مائة درهم ولخازن ديوانه وأعوانه ستمائة درهم وان يصل اليهم ذلك من الخزانة فأجيب وركب معه ابن بقية والوجوه وتسلم عهده بمحضرة المطيع لله فتولى انشاءه أبو منصور أحمد بن عبيد الله الشيرازى صاحب ديوان الرسائل يومئذ وقرىء عهده في جامع المدينة . وفي سنة ٦٤٠ أعيد ابن معروف الى قضاء الفضاة وصرف ابن أم شيان

قرب من جرة القوم ومجتمعهم حمل عليهم فلم يثبتوا واستأمن بعضهم وحكم
السيف في الباقي فقتل خلق منهم وأجانبهم الهزيمة الى تلك الجسور التي
عقدوها على ديايى فازدحموا عليها وأرهقهم الامر فهلك منهم ومن العيارين
الذين وازروهم بالقتل والفرق خلق كثير وركب عسكر عضد الدولة
أكتافهم وعبروا تلك الجسور على آثارهم فاستباحوا عسكرهم وسوادهم
وألقوا النار في خيمهم وخركاهاهم وأدركهم الليل فبات هؤلاء وهرب
أولئك لا يلوي أحدهم على صاحبه .

وأنفذ عضد الدولة في ساعة الفتح بشيرا الى بختيار وذلك يوم السبت
لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ٣٦٤ وأقام على ظاهر^(٤٣١)
المدينة الى ان عرف خبر الاتراك ثم دخل المدينة في أحسن زىّ وعدّة
وطواه متجاوزا الى باب الشماسية وبختيار يسير بازائه ويمسك بحياله وأقام
بموضعه الى ان بعد الاتراك وورد عليه خبرهم من تكريت وانهم وصلوا
اليها على حال قبيحة من التقطع والتمزق واختلاف الكلمة فحينئذ انثنى الى
النزول في داره . واشتغل قلبه بالطائع لله وحصوله مع الاتراك وتصرفه على
ما يحبون والتنقل معهم فبث اليه رؤسائه وقد كان راسله قبل ذلك ولم يزل معه
بالتلطف والرفق حتى ردّه الى دار الخلافة وموطن الائمة .

﴿ ذكر ما جرى بين بختيار وبين جيشه وما كان ﴾

﴿ من اعتزاله اياهم وما كان من انكار ركن ﴾

﴿ الدولة لذلك وما تمّ من الحيلة عليه من ﴾

﴿ انتفاضه وعوده الى منزلته وحالته ﴾

لما تمّ هذا الفتح لعضد الدولة لم يشك أحد ممن دنا وبعُد في انه

يستولي على هذه المملكة ويضيفها الى مملكته لضعف بختيار عنها واشتغاله بضروب اللهو واللعب وتجاسر الديلم والترك عليه ففكر في حديث الناس وعلم ان أباه ركن الدولة لا يصبر على ذلك ولا يحتمله له . فانخذ دعوة دعا اليها بختيار واخوته ومحمد بن بقرية وسائر عسكر بغداد وخلق عليهم ضروب الخلع على مقدار مراتبهم وجعل ذلك كالوداع وأظهر^(٣٢٢) الرحيل الى فارس وأمر باعداد الميرة في المنازل . ووافق في السر رؤساء الجند ان يثوروا بختيار ويشغبوا عليه ويطالبوه بان يطلق أموالهم ويغير أحوالهم ويحسن مجازاتهم عن صبرهم عليه وثباتهم معه وبذلهم الانفس في محاربة الترك دونه ففعلوا ذلك وبالغوا في الشغب والاقتراحات وبختيار صفر اليد لا يملك ذخيرة ولا تصل يده مع خراب النواحي واتصال الفتن الى درهم واحد . فراسله عضد الدولة سرا ووافقه على مقاتلتهم بالتشدد والغلظة والصدق عن الحال وانه لا يعدم بما لا يقدر عليه وان يفصح لهم بالاستغناء عن الرياسة وانه قد بريء اليهم منها ووعدده أن يتوسط حينئذ بينهم ويقرره على ما يحب . فلم يجد بختيار عدولا عن ذلك ولا عرف وجه حيلة سوي ما أشار به عليه فبادر اليه واستغفاه من رياسته وأغلق أبوابه وصرف كتابه وأسبابه وراسله في الظاهر بمقاربة القوم وتدييرهم فاجابه : باني لست أميراً عليهم ولا معاملة بيني وبينهم فلينظروا لانفسهم وليعقدوا لمن شاءوا . واتصلت هذه الرسائل ثلاثة أيام والشغب يزيد الى أن اعلنوا بالقيح وكادوا يزحفون اليه ويأتون عليه فاستعاذ بعضد الدولة وطلب منه ما كان وعده به^(٣٣) من التوسط فراسلهم عضد الدولة بما سكن منهم وأمرهم بالتفرق ووعددهم بالنظر في أمرهم . ثم استدعى بختيار الى داره وقد كان خائفا مرعوبا واستدعي أخويه

على طريق الاشفاق عليهم والحذر من أن ينصبوا أحدهما علماً للفتنة فيفتحوا به باباً إلى الفرقة ورأسلهام بختيار أيضاً بمثل ذلك حتى حضرا جميعا . ثم جمع الرجال وجماعة الجند وأعلمهم أن استيفاء بختيار من النظر واعتزاله إياهم وافق محبة منه للنظر في أمورهم وضمهم إلى نفسه وأنه يخطبهم بعسكره ويشملهم بلحسانه وأنه المتولي للأمر وإن بختيار إنما كان خليفة له ولركن الدولة وأنه الآن قد استعفى فاعني وبريء فأبرى فسكنوا وتفرقوا ووثقوا بوفائه وأنه من وراء ذلك . وأمر باستظهار على بختيار وأخويه ووكل بهم ثقاته وذلك يوم الجمعة لاربع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٦٤ وجمع بينهم وبين الوالدة

فاما الخليفة الطائع لله فإنه كان نافرا من بختيار للحروب التي جرت بينه وبينه ولأن انتصابه في الخلافة جرى على يد غيره في غير أيامه وسكن إلى عضد الدولة وذمامه . فلما اتصل به ما اختاره بختيار لنفسه من الخلع سكنت نفسه وهو حينئذ مع الأتراك وعند الفتيكين بتكرت^(٣٤) جرت بينه وبينهم مناظرات في الرجوع إلى بغداد فسألوه الامتداد معهم إلى الشام فلم يمكن ذلك لأن القوم منهزمون وعلى حال اضطراب فوعدهم من نفسه اذا ثبتت أقدامهم وكان له قوة وفيهم منعة أن يحال لهم ويعود إليهم أو يدبر لهم في الاجتماع معهم فاتفقوا على ذلك . وانكفأ الطائع لله إلى داره ورحل الأتراك إلى الشام^(١)

وتقدم عضد الدولة بمهارة دار الخلافة وتطريتها وتجديد فرشها وآلاتها وترتيب أسباب الخدمة فيها والتزم في ذلك مالا جليلا وأخرج الجيش إليه

متلقين واستقبله بنفسه يوم الخميس لثمان خلون من رجب سنة ٦٤ وكان أول اجتماعهما وانحدر معه في حديدي كان أنفذه اليه ودخلا بغداد . وكان طرح لعضد الدولة بين يديه كرسيّ وقد كان قبل عضد الدولة الارض له وجلس على الكرسيّ وأطافت بهما الزبازب والطيارات في الماء وسار الجيش على شاطئ دجلة ودخل الخليفة داره واستقر على سريريه . وأثخذ عضد الدولة الى خزائنه مالا كثيرا وثيابا وفرشا جليلا من جميع الاصناف وعدة من الخيل والمراكب والرقيق والآلات وقرّر يده في ضياع الخدمة المرسومة بالخلفاء وقد كانت متشذبة قد تحيفها أسباب^(٣٥) معز الدولة ثم أسباب بختيار فمنهم من تغلب على حدودها ومنهم من استقطع الخليفة بعضها ومنهم من ضمن منها ما لم ينصفه من نفسه فيه ولم يسهل اخراج يده عنه فردّ عضد الدولة ذلك كله الى حقه . فامر الطائفة لله بانشاء السكتب عنه الى النواحي باستقامة أحوال السلطان وتعفى آثار الفتنة وتألف الشمل وكتبت وفرقت في الممالك كلها

﴿ خبر عصيان المرزبان ابن بختيار بالبصرة ﴾

﴿ وعصيان ابن بقية بواسط ﴾

أما المرزبان فان عضد الدولة سام بختيار ان يكتبه بالاصعاد وكان متوليا البصرة ليرضى بما رضى به أبوه من خلوص الذرع^{٣٦} من تدبير الجند والرعية فكتب واقف كتبه على يد ثقة من ثقاه يعرف بملي بن محمد الجوهري وكان صحبه من شيراز ووصاه بموافقة محمد بن دربند وكان اسفهلار جيش البصرة وهو قريب للحسين بن ابراهيم وهو متقدم في جيش عضد الدولة . ولم يقع في نفس أحد أن المرزبان يمتنع ويحدث نفسه بالعصيان لصباه وصغر سنه ولان

جيشه من الديلم وهذا المدبر للجيش الذي ذكرناه يهوى هوى عضد الدولة ويرى رأيه . فلقى على بن محمد الجوهري في طريقه صاحب دواة لعز الدولة بختيار يقال له عيسى بن الفضل الطبري قد كان اصعد عن البصرة فعرّفه الصورة واستعمل في اخراج هذا الحديث اليه غير الحزم والصواب ^(٤٣٦) ففتى وجهه عائداً اليه الي البصرة وسبق الي المرزبان بالخبر فاشعره الوحشة وأعلمه أن أتاها مكرهة ولقّنه العصيان . فلما ورد الجوهري على أثره البصرة بدأ بمحمد بن دربند وأوصل ما كان معه من الكتب اليه فصار به وبها الي المرزبان وعندهما انه غافل فوجده مستعداً للخلاف وقبض عليهما جميعاً وأظهر الخلاف وكاتب ركن الدولة بالبكاء والنوح وأعلمه ما يجري على أيّيه بختيار وعمومته وان جميع ما يكاتب من جهة عضد الدولة ووزيره أبي الفتح ابن العميد عن بختيار انما هو تمويه وان الحيلة استمرت وتمت لهما على القبض علي أيّيه وانه امتنع ثقة بتداركه اياه ومعه وأخذ قاصدين عدّة بكتب متواليّة

وكان لمحمد بن بقية خليفة بالاهواز من جنسه في الانسلاخ من صناعة الكتابة [ومن كل فضيلة] يقال له محمد بن عبيدان الاهوازي فلما بلغه ماجرى احتوى على ما قدر عليه من المال وأثبت عدة من الرجال وصار الي البصرة داخلا في سوّار أهل العصبية فغلب على المرزبان وشحن بصيرته في العصيان ودخل في وزارته ووعد الكفاية . وأما محمد بن بقية فقد ذكرنا حاله في البعد من كل فضيلة وكان يتموّه أمره في أيام بختيار فلما في دولة عضد الدولة فما كان أبعد من أن يكون عريفاً من عرفاء الرجالة يبابه فضلاً عن ان يختلط بوزرائه وكتابه ولكن أظهر مساعدة كثيرة ^(٤٣٧) لمعضد

الدولة فيما كان يدبره وخدمة فيما كان يراه وانما فعل ذلك حذرا على نفسه وخوفا ان يرثى الي مرتبته وعلماً بان بختيار ان عادت يده في التدبير قبض عايه وطمع فيه وعامله بما عامل به وزراره الكفاة عند حاجته الى المال وكره عضد الدولة ان يخلطه بوزرائه الكفاة مثل نصر بن هرون وكان معه في هذه الوقعة وهو شيخ الكتاب قد سُلِّم له صناعة الحساب خاصة فينسبه الناس الي قلة المعرفة بالرجال ونقصان الرعاية لاهل السابقة والتقدم في الكفاية وكره أيضا ان يصرفه صرفا قاطعا فيكون قد خيَّب ظنه وأكذب تأميله فاستوزره لابنه أبي الحسين ابن عضد الدولة وعرض عليه ما يشاء ان يتقلده من الاعمال فاختر واسطا وتكريت وعكبرا واوانا وقاطع على هذه الاعمال ووفر على ما كان العمال يدخلون فيه زيادة عظيمة فأمر عضد الدولة ان يمقد عليه جميع ذلك . واقترح ابن بقية اقرار اللقب والتكنية السلطانية ولباس القباء عليه فأجيب الي ذلك وخلع عليه خلعا نفيسة وحمل على دواب بمراكب ذهب وأقطع خمائة ألف درهم ورسم له حضور مجالس المؤانسة والمنادمة ولم ينقصه من جميع عاداته الا اسم الوزارة لانه بالحقيقة لم يكن يتولاها على رسوم الوزراء فيخاطب بها فظهر سرورا عظيما وشكرا كثيرا ودعاء متصلا وكل ذلك على ذحل^(٤٣٨) وغل قد أضمره وانحدر الي واسط .

وقد كان عمران صاحب البطائح مستوحشا فاحب ان يتعلق مع تجدد ملك عضد الدولة بذيمام فانفذ كاتبه يلتمس عهدا ومنشورا وعقدا وتقريراً فأجيب الي ذلك . والتمس أبو تغلب ابن حمدان صاحب الموصل مثل ذلك وضمن حمل المال الذي كان يحمله قديما الي بختيار فاجابه عضد الدولة الي

ماسأل وأعفاه من حمل المال لمكاتبة قديمة كانت بينهما ومودة سائلة .
وعقدت أعمال الاهواز على سهل بن بشر الانصاري وخلع عليه فشخص اليها
وكان محبوبا في يد بختيار وقد جازفه وصادره . وفرقت أعمال السواد على
العمال ودبر الامور كلها أبو منصور نصر بن هرون .

ولم يبق في نفس عضد الدولة شيء يتعلق به نفسه الا انتزاع البصرة
من يد المرزبان فلما حصل ابن بقية بواسط خلع الطاعة وأظهر الخلاف
وقبض على من ضم اليه من القواد وأظهر انه امتعض لصاحبه بختيار وكان
هو المشير بجميع ما جرى متابعة لرأي عضد الدولة . ثم كاتب عمران بن
شاهين يستدعي منه المعاودة ويحذره تدابير عضد الدولة وانه ليس ممن
يصبر له على محاورته بتلك الحال فاجابه عمران الى ما سأل . وكاتب المرزبان
ابن بختيار يلتمس منه ان يمد به بالرجال والمال والسلاح فلم يجد عنده ما يجب
لتهمته بالانحراف عنه وعن أبيه ^(٤٣٩) وعلم انه يريد ان يقيم سوقا لنفسه
واحجم ابن بقية عن المصير اليه لتقلد الاهوازي وزارته فبني أمره على انه
متى وقع الطلب له هرب الى عمران وقصد أعمال نهر الفضل فيتغلب عليها
وكتب الى سهل بن بشر ما أغواه حتي استجاب له وسلك سبيل ارادته .
وقد كان عضد الدولة عزم على انقاذ عسكر الماء لفتح البصرة فلما عصي ابن
بقية جعل همه كله واسطا فانفذ اليه عسكرا قويا فخرج اليه في آلات الماء
فيمين أمده بهم عمران من رجاله

ووردت كتب ركن الدولة على المرزبان بان يماسك بالبصرة وشجعه
على مقاومة عضد الدولة ووعد به بالمصير الى بغداد بنفسه لازعاجه وتمكين
بختيار وكذلك فعل في مكاتبة ابن بقية وأبي تغلب ابن حمدان فاضطربت هذه

الدولة يأنس به قديماً فتوجهت الرسل وشخص ابن العميد على جازات عددها مائة يتلوها . فلما بلغ الرسولان الاولان الى ركن الدولة وشرعا في تأدية الرسالة وعرف الغرض الاخير منهما لم يمكنهما من اتمام الرسالة ووثب الى الحربة التي تلى مجلسه فتناولها وهزها وهرب الرسولان احضاراً من بين يديه .

فلما سكن غضبه استعادهما وقال : قولاً لفلان (يعني عضد الدولة وسماه بغير اسمه) خرجت الى نصره ابن أخي أو الطمع في مملكته ؟ أما عرفت أنني نصرت الحسن بن الفيروزان وهو غريب منى مراراً كثيرة أخرج فيها كلها عن^(٣) ملاكي واخاطر بننسي وأحارب وشمكير وصاحب خراسان حتى اذا ظفرت وتمكنت من البلاد سلمتها اليه وعدت من غير أن أقبل منه ما قيمته درهم فما فوقه طلباً للذكر الجميل ومحافظة على الفتوة ؟ أريد ان تمنّ أنت عليّ بدرهمين اتفقتهما عليّ وعلى أولاد أخي ثم تطمع في ممالكهم ! وخرج هؤلاء الرسل لا يملكون ارواحهم اشفاقاً مما رأوا منه ومما ظهر من غيظه وغضبه .

وبلغ ابن العميد الري وهو الوزير المقرب والامين المتمكن وعند نفسه أن صورته كما كانت فحُجِبَ عن دار الامارة وردّ عنها أقبح ردّ وروسل : بانك خرجت من عندنا ناصراً لبختيار ومديراً عسكرياً وفناخسره حتى يستقيم أمر أولاد أخي ثم تأتيني الآف في صورة قبح تتحمل رسالة فناخسره فيما يهواه حتى يكون مكان أخي وأولاده ويطمع مني في أن ارضخ له في القبض عليهم وازالة نعمهم ويتهددني بالعصيان ! أما أنت فقد عرفت انك اخترته عليّ وسوّلت لك نفسك ووزارة العراق ونزهة دجلة ! ارجع

اليه على حالك فوالله لا صلبن أمك وأهلك على باب دارك ولا يبدنّ عشيرتك
ومن يتصل بك عن وجه الارض ولا تركنك وذلك الفاعل (يعنى ابنه)
تجهدان ثم لا أخرج اليكم الا بنفسى في ثلاثمائة جحازة لا يصحبنى الا بن
عليها^(١١١) من الرجال ثم ائتوا الى ان شئتم . وحلف ركن الدولة محلوقة :
انى اذا بلغت بعض طريقى في قصدي اياكم لا يبق معكم رجل واحد الا
تلقانى وحصل عندى وانه لا يتقرب بك وبعضد الدولة الا أخص أولياءكما
وأوثق عبيدكما في انفسكما وانما أترك الآن وانت في يدي لتعود الى
موضعك وتعيد رسالتى وكلامى وتنتظر صحة وعدى ووعدى . وأمر من
هذا الكلام ما هذا جلته وان كان اكثر من هذا وأشنع .

وكان ركن الدولة قبل هذه الحال وعند سماع حال أولاد أخيه من
القبض عليهم رمى بنفسه عن سريره وأقبل يترغ ويزبد ويمتنع من الاكل
والشرب أياما ومرض من ذلك مرضا لم يستقل منه باقى حياته وكان يقول :
انى أرى أخى معز الدولة متمثلا ازانى يعص على أمامله ويقول « يا أخى هكذا
ضمنت لى ان تخلفنى فى أهلى وولدى ! » وكان ركن الدولة يعز أخاه عزرا
شديدا فيراه بصورة الولد لانه رباه ومكنه مما تمكن منه .

وتوسط الناس بينه وبين أبى الفتح ابن العميد يشفعون له ويقولون
انه لم يرد فيما ظننته وانما احتال فى الخلاص من عضد الدولة بتحمل رسالته
وغرضه ان يجتمع معك لتدبير الامر بما تراه و [هو] يضمن ضمنا يدخل
فى تبعته انه يقرر الامر على رضائك بعد ان تسمع كلامه وتمضي له بما يعمل
به فى هواك . فأذن له^(١١٢) حينئذ وجرى بينهما خطاب طويل تقرر على
ان يعود ويفرج عن بختيار واخوته ويقرر الملك فى أيديهم وينصرف كل

واحد من عسكر الري وعسكر فارس الى مركزه وموضعه على صورة جميلة وعلى أكثر مما يمكن ان يعمل من الحيلة في مثل هذه الحال فأذن له حينئذ ورجع الى عند عضد الدولة بخلاف ما خرج وخلا به وعرفه حقيقة الامر وانه ليس ممن يطمع في اصلاحه من جهة ركن الدولة فلما رأى عضد الدولة انخراق الامر عليه من كل وجه ونفذ ما صحبه من الاموال ولم يصل اليه شيء من ممالكه اضطر الى الخروج الى فارس والافراج عن بختيار وأخويه ففعل ذلك . وتوسط ابن العميد بينه وبين بختيار وخرج من دار عضد الدولة بعد ان خلع عليه وقبل بساطه وشرط عليه ان يخلقه في تلك الاعمال ويخطب له وخلص على أبي اسحق ابن معز الدولة على ان يلي أمر الجيش وذلك لما كان اعتقده الجند من ضعف بختيار وسوء تديره لهم وزوال هيئته مرة بعد أخرى عن قلوبهم فلما خرجوا من داره وأصعدوا الى منازلهم في طياره خلعوا الطاعة من غير انتظار ساعة . واجتمع الى بختيار جيشه وعوام البلد والعيارون وأثاروا الفتنة وارتفع عياطهم وصياحهم وقد كان عضد الدولة (حفظ) عليهم خزائهم وجميع ما وجد^(٤٤٦) لهم من الدواب والاثاث فما شذ منها شيء حتى تسلموها كهيئتها يوم فارقوها . وبرز عضد الدولة يوم الجمعة لخمس ليال خلون من شوال سنة ٣٦٤ عن مدينة السلام قاصداً أعماله بفارس ووافق ابن العميد على المسير في أثره والا يقيم ببغداد بعده أكثر من ثلاثة أيام .

﴿ ذكر ما جناه أبو الفتح ابن العميد على نفسه وميله ﴾

(الى الهوى واللعب حتى تأدى أمره الى الهلاك)

لما خرج عضد الدولة الى فارس طابت بغداد لابن الفتح ابن العميد

وأحب الخلاعة والدخول مع بختيار في أفانين لهوه ولعبه ووجد خلوة ذرع من أشغاله وراحة من تدبير أمر صاحبه ركن الدولة مدة وحصلت له زبازب ودور على الشط وستارات غناء محسنات وتمكن من اللذات . وعرف بختيار له ما صنع من الجميل في بابه ^(١) وانه خلصه من مخالب السبع بعد أن افترسه وان سعيه بين ركن الدولة وبينه هو الذي رد عليه روحه وملكه فبسطه وعرض عليه وزارته وتمكينه من ممالكه على رسمه والا يعارضه في شيء يدبره ويراه فلم يجبه الي ذلك وقال : لي والدة وأهل وولد ونعمة قد ربيت منذ خمسين سنة وهي كلها في يد ركن الدولة ولا استطع مفارقتها ولا يحسن بي أن يتحدث عني بمخالفته ولا يتم أيضا لك ذلك مع ما عاملك به من الجميل ولبكني ^(٢) أعاهدك اذا قضى الله على ركن الدولة ما هو قاض على جميع خلقه أن أصير اليك مع قطعة عظيمة من عسكره فانهم لا يخالفوني وركن الدولة مع ذلك هامة اليوم أوغد وليس يتأخر أمره . واستقر بينهما ذلك سرّاً لا يطلع عليه الا محمد بن عمر العلوي فانه توسط بينهما وأخذ عهد كل واحد منهما على صاحبه ولم يظهر ذلك لاحد حتى حدثني به محمد بن

(١) زاد صاحب ارشاد الارب ٥ : ٣٧٣ : لانه كان قد جرد الفعل والقول في رد عضد الدولة عن بغداد بعد أن نشبت فيها محالته وتملكها وقبض على بختيار واستظهر عليه فخلصه واعاد ملكه عليه وصرف عضد الدولة عن بغداد فكان يراه بختيار بصورة من خلصه من مخالب الاسد بعد الخ

وقال صاحب التكملة : ورد ابن بقية بغداد في ذى القعدة وملاً عين ابن العميد بالهدايا وقال في بعض الايام : لا بد أن أخلع عليه . فلما أكل وقعدا على الشرب أخذ ابن بقية يده فرجسية ورداء في غاية الحسن والحلاوة ووافي بها الى ابن العميد وقال : صرت يا استاذ جامدارك فانظر هل ترضيني لخدمتك . فطرح الفرجسية عليه فاخذ الرداء منه ولبسه

عمر بعد هلاك أبي الفتح ابن العميد . ولكن الغلط القبيح من أبي الفتح كان أنه أقام مدة طويلة ببغداد وطمع في أملاك اقتناها هناك واقطاعات حصلها وأصول أصلها على العود إليها . ثم التمس لقبا من السلطان وخلعا وأحوالا لا تشبه ما فارقه عليه عضد الدولة ثم استخلف ببغداد بعض أولاد التتاء بشيراز يعرف بابي الحسين ابن أبي شجاع الارجاني من غير اختبار له ولا خطة قديمة تكشف له أمره فلما خرج كانت تلك الاسرار التي بينه وبين بختيار والتراجم بينهما تدور كلها على يده ويتوسطها ويهدي الى عضد الدولة جميعها ويتقرب اليه بها . فلما عرف عضد الدولة حقيقة الامر ومخالفة أبي الفتح ابن العميد له ودخوله مع بختيار فيما دخل فيه مع اللقب السلطاني الذي حصله وهو ذو الكفایتين ولبسه الخلع وركوبه ببغداد مع ابن بقية في هذه الخلع عرف مكاشفته اياه بالمداوة^(٤٤٨) وكنتم ذلك في نفسه الى أن تمكن منه فأهلكه كما سنذكره في موضعه ان شاء الله

﴿ ذكر ما جري عليه أمر ابن بقية ﴾

كان محمد ابن بقية مستوحشا من بختيار لما يعرف من سوء معتقده له فتوقف بواسط وترددت بينهما كتب ورسائل على يد ابي الحسن محمد ابن عمر العلوي وأبي نصر ابن السراج فاستحلفا كل واحد منهما لصاحبه فاصعد حينئذ وامتحن على بختيار بأنه انما استعصى على عضد الدولة بسببه ومن أجله فقبل منه وزاد في اكرامه وتجددت بين ابن بقية وبين أبي الفتح ابن العميد مودة ومعاهدة .

وفي هذه السنة لُقّب أبو الحسن علي بن ركن الدولة نخر الدولة ولقب المرزبان بن بختيار اعزاز الدولة ولقب عمران بن شاهين معين الدولة ولقب

محمد بن بقية نصير الدولة مضافاً الى لقبه الاول ولقب أبو الفتح ابن العميد
ذا الكفايتين وخلع على من حضر من هؤلاء من جهة أمير المؤمنين وأنفذت
الخلع الى من غاب .

وبني محمد بن بقية أمره على تمكين الوحشة وتوكيد العداوة بين بختيار
وبين ابن عمه عضد الدولة وأكثر من التسوق والتنفق والبذخ والتبجح
وأطلق لسانه اطلاقاً من لا يترك للصلح موضعاً وثارت الفتن بين العامة
وزالت السياسة التي أسسها عضد الدولة من قمع العيارين وظفر ابن بقية
بالمعروف بابن [أبي] عقيل صاحب الشرطة الذي كان من قبل سبكتكين
(١) وكان من أهل السنة وقد قتل طائفة من أهل الشيعة فامر بقتله فقتل
في وسط الكرخ بين العامة فزادت ضراوة العيارين وعاد الفساد وخاف
التجار على أنفسهم وأموالهم . وأخذ ابن بقية في خدمة الطائع لله ومناصحته
وعقد مصاهرة بينه وبين بختيار (١)

وتجددت لبختيار نية في الخروج الى الكوفة على أن الظاهر فيه زيارة
المشهد بالفرى والباطن التصيد فشخص اليها وصحبه الحسين بن موسى النقيب
ومحمد بن عمر العلوي وأقام محمد بن بقية ببغداد وقد كان تنكر لمحمد بن عمر
وقبض عليه فلم يطلق ذلك بختيار ولم يتركه في يده الا ساعة من النهار
حتى انتزعه منه فلما دخل الكوفة نزل على محمد بن عمر وفي ضيافته نخدمه

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة بختيار انه تزوج الخليفة الطائع بابنته شاهناز
على مائة الف دينار وخطب وقت العقد القاضي أبو بكر بن قريمة وذلك سنة ٦٤٠ .
والقاضي هو محمد بن عبد الرحمن البغدادي ولاء القاضي أبو السائب قضاء السديبة وغيرها
من أعمال بغداد وكان مختصاً بالوزير أبي محمد المهدي توفي سنة ٣٦٧

ولاطفه وجرت بينهما مؤانسات وخلوات واتصل ذلك بمحمد بن بقية وقيل له « قد سعى بك ووافق بمختيار على نكبتك » فاستوحش ابن بقية واستغنى للانحدار الى واسط على سبيل المقاطعة والمخالفة وساعده على ذلك بعض الجند فشرعت والدة بمختيار في اصلاح الحال وكوتب بمختيار بالصورة ففني وجهه مبادراً الى بغداد وقدم أمامه كتبه ورسائله مع الحسين بن موسى الموسوي بالتلافي وانكار كل شيء بلغه عنه واخذ لكل واحد منهما على صاحبه يميناً على التصافي والتراضي فخرج حينئذ محمد بن بقية متلقياً له عائداً الى طاعته .

واتصل ^(٤٥٠) بمحمد بن بقية وبمختيار أن عضد الدولة يريد العود الى العراق فخرج ابن بقية الى واسط لجمع المال واداد زاد وعتاد واستعمل ضروباً من القيسج في الكلام والمجر ومنع شذائات كانت هناك من الاجتياز وواطأ عمران على منع أجازتها وغير ذلك من ضروب الجهل وذلك للحين المتاح له والشقاء المصوب عليه حتى تأدي أمره الى افبح صورة في الهلاك بأنواع العذاب والمثلة كما سذكروه في موضعه ان شاء الله . وتجددت بينه وبين بمختيار وحشة أخرى بعد عوده الى بغداد واقتضت الحال القبض على سهل بن بشر النصراني ضامن الاهواز ونكبتة التي تأدت الى القتل

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان ابن بقية لا يثق بمختيار على تصرف كل حال ولا يدع التحرز منه ونصب العميون عليه وأشد ما يكون نفوراً منه اذا حلف ووثق له فأنهمك في استمالة الجند ومتابعة الخلع عليهم والصلوات لهم ونصب الموائد وعمل

الدعوات وأمر أن يحمل المال الى خزائنه . ووافق بختيار على شيء يُقيمه له وصار كالحاجر عليه فمضى طالبه بزيادة على ذلك بعث الجند على مطالبته وأحالهم عليه . فضاقت ذرع بختيار به وخاطب جماعة من حاشيته وشيوخ قواده في تدبير يوقعه عليه حتى يتمكن من نكبته ويستكتب سهل بن بشر وسهل يومئذ في عمله بالاهواز فاخرج اليه جماعة من كبار قواده فيهم الحسن بن أحمد بن بختيار والحسن بن فيلسار وتكيدار الجيلي^(١١٩) . وجماعة مثلهم وراسله على أيديهم باقناع الحيلة عليه . فلما وصل اليه هؤلاء القواد برسائل بختيار وعلاماته تقرر الرأي على أن يفل الجيش عنه الذين ببغداد ويظهر سهل ومن معه بالاهواز الشغب عليه وترك الرضاء به . وورد الخبر بذلك الى بغداد وقد ضعف بختيار عن امضاء تلك العزيمة وقد استصلح ابن بقية الجند وملك الامر فظهر حينئذ ما في نفسه وعاتب بختيار ووبخه وذكره الايمان التي لا زال يخلقها ثم يعود نافضا لها وتغاضب عليه وتناقل عنه فرق بختيار في يده وأنكر أن يكون ما جرى اليه الاهوازيون بأمره وعلمه فقال : فاطلق يدي فيهم . فاجابه الى ذلك وأمضى حكمه عليهم فالزمه أن يقبض على سهل بن بشر ويسلمه اليه وأن ينفي القواد الذين أظهروا ما أظهروه ففعله واتقد ابراهيم ابن اسماعيل الحاجب الى الاهواز وأمره أن يحتال على سهل بن بشر حتى يقبض عليه ويبادر به الى الحضرة فمضى مسرعا ووصل الى الاهواز واحتمل حتى حضر سهل بن بشر في منزل أحد القواد فقبض عليه وعرفه فساد جميع الامر الذي كان خائضا فيه وحمله للوقت فسلمه الي ابن بقية . وقد كان الحسن بن فيلسار سبق الى مدينة السلام فتلافي محمد بن بقية واستصلح نيته وأما الحسن بن أحمد بن بختيار وتكيدار فانه استبدعا فلما

قربا من بغداد طردا وبقيا عن^(٤٥٢) العسكر فعاد الحسن الى بلده ولحق
تأكيدا بعض الدولة . وجد محمد بن بقیة في مطالبة سهل بن بشر بالاموال
وبسط عليه المكاره واستخرج منه كل ما أمكنه ثم قتله بالعذاب مع جماعة
من الناس سند كرم .

وفي أثر القبض على سهل بن بشر قلد بختيار أخاه أبا اسحق أعمال الاهواز
وأفنده اليها مع طائفة من الجيش وذلك بسفارة محمد بن بقیة لانه كان
استعان بابي اسحاق ووالدته على بختيار فاعاناه وبلغاه ما أحب ففضى حقهما
بهذا التقليد

وقبض ابن بقیة على صاحبه أبي نصر السراج وعذبه حتى قتله
﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

هجمت على ابن بقیة علة من حرارة فقصده منها في اليوم الثاني فما
أمسى الا ذهب العقل مسجي يخور خوار الثور ولا يسيغ طعاماً ولا شراباً
ولا يسمع كلاماً ولا يحير جواباً وظهرت في فمه رغوۃ واختلج وجهه وعلا
نفسه ولحقه الفواق الشديد واجتمعت فيه أعراض الموت التي لارضاء معها .
وقد كانت لابی نصر السراج نعمة فاتسعت في أيامه وعظمت بالدخول في
الامور المنكرة وضروب الشر والسعايات واعداءه كثيرون . وكان ابن
بقیة اصطنع رجلا يقال له الحسن بن بشر الراعي وكان في الاصل نصرانيا
من رأس عين فصحب بني حمدان بالموصل فدخل في الاسلام لشيء ظهر
منه وخاف فاسلم ثم خاف خوفاً ثانياً فهرب الي بغداد وانصل بمحمد بن بقیة
وحظي عنده فقرب^(٤٥٣) منه ورفع من حال الى حال حتى قله واسطاً ثم
استدعاه الى بغداد فقلده خلافة . وتولدت بينه وبين أبي نصر السراج

منافسة ومضاغنة فلما وقع اليأس من محمد بن بقية استتر ابن الراعى وبادر أبو نصر ابن السراج الى بختيار فضمن له من جهة أسباب ابن بقية أموالاً عظيمة وكتب اسماء اقاربه وأصحابه وكتابه وسائر أسبابه فركب بختيار الى ابن بقية حتى شاهده في علقته .

﴿ ذكر اتفاق ظريف في سلامة ابن بقية من علقته ﴾

﴿ ثم من قبض بختيار عليه ﴾

ان بختيار أدركته رقة شديدة له مع اجتهاده كان في هلاكه وتبرمه به لاستبداده بالاموال والمساكر فأشار عليه ابن السراج بالقبض على الجماعة قبل ان يستروا فتوقف عن ذلك وألح عليه إلحاحاً شديداً فلم ينفعه ذلك وأحس عيال ابن بقية وأسبابه بما فعله ابن السراج فخذروا منه ثم تماسك محمد بن بقية في اليوم الرابع من علقته بعد ان تردد اليه بختيار دفعتين في كل يوم في مدة الحذر عليه وسكنت أطرافه ورجى رجاء ضعيفاً وتزايد ذلك الرجاء الى أن أفاق وهو ساكت ومضت أيام يسيرة فنهض وتراجع الى عادته . وظهر ابن الراعى صاحبه واجتمع أسبابه المتحققون به فصدقوه عن فعل ابن السراج وضمنه ابن الراعى منه بمائة الف دينار فقبض عليه فصح من أمواله وودائعهم وأثمان غلاته والمأخوذ من^(١٠٠) أسبابه أكثر مما ضمنه ابن الراعى ثم بسطت عليه المكاره وأصناف العذاب وحبس في صندوق ومنع الطعام حتى مات أقبح ميتة .

وفي هذه السنة اضطربت كرمان على عضد الدولة

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان في أعمال كرمان خلق من الرجال الجرومية لهم بأس شديد وهم

متمسكون بالطاعة وأحد وجوههم رجل يقال له طاهر بن الصيمّة وكان
 واسع الحال والمعاملة فدخل في ضمانات ضمنها ونمار ابتاعها فحصلت عليه
 أموال طمع فيها وشره الى كسرها . وكان عضد الدولة قد سار الى العراق
 للايقاع بالأتراك وخرج وزيره أبو القاسم المطهر بن عبد الله الى عمان فلم
 يبق بفارس من العساكر الا شيء يسير نفع طاهر بن الصيمّة الطاعة وجمع
 الى نفسه هؤلاء الرجالة بالاسلحة التامة واستكثر من عددهم . واتفق ان
 كان في نواحي خراسان أمير وجيه من أمراء الأتراك السامانية يقال له
 يوزتمر عظيم المنظر جبار البنية معروف بالبأس والشدة وقد استوحش من
 محمد بن ابراهيم بن سمجور صاحب جيش خراسان ونفر منه فكتبه طاهر
 ابن الصيمّة وأطعمه في أعمال كرمان فصار اليه وصاراً يداً واحدة في
 الاستيلاء الا ان الإمارة ليوزتمر . فبعد مدة شغب الرجال الجرومية فاتهم
 طاهر انه ^(٥٥) يهتم على المسيح ففسدت الحال بينهما وزاد الفساد حتى اقتتلا
 قتالاً شديداً فظفر به يوزتمر وأخذه أسيراً وقتل خلقاً من رجاله . واتصل
 ذلك ببعض أولاد الياس وهو الحسين بن محمد بن الياس وهو في بعض
 أعمال خراسان وطمع في الاستيلاء على كرمان وجمع جمعاً وصار اليها وانضم
 هؤلاء الرجال الجرومية اليه وأمثالهم من كل ضرب من الدعار . وقد كان
 الميهر بلغ من إصلاح عمان ما أراد وفتح جبالها وأوقع بالشراسة وانكفاً راجعاً
 الى ارجان عاملاً على المسير الى حضرة عضد الدولة بالعراق فورد عليه الامر
 بالمسير الى كرمان ليتلافى تلك الحادثة فعاد الى شيراز وبرز عنها لتسع ليل
 بقين من رجب سنة ٦٤٠ وسار لطيفته مسير السرايا لايلوي ولا ينثنى فأوقع
 بكل من وجد في طريقه من أهل التهمة وقتل وصلب وسمل العيون ومثل

بكلّ مشلة وبالع في القسوة اقامة للبية وأسرع المسير حتى انقضّ على يوزنم فلم يعرف خبره الا مع وصوله فبرز اليه وواقعه فانهمزم الى البلدة وهو بهمّ وتحصّن في قلعة وسطها حصينة فحاصره فيها . مظهر الى ان أعطى بيده واستأمن وأحضر معه طاهر بن الصمة أسيراً فتسلمه المظهر ثم أمر به فشهّر ونودى عليه ثم ضرب عنقه وأغناق^(١) جماعة يجرون مجراه وأنفسد يوزنم الى بدض القلاع فاعتقله بها وكان آخر العهد به .

ثم خرج المظهر في طلب الحسين بن محمد^(١) بن الياس وكان قد جمع عشرة آلاف رجل في أساحة تامة . مستعدين للقتال فلما أشرف عليهم استكثر عدّتهم وهاله أمرهم ولم يجد من الحرب بداً فناصرهم الحرب على باب جيرفت فحملوا عليه حملة ثبت لها ثم حملت ميمنته فأثرت فيهم وأجلاّتهم الى سور المدينة واختل نظامهم فأكب العسكر عليهم بالنشاب ولم يجدوا مهرباً فقتلوا بأسرهم وهرب الحسين وطُلب فخيء به أسيراً ولم يعرف خبره بعد ذلك وتطهرت كرمان منه .

﴿ ودخلت سنة خمس وستين وثمانمائة ﴾

قد ذكرنا مرض ركن الدولة وسبب ذلك وحكيينا انصراف عضد الدولة من بغداد على الحال التي وصفناها واستيحاشه من أيه لما كان منه في مكاشفته ونصرة بني أخيه ورأى تجاسر الاعداء عليه واختلال هيئته في صدور أوليائه ولم يأمن ان يموت ركن الدولة على تلك الحال فينتشر ملكه ولا يجتمع له ما يحب . فراسل أبا الفتح ابن العميد وكان قطع مكاتبة أيه استيحاشاً منه وتنجياً عليه وسأله ان يتوسط بينه وبين أيه حتى يعود له كما

(١) وفي الاصل : على

كان وتلطف مع ذلك في أن يجتمعا ويمهدا اليه ويشهر ذلك في ممالكه وبين
 (٤٧) وجوه الديلم والجند . وكان أبو الفتح ابن العميد متمكناً من ركن
 الدولة ومن الجند أيضاً فكان يجب أن يتلافى قلب عضد الدولة لما كان
 منه اليه وهو مع ذلك لا يأمنه ويخشى بادرته ومكايده فخاطب ركن الدولة
 وأعلمه ما يخشى من اضطراب الجبل وفساد ما بين أهل بيته بأسيحاش
 عضد الدولة وحذره من ترك هذه الصورة حتى تستمر وتتمكن من
 النيات والقلوب ولم يزل به حتى رق ولان وعرف صلاح حال أولاده
 وممالكه وممالك بني أخيه فيما دعاه اليه ثم أشار عليه بأن يأذن له في الورد
 عليه حتى يجتمع معه ويراه فقد كان فارقه صديقاً ويشاهده الجند بحضرته
 ويحول ما خامر قلبه وقلوب الناس من اعتراض الوحشة ويجعله ولي عهده
 اذ كان أكبر أولاده وأنجبهم وأوسعهم مملكة وأكثرهم مالا وعدة
 ورجالا . فأجابه ركن الدولة بأن هذا رأى صواب ولكن ليس في خزائنه
 ما يتسع لعضد الدولة ومن يرد معه من الخيل والقواد والعلمان وان لم يلاطف
 الجماعة بأقامة الانزال واتخاذ الدعوات وافاضة الخلع والحملات والهدايا على
 الجماعة اقتضح وتهجن فقال له أبو الفتح : فتسير أنت اليه لتجدد النظر في
 تلك الممالك التي طال عهدك بها وتشاهد أولئك المسكر (٤٨) الذين رتبهم
 قديماً وحديثاً فيها ويلتزم عضد الدولة لك ولجندك وجميع حاشيتك
 ما أشفقت من التزامه لهم وتقيم السياسة التي لا بد لك من إقامتها بين
 أولادك وممالكك فقال له : هذا يقبح في الاحدثة وعند ملوك الاطراف
 وفيمن يأتي بعدنا من الامم ان يتحدث الناس ان فلاناً أوحش ابنه في أمر
 رأى يحاشه به وتأديه فيه ثم قصده يترضاه . فكتب عضد الدولة

بجميع هذه الفصول فكتب : ان هاهنا خلة أخرى يسلم فيها من جميع هذه الاشياء التي ينكرها وهو ان يقصد اصبهان فانها من أعماله وأنهض أنا من فارس فاقصده لخدمته وعبادته من مرضه ويازمي حينئذ تفقد أسبابه وحاشيته ولا يلزمه لى ولا لاحد من يصحبني شيء ولا يتحدث بأنه قصدني أو زارني . فتقرر الرأى على ذلك وتشمر أبو الفتح ابن العميد له حتى تمت العزيمة ونهض ركن الدولة مع ضيفه ومرضه وحضر اصبهان واستدعى الامير نخر الدولة وهو ابنه على وكان مؤيد الدولة في ولايته مقيما باصبهان وهو ابنه بويه وحضر عضد الدولة وخرج ركن الدولة في تلقّيه فلما قرب من البلد وقف على نشز من الارض حتى ترجل له عضد الدولة ابنه وقبل الارض مرات ثم تقدم اليه فقبل يده^(٥٩) ثم تابع القواد والامراء وكبار الحاشية بتقبيل الارض والخضوع له . فرأى لنفسه منظراً يسر مثله الاباء في أولادهم ثم سار حتى نزل ونزل كل واحد حيث رسم له ونزل عضد الدولة معه في دار الامارة في الابنية التي كان استحدثها مؤيد الدولة . ثم دعا أبو الفتح ابن العميد دعوة جمع فيها ركن الدولة وجميع أولاده ووجوه الامراء والقواد والحاشية وخاطبهم ركن الدولة بأن عضد الدولة ولّى عهده وخليفته على ممالكه وان مؤيد الدولة ونخر الدولة خلفاؤه في الاعمال التي رتبهم فيها . ولزمت أبا الفتح مؤونة عظيمة وحمل الى كل واحد من ركن الدولة والامراء من أولاده وقواده وحاشيته ما يليق به وكان في جملة ما خلغ على الخواص من الديلم ومن يجري مجراهم الف قباء والف كساء .

... وانصرف القوم وقد تقرر الرئاسة من بين أولاد ركن الدولة على

عضد الدولة واعترف له مؤيد الدولة ونخر الدولة به وخدماه بالريحان على
الرسم المعروف لهم وخدمه بعدهما كل أمير وقائد ممن حضروا كتب بذلك
عهد قرى وكتب فيه القوم خطوطهم

وكان بختيار سيي الظن شديد الحذر مما تقدم له ولجنده من مكاشفة عضد الدولة
فهو يحب ان يصلح أمره معه فتتابع كتبه الى ركن الدولة ويسأله ان يعصمه من
الحال التي خافها^(٦٠) وأخذ اليه عيسى بن الفضل صاحب دواته ووافق
ذلك هذا الوقت الذي كنا في ذكره من اجتماع الجماعة باصبهان فتكلم
ركن الدولة في ذلك وأظهر عضد الدولة في الحال الاغضاء عنه وشرط
عليه ان يقلع عما يوحشه من بعد ولا يعاود شيئاً مما ذمه منه فعلا وقولا
وكان بختيار سكن قليلا الى ذلك الا ان محمد بن بقية مقيم على خوفه
وحذره ويحمل بختيار على مكانبة سهلان بن مسافر وكان وجهه عسكر
نخر الدولة وحسنويه بن الحسين انيرزيكاني وكان مجاوراً لعماله ومصاهراً
له ويحمله أيضاً على استمالة فخر الدولة حتى يدخل في مناظرة أخيه عضد
الدولة فترددت الرسل بينهم فأنكدت العهد بينهم واستعدوا جميعاً
للمعاونة وانفقوا على التعاضد والتوازر ان نابت أحداً منهم نائبة . وحضر
كتاب لهم وجرت موافقة في أمور مشهورة ظهر منها تقليد كل واحد من
فخر الدولة وسهلان بن مسافر ما في أيديهما من الاعمال رئاسة من قبل
السلطان وكتب لهما العهد ولقب سهلان عصمة الدولة وكنى وأنفذت
الخلع الى الجهتين ووعد حسنويه بمثل ذلك اذا سار فلما وردت عليهم هذه
الخلع أحجموا عن لبسها وتوقفوا عن اظهار المناظرة لعضد الدولة فكثرت

الخلع مع الرسل مطرّحاً لا يلبس^(١) ولا يتلقب سهلان ولا يتكفى وجرى الامر على غاية الاخلوقة والفضيحة .

وواصل بختيار وابن بقية عدة الدولة^(٢) أبا تغلب ابن حمدان ومعين الدولة عمران بن شاهين وقطعت الخطبة ينفداد وجميع منابر العراق عن اسم عضد الدولة وزعم بختيار أن الرئاسة له بمد ركن الدولة . وشرع ابن بقية في تلقيب ثان مضاف الى لقبه الاول وأن ينشأ كتاب عن الخليفة بالزيادة في المقاطعة والمكاشفة وأشيع ذلك على المنابر وأطلق للناس الكلام القبيح وعُظم بختيار وانزل منزل ركن الدولة بالعراق والممالك المجاورة له وزعم أنه ياتمس تلك المنزلة من عضد الدولة ومن دونه وتلاه ابن بقية في هذه الارانب ووجد من جهال الجند مساعدة له ورغبة في حطام يتناولونه منه ويأكلون عنده واسراراً للبراءة منه واسلامه . وكان يظن انه ان بلغ ما يجب بالتدبير الذي دبره فقد فاز وان انعكس عليه كان بختيار الهالك وهو الناجي فيظن ظنا خطأ لان من سلك مسلكه لم ينج ولم يخل من ورطة يقع فيها تكون سبب هلاكه^(٣)

﴿ ودخلت سنة ست وستين وثلاثمائة ﴾

وفي هذه السنة تحرك عضد الدولة نحو العراق ورحل من فارس فجد محمد بن بقية وبختيار في مكاتبة الجماعة المذكورة . وكان حسنويه بن الحسين الكردي خاصة يفرّ بختيار من نفسه ويطمعه في أنه سائر اليه لماوته^(٤) بنفسه وأهل بيته ومن يطعمه من الاكراد وكان يجب أن يشتت الالفة ويفرق

(١) يريد مطرحة لا تلبس (٢) وقال صاحب تاريخ الاسرام : وفي رجب عمل

مجلس الحكم في دار السلطان عز الدولة وجلس ابن مروف وحكم لان عز الدولة التمس ذلك ليشاهد مجلس حكمه كيف فيها هو

الكلمة لان نظام أمره كان في انتشار أمر هؤلاء الملوك

وكان بروز بختيار وابن بقية يوم الاثنين ليلة بقيت من جمادي الاولى يريدان الزيارة والتصيد ثم الانقلاب الى واسط قاصدين الاهواز على نيسة المحاربة فاتهما الى واسط في انسلاخ جمادي الآخرة ووقعت بينهما وبين عمران بن شاهين مصاهرات وتزوج بختيار بابنة عمران بن شاهين وتزوج الحسن بن عمران بابنة بختيار

وفي هذا الوقت أهلك ابن الراعي بامر ابن بقية خلقا ممن كان يتهمهم فيهم المعروف بابن عروة وهو ابن أخت أبي قره وكان من وجوه العمال وفيهم علي بن محمد الزطي وكان اليه شرطة بغداد ومنهم المعروف بابن العروقي وكان أيضا اليه الشرطة بواسط وجماعة بجرون مجراهم وهم بقتل صاعد بن ثابت وكان قبض عليه ونكبه ولكنه سلم من القتل

وراسل بختيار من واسط الطائع لله وراسله ابن بقية يستلانه الانحذار اليهما والمسير معهما فامتنع من ذلك وترددت المكاتبات في ذلك الى أن قرر عنده انه انما يستل تجشم العناء للصالح والالفة فيئخذ انحدر الى واسط وسارت الجماعة عنها الى الاهواز . والمكاتبات تتردد في خلال ذلك ^(٤٦٣) بين القوم وبين حسنويه بن الحسين وهو يمد بالمسير. فبينما هم كذلك اذ ورد خبر عضد الدولة في نزوله ارجان في جميع عساكره فاضطربت القلوب وكتب عن الخليفة كتاب في معنى الدعاء الى السلم والكف عن الحرب وانفذ الكتاب مع خادم من خدم بختيار على أنه من خدم الخليفة ^(١) وكان

(١) زاد فيه صاحب التكملة : فقال عضد الدولة للخادم . قل لمولانا أمير المؤمنين

« لا يمكنني الجواب الا اذا مثلت بحضرتك » ولم يجب على الكتاب .

الطمع في الصلح في هذا الوقت محالا . فاستقرّ الرأي بعد مناظرات بين
بختيار وأصحابه على أن تكون الوقعة بالاهواز والتحصن بالنهر المعروف
بسوراب والقتال من ورائه فبرزوا وضربوا مضاربهم على شاطئ سوراب
ونفذ أبو اسحق ابن معز الدولة في طائفة من الجيش الى عسكر مكرم
لضبطها وحفظت المعابر على المسرقان وجردت المساكر من الاعراب
والاكراد وغيرهم الى رامهرمز وذلك أن المقيم كان بها والضامن لها وهو
الحسن بن يوسف استأمن الى عضد الدولة . ولما رأى الطائع لله ان الحال
أفضت الى الحرب امتنع من المقام وبرز متوجها الى بغداد فاجتهد بختيار وابن
بقية الجهد كله في أن يقيم فابي ذلك وسار الى دجلة البصرة وأصعد فيها الى
مدينة السلام مجتازاً في أعمال البطيحة

ثم ورد خبر نزول عضد الدولة رامهرمز وهزيمة ذلك العسكر الذي
نقذ اليها فزاد قلوب القوم ضعفا وانتقض^(٤٦٤) عليهم رأيهم في لزوم شاطئ
نهر سوراب فرجعوا منهزمين الى أفنية سوق الاهواز وقطعوا قنطرة اربق
وكتب ابراهيم بن معز الدولة بالعود من عسكر مكرم فعاد واجتمع جيشهم .
واتصل ببختيار أن سلار بن باعد الله سُرخ هو مع جماعة من وجوه قواده
وجماعة أخرى عاملون على أن يستأمنوا ويفضوا عسكره وأشير عليه بالقبض
عليهم وتقييدهم وحملهم الى واسط فضعفت نفسه عن ذلك وخشى اضطراب
باقي عسكره وضعف عن المحاربة بالاهواز وعمل على أن يرجع الى واسط
موفوراً فيجعل الحرب فيها فمنعه ابن بقية وجميع القواد عليه والزموه المقام .
وطالبه العسكر بالمال فظهرت خلته وفاقه وابتدأ ابن بقية بمصادرة أهل
البلد وكسر بختيار أواني الذهب والفضة من الحلى والمراكب وضربت عينا

وورقا فضعت آمال جنده . وعقد على دجيل جسراً ضيقاً ضعيفاً في أسفل
البلد وعلى طريق لا يصلح للمساكر عدة للهرب

ووردت أخبار عضد الدولة باستظهار شديد ومال كثير وكراع وسلاح
وجال موفرة بالازواد والآلات وعدة فيول مقاتلة وكان على ثقة من استئمان
جماعة من البختيارية اليه منهم سلال سرخ الذي ذكرناه وذلك أن كتبه وصلاته
كانت متصلة اليهم . وقدم عضد الدولة اقامة أبا الوفاء طاهر بن محمد بن
ابراهيم وضم اليه جماعة فيهم المعروف ^(١٦٥) بالكاروى الاهوازي مع جيش
من رجاله القفص وغيرهم فوردوا الباسيان وجمعوا السفن وصاروا بها الى
الناحية المعروفة ... ^(١) فعقدوا جسراً وورد عضد الدولة فعبر عليه وجميع
عساكره والاخبار ترد مع ذلك على اختيار وابن بقية فلا يكون فيهما فضل
للممانعة عن العبور ويشتان ثبات التحيين وذلك أن من عجز عن رد بعض
المساكر عن العبور والزحف في المواضع التي يمكن فيها الممانعة كيف ثبت
لجميع المساكر في الفضاء !

وتمسك عضد الدولة بالماء فنزل على شاطئ النهر لان الوقت كان
مدخل تموز فنزل من القوم على نحو الفرسخ وبكر يوم الاحد لاجدى
عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة ٣٦٦ على تمعية ونظام وعدة واستظهار
واحتياط وصافه بختيار مصافة مضطربة وجمل الفرسان أمام الرجالة
(وهذا شيء ما فعله أحد قط ولا تجهله عوام الناس حتى لعاب الشطرنج)
فاستأمن سلال سرخ والحسن بن خرامذ ونيباك بن شيرك وهو من أشد

(١) ياض في الاصل وفي التكملة : كانت الحرب بناحية يقال لها قشان من
أعمال الباسيان .

الديلم وشجعانهم وعدد كثير من الخواص وكان ديس بن عفيف رئيس
بادية بنى أسد في ميسرة بختيار فاستأمن وانهزم جيش بختيار وتبعهم الاعراب
والاكراد بالنهب والسلب والقتل والاسر^(٤٦٦) واستأمن تحت السيف
خلق وانهزم الفلّ يطلبون الجسر الذي وصفناه ففرق أكرثهم بالمضايقة
والمزاحمة . وأفلت بختيار وأخوه أبو اسحق ووزيره ابن بقية وعبروا دجيلا
واختلفت بهم المذاهب فلم يعرف بعضهم خبر بعض حتى التقوا بمطارا وكان
بختيار القى سلاحه عن نفسه وتلم وفيه عدة طعنات بالزوينات فلما أخوه
وابن بقية وجماعة من كبار قواده فأنهم وردوا الحويزة نصف الليل في نحو
خمسمائة رجل وبأوا فلحق بهم تمام الاف على صورة قبيحة من الاختلال
ولما أمسوا ساروا نحو نهر الامير ومن هناك الى مطارا واجتمعوا مع
بختيار . وقد كان ابن بقية عبر بصاحبه ابن الراعي مع خزائنه وخزائنه بختيار
وعدة كانت معه الى المأمونية التي بازاء سوق الاهواز وعول في حفظه على
بعض بنى أسد فذهب جميعه .

فانفذ عمران بن شاهين ابنه الحسن وكاتبه وقواده في عدة زواريق
وآلات الى بختيار وحمل اليه والى ابن بقية مالا وثيابا وحمل المرزبان بن
بختيار الى أبيه من الابلّة وقد كان برز اليها مالا وثيابا وصارت الجماعة الى
الابلّة في الماء بعد أن تأثموا وتزودوا الى واسط . وصادف بختيار وابن بقية
البصرة مفتتة بالحروب بين ربيعة ومضر^(١) فان مضر كانت^(٤٦٧) داخلة
في طاعة عضد الدولة بتدبيرات دبرها وأصول قدمها وأمار ربيعة فاقامت على
طاعة بختيار ولا لرغبة فيها ولكن مضاغنة لخصومهم من مضر فاتصلت الفتن

(١) روى الطبرى (٢ : ٤٥٠) ان مضر كانت تكثر ربيعة بالبصرة

ودامت الثورة واحرقت المحال وانتهت البضائع^(١) ودخل ابن بقية الى البصرة لتسكين هذه الفتنة فزادها اشتعالا وفسادا وأحرق بعض خطط المضربين وانصرف والشر باق . واشفقت الجماعة من أن يسير عضد الدولة الى واسط فيحصل بها فيفوتهم الحرب ان أرادوه فاصمدوا في الماء واخترقوا البطائح فتلقاهم عمران بن شاهين في عسكره وآلاته وقبل يد بختيار وتطاول بختيار له وعطف به الى دار ابنه الاكبر وهو أبو محمد الحسن فانزله فيها للوصلة بينهما ولانها كانت أحسن دار بالطبيعة وأنزل محمد بن بقية عليه فاقاموا عنده اضيافاً ثلاثة أيام فعجب الناس من موافقة ذلك ما كان عمران سبق اليه بالحكم كما حكيناه فيما تقدم . ثم رحلوا ورحل الحسن بن عمران معهم الى واسط .

وفي هذه الحال هرب المرزبان بن بختيار من البصرة الى واسط لاحقا بآيه في الشذات والزبازب والسفن بكليته وحرمه وأسبابه

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

ظهرت مضر على^(٤٦٨) ربيعة وضعت نفوس ربيعة بهزيمة بختيار وانخزل المرزبان وخاف أن يؤخذ فبادر الى واسط موفورا وحينئذ كتب وجوه البصريين الى عضد الدولة بانفاذ من يتسلم البصرة فانفذ أبا الوفاء طاهر بن محمد فدخاها

ولما حصل بختيار بواسط تنكر لابن بقية وذم مشورته وندم على

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وورد أبو بكر محمد بن علي بن شاهويه صاحب القرامطة الكوفة في ألف رجل منهم وأقام الدعوة بها وبسورا وبالجامعين والنيل لمعضد الدولة

قبوله منه وقال : قد كنت عملت على الانصراف عن الاهواز قبل الحرب
بجيش كثيف وأمر مستقيم وعسكر وآلة وسلاح فان تمكنت من المقام
بواسطة أوبينداد ولحقتي المعونات التي انتظرها من سائر الجهات والا كان
أقل ما في يدي ان أنصرف عن هذه البلاد بمسكر لم يثل ولم ينكب فلم
يتعذر على ان أغلب على غيرها فايته الا اخراجي من جميع نعمتي ومملكتي
وافساد ما بيني وبين أجل أهلي . فثبت ابن بقية وقال : قد ينال الملوك مثل
مانالك وأعظم منه فيما سكون وعلى أن أصلح أمورك وأبذل قسي دونك
ومساعدة الجند على ذلك . وتراجع الى بختيار كثير من الديلم والأتراك
واستدعى كراما كان له ببغداد واستجد سلاحا وخيما وخر كاهات وصار
اليه من كان بالبصرة وبغداد من الجند وأحوالهم جامعة فصار في عسكر
قوى . ووردت عليه كتب حسويه بن الحسين الكردي يفرض غرورا انما
ويعتبر اليه في ^(٤٦٩) التأخر عنه ويمده بان ينفذ اليه أولاده واحدا بعد آخر
ثم يصير اليه بنفسه في جميع رجاله . وعادت المكاتبه بينه وبين فخر الدولة
على بن ركن الدولة وأبي تغلب ابن حمدان ورجع ابن بقية الى ذخيرة كانت
له بواسطة قتات منها وجرى على عادته في استمالة الجند وبذل الخلع حتى
مالوا اليه وآثروه على بختيار

﴿ ذكر بلوى بلي بها بختيار في تلك الحال ﴾

﴿ حتى أسلم بقية ملكه ﴾

من عجائب ما اثنق على بختيار في تلك الحال انه كان أسر له في الوقعة
بالاهواز غلام تركي يعرف بيايتكين لم يكن من قبل يعيل اليه ولا تظهر منه
حبة له فجن عليه جنونا وتسلي عن كل شيء خرج عن يده الا عنه وحدث

له من الحزن عليه ما لم يسمع بمثله فامتنع من الطعام والشراب والقرار
والسكون وانقطع الى النجيب والشهيق والعويل وأحتجب عن الناس
اخلاذا الى البكاء واضجر بالجيش وتبرّم بحضورهم وأطرح التسدير وزعم
ان فجيئته بهذا الغلام فوق فجيئته بالملسكة والانسلاخ منها ومن النعمة .
ثم اذا كان وصل اليه وزيره وكتابه وقواده وخواصه في المهم قطعهم عن
ذلك بالشكوى بما حل به والبوح بما في نفسه ونقصت أوقاته ومجالسه
بهذا ^(٧٠) الخطب الجميل عنده دون ما سواه وامتنع من الجلوس في الدست
ومن استعمال التمهيد بالمخاد وما أشبه ذلك فخفف ميزانه عند الناس وسقط
من عيونهم فلم يبال بذلك . وصار القواد يجتمعون الى ابن بقية ويقولون :
دبر أنت أمورنا فانا معك ومطيعوك . فاستهان به ابن بقية واستعجزه
وجاهر بذلك بعد ان كان يستره وعدل الى الاخذ بالحزم لنفسه وأما بختيار
فانه أسقط التجميل في أمر هذا الغلام عند كل أحد حتى كتب الى عضد
الدولة والحرب قائمة بينهما وهو يطلب ملكه وتغلبه يستلزم رد هذا الغلام
عليه وكتب الى جماعة خواصه المطيعين به وبخدمته يسألهم معاوته فيما رغب
فيه اليه فاستزاد بذلك فضيحة في المساكر والامصار وعاتبه الاقارب
والاباعد . فما ارعوى بل تمادى وأنفذ أبا أحمد الحسين بن موسى الموسوى
رسولا اليه في هذا الباب وبذل له على يده في فدية الغلام جارين عوادتين
محسنتين كاتتا عنده ولم يكن لهما نظير في الخدق والبراعة وقد كان أبو تغلب
ابن حمدان بذل باحديهما مائة الف درهم فابي ان يبيعها . وقال له : ان وقف
عليه الامر في هذا الفداء فزد أبدا ولا تفكر في شيء مما بيني وبينه فقد
رضيت ^(٧١) ان آخذه وأمضي الى أقصى الارض وأسلم اليه ما في يدي .

فشخص وأدى الرسالة وقد وجد ذلك الغلام قد اختلط مع غيره من رفقاته
 المأسورين يوم الوقمة ولم ير له فضل ولا ميّز من بينهم وأتقذوا الى شيرزاد
 هدية للامير أبي الفوارس ابن عضد الدولة . فلما أدت الرسالة وعرف الملك
 ما عند بختيار من الفجعة به عجب كل العجب وأمر برد الغلام الى حضرته
 فردّ ثم أعاد أبا أحمد الموسوي بجواب الرسالة وضم اليه أبا سعد بهرام بن
 أردشير الكاتب رسولاً وأعلمه انه يجب له الى ما سأل وأرشده مع ذلك
 الى بعثه على الطاعة وحمله رسائل أخر أمرهما أن يؤديها الى بختيار سرا
 عن ابن بقية وعلى غير مشهد منه ولا من أحد . فلما وردا امثلا الامر وطويا
 عنه ما حضرا فيه وأدياه الى بختيار وحده على انفراد به فاستوحش ابن
 بقية استيحاشا شديدا وأتهم انه التمس القبض عليه وتسليمه اليه عوضا عن
 الغلام وان بختيار يفعل ذلك لشغفه به فهم بالقبض على الرسولين جميعا
 ومكاشفة بختيار وان يظهر العصيان . وكان نازلا من واسط في الجانب
 الغربي ومعه المال والسلاح والثياب والآمال متعلقة به ^(٤٧٢) وبختيار في
 الجانب الشرقي خال من ذلك كله وانما كان ابن بقية يجري عليه قوته
 ويعوله كما يمال من لا أمر له وعمل على ان يرأسه باعتزال التدبير وان
 يصعد الى بغداد ويحلى بينه وبين الحرب فان فعل والا جاهره وطرده وكان
 ذلك ممكنا منه لو أمضاه فعدل بختيار الى تلافيه والرفق به وأظهره على
 الرسالة المطوية عنه وسكنت نفسه وطيب قلبه وأراه انه راجع الى رأيه
 ومتدبر بتدبيره وغير خارج عن ارادته الى ان تم له القبض عليه

﴿ ذكر السبب في قبض بختيار على ابن بقية ﴾

كان ابراهيم بن اسمعيل صاحب بختيار تمكن منه ووثق به صاحبه

وكان نقيبا خاملا فتقدم عنده الى ان استحجبه وذلك بعد رحيل عضد الدولة الى فارس . ولما اطلع على الحال التي عليها ابن بقية من التسكر أعلم بختيار انه على خطر من وثبة يثبها عليه اشفاقا على نفسه وانهم اذا لفرصته مع تمكنه من الجند والمال فقال له بختيار : انى أخاف شغب الجند وان يستنفذوه من يدى ويطالبونى بالاول . فتضمن له الا يجرى شىء من ذلك وان جرى كان عليه ان يسكنهم ويرضيهم بما يوجد من أموال ابن بقية وأسبابه وأطمعه فى كثرتها وفى ان تسفر الحال فى القبض عليه فيما بينه وبين عضد الدولة ويصير ذاك طريقا الى انعطافه وصلاح رأيه وأشار عليه الا يستوزر وزيرا بمده ^(١٧٢) وان يقر الكتاب على أعمالهم ودواوينهم ويخرج أبا العلاء صاعد بن ثابت [النصرانى] من محبسه فيرد اليه استخراج الاموال والاستيفاء على العمال من غير وزارة . فقبل بختيار مشورته واطلع بختكين آذادويه عليها فاستصوبها وكان فى ضنك شديد حتى انه احتاج الى الثلج فالتمس من ابن بقية ثلجا فحمل اليه ثلاثين رطلا ووجد فى خزانة شرا به يوم القبض عليه ستة آلاف رطل كان أعدها اسماط يتخذها للجند .

فلما كان وقت العصر من ذى الحجة سنة ٣٦٦ عبر ابن بقية فى زبرجه الى بختيار فوجه فى الوقت جماعة قبضوا على الحسن بن بشر [المعروف] بابن الراعى صاحبه فحين حصل فى أيديهم أمر بالقبض على ابن بقية من غير ان يصل اليه وقبض على جميع ما وجد له من مال وكراع واستخلص أبا العلاء صاعد بن ثابت من محبسه وكان أمر ابن الراعى بقتله فى الليلة المقبلة فكفاه الاجل والمقدار . ووُجد فى حبس ابن بقية صاحبه المعروف

بالكرامي وكان صادره ولم يبق فيه بقية فاطلقه بختيار وسلم اليه ابن الراعي ليطالبه ثم أخذه من يده فاستوحش الكراعي وهرب الى البطيحة . فتحرك الجند بعد أيام يسيرة من القبض على ابن بقية وطالبوا بأموالهم وعرضوا بذكره والتأسف عليه فهم^(٤٧٤) بختيار بقتله في الوقت فلما تفرق الجند عنه أخذوه في الليل مقيداً الى بغداد موكلأ به وأخرج معه أبا العلاء صاعد بن ثابت ليطالبه ولم يكن الاحتياط وقع على أقاربه لان بختيار عاجله كما حكيت ثم كتب على الاطيار الى مدينة السلام بتحصيلهم فسبق أحد الاطيار وحمله صاحب البرج الى أسباب ابن بقية على الرسم في خدمة الناس لهم فوقفوا عليه وأنذر بعضهم بعضاً فهرب من هرب واستتر من استتر فالتجأ أخوه وابن أخيه المعروف بأبي الحمراء مع جماعة منهم الى بني شيبان ثم الى بني عقيل وأقاموا في البادية

﴿ تمام خبر بختيار وما عمله بواسط الى ان صاعد الى بغداد ﴾
كان قبضه على ابن بقية قبل زده أبا أحمد النقيب وبهرام بن أردشير للرسولين الى عضد الدولة فشهدا ذلك عياناً ثم أنقذهما وأنفذ الجاريتين ليفتدي بهما غلامه بايتكين ووافق أبا أحمد العلوي على ان يبذل جميع ملكه لن دعه الى ذلك حاجة . جرت خطوب استقرت على ان تسلم الجاريتان ويسلم الغلام وتوارت البشائر بحصول الغلام بالبصرة فأظهر بختيار السرور العظيم بذلك وانه جرى عنده مجرى الظفر بجميع خيرات الدنيا والآخرة واستشعر ان نعمته قد عادت اليه وهم بالعود^(٤٧٥) الى بغداد على ما شرط عليه عضد الدولة . وجاء ابراهيم بن اسمعيل حاجبه وأشرف عليه في اللوم والتفريع وأشار عليه ان يقيم بواسط للمقارعة والمدافعة وجاءه عبد الرزاق

ابن حسنويه ثم أخوه أبو النجم بدر بن حسنويه في نحو ألف فارس ووردت كتب حسنويه بأنه سائر على أثرهما فأظهر المقام بواسط على مباينة عضد الدولة . فاتصل ذلك به وأنه نقض الشرط فبادر برسله الى أبي أحمد النقيب [العلوى] يرسم له ان يتوقف بالبصرة مع الغلام الى أن يرحل بختيار عن واسط ويتمسك بالشرائط التي شرطت عليه فوردت كتب العلوي بذلك فاضطرب واجتهد وكاتب وراسل فلما لم ينفعه شيء من ذلك أمر بتقديم سواده وعمل على الاصعاد ليلا وأعلم عبد الرزاق وأبا النجم انه قد رأى ان تكون الحرب بينداد لان أبا تلب ابن حمدان صائر اليه لمعاوته وسألها الاصعاد معه ففعلا ذلك على استضعاف الرأي فيه وقد كانا اطلعا على حديث هذا الغلام فكتبنا الى أبيهما حسنويه يصدقانه عن الصورة فلما حصل عبد الرزاق بجرجرايا رحل منصرفا وتوقف أبو النجم بدر على سبيل التذمّم والحياء . وتلوّم بختيار في طريقه حتى لحقه أبو أحمد العلوى وبهرام بن أردشير^(٤٧٦) ومعهما ياتسكين فسلماه اليه فتمم المسير الى بغداد

وقد كان ابن بقية والمعروف بابن الراعي أظهر التبلع في المطالبة بعد مكاره عظيمة لحقتهما والتمس ابن بقية كتب الامانات لاهله الهاريين فكتبت وحضروا . وتجدد لابن بقية طمع في أن يخطب الوزارة ويبدل لبختيار ثلاثمائة ألف دينار يصححهما من جهات كتابه وأسبابه وذويه ومن البقايا في النواحي وان يردّ الى مرتبته ليقوم بأمر الحرب ويدبر العسكر فبلغ ذلك أصحاب بختيار والقواد الذين أشاروا بالقبض عليه فاضطربوا واجتمعوا الى بختيار وأعلموه انه انما يحتال بما يبذله للخلاص وان يتمكن من الانسلاخ ثم يثير الفتن التي لا تتلافى

وفي هذه السنة قبض تلى أبي الفتح ابن العميد بالري
﴿ ذكر السبب في ذلك ^(١) ﴾

﴿ ^(١٧٧) ودخلت سنة سبع وستين وثلثمائة ﴾
﴿ ذكر السبب في المثلة بابن بقية وابن الراعي ﴾
(وسمل عيونهما)

كان بهرام رسول عضد الدولة يخاطب بختيار في تسليم ابن بقية اليه
ليجمله الى عضد الدولة ويوضحه عنه «الا من خزائنه واتصل ذلك بهؤلاء
القوم أغنى القواد فحضرُوا عند بختيار وأقاموا في نفسه انه ان سلمه اليه
صحيحاً لم يؤمن ان يصطنعه ويبقى عليه فيكون قد حصل له بحضرته عدوٌّ من
قبله وكثر المشيرون بقتله والراحة منه فتقرر الرأي على سمله وتسليمه
مسمولاً . فسمل ليلة الجمعة لثلاث ليال خلون من شهر ربيع الاول سنة ٦٧
وجد أبو اسحق ابن معز الدولة في إلحاق صاحبه المعروف بابن الراعي به
لشيء كان في نفسه عليه ولم يكن له شافع لما كان ارتكبه من مكاره ^(١٧٨)
الناس فسمل أيضاً

وترجح الرأي ببختيار بين الدخول في طاعة عضد الدولة وبين المقام
على معصيته ومحاربه وكان الرسولان مع جماعة من نصحاء يشيرون عليه
بطريق السلامة ويمرّفونه عجزه عن مقاومته وقلة عدته من المال والرجال

(١) ياض في الاصل وأما نكبة أبي الفتح ابن العميد ليراجع ترجمته في ارشاد
الاربيب ٥ : ٣٥٦ - ٣٥٨

وكان جماعة أخرى من قواده وخواصه فيهم الحسن بن فيلسار يشيرون عليه بالثبات والمقارعة ثم تقرر الامر واختار السلامة والطاعة من طريق الضرورة فدخل في الطاعة وحلف عليها وأعطى صفة يمينه بها ولبس خلع عضد الدولة وعبر الى الجانب الغربي على ان يسير الى الشام ويثبت على أعلامه وراياته اسم عضد الدولة ويقيم الخطبة له في أي بلد دخله ولما فعل ذلك انصرف عنه بدر بن حسنويه أيساً منه ولحق بأبيه . وبذل له عضد الدولة مالا جليلاً على ان يقيم في كنفه ويلقاه ثم يسير الى حيث يختار فلم يفعل ذلك ولم يسكن اليه فاشتراط عليه شروطاً كثيرة كان فيها الا يتأبد أبا تغلب ولا يعرض له الا بقدر الاجتياز في أعماله فقط لمراسلة كانت بينه وبين عضد الدولة ولمقامه على العهد القديم وأطلق لبختيار مالا وقاد اليه جمالا ودواب معونة له على نهضته^(٧١) ووقع النداء بمدينة السلام برجوعه الى طاعة عضد الدولة وانه سيلم غير محارب وخرج نحو الموصل .

فأول ما نقض من شروط عضد الدولة ان اعترض على أبي تغلب ابن حمدان وعمل على لقاءه ومحاربه ودفعه عن الديار

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان حمدان بن ناصر الدولة خرج معه وسار بمسيره فلما صار الى عكبرا ذكره أمر نفسه ووعدته بأموال ابني ناصر الدولة وما جمعه في القلاع وما خلفه لهم ناصر الدولة وكان بالحقيقة كثيراً جداً وزعم انه لا يلبس مملكة هي أسهل شوكة من مملكة أبي تغلب وانه يتولى حربيه ويشق بمصير خلق من رجاله اليه وكذلك من اخوته وأسبابه فهاهد حمدان على انه يمنع من جميع ما يمنع نفسه ذباً وحماية وحلف له بأيمان البيعة وجرت

بينهما شروط التزماها ودخلا فيها . فلما صار بتكرير صار اليه علي بن عمرو كاتب أبي تغلب بهدايا يسيرة وانزال من قضيم وطعام وسار معه الى الحديثة وخلا به ودعاه الى القبض على حمدان وتسليمه الى أبي تغلب على ان يجتمع معه وينفق أمواله ويبدل سلاحه وآلاته وذخائره وعسكره ورجاله ويعود معه الى بغداد ويستخلص له ملكه من يد عضد الدولة . فالتوى بختيار واضطرب وذكر انه لا يستعيز ذلك مع ما حصل لحمدان في عنقه^(١٨٠) من اليمين الغموص ومع ما عليه من عهد عضد الدولة فلم يزل يماوده ويستعين عليه بوالدته وأخيه أبي اسحق وحاجبه ابراهيم بن اسمعيل وبجماعة من استولى عليه من أسبابه . واستولى كاتب أبي تغلب هذا أعني أبا الحسن علي بن عمرو على بختيار وتسمي بالوزارة وجمع لنفسه كتابة بختيار مع كتابة أبي تغلب واستخلف عليه ابنه . واجتهد في أمر حمدان واسلامه وذلك ان أبا تغلب وأخته المسماة جميلة كانا طالبين عنده بثار أخيهما أبي البركات .

وأقام بختيار على الامتناع الى ان صار أبو اسحق الى الموصل واجتمع مع أبي تغلب وتقرر الامر بينهما على القبض على حمدان من حيث لا يدخل بختيار في ذلك لئلا يحنث في يمينه فرجع الى الحديثة . وعسف بختيار في مخاطبة وأعلمه انه متى لم يفعل ذلك قصده أبو تغلب وحاربه ولم يقاومه وانه ان ساعده صافاه وواخاه وأعاده الى بغداد وأنفق أمواله وذخائره واستدعى الرجال الى ذلك من كل وجه مع ما عنده من الاستقلال بعسكره ورجاله . فضعف بختيار في يده على رسمه في ضعف العزيمة ولين العريكة فقبض على حمدان وأسلم الى خصومه وحبس في قلعة وهرب ابنه المكني

أبا السرايا الى عضد الدولة . وجمع أبو تغلب الرجال وفتح قلاعه واجتهد
وبالغ واجتمع مع بختيار على ظهور الدواب فتحالفا وتعاهدا فلما فرغا من
الاستعداد انحدرا من الموصل وكانت عدة أصناف^(٨١) الرجال معهما
خمسة وعشرين ألف رجل . وبلغ عضد الدولة أخبار الجماعة ولم يكن ممن
تخفى عليه أمور أعدائه وأوليائه يوماً بيوم فبرز عن مدينة السلام في جيوشه
المنصورة وقدم مقدمته مع أبي القاسم سعد بن محمد الحاجب الى تكريت .
وكان أولئك أتقوا اليها جيشاً مع ابراهيم بن اسمعيل حاجب بختيار
فأوقع به أبو القاسم وقتل كثيراً من رجاله وكاد ابراهيم يؤخذ أسيراً الا
انه نجا الى تكريت واستتر عند بعض أهلها ثم هرب منها ولحق بأصحابه .
وفي هذا الوقت قتل ابن بقية وصلب ببغداد

﴿ ذكر الحال في ذلك ﴾

كان حمل مسمولا على ما ذكرناه الى عضد الدولة عند نزوله بالزعفرانية
فتقدم بأن يشهر في العسكر على جل ثم طوب بالمال فلم يدعن بشيء منه
فطرح بحضرة العسكر بباب حرب الى الفيلة وأضررت عليه فقتلته شر قتلة
وصلب لوقته على شاطئ دجلة في رأس الجسر بالجانب الشرقي وذلك في
يوم الجمعة لست خلون من شوال سنة ٣٦٧ ثم نقل الى الجانب الغربي
فصلب بازاء ذلك الموضع من الشرقي وبقي فيه .

وعاد الحديث الى تمام خبر الواقعة بين بختيار ومن جمع

(٨٢)

وبين عضد الدولة بقصر الجص

اتصل بعضد الدولة ان القوم أجمعوا على ان يتفرقوا بعد عبور النهر
المعروف بالاسحاق يأخذوا في عدة وجوه الى بغداد ففسار بجميع عساكره

الى قصر الجص حتى نزل فوق الغاية التي عزموا على ان ينفروا منها وذلك بعد ان استخلف وزيره أبا القاسم المطهر بن عبد الله في جيش كشيء ببغداد والتقى القوم غداة يوم الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شوال واشتدت الحرب وثبت القوم بعضهم لبعض وتصابر الفريقان من الديلم فحمل عضد الدولة حملة صادقة فانهزموا وتبعهم الجند يقتلون ويأسرون وقد كان بخيار عمل على الهزيمة فمنعه أصحابه وخاف من الحصول في الاسر أو التسل فلما تحققت الهزيمة ظهر به بعض الاكراد من العسكر فأخذ سلبه وهو لا يعرفه ثم عرفه غلام تركي يقال له ارسلان كورموش فضربه بلسان وأراد ان يثني عليه فتعزف اليه باسمه واستأسر له وقال : احملي الى حضرة ابن عمي وخذ جائزتك . ولحقه في الحال تركي آخر فحملاه الى القرب واستأذناه فتوقف وكان أبو الوفاء طاهر بن ابراهيم حاضراً فأشار بالفراغ منه فلم تطب نفس عضد الدولة به ولحقته دهشة وأراد استبقائه فألح عليه أبو الوفاء وقال : ما تنتظر به ان يعود نالاً والى متى يثير علينا هذه الفتن التي لعلنا نكون من صرعاة في بعضها^(٤٨٣) افرغ منه ! وعلا صوته وأظهر من النصيحة في هذه الباب والمراجعة الشديدة ما لو قصّر فيه لجاز . فرفع عضد الدولة [يده] الى عينه يمسحها من الدموع وقال : انتم أعلم . وكان هناك أبو القاسم سعد الحاجب حاضراً فبادر اليه مع صاحب له واحتز رأسه وكان قد جهده العطش حتى كاد يأتى عليه الموت لو ترك لحظة .

وقتل في هذه الواقعة خلق كثير من القواد والامراء ومن واساه بنفسه وفيهم ابراهيم بن اسمعيل صاحبه وحاجبه وأسرى خلق كثير سوى من قتل . ولحقت أبا تغلب ضربة في منهزمه ولم يكن باشر الحرب بل

طلب تلعة بالقرب فوقف عليها وكان دبرٌ عسكريه بأن يقفوا كراديس
فكلما حمل منها كردوس وأبلى وتمب عاد وحمل كردوس آخر وغره
كثرة القوم وكان بختيار عبى خيله تعبىة الديلم ليلقى بنفسه ويياشر الحرب
وتلحقه المعونة من كل وجه فجرى الامر على ما ذكرت .

ومن عجيب ما جرى قبل ذلك ان أحد الامراء من عسكر بختيار
يعرف بالحسن بن فيلسار أشار عليه وهو ببغداد ألا يخرج عنها ولا يسلمها
الا بحرب وابلاء كثير فأبى عليه بختيار فاعتزله وشخص الى جسر النهر وان
مع طائفة كانوا يرون رأيه فلما اجتمعوا هناك عقدوا له الرئاسة على أنفسهم
وحدث نفسه بالمسير الى جهة شعبانا^(٤٨٤) أو طرف من الاطراف فبلغ
عضد الدولة خبره فلما بلغ الى القرب من بغداد جرّد خلفه خيلا فلحقوه
ووقف للحرب فانجلت عنه أسيراً وبه ضربات فلبث يسيراً ومات وأسر
كثير من أصحابه واتقض ذلك الجمع

فأما عضد الدولة فإنه لما فرغ من وقعة قصر الجص تمم المسير الى
الموصل فلما وصلها وسائر ما يتصل بها من الاعمال والديار وظن أبو تغلب انه
يلبث فيها يسيراً ثم يضطر الى العود الى بغداد على سيرة من كان قبله .
وذلك ان رسم الحمدانية اذا ضعفوا عن مقاومة من يقصدهم ان ينقلوا
الغلات والميرة وسائر الاموال والذخائر الى قلاعهم وينقلون الكتاب
والدواوين أيضاً اليها ويخرجون في أصحابهم الى حول الموصل متفرقين في
أعمالها فاذا حصل بالموصل عدوهم المتغلب عليهم لم يجد بها شيئاً غير ما عند
الرعية فيضطرون الى الملوفاة والمير ويخرج من يخرج في طلبهم وينقضون
عليهم من أمكنة غريبة وطرق لا يمر فيها الغزباء من العساكر فيأخذون

بغالهم وجمالهم ويقتلون ويأسرون من يمانعهم فاذا صبروا على ذلك أياماً يسيرة وجهدوا ولم يجدوا حيلة ولا مغيثاً من كاتب بلدي ولا غيره طلبوا الصلح وقاربوهم للضرورة التي ذكرتها وانصرفوا عنه فيعودون الى ممالكهم . ولم يكن عضد الدولة ممن يسلك هذه السبيل بل احتاط ونقل من الميرة والعلوفة والازواد ما تمكن منه وحمل من رجال الموصل وكتابها الموجودين^(٨٥) ببغداد وبسكرت و سائر الاطراف من يرشد ويخدم وكذلك كتاب بغداد كان فيهم من أقام بالموصل وعرف وجوه الاعمال فصبر وأقام الى ان صار أبو تغلب الى الشام بعد نواب نابتة وقتل هناك كما سنشرح أمره ان شاء الله .

وفي هذه السنة خرج الطائع لله مع عضد الدولة لمشاهدة الحرب بينه وبين أولئك الذين قدّمنا ذكرهم أعنى بختيار وأبا تغلب وكان بروز عضد الدولة الى معسكره بباب حرب من أعلى الجانب الغربي يوم الاثنين لليلة خلتا من شوال سنة ٦٧ وبرز الطائع لله يوم الخميس لحبس خلون منه فلما انهزم بختيار وأبو تغلب من الوقعة بمحضرة قصر الجص عاد الطائع لله الى منزله ببغداد^(١) وسار عضد الدولة كما ذكرنا فيما قبل الى الموصل فنزل بظاهرها يوم الاربعاء العاشر من ذي القعدة ودخل الدار يوم الجمعة

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : تخلف الطائع على عضد الدولة خلع السلطنة وتوجه بتاج مجوهر وطوقه وسوره وقلده سيفاً وعقد له لواءين يده أحدهما مفضض على رسم الامراء والاخر مذهب على رسم ولاية اليهود ولم يعقد هذا اللواء الثاني لغيره قبله ولقب تاج الملة وكتب له عهد بمحضرة فقراً بمحضرة ولم تجر العادة بذلك انما كان يدفع العهد الى الولاة بمحضرة أمير المؤمنين فاذا أخذه قال أمير المؤمنين : هذا عهدي اليك فاعمل به .

الثانى عشر .

وترددت الرسل من أبى تغلب الى عضد الدولة في التماس الصلح ومحل مال فامتنع عضد الدولة وقال : انا اذا ملكنا ناحية بالسيف وبعد الحرب والمقارعة لم نصلح عليها . وتشدد في ذلك حتى صرح لرسله بأن الموصل وديار ربيعة أحب اليه من العراق وانه ليس يبيعها أبدا . وكانت الموصل وأكثر أعمالها ملكا لابی محمد ناصر الدولة وكان رسمه أن يضاق أصحاب المعاملات من التئاء وأصحاب العقار من أهل البلد ويخاشنهم ويتأول عليهم حتى يلجئهم الى البيع ويشترى^(٤٨٦) أملاكهم بأوكس الاثمان وطالت حياته وامتدت أيامه حتى استولى على الناحية ملكا وملكا فلما صار جميع ذلك في قبض عضد الدولة لم يفرج عنها وطب أبو تغلب وأمرت اليه سرايا فلم يمكنه المطاولة ولا ان يسير بسيرته التى حكيناها فيما تقدم فسار الى نصيبين وسير عضد الدولة خلفه أبا الوفاء طاهر بن محمد على طريق سنجار . وكان في جملة من انهزم معه الرزبان بن بختيار ووالدة بختيار وابناها أخوا بختيار ومن أفلت من وقعة قصر الجص فلما لحقهم أبو الوفاء نهضوا منهزمين الى ميافارقين ثم افترقوا فلما والدة بختيار وأخواه وابنه ومن نهض معهم من أسبابهم وبقية الديلم والأتراك المرسومين بهم فاتهم ساروا الى دمشق لاثنين بالفتكين المعزي وهو الذى حارب عضد الدولة بديالى وانهزم من بين يديه فلما بلغه مسير أولاد مولاه وحرمة وأسبابه اليه تلقاهم وقضى حقوقهم . وظن انه يتكثر بهم ويزيد في عدته بمكانهم ويتقوى بهم فجرى الامر بالضد وذلك انه لما انهزم من العراق الى دمشق وتغلب عليها تماسك فيها نحو أربع سنين ودفع جيش المغرب عنها وثبت لعساكر صاحب مصر

التي جهزها اليه واستولى استيلاء قويا وهاباُ العرب وطار اسمه هناك . فلما صار اليه هؤلاء المنزموون قصده عساكر مصر على الرسم متضاعفة على العدة التي تقدمت فصار اليها الى الرملة ومعه الجماعة للحرب^(٤٨٧) والمقارعة فحين توافقت الفرقتان استأمن المرزبان بن بختيار فظهرت المغاربة على الفتكين وكثروه بعددهم فانهزم وقتل أبو طاهر ابن معز الدولة واستأمن أبو اسحاق بن معز الدولة في آخر الامر . ووقع الطاب على الفتكين فاحقه المفرج بن دغفل بن الجراح الطائي وجاء به أسيرا : وكان صاحب مصر (قد) عرف منه ومن الاثراك الذين معه على طول الممارسة بأسا وشدة فأبقى عليهم وعليه وأحسن اليه واليهم واتخذهم عدة وصاحبه ثم اشترى منه ولاده وصار كالعبد له وحصل أصحابه محصل الجند وأحسن اليهم^(١) وأما أبو تغلب فانه أقام بميفارقين ومعه أخته جميلة وكانت وحدها شريكة له في الامر والنهي وسائر اخواته الباقيات وحرمه وعياله معه فلما بلغه مسير أبي الوفاء اليه قدم الحرم والعيال والاموال والسواد الى حصن بدليس وتوجه بنفسه لاحقا باسبابه ووصل أبو الوفاء الى ميفارقين وهي مغلفة دونه ولها سور وثيق من حجارة سود لا يعمل فيها الحديد وهي من حصون الروم وأبنيتهم القديمة فطواها أبو الوفاء طالبا أبا تغلب وانتهى أبو تغلب الى أرزن ونزل على نهر يعرف بخويبور ثم عدل من هناك الى ناحية الحسنية ووصل الى قلاعه واستنزل منها مالا على سبيل المخالسة فعاد الشيخ أبو الوفاء الى ميفارقين لمنازلتها وافتتاحها . واتصل بعضد الدولة مخالفة^(٤٨٨) أبي تغلب الى قلاعه وأخذه مأخذا منها فنهض من الموصل

(١) ابراج تاريخ ابن القلانسي ص ١٨ - ٢١

بنفسه وهرب أبو تغلب من بين يديه وفارقه جمهور عسكره وأعيان رجاله مستأمنين الى عضد الدولة منهم بختكين آذرويه وبقاياا الغلمان المزعبة والغلمان السيفية فعاد الى الموصل وقد ترك أبا تغلب مسلوب القوة والعُدَّة

وسلك أبو تغلب في هزيمته هذه طريق الجزيرة فجرد عضد الدولة في أثره أبا حرب طغان الحاجب وأمره باتباعه ومناجزته فتنكب أبو تغلب الطريق وتصف الرجوع الى بدليس وظن أنه لا يتبع فكوتب طغان باتباعه وجرّد أبو سعد بهرام بن أردشير في عسكر مددا له فصار خلفه فهرب من بدليس ودخل بلاد الروم قاصدا ملك الروم المعروف بورد الرومي^(١) وهذا رجل تملك على الروم ثم اختلف الجيش عليه بقسطنطينية ونصبوا أخوين من أولاد ملوكهم وافترقت كلمة الروم وطالت الحرب والمنازعات بين الفريقين وكان وزد هذا قد صاهر أبا تغلب وواصله واعتضد به على خصومه فانعكست الحال بان صار أبو تغلب هو اللاجئ اليه واتفق لأبي تغلب ان كان مسيره في مضائق بين جبال ولحقه عسكر عضد الدولة هناك

﴿ ذكر غلط اتفق بجناية جناها أبو سعد بهرام على العسكر ﴾
(حتى كسر وهزم بعد التمكن من أسر أبي تغلب)
(والظفر به وبمن معه ^(٤٨٩))

كان عسكر عضد الدولة على نهاية الحرص على الظفر بسواد أبي تغلب

(١) هو المعروف بالسقلاروس والملكان هما باسيل وقسطنطين ابنا رومانوس وأمهما هي ثاوفانو

واشتد طمعهم فيه لعلمهم بما معه من المال الصامت الذي أخرجه من القلعة وانه لم يترك ذخيرة هناك من جوهر نفيس أو در ثمين أو متاع أو عين يخف محمله الا وهو معه ورأوا الصناديق بعينها التي وصفت لهم انها محمولة من القلعة فحمل الاتراك وفرسان المسكر ومن يوثق بفرسه وسلاحه متسرعين الى غنيمة تلك الاموال . فناداهم أبو سعد بهرام : يا فتيان المسكر احفظوا تلك الصناديق فانها لمولانا . وكرر ذلك وتابيه فانكسر القوم قفوتوا في الطالب ونظر اليهم أعداؤهم منخزلين وهم لا يعرفون السبب فحمل عليهم أبو تغلب في عسكره فانهزموا ووقع بعضهم على بعض فقتل منهم خلق كثير . وضرب طغان ضربات تعطل منها كثير من أعضائه وأفلت مع أبي سعد وقد أشرفوا على الهلاك بعد ان أشرفوا على الغنيمة والظفر .

﴿ وذلك عند دخول سنة ثمان وستين وثلثمائة ﴾

ثم ان أبا تغلب بعد كسره طغان وأبا سعد أمن وصار الى حصن زياد وأقام . وكانت جيوش قسطنطينية قد سارت الى ورد^(١) فشغل عنه بنفسه وأتخذ اليه ميرة كثيرة وأشار عليه بأن يلحق به ليجتمعاً على حرب خصومه فاذا انهزموا واستظهر عليهم عاد فنصره . ولم تسكن نفس أبي تغلب الى أن تلقاه فأخذ^(٢) اليه طائفة من عسكره على سبيل النجدة والمعونة وأقام

(١) قال يحيى بن سعيد الانطاكي في تاريخه (ونسخته موجودة في كتيبة بارس : ٢٩١) ان أبا تغلب خاف على نفسه فاخذ طريق الجزيرة وكتب الى بردس السقلاروس وكان السقلاروس قد واصله واعتضد به على منازعة باسيل واتفق ان كتبه وردت عليه وقد توجهت جيوش باسيل الملك مع بردس الفوقاس فشغل السقلاروس عن أبي تغلب بنفسه وأخذ اليه الخ

بحصن زياد ينتظر فالتقى الجيشان من الروم وانهزم ورد^(١) واتصل ذلك بأبي تغلب فيئس منه وعاد الى بلاد الاسلام ونزل بآمد شهرين الى أن فتحت ميفارقين

﴿ شرح الحال في ميفارقين وفتحها ﴾

قد كنا ذكرنا تجاوز أبي الوفاء ميفارقين طالبا لأبي تغلب فلما هرب الى بلاد الروم وتفرّد أبو حرب طغان الحاجب بطلبه والمسير في أثره عاد اليها فبرز اليه هزارمرد على أن يواقعه فلم تكن له به طاقة فعاد الى التحصن في المدينة . فالتقى الرأي عند أبي الوفاء أن كر الى أرزن فحاصرها ثلاثة أيام وضعف من فيها عن المقاومة ففتحوها له ودخلوا في أمانه وطاعته ولم يزل بسائر الحصون المقاربة لها حتى استغرقها وانكفأ حينئذ الى ميفارقين وناصبه من فيها الحرب ثلاثة أشهر وكسرا وهجم البرد عليه وسقطت الثلوج فاحتمله وصبر . ونُصب عليه وعلى عسكره من داخل السور منجنقات فثبت لها وقابلها بمنجنقات مثلها ورمام بالنار والحجارة وهو في خلال ذلك يفتح الحصون المقاربة لها ويستأن أهلها ومن فيها من غلمان أبي تغلب المرتبين حتى قضى الله وفاة هزارمرد فكوتب أبو تغلب بذلك فكتب بأن ينصب مكانه غلام من الحمدانية كان مضموما اليه يقال له مونس . وكان بالبلد قاض جاهل متهور ليس^(١١) فيه من أدوات القضاء شيء يقال له أبو الحسين المبارك بن ميمون ويمرف بابن أبي ادريس^(٢) فاستولى على تدبير

(١) وفيه أيضا أن ذلك يوم الاحد ثمان بقين من شعبان سنة ٣٦٨

(٢) قال ابن الأزرقي الفارقي صاحب تاريخ ميفارقين : كانت ميفارقين من سنة ٣٣٣

تحت حكم القاضي عبد الله بن الخليل بن المبارك بن ميمون عند غيبة سيف الدولة

أمر مونس هذا وجمع كلمة أهل البلد ومن كان فيه من المطوعة وحملة السلاح على الثبات والمدافعة فكاتبه أبو الوفاء ودعاه الى الطاعة وبذل له الرغائب فأبى الا العناد . وكان يصعد الى برج من أبراج السور فينادى العسكر ويسمى القواد وصاحب العسكر ومن يلى أمرهم ويشتمهم ويبالغ في ذكركم بالقبيح ويتجاوز ذلك الى مالا يحسن ذكره فعدل أبو الوفاء عنه الى مكاتبة شيخ من ميفارقين كان وجيها ومطاعا فيها يقال له أبو الحسين أحمد بن عبيد الله ^(١)

﴿ ذكر الحيلة التي تمت لابي الوفاء في فتح ميفارقين ﴾

وجد أبو الوفاء لابي الحسين احمد بن عبيد الله خارج البلد غلاما كان مقيما في ضيعة له فراسله به ورفق بالغلام ووصله ثم جمعه وليجة الى صاحبه ولم يزل به حتى استجاب للطاعة فأخذ العهد والميثاق على أهل البلد سرا فمضى خبره الى القاضي الذي ذكرناه فسمى في الفتك به وكاد يتم له ذلك لولا أن أهل البلد حاموا عليه ومنعوا منه ولم يزل أمره يقوى وأهل البلد يجتمعون اليه وقد ملوا الحصار والضيق حتى استنظروهم ^(٢) . فلما كان يوم الجمعة لليلتين خلتا من جمادى الاولى سنة ٣٦٨ ثاروا مشغبين ^(٣) على أصحاب أبي تغلب

الى ان مات ومات بعده القاضي وولى موضعه أبو الحسين محمد بن علي بن المبارك ابن ميمون وكان هذا البيت يعرف بيت ابن أبي ادريس

(١) وقول أيضا : وكان أحمد هذا صهر القاضي وكان الناس يرجعون الى كلمته

(٢) وزاد صاحب تاريخ ميفارقين : ثم أنه من الغد حضر عند القاضي وكان بينهما وحشة ومصاددة ومعه جماعة من الناس فشكوا ما هم عليه من المضايقة والحصار فقال القاضي : وأين صبركم وجلدكم وبعد ما أكلتم السكابل ولا أكلتم أولادكم ولا مات منكم مائة في يوم واحد .

فالتجأ مونس ومن معه الى منازلهم وقبض احمد بن عبيد الله على القاضي ابن أبي ادريس وعلى جميع من كان في حصن ميفارقين من أصحاب بختيار وحاشيته وفيهم غلام أهوج معروف بالتهور والجهل كان قد داخل بختيار على طريق المنادمة التي تليق بمثله يعرف بابن الطبري فساعد القاضي على سيرته وجهله في ذكر الملوك وبسط اللسان فيهم ووجه الى مونس الحمداني يلتمس مفاتيح الباب منه ويتهدده متى أخرها وساعدته الجماعة على ذلك فانفذها والتمس الامان فكتب احمد بن عبيد الله الى أبي الوفاء يعرفه ماعمله ويلتمس الامان لمونس ومن معه من الحمدانية فأمنه واستثنى بهذا القاضي وبالمعروف بابن الطبري وأتخذ أبا الفتح المظفر بن محمد الحاجب في قطعة من الجيش فدخل الى البلد وملكه وأحسن أبو الوفاء الى أهله وفرق فيهم أموالا وتصدق على ضعمائهم بأمر عضد الدولة إياه. وحمل الى حضرته القاضي وابن الطبري فأمر بضرب رقابهما وصلبهما من السور على البرج الذي كان يظهر منه ويسميء أدبه فيه

﴿ فتح آمد ﴾

كان أبو الوفاء أتخذ اليها في أول الامر أبا علي التميمي الحاجب لافتتاحها فتعذرت عليه لحصاتها ووثاقه سورها الذي هو أشد من سور ميفارقين فرجع عنها ثم عاد اليها أبو تغلب من بلاد الروم على ما^(١١٣) ذكرنا وظن انه يقيم فيها ويمتنع بها فلما فتحت ميفارقين علم ان الجيش سائر اليه وانه لا يثبت مع الحصار ومع ما استمر عليه من الجوائح فأتخذ أخواته سوى جميلة مستأنات الى أبي الوفاء وتبين أصحابه ضعفه فالتاثوا عليه فهرب الى الرحبة ومعه أخته جميلة ومن بمسه أمره من حره . وقعد عنه المعروف

بأنجوتكين وهو من نجباء الأتراك المعروفين بالشدة والثبات في المعارك وله قوة على حملات له ثقيل يعجز عنه غيره وإذا حمل به لم يثبت له أحد وقعد معه جماعة من الأتراك وقصدوا حضرة عضد الدولة مستأمنين إليه ثم تتابع الناس الذين كانوا مع أبي تغلب من الغلمان والجند والكتاب والولاة والاتباع . وسلك حينئذ أهل آمد بعد انصراف أبي تغلب عنها سبيل أهل ميافارقين ففتحوها سداً وطوعاً .

واشتمل أبو الوفاء على ديار بكر بأسرها وعاد الى الموصل ومعه الاسارى بعد ان رتب في الحصون من يحفظها من ثقات عضد الدولة ورتب في البلدان عمال الخراج والمعاون

﴿ ذكر ما عمله أبو تغلب بعد مسيره من آمد ﴾

لما انصرف من آمد وقصد الرحبة أنفذ من طريقه أبا عبد الله الحسين ابن ناصر الدولة وسلامة البرقعيدى وهو من كبار الحمدانية الى عضد الدولة برسالة تتضمن الاستعطاف ويسأله الصلح والاصطناع ووصل الى الرحبة ^(١٩٤) وأقام بها على انتظار الجواب . فورد أبو عبد الله وسلامة البرقعيدى الموصل وأدّى أبو عبد الله ما تحمله فتلقاء عضد الدولة بالجميل وقبل منه تنصله وبذل له اقطاعاً وفضلاً على ان يطاءً بساطه ويدخل في ذمامه وتبين أبو عبد الله حزم عضد الدولة وذاك انه مع احسانه اليه وتوسعته عليه منع أحداً من الوصول اليه فلم يشاهد بعينه الا الموكلين به فقط وعرف من أخيه انه لا يستجيب لما دعاه اليه عضد الدولة فأخذ بالحزم لنفسه وتعلق بمصمة باطنية اختص بها واعتقد ان يفارق أخاه ويعود الى حضرة عضد الدولة فمضى اليه فأعاد الجواب عليه . فكان الامر على ما ظنه من مخالفة

أخيه لم رسوم عضد الدولة فتوجه الى الشام لاجئاً الى صاحب المغرب
وسار معه أخوه الحسين الى بمض الطريق ثم فارقه قيل تذر على غير
استئذان فأنفذ خلقه من يتبعه فشعث سواده ولم يلحقه في نفسه فنجوا
وحصل بحضرة عضد الدولة على حال جائلة

﴿ فتح ديار مضر ﴾

كان الوالى عليها سلامة البرقيدى فأنفذ اليه سعد الدولة وهو ابن
سيف الدولة جيشاً لينزله عنها فجرت بين الفريقين حرب . وكان سعد
الدولة هذا قد كاتب عضد الدولة وعرض نفسه^(١٠) وتعلق منه بمصمة
فأنفذ عضد الدولة أبا أحمد الموسوي النقيب اليها فسلها بعد حرب ودخل
أهلها في الطاعة . ولما استولى عليها سلطان عضد الدولة استصفي منها الرقة
وأعمالها خاصة وفوض باقيها الى سعد الدولة وجرت مجرى سائر ما في
يده من أطراف الشام .

ثم فتح الرحبة فتفرغ لفتح قلاع أبي تغلب وهذه القلاع هي في جانب
دجلة الشرقى وهى عدّة كثيرة فمنها أردمشة ومنها الشعباني وقلمة اهرور
وقلمة مليصى وقلمة برقي وكانت أردمشة خاصة مملوءة بالامتعة الفاخرة
من أصناف الثياب والفرش والجواهر والضيافات والحلي وسائر أصناف
العدد وكان أبو تغلب رتب فيها رجلا من الاكراد بينه وبينه قربى من جهة
والدته فاطمة بنت أحمد الكردية يعرف بابن بادويه وضم اليه مملوكا له
كان من غلمان أبيه يثق به يقال له طاشم فأنفذ اليه عضد الدولة أبا العلاء
عبيد الله بن الفضل بن نصر النصراني لمنازلة القلمة والاحتياط في فتحها
وأخذ أبو القاسم سعد بن محمد الحاجب الى الشعباني وأخذ صاحباً لابي نصر

خرشيد يزديار الخازن الى امرور فعرف أبو الملاء حال أقارب لابن بادويه السكردى خارج القلعة فدعاهم الى خدمة عضد الدولة ^(١٦) ورغبهم فيها وعرفهم اضمم حلال أمر أبي تغلب ووقع اليأس منه وكتبهم عضد الدولة بمشورة أبي الملاء فرغبوا في الخدمة وصاروا على ثقة مما وعدوا به ثم حملوا على مكاتبة صاحب القلعة وأشاروا عليه باقبض على طاشتم وتسليم القلعة وذلك ان طاشتم كان شديد الطمع في عود صاحبه ويجب أن تظهر أمانته عنده ففعل ابن بادويه ذلك وبذل للحراس وسائر من يخفظ القلعة البذل الكثير وحكموا فتم القبض على طاشتم والتقييد وحصات القلعة بما فيها ^(١٧) وظهرت نجابة أبي الملاء واجتهاده وحسن تخطيطه وكان قيمة ما في القلعة على ما حررناه (وكنت فيمن أخرج اليها لنقل ما فيها مما يصلح للخزائن) ومع ما يباع وتبقى ما يبقى في القلعة نحو عشرين الف الف درهم قال صاحب هذا الكتاب : كان عضد الدولة أمرني أن أصير مع خواشاده ^(١٨) الى هذه القلعة وأحضر احصاء ما فيها ثم تسلم طاشتم مقيدا وأحمله على بنسل باء كاف مجردا لا وطاء عليه ووجه أصحابه الذين قيدوه وسلموا القلعة بانطلع والدواب والمراكب التي حملوا عليها وبين أيديهم البدر والشباب التي حبوا بها ثم أطوف به تحت القلاع الممتعة التي لم تفتح بعد لينظر من فيها الى حال طاشتم فيحذروا مثلها ويروا أحوال الباقين فيطمعوا

(١) وفي طاشتم هذا ليراجع ما في كتاب الفرق بعد الشدة ١ : ١٣٦

(٢) وفي خواشاده هذا قال ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٢٥٥) قرأت في

كتاب بغداد تصنيف هلال بن الحسين الصابي : حدثني خواشاده خازن عضد الدولة

قال : طفت دار الخلافة (يعني ببغداد) عامرها وخرابها وحريمها وما يجاورها ويتاخها

فكان مثل شيراز

في مثلها ^(٤٩٧) ففعلت ذلك وتحملت رسائل الى أصحاب تلك القلاع .
 وجرت أحوال يطول شرحها الا ان جملتها ان القوم لما نظروا الى هيئة
 طاشتم وأصحابه دخلهم الرعب من جانب وتجددت لهم الرغبة من جانب
 وكانوا قبل ذلك لا يصدقون الرسل بان هذه القلعة التي كان فيها طاشتم
 فتحت فلما رأوه عيانا وخاطبوه عرفوا وهاء أمر أبي تغلب وقوة عضد الدولة .
 وسلموا القلاع بعد مدة .

ورأيت أنا من طاشتم هذا في طريقي حصافة واتبالا على الصلوات
 ودعاء كثيرا (وقد كان أومن على روحه فقط) فسألني في الطريق المعونة
 وحسن المحضر عند عضد الدولة فلما عدنا الى الموصل وفرغنا من استقراء
 القلاع على ما وصفت نبت عن طاشتم هذا بحضرة عضد الدولة وعرفته
 سداؤه وانه يصلح لخدمته فقال : هو كما تقول ولكن السياسة لا توجب
 اصطناعه . فقلت : وكيف ؟ قال : لانه مانعنا تم تقرب به الينا غيره فان وقع
 احسان اليه سويتنا بينه وبين من خدمنا بالقبض عليه فخبثت نيات من
 يخدمنا في أعدائنا وظنوا اننا لا نميز في الاحسان بين الولي والعدو وبين
 المحبب والممتنع ومع ذلك فان بين أيدينا قلاعا ما فتحت بعد وان بلغ أصحابها
 الممتنعين فيها احساننا الى هذا زالت الرهبة عن قلوبهم وطمعوا في مثل
 طاقبة هذا بعد حصولهم ^(٤٩٨) في أيدينا ان حصلوا وسلامتهم في مواضعهم
 ان سلموا . ثم قال : ولان لي فيه رأيا وهو ان أتقذه الى صاحبه أبي تغلب
 فانه سيؤمّوه على صاحب مصر به وبقلعتهم ويدعي انها في يده وفيها ذخائره
 وثقاته وان ماله في هذه القلاع يفي بمؤنته ان أمد بالرجال ولا تزال
 محاربه مشتبّهة وجائزة هناك الى ان يطلع عليه هذا وتتقدمه الاخبار بما

يجرى عليه فحينئذ تبطل تمويهاته وتظهر فاقته وانه طريد سيفودا وانما أفلت بحشاشته وليس وراءه عُدّة ولا ذخيرة ولا قلعة . فلما سمعت هذا الجواب علمت انه صواب في سياسة الوقت وان معارضته فيه خطأ فأمسكت . وبلغ طاشتم ما عزم عليه من تسيره الى صاحبه مقيداً بحالته تلك فقلق جداً وراسلني يستلني المصير الى محبسه فصرت اليه تدمياً فوجدته كثير البكاء لا يستقرّ على الارض قلقاً فقلت : ما شأنك ؟ فقال : ان الملك كان آمنني على نفسي وأراه الآن قد بذلني لمن لا يبقى عليّ . وأطال هذا المعنى وسألني معاودة عضد الدولة ومخاطبته في الامان الذي معه فحملت نفسي على معاودته فلم يرجع عن رأيه الاول وقال : انما آمنتك على نفسه مني والا أصيبه بمكروه وأنا له على ذلك ولست أضمن الاّ يصيبه صاحبه بمكروه . وتبرأ مما يجري عليه من صاحبه وتقدم^(١١) بالاسراع به . فلما بلغ أبا تغلب خبره من موضع يقرب منه تلقاه بمن قتله والله أعلم بصحة ذلك الاّ ان موته شاع بعد زمان قليل .

﴿ ذكر ما دبره عضد الدولة من أمر هذه الممالك ﴾

﴿ وعوده الى بغداد ﴾

خلف أبا الوفاء بالموصل لتهديب المعاملات وترتيب المال في الاعمال وتقنين القوانين وتدوين الدواوين وعاد الى مدينة السلام يوم السبت انسلاخ ذي القعدة سنة ٣٦٨ . وخرج الطائع لله في تلقيه مع جماعة الجيش والمقيمين وسائر الخواص والعوام ودخل يوم الاحد لليلة خلت من ذي الحجة واجتاز في الجانب الغربي على تعبئة من الجيش وبعد ان ضربت له القباب متصلة منتظمة بين عسكره من باب حرب وبين الموضع الذي

ينزله من آخر البلد وهو البستان المعروف بالنجمي وعبر في يوم الاثنين له الى داره فاستقر فيها .

﴿ [ذكر] ما أكرم به عضد الدولة من جهة الطائع لله ﴾

خرج أمر الطائع لله الى خلفائه على الصلاة في جوامع مدينة السلام بان يقيموا لعضد الدولة الدعوة تالية لاقامتها له على منابرها ونفذت به الكتب اليهم ورسم ان يضرب على بابه بالدياب في أوقات الصلوات . وهذان الامران من الامور التي بلغها عضد الدولة واختص بها دون من مضى من الملوك على ^(١٠٠) قديم الايام وحديثها ^(١)

﴿ ودخات سنة تسم وستين وثلاثمائة ﴾

وفي هذه السنة ورد الحضرة أخ اسقلاروس الرومي المعروف بورد وقد ذكرنا خبر هزيمته عن جيوش قسطنطينية وكان صار الى ديار بكر وأتخذ أخاه هذا الى عضد الدولة مستنصرا ومستنجدا وباذلا من نفسه الضاعة والمعاهدة ^(٢) ولما كان الملك الاخوان اللذان بقسطنطينية عرفا

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : وقد كان معز الدولة أحب ان يضرب له الدياب بمدينة السلام وسأل المطيع لله ذلك فلم يأذن له قات : وماذا الا لعضد أمي الخلافة .

(٢) قال يحيى بن سعيد الانطاكي : وأما اسقلاروس فانه بعد هزيمته أخذ معه أخاه قسطنطين وولده رومانوس وصار الى ديار بكر وأتخذ أخاه قسطنطين الى عضد الدولة يلتمس منه النجدة والمعونة وبذل له الطاعة والمالاة وتطول مقامه وانتهى الى الملك باسيل حاله فانفذ الى عضد الدولة كتابا له وجبها يسمى تقفور ويعرف بالاورانوس (وهو الذي باخره ماجسطرس ووالى انطاكية) مترسلا عنه فيما يفسد على اسقلاروس ما شرع فيه مع عضد الدولة ومالا واسعا يستعين به على قصده ورسم له بان يرغب عضد الدولة بما يبذله له فيه وبعده اخراج كل أسير في بلد الروم وان يلقط باحضار

ما فصله أئقذارسولا وجبها الى عضد الدولة لنقض مائشرع فيه ورد واجتمع هذان الرسولان على بساطه خاضعين يتنافسان فيه ويتزايدان في التقرب اليه ويستبقان الى التماس الذمام منه ولم ينصرفا الى ان انساخت سنة تسع وذلك مالم يكن مثله قط . وهو من مآثر عضد الدولة

وفها توفي عمران بن شاهين صاحب البطيحة بجأة يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم وكان ركب في غداة هذا اليوم للتزّه على عادة كانت له فلما عاد الى داره تشكى دون ساعة وفاطت نفسه بعد ان نصبت له الارصاد أربعين سنة وأنققت على حروبه الخرائب وبعد ان أذل الجبابرة وأرباب الدول وطواهم أولا أولا وقدمهم أمامه على غصص يتجرعونها

السقلاروس اليه ولو بائعاه وابتاع من معه من الروم وبضمن له انه يؤمنهم ولا يسيء الى أحد منهم . وأوعز عضد الدولة الى صاحبه المقيم بيافارفين سرا بان يقبض على بردوس السقلاروس فظهر عضد الدولة الانكار للحال والغضب على صاحبه لما فعله وكتبه بان يحمله الى بغداد وحمل معه ولده رومانوس وسائر أصحابه وكان عددهم قدرا ثلاثمائة نفس . ولما وصل السقلاروس أنزله عضد الدولة دارا خليت له ووسم عليه الجراية مديدة واعتقله واحتاط عايه ووعدّه باطلاقه ونجريد عسكر معه . وارسل عضد الدولة الى باسيل الملك صاحبا له يعرف بابن شهرام في معنى السقلاروس وقصده وما يبذله من الموالاة فانه قد شرط على نفسه اذا ظفر يسلم اليه حصونا مما اقتنحه الروم وأنزعوه من أيدي المسلمين ويستدعى منه أن يسلم اليه تلك الحصون والا هو يمد السقلاروس بالعداء ويضده على ما التمس منه فأعلمه باسيل الملك قلة عنايته به وان ذلك مما ينزعج منه . ورفق الى عضد الدولة ان قفور رسول باسيل الملك الوارد في طلب السقلاروس مجتهدا عند اياسه من أن يسمه ويميته ليكفي صاحبه أمره فوكل به أيضا واعتقل قبض على جميع ما ورد معه من المال والتماع . واعتل عضد الدولة ويشغل عنه وعن غيره بنفسه ومات وبقي جماعتهم معتقلون ببغداد مدة ثمان سنين الى ان صدر أيام ولده صمصام الدولة وانتهى أمرهم الى ما سنشرحه مستأقأ .

وذحول يتحملونها وهو ممنوع الحريم محصن الساحة محي من غوائلهم
ومكايدهم فلما أطرَقه ^(٥٠١) الله لم يكن له مستقدم ولا مستأخر
وفيها جرّد عضد الدولة جيشاً مع صاحبه وثقته أبي القاسم علي بن
جعفر الواداري وضم اليه أبا الملاء النصراني لطلب بني شيبان
﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كانت هذه القبيلة أغنى بني شيبان مستعصين قد تعودوا النهب
والغارة والتلصص وأعتت الحيلة في طلبهم وذاك ان لهم خيولاً جياداً
يعولون عليها في الحرب اذا طلبوا فشكّات سراياهم تبلغ في الليلة الواحدة
ثلاثين فرسخاً وربما زادوا على ذلك فيمسون بموضع ويصبحون على هذه
المسافة البعيدة وكذلك يصبحون في مكان ويمسون منه علي مثل ذلك ولا
يصح للسلطان خبرهم ولا يتأتى له طلبهم . وكان لهم رئيس يعرف ^(١)

وكانوا مع ذلك قد عقدوا بينهم وبين أكراد شهرزور المتغلبين عليها
مصاهرات وأدّمة وشهرزور هذه لم تزل ممتنعة على السلطان لا يدعن أهلها
لحضانة المدينة ولا نهم في أنفسهم عتاة ذوو بأس وجلد . فاراد عضد الدولة
أن يبدأ بشهرزور ليقطع بين اعراب بني شيبان وأكرادها فاتفق شخوص
أبي القاسم الواداري وهو عقيب علة طالت عليه ولحقته نكسة في طريقه
فمات وورد خبره على عضد الدولة وكاتب أبا الملاء وأقامه مقامه وأمره
باستكمال الخدمة فيما توخاه . ففعل ووفي وظهرت نجابته المعروفة منه ونهض
نهوضاً كفى المهم به وشفى الصدور ولما وصل الى شهرزور وعسكر على
ظاهرها فتحت له فدخلها في عدة يسيرة على مواعدة لاهلها وقبول ^(٥٠٢)

الطاعة منهم ولم يكن القصد الاول اليهم ولا المراد بلدهم . فهرب بنو شيبان في البر مصمدين الي نواحي الزواحي على رسمهم في الاجفال اذا طلبوا .

﴿ ذكر ما دبره أبو للعلاء من أمرهم حتى ظفر بهم ﴾

سار أبو للعلاء الى دقوقا وأقام بها أربعة أشهر وأكسرا يعمل ضروبا من الحليل والمسكايد والمكاتبات المتصلة بضروب من الاستمالة والزرق والاطماع حتى سكنوا اليه وأنسوا به ولم يجعل مع ذلك حتى قربوا باحيائهم منه فأسرى حينئذ اليهم وأوقع بهم وقعة عظيمة أتت علي نفوسهم وأموالهم وذرايعهم وأعزتهم وغنم غنيمة عظيمة وقتل من مقاتلتهم خلقا كثيرا وانصرف بمائتي رأس من رؤوس القتلى وثمانمائة رجل من الاسرى فيهم جماعة من وجوههم ورؤسائهم . فدخل بغداد يوم الخميس ثمان خلون من رجب وشهر هؤلاء الاسارى على الجمال بالبرانس الطوال والثياب الملونة لأربع عشرة ليلة خلت منه وأودعوا الحبوس والمطابق وتفرق أوتهمك الذين نجوا منهم في الاطراف البعيدة وطقشت جمرتهم وزالت عن أعمال بغداد والسواد مضرتهم .

وفيها قبض على أبي أحمد الموسوي نقيب الطالبين وعلى أخيه أبي عبد الله وعلى قاضي القضاة أبي محمد عبيد الله بن أحمد بن معروف وأنفذوا الى فارس وقد قضا القضاة أبو سعد بشر بن الحسين وهو شيخ كبير مقيم بفارس^(١) واستخلف له ببغداد أربع خلفاء على أربع بغداد وهم أبو بكر

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : هو قاضي قضاة شيراز توفى في رمضان سنة ٣٨٠

وكان اماما في مذهب داود (يعني من أهل الظاهر) فصرف عن القضاة في سنة ٣٧٢ بموت عضد الدولة . واما خليفته ابن صبر قال أيضا انه حنفي ولي القضاة بعسكر المهدي

محمد بن عبد الله ^(٥٠٣) المعروف بابن صبر وكان خليفته على الجانب الشرقي من حد المخرم والى الطرف الاعلى منه وأبو الحسن عبد العزيز بن أحمد الحرزى وصير خليفته على ما بقى من الجانب الشرقي من حد المخرم الى الطرف الاسفل وأبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن الاكفاني ^(١) خليفته على مدينة أبي جعفر المنصور وما يتصل بها من الجانب الغربي الى طرفه الاعلى وأبو محمد عبد الرحمن بن محمد العماني خليفته على المدينة التى

ومات سنة ٣٨٠ وكان معتزليا مشهورا به رأسا في علم الكلام سمي أبو بكر الخطيب أباه عبد الرحمن وأما هو محمد بن عبد الله بن جعفر بن محمد بن الحسين بن فهم المعروف بابن صبر وكان بصيرا بكلام أبي هاشم الجبلى خيرا بالتفسير وله كتاب في الرد على اليهود وكتاب عمدة الأدلة وكتاب التفسير وما أمته . وأما الحرزى وهو شيخ أهل الظاهر أخذ عن قاضى القضاة بشر بن الحسين وقدم من شيراز في حجة السلطان عضد أندولة وتوفي سنة ٣٩١

وقال أيضا ان أبا هاشم الجبلى هو عبد السلام بن عبد الوهاب بن أبى على البصرى كان هو وأبوه من رؤس المعتزلة وكتب الكلام مشحونة بمذاهبهما . قال ابن درستويه النحوى : اجتمعت مع أبي هاشم فالتى على ثمانين مسألة من غريب النحو ما كنت أحفظ لها جوابا . ولابى هاشم تصانيف وتلامذة وكان يصرح بخلق القرآن كأبيه ويقول بخلود انفسى في النار وان التوبة لانصح مع الاصرار عليها وكذا لانصح مع العجز عن العقل فقال : من كذب ثم خرس أو من زنا ثم جب ذكره ثم تابا لم نصح توبتهما . وأنكر كرامات الاولياء توفي في ثامن عشر شعبان سنة ٣٢١ هو وابن دريد في يوم واحد ودفنا بمقبرة الخيزران . وليراجع ما قال فيه أبو سعد السمعاني في كتاب الانساب : ص ١٢١ وابن دريد ترجمة في ارشاد الأريب ٦ : ٤٨٣

(١) قال فيه صاحب تاريخ الاسلام رواية عن التنوخى : قال لى أبو اسحق الطبري : من قال ان أحدا أبقى على أهل الملة الف دينار فقد كذب غير أبي محمد الاكفاني . واه جمع له في سنة ٣٩٢ جميع قضاة بغداد وتوفي سنة ٤٠٥ .

تعرف بالشرقية وهى على غربى دجلة الى طرفه الاسفل وقسمت نواحي السواد على هذه الحصص بينهم

وفي هذه السنة ورد الخبر بقتل أبى تغلب فضل الله بن ناصر الدولة . بالرملة ﴿ ذكر شرح الحال فى قتله وحرقة ﴾

كنا قد ذكرنا خبره فى توجهه من الرحبة الى دمشق وكان بلغه ان عضد الدولة كاتب سعد الدولة بن سيف الدولة وجميع البوادى هناك من بنى كلاب وغيرهم بمعارضته فى مسيره وأخذه وحمله الى حضرته فاستوحش وعدل عن نهج الطريق وأوغل فى البرية فنالته مشقة عظيمة ووصل الى دمشق من ورائها فوجد فيها من أهلها رجلا يقال له قسّام^(١) قد تحصن بها وغلب عليها وخالف صاحب المغرب فلم يتمكن من دخولها فزل فى ظاهرها وأخذ كاتبه على بن عمرو الى مصر يستدعى من صاحب المغرب النجدة . ووقعت بين أصحابه وبين أصحاب قسّام^(٢) هذا تورة فرحل الى موضع يقال له نوى وفارقه من ههنا ابن عمه أبو الفطريف مستأمن الى عضد الدولة وعيد عيد انظر بنوى وورد عليه كتاب من كاتبه من مصر بان صاحب المغرب قبله ووعدته بكل ما أحبه وأنه التمس منه ان يسير اليه زائرا فامتنع أبو تغلب من ذلك وترددت المراسلات والمكاتبات بينهما . فرحل عن نوى الى منزل يقال له كفر عاقب على بحيرة طبرية وفارقه من هناك أخوه أبو طاهر ابن ناصر الدولة على اتفاق واستئذان مستأمن الى عضد الدولة . وكان صاحب المغرب أنفذ وجها من وجوه غلمانه يقال له الفضل الى د. ق ليحتال على قسّام ويفتح البلاد نصار الى طبرية وترب

من أبي تغلب وتراسلا في الاجتماع فسار الفضل اليه وتلقاه أبو تغلب وتفاوضا في الموكب ووعدته عن صاحب المغرب بكل ما أحب وبذل له أبو تغلب المسير معه الى دمشق لفتحها . ففكره ذلك للنفرة التي كانت جرت بينه وبين قسام لثلا يوحشه وكان يسلك في أمره اللطف والحيلة لا طريق الخوف والمقارعة فافترقا وعاد كل واحد منهما الى موضعه ثم رحل الفضل الى دمشق فلم يتم له ما قدره فيها . وكان بالرملة دغفل بن المقرج بن الجراح الطائي وهو رجل بدوي استولى على هذه الناحية وأظهر طاعة صاحب المغرب من غير ان يتصرف على أحكامها واستفحل أمره وكثرت البوادي معه فسار الى احياء عَمْقِيل المقيمة بالشام ليوافقها ^(٥٠٥) ويخرجها عن تلك البلاد فلجأت الى أبي تغلب وسألته نصرتها ومَتَّ اليه بالرحم النزارية وكتب ابن الجراح اليه يسأله الآ يفعل ذلك ومت اليه بالخلف الذي وقع قديما في الجاهلية بين ربيعة واليمن فتوسط بين الجهتين على التكافؤ الى ان يرجع الى صاحب المغرب ويمثل ما يرد منه في الامر الذي شجر بينهما . ورحل فنزل في جوار عتيل على انه مانع لها المسير والابتداء بالشر فاوحش ذلك ابن الجراح والفضل صاحب صاحب المغرب وخافاه وظنا ان اجتماعه مع بني عتيل لتدبير على أعمالهم فسار الفضل عن باب دمشق على طريق الساحل الى الرملة . وضجر أبو تغلب من طول مقيل واتصال كُتُب كاتبه اليه بالتسويق والتعليل فسار الى الرملة مع احياء عتاتي وذلك في المحرم سنة ٣٦٩ . فغرب ابن الجراح والفضل من بين يديه حها بعد وكتب الفضل يستنجد ويجمع الى نفسه جيوش السواحل وولاته وجمع أيضا ابن الجراح الرجال واحتشد فتوافت اليهما طوائف كثيرة

واستأمن الى أبي تغلب ممن كان معهما اسختكين التركي المغربي وغيره من الاتراك وقطعة من الرجال الاخشيديّة والمغاربة وعطف اليه الفضل وابن الجراح فيمن جمعا فوقمت الوقعة على باب الرملة يوم الاثنين ليلة خلت من صفر^(٥٠٦) سنة ٣٦٩ فلما عاينت عقيل كثرة الناس انهزمت فضمف^(١) أمر أبي تغلب وفارقه اسختكين المغربي طالبا العراق ومستأمنا الى عضد الدولة وعاد باقي المستأمنة من المضرّيين الى الفضل والى ابن الجراح ولم يبق مع أبي تغلب الا نحو سبعمائة رجل وهم غلمانة الحمدانية فانهزموا وانهزموا ولحقهم الطاب فقتلوا وجوههم يحامون عن نفوسهم بالمكافحة والمجادة فضرب بعض الصماليك أبا تغلب على رأسه وعرقب آخر فرسه فسقط الى الارض وبادر اليه ابن عم لابن الجراح يقال له مشيع الطائي وقتل بعض غلمانة وأسر أكثر أصحابه وحصل أبو تغلب في عشية تلك [الليلة] في يد ابن الجراح فبكر مرتحلا باحيائه وعسكره وسيره بين يديه على ناقة وقد شدّ رجليه بسلسلة الى بطنها واعتقد ان يأتي عليه ولا يبق فبلغ ذلك الفضل فبكر لياخذه من يد ابن الجراح فالتقاء قد سار فاتبعه فلما قرب خاف ابن الجراح ان يتسلله منه وبصير به الى مصر فيجربى معه مجرى الفتيكين في اصطناع صاحب المغرب له واستصحبه اياه وقد ورّه بالحرب والاسر وأماخ الناقة وضربه بيده ضربتين بالسيف فسقط قتلا وأخذ رأسه وقطع بعض الشيوخ من العرب يديه ورجليه لانه كان ضرب يد ابن له عند ممانته عن نفسه فأطنّها . ولحق الفضل وقد قضى الامر فأخذ رأسه وأيقذه الى مصر ثم صلب جثته ثم أحرقت .

وقد كان خلف أخته جميلة وزوجته وهى بنت سيف الدولة^(٥٠٧) فى احياء بنى عقيل فلما قُتل حملوها^(١) مع سائر عياله الى حلب فأخذ سعد الدولة أخته اليه وأخذ جميلة الى الرقة وحدرها منها الى عانة وعدل بها من عانة الى الموصل وسلمت الى أبى الوفاء فكانت فى يده الى ان انحدر الى بغداد فحدرها معه وحصلت معتقلة فى الدار فى بعض حججها مع جوارى عضد الدولة ونسائه .^(٢)

ذكر تلافى بغداد بالعمارة بعد الخراب

وفى هذه السنة أمر عضد الدولة بعمارة منازل بغداد وأسواقها وكانت محتلة قد أحرق بعضها وخرب البعض فهى تل وابتدأ بالمساجد الجامعة وكانت أيضا فى نهاية الخراب فاتفق عليها مالا عظيما وهدم ما كان مستهدما من بنيانها وأعادها على أحكام وشبدها وأعلاها وفرشها وكساها وتقدم بالدرار ارزاق قوامها ومؤذنيها والائمة والقرءاء فيها واقامة الجرايات لمن

(١) الصواب « حملوها » (٢) قال صاحب تاريخ الاسلام فى ترجمة سنة ٣٦٩ أن فيها حجت حميلة بنت ناصر الدولة بن حمدان ومعهما أخوها ابراهيم وهبة الله فغضب بحجها المثل فانها استصجبت أربعمائة جمل وكان معها عدة محامل لم يعلم فى أيها كانت وكسب المجاورين ونثرت على الكعبة لما رأتها عشرة آلاف دينار وسقت جميع أهل الموسم السويق بالسكر والتلج (كذا قال أبو منصور الثعالبي فمن أين لها تلج ؟) وقتل أخوها الواحد فى الطريق وأعتقت ثلثمائة عبد ومائتي جارية وأغنت المجاورين بالأموال . قال أبو منصور الثعالبي : خدعت على طائفت الناس خمسين ألف ثوب وكان بها أربعمائة عمارة لا يدري فى أيها كانت ثم ضرب الدهر ضرباته واستولى عضد الدولة على أموالها وحصونها وممالك أهل بيتها أنصت بها الحال الى كل قلة وذلة ونكشفت عن فقر مدقع وقد كان عضد الدولة خطبها فامتعت ترفها عليه فخذ عليها وما زال ينفذ يها حتى عراها وهتكها ثم ألزمها ان تختلف الى دار القحاب فتكسب ما تؤدبه فى

الاحتارة فلما ضاق بها الامر غرقت نفسها فى دجلة .

يأوى اليها من الغرباء والضعفاء وكان ذلك كله مهما لا يُفكر فيه . ثم أمر بمارة ما خرب من مساجد الارياض المختلة وأعاد وقوفها وعول في هذه المصالح على عمال ثقات أشرف عليها نقيب العلويين ثم ألزم أرباب المقارات التي احترقت ودثرت في أيام الفتنة ان يعيدوها الى افضل احوالها في العمارة وفي الحسن والزينة فمن قصرت يده عن ذلك اقترض من بيت ماله ليُرْتَجَم منه عند الميسرة ومن لم يوثق منه بذلك أو كان غائبا أقبم عنه وكيل وأطلق له ما يحتاج اليه فعمرت ببغداد ^(٥٠٨) وعادت كأحسن ما كانت .

ثم وقع التبع على الدور والمساكن التي على جانبي دجلة فبنيت مساكنها وجددت رواشنها بعد ان كان الخراب شاملا لها وتقدم الى من سميت له دار على الشط من كبار الاولياء والحاشية ان يتجهد في عمارتها وتحسينها . وكان السبب في خراب هذه الدور والقصور على الشط ان بختيار كان نقض دار أبي الفضل العباس بن الحسين الشيرازي التي كانت على الصراة ودجلة حين قبضها عنه ولم يكن لها نظير ببغداد في الاتساع والحسن وكان اتخذ فيها بستانا نحو سبعة أجرة مملوا بالنخل والاشجار والرياحين والانوار وطرائف الفروس الفريسة وأنشأ فيها المجالس البهية والمساكن الفسيحة فارتفع له من أثمان النقض جملة استكثرها واستطاب بعد ذلك بيع الانقاض فهدم المنازل الجليلة التي لا يمكن أو يصعب اعادةها . فأمر عضد الدولة برفع سبنة الاخراب وبيع الانقاض واعادة عمارة بستان عرصة دار العباس بن الحسين وكذلك عمارة البستان بالزاهر المتوسط الشرقي من بغداد قمل ذلك فامتلات هذه الخرابات بالزهر والخضرة والعمارة بعد ان كانت مأوى

الكلاب ومطارح الجيف والاقذار وجلبت اليها الغروس من فارس وسائر البلاد .

وكان ينفد آثار كثيرة مثل نهر العبارة ونهر مسجد الانباريين ونهر البزائين ونهر الدجاج ونهر القلايين ونهر طابق وميزابها الى دجلة ^(٥٠٩) والصراة ونهر عيسى ونهر بناحية الحربية يأخذ من الدجيل وكان منها مرافق للناس لسقي البساتين ولشرب الشفة في الاطراف البعيدة من دجلة فاندفت مجاريها وغفت رسومها ونشأ قرن بعد قرن من الناس لا يعرفونها واضطر الضعفاء الى أن يشربوا مياه الآبار الثقيلة أو يتكفوا حمل الماء من دجلة في المسافة الطويلة فأمر بحفر عمدانها ورواضعها وقد كانت على عمدانها السكبل المعروفة بنهر عيسى والصراة والخندق قناطر قد تهدمت وأهمل أمرها وقل الفكر فيها فربما انقطعت بها السبل أصلا وربما عمرتها الرعية عمارة ضعيفة على حسب أحوالهم وعلى حسب الاقتصاد والترجية فلم تكن تخلو من أن تجتاز عليها البهائم والنساء والاطفال والضعفاء فيسقطون فبنيت كلها جديدة وثيقة ونحلت عملا محكما . وكذلك جرى أمر الجسر ينفد فانه كان لا يجتاز عليه الا المخاطر بنفسه لا سيما الركاب لشدة ضيقه وضعفه وتراحم الناس عليه فاخترت له السفن الكبار المتقنة وعرض حتى صار كالشوارع الفسيحة وحُصن بالدرابزينات ووكل به الحفظة والحراس . فأما مصالح السواد فانها قلدت الامناء ووقع الإبتداء بذلك في السنة المتقدمة لهذه التي نحن في ذكرها فقلبت الزيادات وجمعت الغد من القصب والتراب وأصناف الآلات ^(٥١٠) وأعيد كثير من قناطر أفواه الأنهار والمياض والآجر والنورة والجص وطولب الرعية بالعمارة مطالبة

رفيقة واحتيط عليهم بالتبعية والاشراف وبلغ في الحماية الى أقصى حد ونهاية
وأخر افتتاح الحراج الى النيروز المعتضدي ^(١) وكان يؤخذ سافا
قبل ادراك الفلات وأمضيت للرعية الرسوم الصحيحة وحذفت عنها
الزيادات والتأويلات ووقف على مظالم المتظلمين وحملوا على التعديل
ورفعت الجباية عن قوافل الحجيج وزال ما كان يجرى عليهم من القبايح
وضروب العسف وأقيمت لهم السواني في مناهل الطريق وأخفرت الآبار
واستفيضت الينابيع . وحملت الى الكعبة الكسوة المستعملة الكثيرة
وأطلقت الصلات لاهل الشرف والمقيمين بالمدينة وغيرهم من ذوى القافة
وأدريت لهم الاقوات من البر والبحر وكذلك فعل بالمشهدين بالغري
والخائر على ساكنهما السلام وبمقابر قریش فاشترك الناس في الزيارات
والمصليات بمد عداوات كانت تنشؤ بينهم الى أن يتلاعنوا وتوافقوا

(١) قال صاحب كتاب العيون انه في سنة ٢٧٩ أحدث المعتضد النيروز الذي

يقع في اليوم الحادي والعشرين من حزيران
وفي تأخر الحراج قال أبو هلال العسكري في كتاب الاوائل (والنسخة موجودة في
كتبخانة باريس ٥٩٨٦ ص ١٣٨) ان أول من آخر النيروز المتوكل فانه كان يرى ما أضر
بالناس اقتناح الحراج والزرع أخضر وهم يقرضون ويستلفون وأحضر ابراهيم بن العباس
الصولي فوقع العزم على تأخير النيروز الى سبعة وعشرين يوما من حزيران فكتب
الكتاب على ذلك وهو كتاب مشهور في رسائل ابراهيم وفيه وجد البلاذري خطأ
(وردت القصة في ارشاد الازيب ٢ . ١٢٨) وانه قبل المتوكل قبل دخول السنة الجديدة
وولى المنتصر فاحتاج الى المال فطوب به الناس على الرسم الاول وانتقض ما رسم
المتوكل فلم يعمل به حتى ولى المعتضد . فوقع حسابه في اليوم الحادي عشر من حزيران
فاحكم أمره على ذلك وأثبت في الدواوين . وإنما احتدى المعتضد بالله ما فعله المتوكل
الا أنه قد قصره في احدى عشر يوما من حزيران

وخرشت الالسن التي كانت تجر الجرائر وتشب النوار بما أظلمها من السلطان القامع والتدبير الجامع . وبسطت رسوم للفقراء والفقهاء والمفسرين والمتكلمين والمحدثين والنسايين والشعراء والنحويين والعروضيين والاطباء والمنجمين والحساب والمهندسين وأفرد في دار عضد الدولة لاهل الخصوص والحكماء من الفلاسفة موضع يقرب من مجلسه وهو الحجرة التي يختص بها الحجاب فكانوا^(١) يجتمعون فيها للمفاوضة آمينين من السفهاء ورعاع العامة وأقيمت لهم رسوم تصل اليهم وكرامات تتصل بهم^(٢) فعاشت هذه العلوم وكانت موانا وتراجع أهلها وكانوا أشتاتا ورغب الاحداث في التأديب والشيوخ في التأديب وانبعث القرائع وثقت أسواق الفضل وكانت كاسدة وأخرج من بيت المال أموال عظيمة صرفت في هذه الابواب وفي غيرها من الصدقات على ذوى الحاجات من أهل الملة وتجاوزهم الى أهل الذمة . وأذن للوزير نصر بن هرون في عمارة البيع والديرة واطلاق الاموال لفقراءهم .

وكنا بمرض الزيادة من هذه البركات الى ان أتى أمر الله الذي

(١) ويشبه هذا حكاية أوردها جعفر بن قدامة في كتاب الخراج : أخبرني سنان ابن ثابت بن قرة ان المعتضد بالله (وكفى به من الملوك فضلا وحزما) أنه لما أراد بناء قصره في أعلى بغداد على الموضع المعروف بالشامية استزاد في الذرع بعد ان فرغ لها من تدبير جميع ما أراد له للقصر فسئل عما يريد ذلك له فذكر انه يريد ليبنى فيه دورا ومساكن ومقاصير ترتب في كل موضع منها رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعلمية ويجري عليها الارزاق السنية ليقصد كل من اختار علما أو صناعة رئيس ما يختاره فيأخذ عنه ولو مد له في العمر حتى يفعل هذا لظهر فضل هذه الامة على جميع الامم

لا يدفع وانما شرحناها لينظر فيها من يأتي بعدنا ويقرأها الملوك أو تقرأ بين أيديهم فيعملون بمثل ذلك ويسرون بها لينتشر ذكرهم بالجميل ويطلع الله عز وجل على نياتهم فيمكن لهم ويحسن مآلهم فلو لا خلال كانت في عضد الدولة سيرة لا استحسن ذكرها مع كثرة فضائله لبلغ من الدنيا مناه ورجوت له من الآخرة رضاه والله ينفعه بما قدمه من العمل الصالح ويتفر له ما وراء ذلك .

وفي هذه السنة شخص المطهر بن عبد الله عن مدينة السلام الى أسافل واسط لطلب الحسن بن عمران فاقام على منازلته والثالث عليه أمره فقتل نفسه .

﴿ ذكر شرح الحال في قتل المطهر نفسه ﴾

لما توفي عمران بن شاهين وفرغ عضد الدولة ^(٥١٢) من الاعداء الكبار وقتل بخنيار وأبو تغلب وملك ديارهم ورجلهم وحصل بمدينة السلام وكانت نفسه تنازع الى مصر خاصة والى ديار الكفر بعد ذلك من الروم وما والاها كره أن يجاوره النبط مستعصية ويطاوله صغار أصحاب الاطراف ومن يلوذ بالقصب والفياض والآجام ولا يستأصله فمرّض في مجلسه بذكر الحسن بن عمران والبطيحة وطالب من يكفيه هذا الخطب فاتدب له أبو الوفاء والمطهر وأظهر كل واحد منهما كفاية فيه . وتقرر الرأى على انقاذ المطهر فجرد معه عسكريا فيه اصناف من الرجال وأزاح غلته في السلاح والاموال والعدد والآلات وضم اليه أبا الحسن محمد بن عمر البلوي السكوني وكان في هذا الوقت بها فانقلب منها الى واسط حتى اجتمع معه بها فخلع على المطهر وأكرم وسار يوم السبت للنصف من صفر واستخلف

له عضد الدولة على الوزارة وتدير الاعمال وجمع الاموال أبا الريان حمد بن محمد الاصمبغاني وذلك لدربه لا لصناعته ولانه عرف بطول الممارسة موارد الامور ومصادرها وكان واسطة بين عضد الدولة ووزرائه وكان كالشريك لهم فيما ينفذونه ويمضونه من أوامره . فلما استقر المطهر بالبريوني من أعمال الجلمة شاور الناس ومحض الرأي فتقرر الامر على تدير فاسد . قد كان جربه من درج قبله مرارا فلم ينتفع به وهو ايقاع السدود على أفواه الانهار لتكشف البطيحة التي يلجأ اليها^(٥١٣) عسكر النبط وأنشأ مسناة يسلك عليها بالاقدام الى نفس معانلهم فأطلقت في ذلك أموال ضاعت وانقطعت المسالك في دجلة وبطل ارتفاع الكمار ولزمت مؤن الحصار واثبتت الرجال وجاءت المدود فحملت على السدود . وتوصل الحسن بن همران الى بعض تلك السدود فبثها فامتلأت البطائح بالمياه وكان المطهر اذا سدد جانبا اثلثت عليه جوانب واذا حفظ وجها اتاه الخلل من وجوه واتفق مع ذلك ان جرت بينه وبين الحسن بن عمران وقعة في الماء فلم يتم له ما قدره من اصطلامه . وكان المطهر قد ألف فيما كان باشره من الحروب المناجزة واعتماد المفاصلة ولم يدفع الى مصاربة قط ولا مطاردة فشق ذلك عليه وبلغ منه وكان يهتم أبا الحسن محمد بن عمر العلوي بمراعاة تجرى بينه وبين صاحب البطيحة وهدايا وملاطفات في السر منه وانه يطلعه على أسرار التدير عليه ويهديه الى مصالحه . وكانت أخلاق المطهر معروفة بالشراسة والخشنة وكانت أفكاره سيئة فأوجس في نفسه خيفة واستشمر وحشة وتوهم أن استصعاب ما استصعب عليه من هذا الامر عائد عليه بانخفاض منزلة وانحطاط عن رتبة الوزارة وان أبا الوفاء يجد مساعدا لاطمن عليه واظهار

معايه لما كان بينهما من العداوة والمنافسة في المرتبة واختار الموت على تسلط الاعداء عليه وتمكنهم منه . فلما كان يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة خلت من شعبان جلس في مجلسه من عسكره ودخل اليه الكتاب والقواد وطبقات الناس ^(٥١٤) مسلمين عليه فتقدم اليهم بالتخفيف والانصراف ونهض الى خيمة كان يخلو فيها واستدعى طبيبه وأمره بان يفصده وظن انه اذا انصرف الطبيب حل شدة الفصد واستنزف دمه الى أن يتف وكان قريب العهد باخراج الدم وشرب الادوية المسهلة من أجل علة نالته قبل حركته من الحضرة فاعلمه الطبيب انه غير محتاج الى الفصد فزجره وطرده ثم صرف من كان واقفا بين يديه من غلمانة حتى خلا بنفسه وأخذ سكين دواته فقطع بها شرايين ذراعيه جيما وأدخلها الى باطن ثيابه فخرج نفسه في مقاتله ودخل اليه فراش كان يختص به فرأى دستة الذى كان جالسا فيه مملوا دما فصاح وتوافي اليه الناس فادركوه وبه رمق وظنوا أن انسانا أوقع عليه ثم تكلم بما بان لهم ^(٥١٥) انه تولى ذلك من نفسه وحفظت عليه الفاظ يسيرة منها ان محمد بن عمر العلوي حمله على ما ارتكبه من نفسه وكلمات يسيرة في هذا المعنى وغيره ومات من ساعته وحمل الى بلده بكارزين من أعمال فارس فدفن هناك . وكانت هذه الحادثة من عجائب الزمان اذ فتك هذا الرجل بنفسه خوفا من تغير صاحبه له ونشل الله التوفيق والعصمة والستر الجميل برحمته .

وأنتد عضد الدولة عبيد الله بن الفضل الى معسكر المطهر لحفظ أسبابه وتقرير أمر صاحب البطيحة على أمر فى العاجل من حمل مال

وموادعة له الى أن ينظر في أمره وكان ذلك عقيب عوده من الايقاع بيني شيبان^(٥١٥) فأنحدر ووفى بما أمر وحمل مالا من قبل الحسن بن عمران وتسلم منه رهينة وانكفأ بجميع ذلك ودخل الحضرة يوم الاربعاء للنصف من ذى القعدة

وفيها اتفرد نصر بن هرون بالوزارة لان أصل الوزارة كانت له ثم شورك بينه وبين المطهر فلما مضى المطهر لسبيله وتفرد نصر بن هرون بوزارته وكان مقبلا بفارس يدبر أعمالها استخلف له عضد الدولة أبا الريان حمد بن محمد .

وفيها ورد رسول لصاحب المغرب برسائل أداها وكان دخوله في شعبان وانصرفه في ذى القعدة ورد معه القاضي أبو محمد الهادي لتأدية الجواب . وفيها توفي حسنويه بن الحسين في قلعة المروقة بسرماج .

وفيها قبض على محمد بن عمر العلوي بالطبيعة وأتخذ الى فارس وكان السبب فيه ما حفظ من كلام المطهر قبل وفاته فيه^(١) وأتخذ أبو الوفاء طاهر ابن محمد الى السكوفة لقبض أمواله وأملأه فوصل الى نسيء عظيم يستكثر من المال والسلاح وضروب الذخائر التي لا يظن بمثله انه يجمعها ودخلت اليد في ضياعه وكانت كثيرة تشتمل على جل سقى القرات بل قد تجاوز ذلك الى غيره من أعمال السواد واصطنع أخوه أبو الفتح احمد ابن عمر وقلد الحج بالباس واقطع اقطاعا سنيا .

(١) قال ابن الصابي انه سمع منه كلام يفهم منه الشكبة من الشريف قبض عليه عضد الدولة وقله الى فارس ودخلت اليد في أملاكه وأسبابه : كذا في عمدة الطالب طبع بمكة ١٣١٨ ص ٢٨٤

وفي هذه السنة أخذ عبد العزيز بن محمد المعروف بالكراعي أسيرا
وشهر بالبصرة وبمدينة السلام ثم قتل وصلب الى جانب صاحبه .^(٥١٦)

﴿ شرح الحال في الحيلة التي تمت عليه حتى أسر وقتل ﴾

كان هذا الرجل ضيما ساقطا طبخته عن كل رتبة واستخدم في وقت
في تفرقة قضيم الكراع ولذلك عُرف بالكراعي ثم وصل بمحمد بن بقية
وجمعتها عاهة النقص ومناسبة السقوط فارتفع معه حتى قاده خلافة
بالبصرة وجعله مستوفيا على العمال فأرى وتمول وكان منه في أيام عصيان
ابن بقية بواسط سوء أدب كثير وذكر الملوك بما لا يليق بالملوك بعضهم
في بعض . ثم تنكر له ابن بقية فقبض عليه ونكبه فلما قبض بختار على ابن
بقية استخدمه ولما عزم بختيار على الحرب منهزم ما هرب منه وصار الى
البطائح وكان هناك يجري على سوء عادته في سوء الادب . فدبر عضد الدولة
تديرا ثم شطره عليه ولو قبل جميعه ثم أيضا على صاحب البطيحة ما يستغنى
معه عن محاربة ومكافحة وذلك انه ووقف جماعة من أهل البصرة ووجوها
ان يخدموا عضد الدولة في مكاتبة يؤقموها الى هذا الكراعي ويوهمونه
انهم يوالونه ويضافرونه فاذا قربوا منه أناروا الفتنة بمواطاة من سلطان
البصرة ثم سلموا اليه البصرة حتى اذا اغتر استدعى الحسن بن عمران
ليتقوى به فاذا صار في دجلة حيل بينه وبين الرجوع الى البطيحة وحاشته
الكمنا من أعلى وأسفل . وأخذ فبلغ به الجهل ان صدق بهذا الوعد
وعجل فخرج وأخرج معه الحسن بن عمران وسائر عسكره وقال : لي
بالبصرة أولياء واخوان قد كاتبوني والبصرة في أيدينا . فاغتر به الحسن
ابن عمران^(٥١٧) وخرج مع عسكره فلما صاروا بمطارا نار بهم من كان فيها

من الرجال وقاتلوهم . وأخطأوا لان تمام التدبير كان في ان يتركوهم حتى
يؤغلوا الى البصرة فاقام القوم يقاتلونهم ثم ظفر بالكراعي وانهزم الحسن
ابن عمران بعد ان ملأكت عليه قطعة وافرة من سفنه ورجاله . وحمل
الكراعي الى البصرة فشهر وعوقب وطولب بالمال ثم أُنقذ الى بغداد
فشهر منصوبا على نقق في سفينة وعلى رأسه برنس وذلك يوم الخميس لعشر
ليال بقين من شعبان فلما كان يوم الجمعة لليلتين خلتا من ذي الحجة طُرح
الى القيلة فخبطته وصلب الى جانب ابن بقية .

وفي هذه السنة نفذ عسكر الى عين التمر في طلب ضبة بن محمد
الاسدي (وقد مرَّ ذكره) وانه ممن يسلك سبيل الدعار ويسفك الدما
ويُخيف السبل وينهب القرى ويبسح الاموال والفروج) واتهمك حرمة
المشهد بالخائر فلما أظلم عليه العسكر المجرّد هرب بمحاشته الى البادية وأسلم
أهله وحرمة فحصل أكثرهم في الاسر ومأكلت عين التمر

وفيهما دبر عضد الدولة ان يقع بينه وبين الطائع لله وصلة بابنته
الكبرى ففعل ذلك وعقد العقد بحضرة الطائع لله وبمشهد من أعيان الدولة
والقضاة على صداق مائة الف دينار ^(١) وبني الامر فيه على ان يرزق ولداً
ذكراً منها فيولى العهد وتصير الخلافة في بيت بني بويه ويصير الملك
والخلافة مشتملين على الدولة الديلمية ^(٥١٨)

وفي هذه السنة سار عضد الدولة الى الجبل وأعمالها ودوخ همذان

(١) زاد فيه صاحب تاريخ الاسلام : وكان الوكيل عن عضد الدولة أبو علي
(الحسن بن أحمد بن عبد الففار) الفارسي النحوي والذي خطب القاضي أبو علي الحسين
ابن علي التوحي .

والدينور ونهاوند لافتتاح قلاع حسنويه بن الحسين الكردي وتدير
فخر الدولة في قصده ومقابلته على ما كان منه في مكاشفته والاجتهاد في
تشيت شمل الدولة وتفريق الكلمة ومعاودة بخيار وابن بقية وقد كان
أظهر مباينة مؤيد الدولة وكاتب قابوس بن وشمكير .

ولما هلك حسنويه بن الحسين أمّل عضد الدولة ان يكون الشيطان
الذي نزغ بينه وبين اخوته قد زال وأنفذ أبا نصر خرشيد يزيدار الخازن
برسائل الى مؤيد الدولة والى فخر الدولة والى قابوس بن وشمكير اما الى
مؤيد الدولة فباحماده على طاعته التي ما غيرها ولا كدرها واما الى فخر
الدولة فبالعبادة والمداراة والزيادة في الاخذ بالحجة واما الى قابوس بن
وشمكير فبالمشورة عليه بحفظ الذمة التي تعلق بها وحفظ نعمته وترك
التعرض لما يورطه ويهلكه . فأما مؤيد الدولة فانه أجاب جوابا سديدا
وانه واقف على حدود طاعته وتابع له في رضاه وغضبه . واما فخر الدولة
فاجابه جواب النضير الذي لا يرى لرتبة الملك مزية ولا لكبر السن وعهد
الاب فضيلة ولا في المعاودة الى جميل الطاعة نية . وأما قابوس فاجاب
جواب التهيب المحجم المراقب .

وافترق أولاد حسنويه فرقا واختلفت بهم المذاهب وهم أبو الملاء
وعبد الرزاق وأبو النجم بدر وعاصم وأبو عدنان وبختيار^(٥١٩) وعبد الملك
فطائفة منهم انحازت الى فخر الدولة مُظهرة لمشاقة عضد الدولة وطائفة
وردت . حضرته فاما بختيار من بينهم فانه نافر اخوته وكان مقيا في تلعة
سرماج ومنه الاموال والذخائر فابتدأ بمكاتبة عضد الدولة وبذل تسليم
ذلك اليه وذ كر رغبته في الاعتصام به والدخول في كنفه ثم تلون ولم

ف . فتشوّف عضد الدولة للمسير الى الجبل وتهذيب أعمالها فابتدأ فقدم
عساكره يتلو بعضها بعضا فجرد أبا الفتح المظفر بن محمد الحاجب
وأبا نصر خواشاده وأبا الوفاء طاهر بن محمد ورز عن داره الى المسكر
بالمصلي من الجانب الشرقى بعد ان أقرّ أبا الريان بالحضرة على جلته من
خلافة الوزارة ولكن زاد في منزلته وناط به جميع أمور المملكة وطال مقامه
بالمسكر الذي برز اليه الى ان أوغلت تلك الجيوش السائرة على مقدمته . وقد
كان أبو نصر خواشاده وطأ الامور عند خروجه لتأدية الرسائل فوافق
القواد والوجوه أن يخدموا عضد الدولة بذيّاتهم فاذا سار استأمنوا اليه وضمن
لهم الاقطاعات السنية وحمل الى بعضهم الهدايا والالطاف في السر فلما سار
تلقت في طريقه البشائر بدخول جيشه همدان واستئمان المدد الكثير من
قواد^(٥٢٠) نخر الدولة ورجال حسنويه وتلقبهم رايته منحا زين اليها وتلقاه أبو
الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه وزير نخر الدولة ومعه جماهير حاشيته
وبقية قواده وغلماؤه فانحل أمر نخر الدولة واحتاج الى مفارقة موضعه
واللحاق ببلد الديلم فضى ونزل دارا كان بناها . مز الدولة بهوسم ولجأ الى
الداعي العلوي المستولى على ذلك الصقع وعرج عضد الدولة الى نهاوند
وافتح قلعة سرماج واحتوى على ما فيها وملك غيرها من قلاع تلك البلاد
وألقت اليه الحصون مقابليدها وأخرجت الارض أنفالتها .

ولحقته في هذه السفرة علة عاودته مرارا وكانت شبيها بالصرع . وتبعه
مرض في الدماغ يعرف بليترغس وهو النسيان الا انه أخفى ذلك
ويقال ان مبدأ ذلك به كان بالموصل الا انه لم يظهر أمره لاحد^(١)

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٦٩ : وسأل عضد الدولة الطامع

﴿ وهذا آخر ما عمله الاستاذ أبو علي أحمد بن محمد بن

يعقوب مسكويه رضى الله عنه ﴾

والحمد لله وصلواته على محمد النبي وآله أجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل

فرغ من انتساخه محمد بن علي بن محمد أبو طاهر البلخي في

منتصف شهر ربيع الاول سنة ست وخمسة

نقله وقابله علي بن حنظلة سنة عشرين وخمسة

فرغ من نقله الحسن بن منصور في مستهل المحرم سنة

ثمان وثلاثين حامدا لله ومصليا على نبيه

فرغ ابنه محمد بن الحسن في ربيع الاول سنة اثنين وخمسين وخمسة

ان يزيد في لقبه « تاج الملة » ويجدد الخلع عليه ويلبسه التاج فاجابه وجلس الطائع على
المرير وحوله مائة بالسيوف والزينة وبين يديه مصحف عثمان وعلى كتفه البردة
ويده الفضيبة وهو متقلد سيف النبي صلى الله عليه وسلم وضربت ستارة بعنقها عضد
الدولة وسأل ان تكون حجابا للطائع حتى لا تقع عليه عين أحد من الجند قبله ودخل
الانراك والديلم وليس مع أحد منهم حديد ووقف الاشراف وأصحاب المراتب من
الجانبيين ثم أذن لعضد الدولة فدخل ثم رفعت الستارة فقبل عضد الدولة الارض .
فارتاع زياد القائد لذلك وقال بالفارسية : ما هذا أيها الملك أهذا هو الله عز وجل !
فالتفت الي عبد العزيز بن يوسف وقال له : فهمه فقل له « هذا خليفة الله في الارض »
ثم استمر يمشي ويقبل الارض سبع مرات فالتفت الطائع الى خالص الخادم فقال :
استدنه . فصعد عضد الدولة فقبل الارض دفعين فقال له : أدن الى أدن الى . فدنا وقبل
رجله وثني الطائع يمينه عليه وأمره فجلس على كرسي بعد ان كرر عليه « اجلس »
وهو يستغنى فقال له : أقسمت لتجلس . فقبل الكرسي وجلس فقال له : ما كان أشوقنا
اليك وأشوقنا الي مفاوضتك . فقال : عندى معلوم . فقال : نيتك موثوق بها وعقيدتك

مسكون اليها . فأولاً برأسه ثم قال له الطائع : قد رأيت أن أفوض اليك ما وكل الله الى من أمور الرعية في شرق الارض وغربها وتديرها في جميع جهاتها سوي خاصي وأسبابي قول ذلك مستخيراً بالله . قال : يعينني الله على طاعة مولانا وخدمته . وأريد وجوه الفواد أن يسمعوا لفظ أمير المؤمنين فقال الطائع : هاتوا الحسين بن موسى ومحمد بن عمرو بن معروف وابن أم شيبان والزيبي . فقدموا فاعاد الطائع لله القول بالتفويض . ثم التفت الى طريف الخادم فقال : يا طريف تفاض عليه الخلع ويتوج . فنهض الى الرواق وألبس الخلع وخرج فأولاً ليقبل الارض فلم يطق لكثرة ما عليه فقال له الطائع : حسبك حسبك . وأمره بالجلوس . ثم استدعى الطائع تقديم ألوته فقدم لوائين واستخار الله وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم وعقداهما ثم قال : اقرأ كتابه . فقرأ فقال له الطائع : خار الله لك ولنا وللمسلمين آمرك بما أمرك الله به وأنهاك عما نهاك الله عنه وأبرأ الى الله مما سوى ذلك انقض على اسم الله . ثم أخذ الطائع سيفاً كان بين الخدين فقلده به مضافاً الى السيف الذي قلده مع الخلع وخرج من باب الخاصة وسار في البلد .

وأما عضد الدولة وعلته فليراجع في ذلك حكاية أوردها ابن حمدون في التذكرة وهي : حدث القاضي أبو علي الحسن بن علي التنوخي قال : حدثني عضد الدولة أبو شجاع فناخسرة بغداد وذلك في سنة ٣٧٠ قال : حدثني أمي رحمها الله أنها ولدت للامير ركن الدولة ولداً قيل كناه أبا داف وعاش قليلاً ومضى لسبيله (قالت) فحزنت عليه حزناً شديداً اسفاً على فقده واشفاقاً من أن ينقطع ما بيني وبين الامير بعده فسلاًني مولاي وسكنيني وأقبل على وقريني ومضت الايام وتطول العهد وسلوت ثم حملت بك باصفهان فخفت أن أجيء بينت فلا أرى مولاي ولا يراني لما أعرفه من كراهته للبنات وضيق صدره بهن وطول أعراضه عنهن ولم أزل على جملة الفلق والجزع الى أن دخلت في شهرى وقرب ما أترقبه من أمرى وأقبلت على اليك والدعاء ومداومة الصلاة والادعية الى الله في أن يجعله ولداً ذكراً سوياً محظوظاً (أو كما قال عضد الدولة) ثم حضرت أيامي وانفق ان غلبني النوم فتمت في مخاذي ورأيت في منامي رجلاً شيخاً نظيف البزة ربعة كثر اللحية أعين عريض الا كتاف وقد دخل على وعندي انه مولاي ركن الدولة فلما تبينت صورته ارتعت منه وقلت : يا جوارى من هذا الهاجم علينا فتساعين اليه . فزبرهن وقال : أنا على بن أبي طالب . فنهضت اليه وقبلت الارض بين يديه فقال : لا لا . وقلت : قدرى مولاي ما أنا فيه فادع الله لي بأن يكشفه ويهب لي ذكراً سوياً محظوظاً . فقال : يا فلانة

(وسماني باسمي وكذا كنى الملك عضد الدولة عن الاسم) قد فرغ الله مما ذكرت وستلدين ذكر اسويانحيا ذكيا عاقلا فاضلا جليل القدر سائر الذكر عظيم الصولة . شديد السطوة يملك بلاد فارس وكرمان والبحر وعمان والعراق والجزيرة الى حلب ويسوس الناس كافة ويقودهم الى طاعته بالرغبة والرغبة ويجمع الاموال الكثيرة ويقهر الاعداء . ويقول بجميع ما انا فيه (يقول الملك ذاك) ويعيش كذا وكذا سنة لعمر طويل أرجو بلوغه (ولم تبين للملك قدره) ويملك ولده من بعده فيكون من حالهم كذا وكذا لشيء طويل هذه حكاية لفظه قل الملك عضد الدولة : وكلما ذكرت هذا المنام وتأملت أمرى وجدته موافقا له حرفا بحرف ومضت على ذلك السنون ودعاني عمى عماد الدولة الى فارس واستخلفني عليها وصرت رجلا ومات أُمى

وحدث أبو الحسين الصوفي يقول الملك هذا (وأبو الحسين حاضر يسمع حديثه) واعتلت علة صعبة أيست فيها من نفسي وأيس الطيب منى وكانت سننى المتحولة فيها سنة ردية الدلائل موحشة الشواهد وبلغت الى حد أمرت فيها بان يحجب الناس عنى حتى الطيب لضجى بهم وتبرمي بامورهم وما احتاج الى شرحه لهم ولا يصل الى الا حاجب النوبة ويذا أنا على ذلك وقد مضت فيه ثلاثة أيام أو أربعة ولا شغل لى الا البكاء على نفسي والحسرة من مفارقة الحياة اذ دخل حاجب النوبة فقال : أبو الحسين الصوفي في الدار منذ الغد يسأل الوصول وقد اجتهدت به فى الاشراف فابى الا القعود وترك القبول ولن يقول « لا بد لي من لئام مولانا فان عندى بشارة ولا يجوز أن يتأخر وقوفه عليها وسماعه اياها » فلم أحب أن أجده فى المنع والصرف الا بعد المصلحة وخروج الامر . فقلت له على مضض غالب وبصوت خافت : قل له كاني بك وأنت تقول « قد بلغ الكوكب الفلانى الى الموضع الفلانى » وتهذى على فى هذا المعنى هذيانا لا يتسع له صدري ولا يحتمله قايى وجسمى وما أقدر على سماع ما عندك فانصرف . فخرج الحاجب وعاد متعجبا وقال : اما ان يكون أبو الحسين قد اختل واما ان يكون عنده أمر عظيم فاني أعدت عليه ما قاله مولانا فقال : ارجع وقل له « والله لو أمرت بضرب رقبتى لما انصرفت أو أراك ومتى أوردت عليك فى معنى النجوم حرفا فحكك ماض فى واذا سمعت ما أحدثك به عوفيت فى الوقت وزال ما تجده » فميجبت من هذا القول عجباً شديداً مع علمي بعقل أبى الحسين وشدة تحقيقه وقلة تحريفه وتطلعت نفسى الى ما عنده فقلت : هاته . فلما دخل قبل الارض وبكى وقال : أنت والله يا مولانا فى عافية ولا خوف عليك اليوم بل وتستقل ومعنى دلالة على ذلك . قلت : وما هي . ولم أكن

حدثته من قبل بمحدث المنام الذي رآته أمي ولا سمعته أحد مني فقال : رأيت البارحة في منامي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عم والناس يهرعون اليه ويجمعون عليه ويفاضونه أمورهم ويسألونه حوائجهم وكان قد تقدمت اليه وقلت له : يا أمير المؤمنين أنا رجل في هذا البلد غريب تركت نعمتي ونجاري بالري وتعلقت بخدمة هذا الأمير الذي أنا معه وقد بلغ في علة الى حد آيس فيه من عافيته وأخاف أن أهلك بهلاكه فادع الله له بالسلامة . قال : تعني فناخسره بن الحسن بن بويه . فقلت : نعم يا أمير المؤمنين . فقال امض اليه غدا وقل له « أنسيت ما أخبرتك به أمك عني في المنام الذي رآته وهي حامل بك ألم أخبرها مدة عمرك وانك ستمتعل اذا بلغت كذا وكذا سنة علة يأس فيها منك أهلك وطبك ثم تبرأ منها وفي غد يبتدىء برؤك ويزايد الى أن تركب وتعود الى عادتك كلها في كذا وكذا يوما ولا قاطع على أهلك الى الوقت الذي أخبرتك به أمك عني » قال الملك عضد الدولة : وقد كنت أنسيت أن أمي ذكرت ذلك في المنام وأني اذا بلغت هذه السنة من عمري اعتلت هذه العلة التي ذكرها فذكرت ذلك عند قول أبي الحسين ما قاله فحين سمعت ما سمعته حدث لي في الحال قوة نفس لم تكن من قبل وقلت : اقمعدوني . فجاء الغلمان وأجلسوني فلما استقلت على الفراش قلت لأبي الحسين : اجلس وأعد الحديث . فجلس وأعاد وتولدت بي شهوة الطعام واستدعيت الطب فاشاروا بتناول غداء عمل في الوقت وأكلته ولم ينصرم الوقت حتى أحسست بالصلاح الكثير وتدرجت العافية فركبت وعادت عاداتي في اليوم الذي قاله أبو الحسين .

وكان الملك يشرح هذا الشرح وأبو الحسين حاضر يقول : كذا والله قلت لمولانا وأعيذه بالله فما أحسن حفظه وذكره . ثم قال لي : بقي في نفسي من هذا المنام شيء قلت : يبلغ الله مولانا آماله ويزيله من كل ما يهوله وبصرم عنه كل ما يخشاه . ولم أتجاوز الدعاء لعلمي بأن سؤاله عن ذلك سوء أدب فعمل ما في نفسي وقال : وقوفه على أنني أملك حلب ولو كان عنده أنني أتجاوزها لقال حتى أنه لما ورد الخبر بإقامة ابن شيخ الدعوة لي بها ذكرت المنام فتفصص على أمرها اشفاقا من أن تكون آخر حدود مملكتي من ذلك الصقع . فدعوت له واقطع المجلس

تصحیحات

صفحة	سطر	خطا	صواب
٦	٢	واعاد	واعادا .
	٣	الغدر	العدو
	١٣	للحرب	[لعل] القلب
٨	٢٥	غضب	غصب
١٠	١١	مجارى	مجاورى
	١٢	حدد	حدود
	١٦	بهرأ	نهرأ
١٣	١	الكنكرى	الكنشكرى
١٤	١	الى الجنكاتى	مع الجنكاتى
١٥	١٥	اذ احضر	اذا حضر
٢١	١	زفة	رقة
	١٨	الرحمة	الرجمة
	١٩	اخذوا	اخذ
٢٢	٩	استاصر	استاسر
٢٣	٥	كالى	كاكى
٢٩	٢١	جمع	جميع
٣٣	٥	ثبات	نيات
	١٢	بعماء	فعماء
٤٠	٨	وواراء	وداراء
	١١	وياتون	ويابون
٤٢	٥	بواسط	فى واسط
٤٣	٥, ٩	المروفة	المزركة
٤٨	١٨	توزون	توزون (البقية)
٥٢	١	نقم	نقتير
	١٩	فتشبتوا	فتشطوا

صفحة	سطر	خطا	صواب
٥١٤	٥	الامير	الامر
٦٢	٢٠	بجملة	يحملة
٦١٤	١٥	اجماع	اجتماع
	١٩	بالمراغة	بالبردة
٧٥	١١٤	بعث	بحث
٧٩	١٣	كتب	ركب
٨٥	٥	الحسن	الحسين
٩٢	١٩	الثمانين	التبانيين
		وافق	واقف
٩١٤	١٤	و جزر	و خزر
٩٨	١٤	ويقطعون	ويقتطعون
١٠٧	١	على	كل
	١٥	لوسى	لموسى
١١١	٣	لشكرورز	لشكرورز
١١٢	٣	الطفوف	[لعله] الظهور
١٢٠	١٩	و يسألها	و تسلمها
١٢١	١٨	جمع	جميع عسكره
١٢٩	١	حظا	حطا
١٣٥	٧	ثيرمزن	شرمزن
١٣٦	١١	وارسل	وراسل
١٤٠	٦	ضيقا	صيقا
١٤٣	١٦, ١٧	انفق	اتفق
١٤٤	٢	الى الاهواز	التي بالاھواز
١٤٧	١٠	واذكر	واذكى
١٤٨	٩	ووقع	ورفع
١٥٢	١٧	الى ان	على ان
١٥٦	١٢	علته	عنده
١٥٨	١	ويسير	ويصير
١٥٩	١٦	على	[امح]
١٦٠	١	و دافعة	و واقعة
١٦٥	١٧	البركان	البردان

صواب	خطا	سطر	صفحة
رايى	راى	٣	١٧٠
و حالهما	رجالهما	١٢	١٧١
لعز	لمعز	١١	١٧٦
واطماءه	واطمعه	٥	١٧٨
و كاتبه	و كاتبهما	١١	
والرفض	والرشد	١٧	١٨٤
بخشت	بخشب	١٢	١٩٤
وفيها	ومنها	٧	١٩٦
يجرى	جرى	٢	١٩٨
بخشت	بخشب	٦	١٩٩
اجاب الى ان	الى ان	٨	٢٠٠
ملازجرد	وملازجرد	٢	٢٠٢
نفرا	نفر	٣	
عن	على	١	٢٢٤
وحرص	وعرض	٨	٢٢٥
وعتاد	وعباد	١٢	
فاختلت	فاحتلت	١٧	٢٣٥
مالا	مآلا .	١١	٢٤٠
معه	معهم	١٢	٢٤٥
قد كان	يكان	٨	٢٥١
وملكها	وملها	٨	٢٥٤
واستنفر	واستفز	١١	٢٥٥
بسعرها	يسعرها	١٦	٢٦٠
وواقفه	وواقفه	١٥	٢٦٧
رائجة	راجية		
يتبسط	يتسط	٧	٢٧٠
النار	النهار	٨	٢٧١
اجتمعت	اجتعت	١٧	٢٧٤
مؤانسته	انسته	٢٠	٢٧٨
فانخذل	فانخذل	٥	٢٨٨
عسكرة	عسكر	١٠	٢٩٠

صفحة	سطر	خطا	صواب
٢٩١	٣	واختلف	واختلف
٢٩٢	٣	بينهم	منهم
٢٩٣	١	وراءها	وردها
٢٩٥	٨	ومخاطبية	ومخاطبية
٢٩٦	١١	والتدابير	التدابير
٢٩٧	٢	منها	فيها
١٩٩	١٩	الزلة	الذلة
	٥	النيز	التيز
	١١	لجاشكية	لجاشكية
	١٦	واوعدم	واوعدم
٣٠٠	٢٠	بالجاشكية	بالجاشكية
٣٠١	٢٠	ثناء	نماء
٣٠٢	٣	والاحتشار	والاحتشاد
٣٠٣	١٤	والاجماع	والاجتماع
٣٠٥	١٤	المحارمات	المحاربات
	١٧	يقال	يقال له
٣٠٩	٨	ليقيم	ليقيمة
	١١	عنه	عنده
	١٨	واعقد	واعتقد
٣١٢	١٣	جرح به جراح	خرج به خراج
٣٢٠	٦	الأثل	الايث
٣٢٣	١٥	الموافقة	الموافقة
	١٨	وينع	ويمنع
٣٢٥	٣	جبة	جنة
٣٢٦	١٧	علم	[لعله] عمل على
٣٣٠	١٢	تتوفر	تتوفر
٣٣١	٨	الحيل	الحال
٣٣٢	١٤	الحيل	النخيل
٣٣٣	١٢	بما	لما
	١٤	يجمع	بجميع
٣٣٤	١٤	والتحمل	والمستحمل

صفحة	سطر	خطا	صواب
٣٤٣	٣	استيفاء	استعفاء
٣٤٤	١٨	فكاتب	فكاتبة
٣٤٥	٦	اتاه مكرمة	اباه مكرمة
	١٢	ومعة	ومنعة
٣٤٧	١٠	مجاورته	مجاورته
٣٤٨	٣	قبيجة	قبيجة
	١٧٠	الى	اجبتهم الى
٣٤٩	١٠	وسيقابلوني	وسيقابلوني
	١٧	ابني.	ليني
٣٥٢	٢	مما	ما
٣٥٨	١	وبقيا	ونفيا
٣٦٨	٦	اقامة	امامة
٣٧٢	٦	ونقصت	ونقصت
٣٧٣	٢	شيرزاد	شيراز
٣٧٨	١٧	ابني	ليني
٣٨٢	١٣	الدلة	الدولة
	٢٠٠	طلبهم	طلبها
٣٨٥	٩	واتخذهم	واتخذة
٣٩٢	٢١	ابو القاسم	ابا القاسم
٤٠٢	١٧	مقيل	مقامة
	١٨	عقلتي	عقيل
	١٩	حها	حتى
٤٠٥	٢٠	بالزاهر	الزاهر
٤١٤	١٠	واتهك	وانتهك

P5
7812
E3
V.2

THE CONCLUDING PORTION OF
THE EXPERIENCES OF THE
NATIONS

BY

MISKAWAIHI,

*Office-holder at the Courts of the Buwaihîd Sultans,
Mu'izz al-daulah, Rukn al-daulah, and 'Adud al-daulah.*

ARABIC TEXT

EDITED BY H. F. AMEDROZ.

VOL. II.

REIGNS OF

MUTTAQI, MUSTAKFI, MUTI' AND TA'I'.

Oxford.

BASIL BLACKWELL, BROAD STREET.

LONDON: 4 STATIONERS' HALL COURT, E.C. 4
1921.

THE ECLIPSE OF THE " ' ABBASID CALIPHATE

Original Chronicles of the Fourth Islamic Century

EDITED, TRANSLATED, AND ELUCIDATED

BY

H. F. AMEDROZ,

BARRISTER AT LAW,

AND

D. S. MARGOLIOUTH,

D.LITT., F.B.A.

VOL. II.

Oxford:

BASIL BLACKWELL, BROAD STREET

LONDON: 4 STATIONERS' HALL COURT, E.C. 4

1921.

The
George Washington University
Library



Special Collections
Division



